سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة



شرح

عقيدة التوحيد

تأليف
العلامة الشيخ
الحاج محمد بن يوسف أطفيش

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م


سلطنة عمان
وزارة التربية والتعليم
الرقم العام :
الرقم الخاص :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى اللهُ على سيدنا محمد وآله وصحبهِ وسلم تسليماً

قال الشارحُ رحمه اللهُ ورضِي عنه بسم الله الرحمن الرحيم أتبرَّكُ بهِ فى هذا التأليفِ وغيرهِ من الطاعاتِ ، والكلام على البسملةِ من جهة علم الكلام : ذكرتهُ فى شرح تبغُورين

واعلم أنه يجبُ على مَن جاءُه كتابُ سؤالٍ عن شيء أو طلب منفعةٍ فيهِ ، أو دفعُ مضرةٍ كما يتراَسلُ الناس بعض إلى بعض أن يقرأ ما كُتب فيه أولا مِن ذكرِ اللهِ والصلاةِ والسلام ، ولايتركُ قراءةَ ذلِك معرِضا عنه إلى مابعدهُ ، فإن ذلِك خطأ عظيم غَفل الناس عنهُ ، والباءُ للاستعانةِ أو المصاحبةِ : والمعنى : أؤلف معَ اسم اللهِ ويناسبُه : باسم اللهِ الذى لايضر مع اسمهِ شيءٌ فى الارض ولَا فى السماءِ

والابتداءُ بذكر اللهِ مشروعٌ فى العبادةِ وفى المباح ، ولوْلم ينوبِه الطاعة لا فى المعصيةِ والمكروه والمباح الذى نوى بهِ احدهما كما وردتِ البسملة أول الطعامِ والشرابِ ولم يشترط فيها أن ينوِى بها الطاعةَ ، وكل أمرٍ ذى شأن شامل للمباحَ ، والاسم بمعنىَ المَسمَّى والإضافةُ للبيان ، أى بمسمَّى هو اللهُ أو بمعنى اللفظ أى بلفظ هو قولُك : اللهِ الرحمنِ الرحيمِ : فإنهُ كما يتبركُ بالمعنى يتبرك باللفظ

والله : واجب الوجود . والصحيح : أن لفظَ الجلالةِ غيرُ مشتق ، وعلى الاشتقِاق فمِنَ الألوهةِ بمعنى العبادة : أَلِه إلاهةً بمعنى عُبِدَ كالكتابِ من كتب : بمعنى مكتوبٌ ، أو من إلهَ الإنسان ، بمعنى تحيرَّ ، لأن العقولَ تتحيرُ فى معرفتهِ ، فهو مألوه فى شأنه ، أى متحيرٌ فيه ، بفتح الياء ، أو مِن آله إلى فلان : سكن إليهِ ، لأن القلوبَ تطمِئن إليه بذكره ، والأرواح تسكن إلى معرفته ، أو مِن اله إذَا فزِع من أمر ، والله يفزع إليهِ فى النوازل ، أو من الهَهُ إذا أجارهُ ، والله يُجير من فزِع إليهِ أو من ألهَ الفصيلُ : إذَا أولع بأمِه ، لأن العبادَ يولعُون إليه بالتضرع فى الشدائد ، أو مِن ولهِ إذَا تحيرَ فأصلهُ وِلَاهٌ : أبدلت الواوُ همزةً لثقلها بالكسرِ أوّلَا كإشاح كقلبها همزةً إذا ضمُت أوَّلا كأجوه فى وجوه ، أو من ولهِ بمعنىَ الحب الشديد كذلك ، والله محبوبٌ عندَ كل عارف به ، وهو أيضا محبٌّ لأوليائِه ، أو مِن أَلِه بالمكانِ أى أقامَ به ، وكل موجود قائم بالله عز وجل ، وهو الاسم الأعظم ، وعدم الاجابةِ لمِناولةِ الحرام ، أوحىَ اللهُ تعالى إلى موسى : ياموسى إن أردتَّ أن يستجابَ لك فصُن بطنَك عنِ الحرام ، وجوارحَك عن الآثام ، وجاء الحديث « كيف يُستَجاب لهُ ؟ ومطعمهُ حرام ، ومشربُه حرَام ، وملبسهُ حرام ؟

والرحمنُ : رحمنُ الدنيا والآخرة : الرحماتُ العظيمة ، والرحيم : رحيمُ الدنيا والآخرة : الرحمات التى دون العظيمة ، ونِعم اللهِ كلها عظيمةٌ إلا أن العظمةَ نسبيّةٌ : وقالَ أبو بكر ابنُ عبدِ المزنِي : الرحمنُ بنعِم الدنيا مِن المالِ ، والأهل ، والولد ، والرحيم : بنعم الدينِ من المعرفةِ والإيمان والشهادة . وقال جعفر بنُ محمد الصادقِ : الرحمن للمرادين ، والرحيم للمُريدين . وقيلَ : الرحمن بنعمه الباطنة ، والرحيمُ بنعمَه الظاهرة ، وقيل : الرحمنُ بالدفع ، والرحِيم بالقطع ، وزعم بعض المتاخرين كما حكاه الدماميني فى حاشية البخارى : أن قولَهم : فى الرحمن الرحيم صفةُ مبالغةٍ : مجازٌ لأن المبالغة : أن تُثبِتَ للشيء اكثَر مماله ، وإنما يكونُ ذلك فيما يقبل الزيادةَ والنقصَ ، وصفاتهُ منزهةُ عن ذِلك : قلتُ لابأس بذلك ، لأن المراد المبالغةُ فى اصطلاح النحاة ، وهى قوة المعنىَ أو العدد ، لا الزيادة على ماثبت ، فعلىَ أنهما صفتَانِ : نقولُ اللهُ قوِى الإرادةِ ، وقى انتفاء القسوةِ والبخلِ والشح عنهُ ونحو ذلك ، وعلى أنهما مِن معنى الفعلِ نقول : معنَاهما كثيرُ النعِم ، وشهر فى الرحيم أنهُ صفةٌ ، وفى الرحمن أنه علَم ، ولايحسن عندى تأويلُ أفعالِ اللهِ بإرادتها لأَنَ اللهَ تعالى يذكرُ الفعل للامتنان به مثلا ، ورحمةُ اللهِ عمتِ الخلقَ كلهم المؤمنَ والكافرَ ، إلا أنَّ الكافرَ قطعَ عن نفسهِ نعم الآخرة ، ومع ذَلِك لو شاء اللهُ لضربَ أهلَ النار بعذاب أعظم مما هم فيه . قال كعب الأحبار مكتوب فى الإنجيل يابْنَ آدمَ كما تَرحم كذلك ترحم ، كيف ترجُو أن يرحمكَ اللهُ وأنت لاترحم عباد الله ، قيل (رُئى الغزالِىُّ فى النومِ فقيل له : مافعل اللهُ بك ؟ قال إنهُ قال لى بمَ جئتنى ؟ فذكرتُ أنواعاً من العبادة ، فقال : لم أقبلْها منك ولكن جلستَ تكتبُ فسقطتْ ذبابةٌ على القلِم فتركتهَا تشربُ مِن الحبرِ رحمةً لهَا ، فكما رحِمَتها رحمتُك ، اذهبْ فقدْ غفرتُ لك ، ومثل هذهِ مما يذكره أهل القَصصِ إما كذِب لقوله تعالى « فمنَ يعملْ مثقالَ ذرةٍ خيراً يرهُ » ولما ورد فى أجر العلِم من « أنّ مسألةً واحدةً خيرٌ مِن صدقة ألفِ دينار » أخ وإما صدق ، والكذبُ من شياطين النومِ أن اللهَ جل وعلا جعلَ تلك المسألةَ مقبولةً وجعلها سبباً لقَبول غيرِها ومفتاحاً له . والصحيح : أن المقدراتِ فى القرآنِ ليست من القرآنِ لأنهُ اللفظُ المنزلُ على سيدنِا محمد ﷺ للإعجاز والبيانِ ، المتعبد بتلاوتِه ، وهى لم تنزِلْ ولَم نتعبدْ بتلاوتها ، قال رسول الله ﷺ « تخلَّقُوا بأخلاق الله » ولاشك أنَّ الله تعالى ابتدأ السورَ بالبسملةِ فتبدأُ الكتبُ بالبسملةِ لذلك ، قال رسول الله ﷺ وسلم « إذا كتبتم كتابا فاكتبوُا فى أولِهِ بسمِ اللهِ الرحْمن الرحيم واذا كتبتموها فاقرؤها » قال رسول الله ﷺ « أولُ ماكتبه القلمُ بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم فاذَا كتبتم كتاباً فاكتبوهَا أولَه وهى مفتاح كل كتاب انزل ولما نزلَ جبريلُ على بِها أعادهَا

ثلاثاً ، وقال هِى لكَ ولأمتكَ فمرهم لايدَعُوها فى شيءٍ مِن أمورهِم فإنى لم أدعْها طرفةَ عينٍ مُذْ نزلتْ على أبيك آدمَ ، وكذلِك الملائكة ، قلتُ : وجهُ ذلك : أن اللهَ عز وجل جعل لهم ألسنةً وأقدرَهمُ على النطقِ بكلماتٍ مختلفةٍ بمرةٍ واحدة . وإذا ذكرَ متعلقَ الباءِ لم تطول كذَا قيلَ ، وذَلك إذَا ذكرَهُ صاحبُ الكتاب أو شارحةُ بطريقِ أنهُ كلامُ رجلٍ واحد ، أما اذَا ذكرهُ الشارِحُ بلفظٍ أى أو بلفظِ يعنى أو نحو ذلك ، فإنها تبقى على الطولِ ، وصلى اللهُ على سيدنِا محمدٍ زادهُ اللهُ نعمَ الدينِ والآخرةِ فى ذاته وأمته

وفضلُ اللهِ عز وجل لَايتناهىَ ، ورسولُ اللهِ ﷺ لايزالُ يترقّى فِي الكمالَات ، ويزادُ له خيرٌ بالصلاةِ والسلامِ عليهِ كما أمرنا بالصلاةِ والسلامِ وبطلبِ الوسيلةِ له ، وأخطأ مَن قالَ غيرَ هذا مِن أنهُ لاينتفعُ بذلك ، بل ذَلك مِنَّالَه هديَّة : فليستِ الصلاةُ والسلامُ عليهِ تعبُّداً كما قيل : وقد قالَ ﷺ

من أسدى إليكم معرُوفاً فكافِئُوه ، وإن لم تستطيعُوا فادعُوا له ، وقد أوصلَ الينا معروفاً عنِ اللهِ وهو دينُ اللهِ فنكافئهُ بالدعاءِ ، وهو الصلاةُ والسلامُ عليهِ ﷺ لعجزِنا عنِ المكافأةِ

ومعنى الصلاةِ لغوىٌّ فقط ، وهو الدعاءُ بخير ، أو مطلقا : قولَان : والأول أصحُّ وشرعِىٌّ فقط : وهُو أقوالٌ وأفعالٌ مفتَتحَةٌ بالتكبيرِ مختتَمةٌ بالتسليم بشرائِط مخصوصة ، ولغوِى شرعِّى : وهو رحمة اللهِ واستغفار الملائكِة ودعاءُ الانِس والجن وغيرِهِم ، وإن شئتَ ، فقل رحمةُ اللهِ ودعاءُ الخلقِ ، وهو شامِلٌ للإستغفارِ ، وان شئتَ فقلِ الصلاةُ عليه مطلقا : العطفُ فِي حق الخالِق والمخلوق ، واختارَه إبن هشام ،

قال جابر بُن زيدٍ : الإسمُ الأعظمُ هو اللهُ ألا ترىَ أنهُ يبتدِىء بهِ فى جميعِ الأشياءِ ، ويقالُ هو اسمٌ تام المعنىَ ، ولو حذفتَ ال أو الألف أو اللام الأولى أو الأخيرة أو اللام والهاء قلت لايصح كلُّ ذلكِ بل بعضه ، وزعم بعض فى قوله تعالى « لَا يرقُبون فِي مؤمنٍ إلًّا ولا ذمَّةً » أن « إلًّا » هو الله فردت همزةُ إله وبقى على الشدِ ، وحذفت الهاءُ والألِف قبلها ، قلت : لا يصح ذَلِك لأن كلمة أل لا تكون وسطا ، وورد حذفُ ألفهِ فى قول شاعر

(ألا لا بارك الله فى سهيل اذا ما الله بارك فى رجال)

قالوُا الصلاةُ اسم يوضعُ موضعَ المصدرِ يقالُ صلى صلاةً ولا يقال تصليةً أى دعَا و لهجَ قال السعد بذلك فى التلويح وغيره ، وقاله السيد وجماعة تقليداً ، وتبعهم أبُو عبَدِ الله الحطاب أول شرح المختصر ، وذكر بعضٌ أن المنعَ لكونه يوهمُ بصلى النار ، وبالغ الكنانى بأن استعمالَه يكون كفراً ، وذلك كله باطل يرده السماع والقياس ، أما القياس فان التفعلة من كل فعلٍ ونقله الزوزنى فى مصادره واما السماع فانشدوا من الشعر القديم

تركت المدام وعـــزف القيـــان وادمـــــنت تصليـــــــة وابتهالاه

وقد وسع الكلامَ فى ذلك الشهابُ فى مواضع من شرح الشفاءِ والعناية وهذاخلاصةٌ مِن هناك ، قلت أخافُ أن يكونَ موضوعاً إذْ لا يعرفُ قائله ولا مثله وسيدنا : أعظمنا معشرَ الخلق ، لا الأمة فقط ، أو كَامِلُنا المحتَاج إليه فى جميع الوجوه وسائر الحالات .

واما قوله لا تفضلُونى على آدمَ ، وقوله لا تفضلُونى على يونس ، وقوله لا تفضلونى على موسى ، فقبل أن يعلمَ أنهُ أفضل ، أو لاتفضلونى تفضيلا ينقصهم ، وخص آدمَ ، وموسى ، ويونس ، تلويحاً إلى النهيِ عنِ التفضيلِ بتوهمِ المكانِ اذ نادىَ يونسُ أسفلَ البحر فى بطنِ الحوت ، وموسى فى الأرض ، وآدم خرج من الجنة وسيدنا محمد (ص) ناداه فوق ذلك كله ، وأعلمنا بأن الأمكنة الى الله مستويةٌ فى امتناعِ حلولها عنِ اللهِ عز وجل وانتفاءِ عنها . وفى حروف محمد عدد الرسل بالجزم الكبيرِ والبسْط فإن فيه ثلاثَ ميماتٍ وحاءا ودالًا فاحِسب حروفَ ميمْ حا ميمْ دالْ على القول بأن عددَ الرسلِ ثلاثُمائةٍ وأربعة عشر

قيل : إن شئتَ عدةَ رسلٍ كلَها جمعاً محمدُ سيدُ الكونين مِن فَضْلاهُ
وخذْ لفظَ ميمٍ ثلاثاً ثم حَا وكذا دالًا تجدُ عددًا للمرسلين عداه

ثمَّ انهُ شبهَ مطلقَ ارتباطِ صلاةٍ بمصلًّى عليهِ ، ارتباط مستعلٍ بمستعلًى عليهِ واستعُير لفظُ الثاني للأولِ ، فسرَى التشبيهُ للجزئياتِ فاستعُير لفظ « على » الدالَّةِ على ارتباطٍ خاص بْين مستعلٍ ومستعلًى عليهِ خاصينْ لِارتباطِ الصلاةِ بخصوصِ النبى ﷺ ، ففى ذلِك استعارةٌ تبعيةٌ ، أو شبهَ الارتباط المطلقَ بالاستعلاءِ المطلقِ الخ

وعلى آلهِ : فى باب الدعاء : كل بارٍّمتقٍ من أمتهِ ، وفى باب الزكاةِ : بنو هاشمٍ وبنوُ لمطلبِ عندنَا وعند الشافعية ، وقالت المالكية بنوُ هاشم ، وقالت الحنفية بنو هاشم وبنو لمطلب وبنو جعفر ، وبنو عقيل ، وبنو الحارث وبنو العباس ، وأعاد « عَلَى » ردًّا على لشيعةِ إذْا وْجبوا عدمَ الفصلِ بعلًى ووضعوا لذلك حديثا « لا تفصِلوا بينِي وبينَ آلِي بعلى»

وصحبِه بفَتح الصاد وكسرها ، والضم لا يجوز ، جمع صاحب على خلاف القياس عند الأخفش ، واسم جمع عند سيبويه ، والقياس فى جمعه صَحَبة بفتح الصاد والحاء أو به . وهم : من اجتمعَ فى الأرضِ بهِ ﷺ مؤمِناً ولو ضَرِيرا جنياً أو لم يشعرْ بهِ أو لم يروِ عنهُ ، وكلاهما حى بشرطِ التمييزِ ، فخرجَ مجنونٌ لا يميز وطفلٌ لا يميزٌ وهرم لا يميزُ ، ولو تلفَظُوا بالإيمان ولم يشترط جماعةَ الأرضِ فمنَ لقيهُ فى السماء من الملائكةِ صحابيُّون كمَن لقِيهُ مِنهم فى الأرض، ولمْ يشترطِ الشافعية التمييز واشترطَ بعضهُم الموتَ علَى الإسلَامِ فإن ارتدَّ فقد أبطل صحبتهُ فلا يسمى صحابياً ، والصحيحُ أنه صحابِىٌّ مرتدٌّ مبطلٌ لأجرِ صحبتــهِ ، لَا لِاسمهـا ، فـإن تاب علَى قولِ البعضِ بعــدَ موتِه ﷺ أو بعـدَ الغيبـة عنهُ لم يسم صحابيًّا بل تابِعا ، وعلى الصحيح يسمىَّ صحابيا ان ارتدَ وتاب ، وجملتُهم فيما قيل « مائةٌ وأربعةٌ وعشرون ألفا » ولاحديث فى ذلك ، لكن كلامٌ معقولٌ فى بعضِ الكتب ، حضر معهُ ﷺ حجةَ الوداع مِن أهل مكة والمدينةِ والطائِف وما بينهما من الأعرابِ أربعون ألفا ، رواهُ أبو طالب مكى ، وقال أبو زرعة قبض رسول اللهِ ﷺ عن مائة ألفٍ وأربعةٍ وعشرين ألفا مِن الصَحابِة ممن روى عنهُ وسمِع منهُ ، وكذَا حكى ابنُ الصلاح وغيرهُ قال السيوطى ، وقال الحافظ العِراقى : لم أقِف لهذا على اسنادٍ ولا هُو فى كتبِ التواريخِ المشهورةِ ، وإنما ذكرهُ أبو موسى المدنى فى الذيل بغير إسنادٍ ، وقال السيوطى وقد وقفتُ علَى إسناده فى بعضِ كتُب الخطيب البغدادِى وأو ردتهُ فى شرح التقريب ، وفى الإكيل للحاكم ، عن أبى زرعة كانوا بتبوك سبعين ألفا ، ونقل ابن الأثير عن أبى زرعة أنه سئل عن عدةِ مَن روَى عن النبى ﷺ فقال : ومن يضبطُ هذهِ ؟ شهِد معه حجةَ الوداَع تسعون ألفا ، وشهِد معه تبوكَ أربعون ألفا ، قال ابن السمعانى ، وكان بالشام عشرة آلاف عَين رأت رسول اللهِ ﷺ ، وقال ابن حزم « قد غزا رسولُ اللهِ ﷺ هو زانَ فى حُنين باثنى عشر ألفِ مقاتلٍ كلهم يقعُ عليه اسمُ الصحبةِ ، ثم غزَا تبوكَ فى أكثر مِن ذلك ، وفي مرآة الزمان أنه ﷺ قبِض عن مائة ألفِ وستةٍ وعشرين ألفاً ممَّن روَى عنهُ وسمِع منهُ ورآه وسلَّم ونجاّه مما يكره فى ذاته وفى أمته دنيا وأخرى ودينا .

ويكره إفراد الصلاةِ عن السلامِ والعكس إلا إذا دخل الحجرةَ فإنه يقتصِر على السلامِ ، فيقول السلامُ عليكَ يارسولَ الله .

الحمدُ لله : أى الذكر بالجميل على الجميل الاختيارى أو على الإطلاق لقصد التعظيم بأى لفظٍ كانَ ، وإن كان ذلكِ الجميلُ الذِى وقعَ الذكرُ عليهِ نفعاً للذاكر سمى شكراً كما يسمى حمداً ، وان كانَ غيرَ اختيارِى كصفاءِ اللؤلؤةِ لم يسمَّ حمداً بلْ مدحاً مثلَ أن تقولَ ما أحسنَ هذهِ اللؤلؤةَ ، أو هذه اللؤلؤةُ عظيمةُ القدرِ ، وقيل : لا يشترطُ الاختيارُ وبه قال الزمخشرى وعليه فذكر الله الجميل بالجميل على صفته كعلمه ، وقدرتهِ تعظيماً له حمدٌ ، وعلى الأولِ مدحٌ ، ووجهٌ آخرُ أن يقال المرادُ بالاختيارنفىُ الضرورةِ فإن صفةَ الله ليستِ اختياريةً وإلّا : لزم حدوثها ولا ضرورية وإلا لزِمَ أيضا حدوثُها ، وعجزه ، تعالى وحدوثه ، وكونه مقهوراً تعالى عَن ذلك والذكرُ بالقبيحِ ليسَ حمداً ، والذكرُ بالجميلِ استهزاءً أو بلا قصد تعظيم ليس حمداً ، واذا قلت لا إله إلا اللهُ غافِلاً عنِ التعظيم فليسَ حمداً ، واذا قصدت التعظيم فحمدٌ علَى اشتراطِ الاختيار ، أو علَى أنَّ المرادَ بإختيار نفى الاضطرار ومثالُ الحمدِ على الجميل : أن تقولَ الحمدُ للهِ على إحسانِه وأن تقول اللهُ منعم علينَا إذ لايتشرطُ فِي الحمدِ مادة « ح م د » وإخبار بما هو حمدٌ يسمى حمداً إذَا قصد به التعظيم وبسطتُ الكلامَ على الحمدِ بأنواعهِ والشكرِ فى هيميان الزادِ وحاشية ابى.مسألةٌ : وسواء فى الجميل فى باب الحمدِ ، أن يكون جَميلاً عندَ الحامدِ أو عندَ المحمودِ أو عندهما حقًّا أو باطلاً فى ذلكَ مثال الجمال عندَ أحدهِمَا ، أو عندهما باطلا ، أن تثنى على السارق بالسرقِة باعتقادِ السارقِ فقط أو الحامِد فقطْ حسنهَا أو أعتقادها حسنهَا ، والكلَام على اشتقاقِ لفظ الجلالِة وعدمِ اشتقاقِه وعلَى أصل لفظِ الجلالِة وعلى أل فيه ذكرتُه مستوفىً بإذن الله فى شرح لامية ابن مالِك ، وحاشية أبى

مسألة : والأمر كلهُ للهِ عز وجلَّ والغلبةُ فِي الأعلام : إما تحقيقية وهى أن يوجدَ ذكْر لفظ العلمِ فى غيرِ مسمى العلمِ ، وإما تقديرية وهى ان لايوجدَ ذلِك كالرحمن لكن لا يجوزُ ، ويتقوى أنَّه علمٌ بالغلبِة بورودِه بدونِ الْ كرحمنِ الدنيا والآخرةِ وهو الله مولانا عز وجل ، وبرحمانِ اليمامَة وهو مسيلمة الكذاب لعنه الله .

وأولُ مَن كتب الحمد لله وحده فى أول كتابِه الى غيره بعضُ سلاطين الموحدين فِي المغرب الأقصى وهو عبدُ المؤمنِ بن عَلِى فكانت سنة سلَاطينهم ، وكانوا يكتبونهُ بخط غليظ أو معنى الموحدين فى عرفهم ذوُو إبقاءِ متشابه القرآنِ علي ظاهره : كالوجه ، واليد ، والعين ، والاستوى ، على ظاهره ، مع بلا كيف الذى سمكَ السماءَ ، رفع السماءَ ، وبسط الأرض ، وأل للحقيقة أو للاستغراق ، والمعنى صحيح ، والأول أولى ، لأن المقام ليس

لذكر الكل أو البعض ، لصدقه بالكل رفعَ السماءَ عنِ الأرضِ ، وكل سماء عن الأخرىَ قدر خمسمائة عام ، وغلظ كل واحدةٍ خمسمائةُ عامٍ وَذلكِ هو المروى أو خَلَقها من أول أمرهَا مرتفعة كقولك أدرجيب القميص بأى صنعه من أول أمره دائراً للأحداثِ فيهِ دوراً بعد انتفاءِ الدورِ والذِى كالمشتق لوصلهِ بالمشتق ، لكن ليسَ مَضمونَ الصلة علةً للحمدِ إذْلا يتبادَرُ أن يريدَ « الحمد لله » لأجلِ رفعهِ السماءَ بغير عَمدٍ ، اللهم إلا أنْ يرادَ لأجلِ رفعه السماءَ هذهِ ، وجعلِهِ الضوءَ لنا برفعها إلا أنهُ لادخلَ لسكون الرفع بغيرِ عمد فِي التعليلِ

خلقَ اللهُ السموات سبعاً والأرَضين سبعاً وعمر الدنيا قِيلَ سبعة آلافِ وعدُ الأفلاكِ سبعةٌ والأقاليمُ سبعة ، والنار سبعا ، وسنى يوسف سبعا ، وسنيه فى السجن سبعا ، وسبع بقرات ، والفاتحة سبعا ، والنار سبعة ، والأيام سبعة ، والطواف سبعة ، والسعى سبعة ، ورمى الجمار سبعة ، والنار سبعا ، والسجود على سبعة ، وتركيبه من سبعة ، ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ الى قوله عز وجل فتبارك الله أحسنُ الخالقين ، والرزق من سبعة فلينظر الإنسان الى طعامه الى قوله عز وجل وأبا قال وهب كادت الأشياء تكون كلها سبعة وذلك ان وتر السبعة شفع وشفعها وتر ومجموع عدد وترِها وشفعها مثل نفسها كما يقال واحد وثلاثة وخمسة وسبعة ، وهى عدد وترها وذلك شفعٌ ويقالُ اثنانِ وأربعة وستة ، وهن عدد شفعها ، وذلك وتر ، إذا جمعَ اجزاء الشفع والوتر كن سبعة ومثل السبعة ماضوعف منهما كسبعين وسبعمائة آلاف ، وشارك السبعةَ فى ذلِك ثلاثةٌ واحد عَشرَ وخمسةَ عشرَ وتسعة عشر وثلاثةٌ وعشرونَ وهكذاَ ، بتعاقب الأوتار ، وتر ، كذلك ، ووترٌ ليسَ كذلك ، وعنْ أنس : عنهُ ﷺ « عمر الدنيا سبعةُ أيامٍ الآخرة » قال الله تعالى « وإن يوماً عندَ ربكَ كألفِ سنةٍ مما تعدون » وكذا يروى عنِ ابن عباس : ويتقَوىَّ بهذه ماروى عن الضحاك بن كاهل الجهنى : رأى فى النوم منبرا فيه سبعُ درجات ورسولُ اللهِ ﷺ وسلم فى أعلاهَا فقصَّها فقالَ ﷺ « أن الدنيا سبعة آلافٍ » وأنه ﷺ فِي الألف الأخيره رواه البيهقى فى الدلائل والسهيلى فى الروض الأنف

قال السيوطى دلت الآثارُ على أن زيادةَ هذه الأمة على الألفِ لاتبلغ خمسَمائةِ عِام ، والأرضُ أفضلُ مِن السماءِ ، لأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ وسائر الأنبياءِ منهَا ولانَّ فيها إقامةَ شريعتهِ وشرائَعهم ولانَّ نورَ العرشِ والشمِس مِن نورهِ ﷺ ، افتخرتِ الأرضُ علَى نور السماءِ بذلك حين ولدَ ﷺ ، فصدقها اللهُ عز وجل وقالَ ، لاجرمَ حَيثُ افتخرتِ بحبيبى محمد

ﷺ ، فقد جعلتُ ترابَ شرقِكِ وغربكِ طهراً لهُ ولأمته وجعلت شرقَكِ وغربَك مساجدَ لهم ، ويأتى كَلَامٌ عند قولهِ : لأنهُ خلق من أديم الأرض إن شاء الله بغير عَمدٍ من تحتها ولاعلاقة من فوقها » وهذا مبطلٌ لدعوى أنَ السماءَ متصلٌ طرفهاَ بطَرَفِ الأرض إلا إن يقالَ اتصلَ بلا تعمد عليها ، ويجوز أن يريدَ « بعمدٍ » مايشملُ العلاقة لانهُ يقالُ تعمدَ علىَ مافوقهُ بمعنىَ تقوى بهِ ، وانتفع بهِ ولو توقفَ السمكُ على العمدِ أو العلاقةِ لتسلسَل ، والعمد : جمع عمُود ، وهَو مايتعمدُ عليهِ مِن نحو السارية والخشبةِ ، ليسَ لهُ ابتداءٌ إذ لو كانَ لهُ ، لاحتاجَ مبتدَأُهُ إلى مبتدىءٍ لهُ فيتسلسلُ أو يدورُ ، ومالهُ ابتداء لابدَّ أن يكونَ لهُ انتهاء وان لم يكنْ له انتهاءٌ فبأبقاءِ واجبِ الوجودِ ، لَابالذاتِ كالعرشِ فإنهُ حادثٌ لايفْنَى كأهلِ الجنةِ وأهلِ النارِ لايفنَون بعدَ بعثهم ، ولانهايةَ : لو كانتْ له لزم أن له ابتداء لأن الانتهاءَ نَقْصُ وجودٍ سابقٍ ، إلى مبدئهِ وَلَا أمدَ ولازمانَ ينتهى فيهِ أولَا أمدَ ولا نهاية كما نقول لاأكلَ للملائكة ولازمان أكل لهم ، لما يجعلُ للشىء ولاوقتٌ ينتهِي إليه ، أو أراد نفىْ الالفاظِ كأنه قيلَ ، قلْ لانهايةَ لهُ وقل لَاأمدَ له ، وفِي ذلكِ كله تأكيد ، وفى أمد سجع مع عمد ولزوم مالايلزم ، وجناس مضارع ، والسجع مبنى على سكون الاعجاز. عالمِ الغيب ، نفس الغيبوبة أوصاحبها ، بحذفِ مضَاف ، أو الغائب باستعمال المصدر ، بمعنى الوصف ، وذلك كغيب ماوراء ساترٍ كجدار ، وثوب ، ومافى القلب ، ومافى الآخِرة ، وكل مالاتراه ، ولاتحسه باحدى الحواس ، لبعدٍ أو غيره مِن الأجسام ، والأعراض ، وماسيوجد ، أو وجد ، وعدم ، والشهادة : نفس الشهادة : أو صاحبُ الشهادة ، أو الشاهد على حد مامر وهى إحساس الشيء باحدى الحواس الخمس ، تشاهد ماشاهد غيرُك ، وتشاهد مالم يشاهده ، ويشاهد مالم تشاهد ، وذلك فى الدنيا والآخرة ، والاجسام والأعراض .

والله سبحانه وتعالى غائب عن حواسنا ، وتكييفنا شاهد لنا ، وعلمه تعالى ظهور لأشياء له بلا أول ظهوراً ذاتيا بمعنى أن ذاته يقتضى ذلك الظهور ، ويستحيل عدمُ لظهور ، ولايمكن أن يكونَ لاظهور لهَ ، وكذا سائرُ صفاتهِ الذاتيةِ ، ذاتهُ كافيةٌ فى حصولِ مفهوماتِها ، وان شئتَ فصفاتهُ انتفاءُ ضد مفهوماتِها عنهُ تعالى ، بانتفاء الجهلِ عنهُ صفةً لهُ مِن حيثُ إنَّ الانتفاءَ عنهُ وإن شئتَ فذلِك الظهورُ صفتهُ مِن حيثُ إنه ظهورٌ لهُ ، وقولُه علي الإيجادِ والإبقاءِ والإفناء صفة لهُ وانتفاءُ العجزِ عنهُ صفة له ، من حيث إن الانتفاءَ عنهُ فذلك صفاتٌ موجودةٌ لم تعطِل الصفات ولاقدح فى ذلك ، بخلافِ ماقالَ قومُنا إن صفاتِه زائدةٌ عنهُ وأنها غيرهُ فإن هذهِ الغيرَ إما عرضٌ واما جسم وإما أنهُ

ليس بإله قطعاً عندهم ، وكذاَ يلزمُ أنه ليس عرضاً لأنَّ القديمَ لايحلهُ العرضُ ، وألا لزِم أنهُ جسمٌ حادثٌ ، ولزِم قِدمُ العرض ، إذ لو ثبت ذلِك لكانَ ذَا عرضٍ ، وكذَا ليسَ بجسمٍ ، وإلا : لَزِم قدمُ الجِسمِ ولزم بحلولِ الجسمِ بهِ أو معه ، أنه جسم ، تعالَى عن ذلك .

قضىَ : كتبَ فَى اللوح المحفوظِ ، فالقضاءُ فعل فِي هذاَ المعنىَ فهوُ قضاءٌ طِبق الأزلِي الذِى هو العلمُ أو أرادَ العلمَ فهو صفةٌ أو اثبتَ فهوُ فعلٌ ولزِم من ثبوت العلم به بشىء القضاء به لزوما بيانيا ومن ثبوت القضاءِ بشىءٍ العلم به ، واشتق مِن القضاء بمعنى العلِم مجازاً . قضى بمعنى علم لقوم فريقَ ذكور وإناث ، وأصله الذكورُ فقط فغُلبوا عليهنَّ قال الله جل وعلا « لايسخرْ قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء » والأصل فى العطف التغاير لاالترادف ولاالتفسير ولاعطف خاص علَى عام أو عَام على خاص

وقال زهير :

ومـــاأدرى وسوف أخـــال أدرِى أقـــوم آل حصن أم نساءُ .

وقال ﷺ « فليسبج القومُ ولتصفقِ النساء » وكذا قال ابن عباس القوم الرجال دون النساء إلا تبعا وقيل القوم الجماعة من الرجال والنساء معا لأن قوم كل رجل عشيرته وشيعته بالسعادة ، فى الآخرة والراحة التامة ، للقلب والبدن والفوزِ بكل خير خطر بالبال ، أو لم يخطر ، وللآخرين بأل التى للعهد لأن ذكرَ قوم مشعر به ، فانه ، لما قال لقوم خطر فى القلب أنّ هناك قوماً آخرين ، بالشقاوة ، التعب التام والعذاب العظيم فى القلب والبدن ، وفوق كل خير ، ويجوز أن يراد بالسعادة ، والشقاوة ملزومهما وهو الموت على الإسلام أو الكفر ، ويجوز أن يراد بهما الموت على الاسلام أو الكفر على أنهما حقيقةٌ عرفيةٌ فى ذلك الموت والاحسان الجزيل والعقاب العظيُم ، ويجوزُ التعاكسُ باعتبار أنهُ إذا صح أنه شقى أنه مات على الكفر وإذا صح أنه سعيدٌ لزمَ أنه مات على الإسلام .

والسعادة والشقاوةُ ازليان والازل كونُ اللهُ ولاشىءَ فى الوجود سواه ، وان شئتَ فقلِ استمرار وجودبلا مبدأ ، وإن شئتَ فقلْ عدم الخلقِ عن الله عدماً أولاً فعدم الأول على هذا أزلى لَا الثانى وعلَى التعريف الأولِ يكونُ أيضا أزليا ، باعتبارِ قولِنَا ولاشىء فى الوجود معه ، هو الحى الذِى لايتصفُ بالموتِ ، فالمرادُ مجردُ نفيِ الموتِ لاإثباتِ الروح والجسدِ وجريانِ الأعراض عليهِ ، تعالى عَن ذلك ، والمرادُ لازمُ الحياةِ من الافعالِ والصفاتِ كالأرادةِ والقدرة ، والعلم

ومعنى « فاعل فى الأزل » سيفعل قال أبو عمار رحمه الله حدثنى أبو يحيى رحمه الله أن معنى (الحى) الفاعلُ وقال أبو يعقوب (الحى) الفعال ، ولو قلت « شيء حى غير فاعل أو فاعل غير حى » كذبك الوجود

واما النار والريح فحركتهما مطبوعة مِن اللهِ لِافعلَ منهما ، وكذا ماأشبه ذلك ، ولايقال (الله حى) بحياةٍ لأنهُ يوهمُ أن حياته غيرهُ ولاحى بلا حياة للتناقض لفظا وكذاَ سائر الصفاتِ ، فلو قيل حى بلا حياة هى غيره ، أوَحى لا بحياةٍ حلت فيه أو قارنته ، لجاز لا إله إلا هو لاشيء أهل للعبادة سواه فادعوه أى اطلبوهُ فى مصالحكِم الدنيوية والأخروية والدينية .

والسنةُ فى الدعاء عند رسول (ص) اللهِ أن تكشف بطون الاكف وسائرها قال ﷺ « اسألوا اللهَ ببطونِ اكفكم » ولم نجد روايةً أنه يستر يديهِ عند الدعاء وهذا معنى قولِ إبى عبيدة تكشفُ الأيدى عندَ الاجتماعِ في الدعاءِ وملاقاةِ الجموعِ والطعامِ للدعاءِ ، وبقى ماإذا كانَ يدعوُ وحدهُ فأخذوُا من تفضيلِ دعاءِ السر وَاعْمالِ السر بسبعين أن تستَر مثلَ أنْ يدعو فى المِسجدِ على حدةٍ فيسترهَا حتى لورآه انسان لم يعلمْ أنهُ يدعُو اما لوسترهَما وحدَه أو معَ الناسِ حيثُ يتبينُ أنهُ يدعو بهما فلا وجهَ لذلك ، فانه ليسَ دعاءَ سرٍّ وكَيف يكونُ الدعاءُ على خفاءٍ معَ أنهمُ تعمدوهُ جماعةً ولاتَرى أحداً مِن أهلِ عمان ، وجربهَ ، ونفوسه ، أو من قومنا ، يستر يديْه ، فى الدعاءِ لأن سترهما لم يجىء به ، حديث وإن أريدَ إسرار النطق تصور ، ولو مع كشفهما

وجاء فى الحديث « مسح الوجه بهما عند الفراغ مِن الدعاءِ ، فكيف يمسحه بثوب وفى أثر : « تُستران فى مجالس الذكر والختمات » لأن ذلك أليقُ بسيَر المشايخ ، وهو خطأ يعنى أنه لاحديث يعلمهُ فى ذلك سوىَ أنهُ رأى مَن قبلهُ يسترهُما ، وحاشا مشايخَ العلِم أن يفعلوا ذلِك

والسنةُ :بسطُهمُا إلى مقابل الصدرِ يكرهُ دفعهمُا فوقَ الرأسِ وماذكرتُه هو الغالبُ مطلقاًوبه يُعمل فى المجامع ، ولكَ فى التضرعِ بسطُ يسراكَ نحو السماءِ وباطنها نحو الأرضِ ، وقبضُ أصابعِ يمناكَ مشيرا بسبابتهاَ وفي الاستكانةِ ضَم أصابعِك كلهاَ ، واجمعْ كفيكَ تحت لحيتكِ وفي الابتهالِ مد يديك أمامَك وبطونُهما نحو القبلةِ وظهورهُما نحو وجهك ، والسنةُ بسطهُما مطلقاً ومكشوفتين ، وفى الاثر إن جعلَ إحداهما على الأخرى فلا

بأسَ ، قلت : السنةُ بسطُهما وكشفهما وحاشا المشايخَ أن يخالفُوا السنة ، وأبو عبيدة : ولايجوز سترهُما ، وتجَعل إحداهما على الأخرى ، ومَن فعلَ ذلكِ ، فقد خالفَ السنةَ وقد ، ألفت فى ذَلك رسالة

وبالسنة أوصيك . أوحى اللهُ تعالى إلى موسىَ عليهِ السلامُ (يا موسى لا تخش منى بخلا أن تسألنى عظيما ، ولا تستج أن تسألَنى صغيراً اطلب منى الملحَ بعجينك والعلف لشاتِك يا موسى ، أما علمتُ أنى خلقتُ الخردلةَ ومادونها وما فوقها وانى لم أخلُق شيئًا إلا وقد علمتُ أن الخلقَ يحتاجون إليه فمن يسألُنى مسألة وهو يعلمُ أنى قادرُ أعطِى وأمنعُ أعطيته مسألتهُ مَعَ المغفرة

ولا يجوز الدعاءُ المحرمُ مثل قولك اللهم شارِكنا وشارِكِ المسلمينَ لِأن معنى شاركنا وشارِك كن شريكا لنا وشريكا للمسلِمين فيما تدعو بهِ واللهُ جل وعلا لا يحتاجُ فقل اللهم أشركنا وأشرك المسلمينَ الخ كقولهِ تعالى « ولا يشرِكُ بعبادِة ربه أحداً » وقوله تعالى « وأشركه فى أمْرِى » والمعنى اعبدوهُ ويدعُو الانسان وينفثُ على يديه ويمسحُ بهِما موضع الضر أو الموجع من بدَنِه كما فعل ﷺ ويؤخذ مِن ذلِك أنهُ يجوزُ للإنسانِ أن يكتُب الحجابَ لنفسِه مخلصين عَن المبطلات الثَوابَ وعن المنقصاتِ لهُ وعن المكايدة وذلك كالرياء وحُب السمعة والعَمل لغرضٍ دنيوَى كالمالِ والجاهِ قيلَ ، والعجبُ قيل هو كبير ، ولايحبطُ العملُ لأنُه بعد الفراغُ منهُ بخلاف الرياءِ فَانه قبلَ الفراغ ، قلتُ يكونُ الرياء بعَد الفراغ كما يكوُن معهُ وقبله بالاخبَارِ وقلت العجبُ غير كبير فأن أوصلَ إلى الأمن من مكر اللهِ أو إلى استحقار بخلقِ فالكبيرةُ هو الأمنُ أو الاستحقارُ ومن زَكىَّ لينموَ مالَهُ أو فعلَ طاعة ليكون له شيء من الدنيا فهوُ غير مخلص

واعلمْ أن الدعاءَ أربعة:دعاء المسألة ، أن تبسط كفيك مكشوفتين إلى جهة السماء مقترنتين ، ودعاء التضرع:أن تبسط كفك اليسرى كذلك وتقبض أصابع اليمنى وتشير بسبابتها ، ودعاء الاستكانة:أن تجمع كفيك كذلك تحت لحيتك ، ودعاء الابتهال كان ﷺ اذا ابتهل فى الدعاء مد يديهِ وجعل بطون كفيهِ مما يلى القبلةَ وظهورهما مما يلى وجهه ، وتراه يدعو فى بعض الأحوال ، ويداه حيال صدره ، وتارة حيال منكبيه ، وتارة فوق رأسه ، له الدين ، العبادة : الفرض والنفل

الحمد لله رب مالِك أو سيد قيل أو مربى وفيل أو خالق « صفة مبالغة » الأصل ربِب بكسر الباء أدغمتْ فى الباءِ بعَدها كحذر بكسر الذال مبالغة حاذر وليسَ الأصل رابا

حذفت الألَف تخفيفا للساكن أو حذفت أولا ثم أدغمت الباء ، وأنما قيل ذلك فى برلأنه سمع بار بالألف ، ولم يسمع راب وتأتى ، معان أخر فى نظم السجاعى

(العالمين) أصناف الخلق العقلاء وغيرهم ، المفرد عالم بفتح اللام للعاقل وغيره فالناس عالم ، والملائكة عالم ، والجن عالم ، والابل عالم ، والنمل عالم ، والشجر عالم ، والأرضون عالم ، والجبال عالم ، والسموات عالم ، والاصوات عالم ، والافعال عالم ، والاعتقادات عالم ، والبياض عالم ، والصفرة عالم ، وهكذا :

قال الضحاك : العالمون ثلاثة وستون عالما ، حفاة عراة لايعرفون خالقهم ، وستون ألفا مكسوون ويعرفونه

وابن المسيب : ألف عالم ستمائة فى البحر ، واربعمائة فى البر

ومقاتل : الف نصف فى البر ونصف فى البحر

ووهب : ثمانية عشر ألف عالم ، عالم الدنيا منها عالم

وكعب الاحبار : لا يحصر عددها إلا الله عز وجل لقوله تعالى ومايعلم جنود ربك إلا هو وذلك مذهب الزجاج ، وهو الصحيح لاماشهر ان العالمين مختص بالعقلاء وانهم سموا عالمين بفتح اللام لأنهم يعلمون الله عز وجل ولو خصوا فى قوله تعالى « ليكون للعالمين نذيرا »

والزجاج بالفتح وشد الجيم صانع الزجاج بالضم والتخفيف وكان صنعة له أو كان يبيعه أو كان يصنع مزج الرمح ، الزجاجى بالضم والتخفيف وياء النسب هو بائعه ، وسموا عالما لأن فيهم علامة على حدوثهم وعلى وجود الله لأنهم ناقصون والله منزه عن النقائص فلا يخلق مثلُهم مثلَهم بل يخلقهم من ليس مثلهم وفتحت اللام للدلالة على الله فانهم يُعلم الله بهم ويعلم بهم حدوث انفسهم كالخاتم لما يختم به والطابع لما يطبع به والقالب لما يعمل به مقدار بفتح مابعد الالف فى ذلك كله وجمع السجاعى معانى رب فى قوله :

قريب محيـــط مالك وقديـــر مرب كثيرُ الخير والمولِى للنعم
وخالقنا المعبود جابر كسرنـــا ومصلحنا والصاحب الثابت القدم
وجامعنا والسيد احفظ فهذه معان أنت للرب فادع لمن نظم

قلت وإنما ذكروا هنا رباه يربيه تربية ، لأن أهْلَ هذا الفعلِ عندهم ربب بشد الباء الأولى فقلبوا الثالثة ألفا على القاعدة فى اشتمال متوالية كتقضى البازى بشد الضاد أصله تقضض

قلبوا الضاد الثالثة ألفا ويجوز أن يكون رباه يربيه تربية من ربا يربو بمعنى نمى فيكون الالف فى رباه بدلا من الواو التى فيها لام الكلمة وأما على الأول فالألف بدل من الباء الثالثة التى هى تكريُر لامِ الكلمة ، الحاقا بنحو دحرجَ حذف الحرف الرابع فبقى على ثلاثة أحرف ، ولوجود الحذف على الوجهين ترجحت المعانى الأخرُ لسلامتها من الحذفِ

وبعد : السُّنة : أما بعدُ : والواو نائبة عن أمّا وأما نائبة عن مهما يكن مِن شيء أو مهما يحصلْ أو مهما يقعْ من شيء ولكونِها عوضاً عن أمالا تجتمع معهَا جمعهما السكاكيُّ فى مواضعَ من كتابهِ المسمى بالمفتاحِ ذكر فيه النَحو والصرف والمعانى والبيانَ ، قيل سماه مفتاحاً أخذا من صنعتهِ وهى الحدادة وكان حداداً قيل هو أباضيٌّ وهبى

وأولُ من قالَ : أمّا بعد ، داودُ : فأما أنه قالها بالعربية لأنهُ تعلمهَا ، أو قالها بالعبرانية ، وهو فصلُ الخطاب المذكورِ فى القرآن وصحح . وقيلَ أولُ مَن قالها قسُّ بنُ ساعدة ، واعترضَ بأنه أولُ من خطب بها العرب ، وكتبهاَ أول الكتب

وأولُ من أخر الغداءَ إلى نصف النهارِ يوسفُ عليهِ السلامُ للقحط ، وتبعَهُ الملوكُ بعده

وأول من وُضِع التاجُ على رأسِه كسَرى ، وذِلك ليتميزَ به ، وهو أول من لبسهُ وصنعَ لهُ ، وهو أولُ من مدَّ رجلهُ ليقومَ الحاضِرُون . وكان فيروزُ الأصغر يحك عينيهِ ليقومُوا عنهُ .

وبهرامُ يرفع رأسهُ إلى السماءِ ، ومعاوية يقول العزةُ لله ، وعبد الملك يلقى عنه المخصرة ، وعمرُ بنُ عبد العزيز يدعو اللهَ ، وذلك ليقومَ الحاضرون عنهم .

وأولُ من سمى قيصرَ ابنُ انطرطسِ واسمهُ قيشر ، لأن أمه ماتتْ وشقوا بطنهَا وأخرجوهُ منهُ ، وقيل تعسرتْ ولادتهُا فشقَّ بطنهُا وأخرج ، وكان يفتخِر بانه لم يخرج من فرج ، واسمه قيشرُ ثم قيل قيصره ، وهو أولُ من جمعَ بينَ مملكةِ الرومِ واليونانِ

وأولُ من عملَ السلاحَ ، الضحاك من العرب ، بعد الطوفانِ وهو أولُ من ضربَ الدنانيرَ والدراهم ووضعَ العشورَ ، قيل ولبسَ التاج

وأولُ من صُنع الشمعُ له وأدلج

وأولُ من لبس الطوقَ من العربِ عمرُو ابن أخت جذيمة الذى أخذته الجنُّ ثم ظهر

وأولُ من اتخَذ الركبَ مِن الحديدِ ، المهلبُ بنُ أبى صفرة: وكانتْ قبلُ من خشبٍ

وأولُ مَن تكلمَ فى النجومِ إدريسُ وهو أولُ من خاطَ وأولُ من نظرَ فى الطبِّ وأولُ من صنَّفَ وأولُ من خلط العذرةَ ونحوها فى الأرضِ للحرثِ .

وكان بقراطُ أولَ مَن وضع المارستان .

وأولُ من صنفَ فِي الألحانِ بطليموسُ .

وأولُ من غنَّى فى الاسلام طويس ، وقيل ابنُ مسبحَح .

وأول من وضع علمَ النحوِ أبُو الأسود وعلى قبله .

وأولُ من قالَ « تسمعُ بالمعيدِى خيرٌ من أن تراه » النعمانُ بنُ المنذر قاله لشقةَ بنِ ضمرة .

وأولُ من حكَم فى الخنثى عامرُ بن الضربِ .

ومعنى مهما: أى شىء علقَ وقوعَ الجواب بوقوع شىء ما فِي الدنيا بعدما تقدم من أولِ الكتاب وبعضٌ يفسر مهما فى مثلِ ذلك بإنِ الشرطية . وهو سيبويهِ وعلى كل حال يكون التأكيد أى كما أنه لابد من شىءٍ فى الدنيا كذَلك لابد مِن مضمون جوابِ أمّا فانى وجدتُ تحققَ هذا الوجودِ كما تحقق حصولُ شىء فى الدنيا وهذا معنى قولِنا : أما حرف توكيد ، وبعدُ متَعلق بيكن مثلا المقدر ، أو بأقول مقدرا ، أى : فاقول إنى وجدت هذه النكتة ، إشارةً الى كلام ذهنى مترجما بالخط .

والنكتةَ:الكلامُ القليلُ الواضح المفيدُ معنًى لطيفا مؤثرا فِي القلب : من شأنِه أن ينكتَ فى الأرضِ بأصبع أو غيرها استعانة على استخراجه ، كما قال الدماميني : النكتة : الدقيقة التى تستخرج بدقةِ النظرِ إذ يقارنها غالباً نكتُ الأرض بنحو الأصبع ، وذلك فى العرف

وأما فى اللغة : فالنكتةُ : الشىء القليلُ المخالفُ للباقى ، أو الأثر القليلُ فى الأرضِ ، أو النكتةُ : النقوش الدالة على الالفاظِ الدالةِ على المعانى ، أو أراد الألفاظ من حيثُ دلالتها على المعانى ، أو المعانى : من حيث إنها مدلولةٌ بالألفاظ من حيث إنها مدلولةٌ بالنقوش ، وليست النكتة بالضم : البحث فى الأرض كما قيل : بل هى : أثرُ البحثِ ، وأما نفسُ البحث فالنكتة بالفتح ، والمراد هنا الضم ، فيكون استعار اسمَ ذلِك الأمر لطائفةٍ من علمِ التوحيدِ لجامع التحالفِ بالقلة ، فإن الأثر فى الأرضِ مخالفٌ لظاهرِ الأرضِ ، ولاحاجة إلى دعوى أنه استعملَ لمطلق اللونِ مجازاً ارساليّا ، فإنه اللونُ بقيدِ كونهِ قليلاً فى لونٍ كثير ، ثم

استعملَ من هذا المجازِ لطائفةٍ من العلم على الاستعارةِ فيكون مجازاً مبنياً على مجازٍ ، وإن شئت قلت : شبهَ علم الكلامِ لكثرةِ مسائله بلونٍ منتشر ، ومقدمته بنقطة منه إلا أنها أعلاه ، يقال برة منكتةٌ : إذا بدا الأرطاب فيها منسوخةٌ بخط اليدِ لَا بالقالبِ المعبر عنهُ الآن بالطبع لأن الخط بالقالب أحدث فى دار الإسلام سنة ثمان وثلاثين ومائة : وألف ، فتشاور علمَاء « اسلام بول » بينهم مراراً وتكرارا واتفقتْ آراؤهم على جوازِه ، وأفتى به شيخُ الإسلام عبدُ الله افندى ، وأراده احمدُ السلطان الغازى ، وطبعوا أول اللغةِ ، وقالوا : حكمةُ الطبع انتشار علوم الاسلام فى ديار الإسلام ، وليناالها الغنى والفقيرُ والسرعة بأن يحصَل فى وقتِ نسخ آلاف كتب مع التصحيح مِن أهل المطبعِة ، والربحُ فى بيعه والمطالعةُ بدون اشتغالٍ بنسخٍ والمعونة عليها بالفهرست ذكره الشيخ محمد حقى فى كتابه « مفزع الخلائق » وهو عالمٌ تركى مِن « إسلام بول » له تاليف فى الأذكار والرقائق ، التقيت بهِ فى مكة وكان يعظمُنى ويخدمُنى جدا ، حتى حسدَنى به أهلُ مكة وقطعوه عَنى ، وقالُوا له إن ذَلك المغربى ليسَ من أصحاب المذَاهب الأربعةِ بالبربرية ، باللغةِ البربرية ، لكنْ بالحروفِ العربيةِ سموا بربراً لأن بعضَ العربِ سمع أصواتَهم فقالَ ما أكثَر بربرتهم !! أى اختلاط اصواتِهم أو نسبوا الى « بر بن فرقس » أو جاءُوا من الشامِ الى المغربِ واتبعُوا أرض الساحِل برا بعد بر أو البربرةِ صوتُ المعز ، ويقالُ بربر التيس « وكثرةُ الكلامِ والجلبةُ قيل والصياحُ بربرَ فهو بربار ، « ودلو بربار » لها صوتٌ « وبير جيل » جمعهُ برابرة ، وهمُ بالمغربِ وامةٌ أخرى بينَ الحبوشِ والزنج على ساحِل بحر الزنج ، وبحر اليمن ، وهم سودانٌ جدا ، يعيشونَ بالصيد ،وعندهُم مالا يُوجُد عند غيرهم ، كالزرافة ، والكركدان ، والبير ، والنمر ، والفيل .

وقال الحسنُ بن احمد بن يعقوب الهمدانى : جزيرتهُم من حدِّ ساحِل أبين ملتحقة لبحر نفدَن من نحوِ مطالِع سهيلٍ إلى ما يشرق عنها ، يقطعون مذاكرَ اعدائِهم الذين قتلُوهَم ويجعلونها مهورَ نسائِهم ، وكلهم مِن ولدِ قيسِ عيلانَ أو هم بطنانِ من حمير صنهاجةَ وكتامة صارُوا إلى البربر أيامَ فتح « أفريقشِ الملكِ » أفريقية

والبربرةُ كثرةُ الكلامِ بلا منفعَةٍ كما روى عنِ الفراءِ أن البربرى كثير الكلامِ بلا منفعة ، والبربرة ، التخليطُ فى الكلامِ مع غضبٍ ونفورٍ ، ويقالُ أيضا : البربرة كلامٌ : معَ غضبٍ بلا إجهارٍ ، ويقال نسبوا إلى بربن « قيسَ بن غيلان » قال بعضٌ : وهو أبو منصور : ولا أدرِى كيف هذا : بعين مهملةٍ

قالَ فى اخبارِ المغربِ الأقصى : جاء ستةُ نفر محلقُوا الرؤسِ واللحَى إلى عمرِو بن العاصِ أميرِ مصر على عهد أمير المؤمنين عمرَ بن الخطابِ رضى اللهُ عنه فقال لَهم من أنتم ؟ وما جاء بكم ؟ قالوا : رغبنا فى الإسلام ، وجئنا له ، لأن أجدادَنا أو صوْنا بذلِك فوجههم إلى عمرَ فى المدينةِ ، وكتب اليه بما قالُوا فدعا بترجمان يترجم له كلامهم فقال لهُم من أنتمُ وما شأنكم ؟ فقالوا له : نحن « بنو مازيغ » من البربر جئنا للإسلام واوصانا بهِ أجدادُنا ، فقال لما حلقتم رؤسَكم ولحاكم ؟ فقالوا شعر نبتَ فى الكفر واردناَ نبته فى الإسلام ، فقال لمنْ معه : هل لأحدٍ منكم معرفةٌ بهم ؟ فقال شيخٌ من قريش : البربر قوم من ذرية « بربر قيس بن عيلان » خرجَ مغاضِبا لأبيهِ وإخوتِه ، فقال : بربر أى خذِ البر واتبعه على ساحلِ البحرِ ، فقال لهم ماشأنكم فى بلادكم ؟ قالوا : نكرم الخيلَ ونهينُ النساءَ ، يعنون فى جاهليتهم فقال لهُم : ألكم مدائن ؟ قالوا : لا ، قال : ألكم أعلام تهتدون بها قالوا لا ، قال : لقد كنت مع رسول الله ﷺ فى بعضِ مغازيهِ ، ونظرتُ إلى قلةِ الجيشِ وبكيتُ فقال لى رسولُ اللهِ ﷺ : لم بكيتَ ؟ فقلت لقلة المسلمين ، فقال ياعمر « لاتحزنْ فإن اللهَ سيعز هذَا الدينَ بقومٍ من المغرْب ، ليس لهم مدائنُ ولاحصونٌ ولا اسواقٌ ولاعلاماتٌ يهتدون بها فى الطرقِ » يعنى البدو ، وقال عمر : الحمد لله منَّ علىَّ برؤيةِ مَن ذكرهم رسولُ الله ﷺ وعلى آله ، ثم أكرمهمُ وردهُم على عمرٍو ، وقدمهُم علَى من سواهم مِن الجيوشِ وأمرهُ أن يجعلَهم على مقدمةِ الجيش

وكانوا من أفخاذ شتى ، ولغتهم تختلفُ وفيهم مالكية فى المغربِ الأقصى والقبائل ، « وأباضية كاهل نفوسه » وجربه ، وزرارة ، وهذه البلاد الثمانيةُ المنسوبةُ إلى مضاب ، بضاد غير مشالة ، صوتها كصوت الزاى المفخمة ، وفيهم شيعة ، ومعتزلة ، وغيرهم ، ولايظهر ان كلّ من لغتهُ كلغتهم هُو من ذرية « بربن قيس » وقال عبدُ اللهِ بنُ صالح : ماجعل اللهُ ليقيس مِن ولدٍ اسمه (بر) وقال أبو المنذر : هم من ولدِ « فاران بنِ عمليق بنِ يلمع بن عابِر بنِ سليخ بن لودِ بنِ سام بن نوح » والأكثر : من بقيةِ قومِ جالوت ، تفرقُوا إلى المغربِ ، وكانوا عمالا لأبيهمْ حيَن فتح « أفريقش » وأبوهم ملك هو « بنُ قيس بن صيفى بن سبا الأصفر » وليس كلُ أباضى بربريا ، لأنه نسب إلى عبدِالله بنِ أباض ، ألا تَرى أهل عُمان عرباً أزْديا ومنذريا وكنديا وغيرَ ذلك من قبائل العرب

قال البكرى فى المَسالك والممالك : من حينِ وقعتِ الفتنُ : تقاتلَ العربُ على الدنيَا والدرهم ، والبربر يقاتلوُن على دينِ الله عز وجل ليقيمُوه ، ورُفع الحديثُ إلى عبدِ الله بن مسعود رضى اللهُ عنه أن رسولَ اللهِ ﷺ قال فى آخِر حَجةٍ حجهَا قائما خطيباً « ياأهلَ مكــة

ويأهلَ المدينةِ أو صيكم بالبربرِ خيراً فإنهم سيأتونكم بدِين الله عز وجل مِن المغربِ وهمُ الذين يستبدلُ الله بهم حيثُ يقولُ : وان تتولوًا يستبدلْ قوماً غيركمَ ثُم لايكونُوا امثالكم ، والذى نفسُ ابنِ مسعود بيدهِ لو أدركتُهم لكنتُ لهم اطوعَ مِن إمائهم وأقربَ إليهم من دثارِهم . وقالت عائشه رضى الله عنها : البربرُ يَقرؤن الضيفَ ويضربُون بالسيف ويُروى : يضربون السيفَ بتضمين الضرب معنى الاستعمالِ أى يستعملوَنها بالقِتال ، ويلجمونَ الملوكَ « الجامَ الخيلِ » وذكر ابنُ خلدون : أن البربرَ لا تكادُ قبائِلُه تنحصرُ ، قال السهيلى : البَربر والحبشة مِن ولدِ سام ، وفى المصباحِ أن لفَظ بربر معرب ، وليس كذلِك ، ويقال هم بقيةٌ من نسل يوشع بنِ نون عليهِ السلام ، من العماليق الحميرية ، رهط السميدع ، وانه سمع صوتهم ، فقال ماأكثَر بربرتَكم « فسموا البربر »

وقال ابنُ حجر : وأكثر قبائِلهم بالمغربِ السوسى وغيرِها : زناته ، وهوارة ، وصنهاجة ، ونبزة ، وكتامة ، ولواته ، ومديونة ، وشيبانة ، كانوا كلهم بفلسطين مع جالوتَ ، ولما قتل تفرقوا فى توحيد خالق البريَّة بياء مشددة : الأشياء المخلوقة ، كل ماهو مخلوق ، فالله خالقُه ولَاموجودَ إلا الخالق ، وهو اللهُ سبحانهُ . والمخلوق : وهو ماسواه ، من برأه بالهمزةِ ، بمعنى خلقه ، والأصل : البريئة بياء فهمزة قلبت ياءً وأدغمت فيها الياء ، أو هو من البراء ، وهو التراب : فيختصُّ بما خلق من التراب ، وهم بنو آدم

والتوحيدُ : إفراد الله بصفاته ، وأفعاله ، وأقواله ، أو إثباتُ ذات غيرَ مشابهةٍ للذواتِ ، ولامعطلةٍ عن الصفاتِ

والنكتة : بعضُ مسائِل التوحيدِ ، ولا باسَ فى مصروفيةِ البعضِ للكل : تقولُ يوم الجمعة فى رمضَان : أفضل الجمعِ وإن كانَ مسمى النكتة الألفاظُ والنقوشُ الدالةُ على الألفاظِ فهي غيرُ التوحيدِ فلَا إشكالَ فى مصروفِيتها للتوحيدِ أى فى شأن أو بيانِ التوحيدِ ، والبيانُ والشأنُ ظرفٌ للألفاظ والنقوش كما أنَّ الالفاظَ والنقوشَ ظروف للمعانى وكأنها قوالِب تصب فيهَا المعانى

والنكتة جزءٌ مِن التوحيد ، والتوحيدُ كل لها وليستِ النكتةُ جزئيا : والتوحيدُ كليا : فسألنِى مَن لا أرد قولَه ولا أجهلُ الجهل البسيط عدم العلِم عما يمكنُ علمهُ فلا يكونُ ضدا للعلمِ بل مقابلاً لهُ مقابَلة العدم للملكةِ ولمْ أقلْ عما فى شأنِه أن يعلم لأنُه يوهِم أن يكون ممالهُ رتبةٌ فى الفضلِ وليسَ ذلِك مراداً لهم

ومن جهلَ اللهَ صدق عليه أنهُ عدم علمُه بما يمكن علمُه وعلمنا باللهِ ممكن بأفعالهِ الدالةِ على صفاتهِ،ويقصدُ إلى علمهِ بذلك ولا يشاهد الله تعالى بقلبٍ ولابحاسةٍ ، ويقربُ مِن الجهل البسيطِ السهوُ وكان جهلا بسيطا سببهُ عدمُ استثباتِ التصورِ أو التصديق فانه إذا لم يتمكن التصور أو التصديق كان في معرض الزوال فيثبت مرة ويزول أخرى أو يثبيت بدله تصور وتصديق آخر فيشتبه أحدهما بالآخر اشتباها غير مستقر حتى إذا نبه الساهي تنبه وعاد اليه التصور الأول وكذا الغفلة تقرب من الجهل البسيط ويفهم من الغفلة عدم التصور أو التصديق مع وجود مايقتضيه ، وكذا الذهول ، ويقرب منه وسببه عدم استثبات التصور أو التصديق لحيرة ودهش ، قال الله تعالى « يومَ ترونها تذهَلُ كل مرضعةٍ عما أرضعت » فهو قُسم من السهْو والجهلِ البسيط بعد العلِم ، يسمى نسياناً وقد فرقَ بين السهوِ والنسيانِ بأنهُ زوالُ الصورةِ عنِ القوةِ المدركةِ والحافظةِ ، والسهوُ زوالها عن المدركةِ مع بقائِها في الحافظةِ ويحتاجُ إلى سببٍ آخرَ جديدٍ قال الآمديُّ : الغفلةُ والذهولُ والنسيانُ عباراتٌ مختلفة يقربُ أن تكون معانيها متحدةً وكلها مضادةٌ للعلمِ بمعنى أنهُ يستحيلُ اجتماعها مع العلمِ لذاتها فيكونُ ضدا لهَا وان لم تكن صفةَ اثبات ، وليسَ الجهلُ البسيطُ ضد المركبِ ، ولاالشك ولَا للظن ولاللوهمِ ولاللنظر ، بل يجامعُ مع كل منهما ، ويضاد النومُ والغفلة والموتُ ، لأنهُ عدمُ العلمِ عما من شأنهِ أن يقومَ به العلمُ وذلك غيرُ متصور في حالِ النومِ واخواتهِ ، وأما العلمُ فيضادُ جميعَ ماذكروُا واللهُ أعلم

والجهل المركب : اعتقادٌ جازمٌ غير مطابقٍ سواء استندَ إلى شبهةٍ أو تقليدٍ فليس الثباتُ معتبراً في الجهل المركب ، كما شهرَ في الكتبِ وسمى مركباً لأن صاحبه يعتقد الشيء على خلاف ماهو عليه فهذا جهل بذلك الشيء ويعتقد أنه يعتقدهُ على ماهو عليهِ ، فهذا جهلٌ آخر وهو ضدٌ العلم ، لصدقِ حدِّ الضدينِ عليهما فإنهما معنيان وجوديان ، يستحيل اجتماعهُما في محل واحد ، وبينهُما غايةُ الخلافِ أيضا

وقالتِ المعتزلة : الجهلُ المركبُ ليسَ ضد العلم ، بل مماثلا لهُ فامتناعُ الاجتماعِ بينهما ، انما هُوللمماثلةِ لا للمضادة ، وقالوا بالمماثلة لوجهين : الأول : أن التمييزَ بينهمَا ليسَ إلا بالنسبةِ إلى المتعلَّق وتلك النسبةُ الميزة بينهما : مطابقةٌ أولا مطابقة ، فإن العلمَ مطابق لمتعلقهِ والجهل المركب غيرُ مطابق له ، والنسبةُ لاتدخل في حقيقةِ المنتسبِ ، لأن النسبةَ متأخرةٌ عن طرفيها ، فتكون خارجةً عنهما ، والامتياز بالأمور الخارجة ، لَايوجبُ الاختلافَ بالذات ، ولما لمّ يكن الاختلاف بينهما إلا بهذا الوجهِ لزم اشتراكهُما في تمامِ الماهية ،

والوجه الثانى ، أنهُ من اعتقد مِن الصباح إلى العصرِ أن زيداً فى الدارِ وكان زيدٌ فيها إلى الظهرِ ثم خرجَ كان له اعتقادٌ واحدٌ مستمر مِن الصباحِ إلى المساءِ لايختلفُ ذلك الاعتقادُ بحسب الذاتِ والحقيقةِ ضرورةً ، ثم إنه كان أولا على ثم انقلب جهلا مركبا من الظهر الى العصر والانقلاب من شيء إلى آخرَ لايتصورُ إلا فى أمرٍ عارضٍ مع اتحادِ الذاتِ والحقيقةِ فى الشيئينِ ، فيكونَا متماثِلين : انقلب أحدُهما إلى الآخر بسبب اختلاف العوارضِ ، ولااستحالةَ فيهِ ، بخلاف المتضاديْن والمتخالِفين فى الحقيقةِ ، فإنّ الانقلابَ بينهما يُفضِي الى انقلابِ الحقائِق ، وهو محالٌ ، وأيضا : قد ثبتَ فى المثالِ المذكورِ اتحادُ العلمِ والجهلِ المركبِ فى الذاتِ ، فلا يكونُ الاختلافُ إلا فِي العوارض ، وأجيب بأن المطابقة وعدمَها أخصُّ صفات العلم والجهل المركب فليزمُ مِن الاختلاف فى أخصِّ الصفاتِ الاختلافُ فى الذات ، لأن المتماثلينِ يشتركانِ فى أخص صفاتِ النفس

وأجاب الآمدى : بعبارةٍ أخرى هى : أنّ الاشتراكَ فى الأخصِ المعتبر فى التماثِل يستلزمُ الاشتراكَ فى الأعم ، ومن صفاتِ العلمِ حصولهُ بالنظر الصحيح وذلكَ : لايتصورُ فى الجهل المركبِ إيقافا فلا يكونُ مثلا للعلم

واتفق الكل على أنَّ اعتقاد المقلـد للشيء على ماهو لله مثل للعلم والمصنف رحمه الله نفى عن نفسهِ الجهَل البسيطَ والجهل المركبَ ، ثم الجهلُ البسيط قسمانِ : جهل بالشيء مع عدمِ خطوره بالبالِ بسماع ولَا بغيرِه ، وجهل بهِ مع العلِم بوجودهِ فضله فى العبادِة والورعِ أو فى العلمِ أيضا إن نقلَها مِن لسانِ لغة البربريةِ الى لسانِ العربيةِ ليبينَ ويظهرَ لفظَها ويسهَل على القارىء حفظُها على ظهر الغيب فإن لغةَ العجم لاتبين إلا بالضبطِ بالقلمِ أو بالعبارةِ ، ومعَ ذلك يصَعبُ أستخراجها من الخط العربى خلافَ العجم ، وهُم عاربة أى خلصٌ وهم سبعُ قبائل . ومتعربة وهم ، بنو قحطان ، وليسوا بخلص ، ومستعربة وهم دون المتعربة وليسوا بخلص أيضا ، قال ابن دحيةِ ، وهم بنو إسماعيل . قال ابنُ دحية : العربُ أقسام : الأول عاربةٌ عرباءُ وهم الخلص ، تسع قبائل : من ولدِ ادَم بنِ سام بن نُوح عادو ثمُود وأمَيم وعبِيل وطسم وجدَيس وعملِيق وجُرهم ووبَار ، ومنهم تعلم إسماعيلُ عليه السلام العربية ، والثانى : المتعربةُ وهم الذين ليسُوا بخلّص وهم بنو قحطان ، والثالث المستعربة ، وهم بنو أسماعيل ، وهم ولد معد بن عدنان

وقال ابن دريد : العرب العاربة سبع قبائل ، عاد ، وثمود ، وعمليق ، وطسم ، وجديس ، وأميم ، وجاسم ، وانقرض اكثرهم ، إلا بقايا متفرقين ، فى القبائل ، وسمى ابن

قحطان يعرب : لأنه أول من انفتق لسانه عن السريانية إلى العربية قال الحاكم وصححه البيهقى عن بريدة فى قوله تعالى « بلسانٍ عربى مبين » لسان جرهم . وقال أبو عمرو بن العلاء : العربُ كلها من ولدِ اسماعيل وبقايا جرهم

وفى تاريخ ابن كثير قيل جميعُ العرب ينتسبون إلى اسماعيل ، والصحيحُ المشهورُ أن العرب العاربة قبل أسماعيل ، وهم عاد ، وثمود ، وطسم ، وجديس ، واميم ، وجرهم ، والعماليق ، وأمم آخرون قبل الخليلِ عليه السلام ، وفى زمانه أيضا . واما العرب المستعربة وهم : عرب الحجاز ، فمن ولدِ اسماعيل عليه السلام ، واما عرب اليمن ، وهم حمير . فالمشهور أنهم قحطان ، واسمه مهزم ، وقيل إنهم أربعة أخوة ، وقيل من ذريته ، وقيل قحطان ، ابن هود ، وقيل أخوه ، وقيل من ذريته ، وقيل قحطان من ولد إسماعيل عليه السلام وأن القحطانية مِن عرب اليمن وغيره ، وليسوا من ولدِ إسماعيل

وعن محمدِ بنِ على بن الحسينِ عن آبائِه عن النبى ﷺ « أولُ من فتقَ لسَانه بالعربيةِ المبينةِ إسماعيلُ عليه السلام وهو ابنُ أربع عشرةَ سنةً » قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يارسول الله : مالك أفصح منا ولم تخرجْ من بين أظهرنَا ؟ ؟ قال درستُ لغة إسماعيلَ فجاءنِى بها جبريلُ عليه السلامُ فحفظنيهاَ فحفظتها » أخرجه ابن عساكر

وأخرج الديلمى عن أبى رافع « مثِّلت لى أمتى فى الماءِ والطينِ وعلمت كلَّها كما علم آدمُ الأسماءَ كلَّها »

وأخرج ابن عساكِر عنِ ابن عباس : أن آدمَ عليهِ السلامُ لغتهُ فى الجنهِ العربيةُ ، ولما عصَى سلبهَا وتكلم بالسريانيةِ ، ولما تابَ ردها اللهُ إليه ، وكان اللسانُ الأوُل الذى نزلَ به آدمُ من الجنةِ العربية وطالَ العهدُ فصارَ سريانياً وهما متقاربان ، وسريانُ قريةُ نوحٍ قبل الغرقِ وكلُّ مَن فى السفينةِ لغته سريانيةٌ إلا رجلاً واحداً اسمهُ جرهم لغته لسانُ العرب الأول ولما خرجوا من السفينة تزوج إرم بن سام بعض بنات جرهم . وسرَى فيهم فأجبتهُ إلى ماطلَب من ترجمتِها بالعربيةِ وساعفتهُ عطفَ لازم على ملزومٍ فإنهُ إذا ثبتتَ الإجابة لزِم أن المساعفةَ موجودةٌ أو عطف تفسيرٍ أو أرادَ بالإجابةِ مادون المساعفةِ فيرادُ بها أنهُ لم يلغِ كلامَه ويعرضْ إنه كأنه لم يتلكم به بل قال له لماذا اتطلب ذلك ؟ فيقول له السائل ليبينَ لفظُها ويسهل على القارىء حفظها كما حكىَ المسئول فأولا طلبَ منه نقلها إلى لغةِ العرب : وإنما قالَ السائل ليبينَ لفظها الخ بعدهَا قال لهُ المسئول لماذاَ انقلها أو لماذَا تسألُ

النقلَ فقال السائل : ليبين الخ : فذكّره المسئولُ بالنقلِ مع إسقاطِ السئوالِ فيكونُ عطف المساعفةِ على أصلهِ لازماً ولاتفسيرا

وفى الأثر : الحفظ عبارةٌ عن حصولِ صورةِ المسائِل فى الذهن : والفهم : عبارة عن حصولِ معاني المسائِل فى الذهن : فيما رغب فيهِ حذف العائد المجرور بالحرفِ معَ اختلافِ مادةِ ماتعلق به الموصول ، ومعناها بناء ، على جوازه بدون اشتراطِ إذا ظهر المَعَنى أو ضمنّ رغب معنى طلَب ، أو استعمله فى معنى لازمه ، فإنك اذا رغِبت فى شيء طلبته ، فكأنه قال فيما رغِبه فقد حذفَ العائدَ منصوبا واختارَ رغب ليصرحَ برغبتِه ، نفعنا اللهُ ببركتهما ، ولو قالَ ساعفتُه فيه أى فى ماطلَب أو قالَ فيما سألَ أو فيمَا قصدَ لم يكن مصرحاً بالرغبة

والناقلُ الى العربيةِ هُو أبو حفص عُمَر بضم ففتح ابنُ جميع رحمه اللهُ ونفعنا الله ببركَتِهِ ولأدرى مَن ألفهَا بالبربريةِ ولامَن سألَ نقلهَا منها والخير لاغيره كما أفاده التقديمُ مع إفادتِه الاهتمامَ أيضا ، والمرادُ خير الدنياَ والدينِ والآخرة ، وذلك الخيرُ للمصنفِ بالعربيةِ ولسائله ولغيرهما ، ويأتى عن الصديقِ رضى اللهُ عنه حين احتضَر فى استخلافه عمر رضى الله عنه . إنى استخلفته عليكَم فإن يكنْ كما ظننتُ فيه فذاكَ والخيرَ أردت ، والإ :«فسيعلمُ الذين ظلموا أى منقلَب ينقلبون » فى ذلك المذكور من الإجابة والمساعفةِ أردت وباللهِ لابغيره ، فالتقديمُ لما مر التوفيق هو والعصمة والتسديد ، خلق القدرةَ على الطاعِة أو خلق العملَ على الوجهِ الذى يصح ، ولاتختص بالسعيدِ لجواز إبطال المطيع له بعد ذلِك أو تلفيق بينَ عمل العبدِ ورضاءِ الرب ، أو معنى يعطيه اللهُ السعيدَ يحول بينهُ وبين المعاصِى تارةً وبينهُ وبين الإصرار تارةً فيختصُّ بالسعيد وهى حالُ فعل الإيمان لاقبلُ ولابعدُ وعليه : لاعلَى غيرهِ على حد مامِن توكله . توكلت : تركتُ الأمَر إليه لأأقلَقَ ولأأختارُ شيئا قبَل الوقوعِ إلا ماأذن اللهُ لى من اختيارِ الدين ، ومِن الدعاءِ بالخير ، والنجاة من الضير

وهو حسبى ، كافٍ لى أو معطٍ لى ، حتى أقولُ حسبِى ونعمَ الوكيلُ هو ، أى هو الموكولُ إليه

فائدة : سُن للكاتِب إلى غيره : أن يبدأ باسمِ نفسهِ ثم يكتبَ اسم المكتوب .

روى الطبرانى عنِ النعمان بن بشير عن رسُول الله ﷺ : إذَا كتب أحدُكم إلى أحدٍ فليبدأ بنفسِه ، وعن أبى الدرداء عنه ﷺ (اذا كتب أحدُكم الى إنسانٍ فليبدأ بنفسهِ واذا

كتبَ فليُرَتبْ كتابهُ فهوُ أنجح ، أى ضعوه على الأرض من الجانبِ الذِى لاكتابَ فيه . وقيل : يلقِى الترابَ على غير اسم الله واسم نبيه

وذكرُوا أن الأعاجِم تبدأ باسمِ المكتوبِ إليه قال أبو الليث كان رسمُ المتقدمِين أنَّ الكاتِب يبدأ بنفسهِ مِن فلان إلى فلانٍ ، وبذلك جاءتِ الآثارُ

وروى عن ابن عمر انه كانَ إذا كتبَ إلى الخليفة بدأ بنفسِه وكان عمرُ يكتُب إلى عمالِه « إن ابدءوا بأنفسكم »

وروى وكيع « عن أبِي داود عن عبد اللهِ بن محمد بن سيرينَ أنه أرادَ سفراً فقال لهُ أبوه محمدُ بن سيرين اذا كتَبتَ الى كتابا فابدأ بنفسك ، فانك إن بدأتَ بى لمْ أقرأ لك كتابا

وعن الربيعِ بن أنس « ماكان أحد » أعظمَ حرمةً مِن النبى ﷺ وكانَ أصحابه إذا كتبوْا اليهِ بدءُوا بأنفسهِم : قال ابن سيرين إن النبى ﷺ قال إن أهلَ فارس اذَا كتبُوا بدءوا بعظمائهم وكبرائهم فلا يبدأ الرجلُ إلا بنفسه ، قال أبُو الليثِ ولو بدأ بِالمكتوبِ اليه جاز لأن الأمةَ قد اجتمعت عليه برمتهم .

وقال النبى ﷺ « لاتجتمع أمتى على ضلالة » فعلُوا ذلك لمصلحة رأوها تنسخُ ماكان قبلُ فقد وجدنا أن الآية تنسخ باجماعِ الأمةِ كقوله تعالى « وإن فاتكمُ شىء من ازواجكم » قلتُ : الحق أن يقالَ إنهم رأوا النهىَ للتنزيه أو لمَّا قوِى الإسلام لم يتوهم الاقتداءُ بهم .

وعن الحسن البصرى لَابأس بالبدءِ بالمكتوب إليه ، قال أبو الليث الأحسن فى زماننا أن يبدأ بالمكتوبِ إليه ، والا كانَ استخفافا بهِ إلا إن كان المكتوب اليهِ عبدهُ وولدَه .

إن سأل سائل « عنْ أصلِ الدين فقالَ عطف تفصيلٍ على إجمال أو المرادُ إنْ اراد السؤالَ عن أصلِ الدين فقالَ ماأصلُ الدين ؟ ماأصلُ الاحكامِ الشرعيةِ عملاً وتركاً ؟ أو أصل الأعمالِ الصالحات ؟ قال الطبلاوى والسيدُ قَبله وغيرهما: الدينُ وضعٌ إلهى سائق لذوِى العقولِ باختيارهِم المحمود إلى ماهُو خيرلهُم بالذاتِ،قالُوا فخرجَ بالإلهى ، الوضعُ البشرى وخرجَ بسائق الاوضاع الأهية غيرُ السائقةِ من إنباتِ الأرض وإنزال الغيث وخرج بذوى العقولِ الطبائعُ التِى فى الحيواناتِ تهتدِى بها لمنافِعها ، وتهربُ عن مضارها وخرجَ بالاختيارية ، الاتفاقيةُ والقهريةُ كالوجدانياتِ ، وبالمحمود : الكفر ، وبالذات : متعلق بسائقِ

أى أنَّ الوضعَ الإلهىَّ سائقٌ إلى الخير بذاتهِ لأنهُ ماوضعَ إلا كذلك كذاَ قيل : والحق أنهُ متعلقٌ بالخيرِ أو حالٌ منه قيل : والخيرُ حصولُ الشيءِ لما مِن شأنهِ أن يكونَ حاصلا لهُ ، وبسطَتُ ذلكِ فى شرحِ بنغوُرين ، وفيما يأتى هنا : فقل الدينُ أى أصلُ الأحكامِ الشرعية عملا وتركا أو أصلُ الأعمالِ الصالحات وهذَا حذف الدليل وهو جائز فى الحسد مع أنا لانسلم أن ذلك حد بل أخبار وإفادة هو التوحيد لايصح مع عدم عمل طاعة ولاينفع ترك معصين لقوله تعالى عن صفات الخلق وصفات النقص وأفعال ذلك « إن الدين عند الله الإسلام» أى أصلُ الأعمال الشرعية عملاً وتركاً أو اصلُ الاعمال الصالحاتِ هو الاسلامُ ، بمعنىَ التوحيد بالَقلبِ ، أو الذِى يستحقُّ أن يتخذِ دينا هُو الإسلام ، اى التوحيد ، لَا الإشراك ، كما اتخذ كفارُ مكة الشرك دينا أو الدين المقبولُ هو الإسلامُ أى هُو الإذعانُ لما أمر اللهُ تعالى به وما نهىَ عنه ، أو الدينُ المقبولُ هو الإسلامُ بمعنى الإخلاص عن الإشراك والرياء والمفاسد

فالإسلام يكونُ بمعنى الوحيد ، ويكون بمعنى الإذعانِ للأمر الشرعى ظاهِرا وباطنا ، ويكونُ بمعنى الإذعان للشيء مطلقا دِينيا أو دنيويا ، وبمعنى الإذعان للشرع ظاهرا دون الإيمان بالقلب : كقوله تعالى « قل لم تؤمِنُوا ولكن قولُوا اسلمنا » ويجوز أن يكون المعنى أنّ الدينَ المقبول هو الإسلامُ أى هو التوحيدُ والعمل الصالحُ والتقوى

وعن قتادة : الاسلام هو شهادةُ ان لا إلّه إلا الله مُحمدٌ رسول الله والاقرار بما جاء بهِ من عند الله تعالى : قال بعض .

وسبعة أوجهٍ به الديُن فسّرا حسابٌ وطاعةٌ وحكمٌ بما جرَى
جزاء وذل ثم حجٌّ وعـــادة بها كملَت والكل فِي الكتب مسطرَا

فالأحكامُ الشرعية : تسمى ديناً لأنه يحاسب عليها ويطاعُ اللهُ بها ويحكمُ بها ويجازىَ عليها أولها ، ويذل لهَا ، ويخضَع لها ، ويذل بتركها ، وتحج أى تقصد ، وتعتاد

قال الديربى واليافعى : تمامُ « شهِد اللهُ أنه لا إله إلا هو والملائكةُ » هو قولُه : الإسلام ، أى مختومٌ بقوله الإسلام : لَا بقوله « الحكيم »

ونص الديربى ومنها ماحكى عن بعض الأولياء أنه اجتمعَ بالخضر عليهِ السلامُ فقال « يانبى الله إنى خائفٌ من سلْب الإيمانِ قبل الموتِ فقال الخضر عليه السلام : قد سألتُ محمدا ﷺ عما يحفظُ اللهُ تعالى به على العبد الإيمانَ فقال : يقرأُ بعد صلاةِ الصبح كل

يوم آيةَ الكرسى ، وآمن الرسولُ الى آخر السورة ، وقوله شهدَ الله أنه لاإله إلا هُو إلى قوله : إن الدينَ عند اللهِ الإسلام ، وقوله : قلِ اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب فمن واظب على ذلك أمنه الله من سلب الإيمان حتى يأتى ربه

وفى رواية : قال الخضرُ عليه السلامُ سألتُ أربعةً وعشرين ألفَ نبى على استعمال شىء يكونُ الإنسان به آمِنا من سلبِ الإيمان فلم يجبنى أحدٌ حتى سألتُ محمدا ﷺ فقال اصبر لى حتى اسأل جبريلَ فسألهُ فقالَ جبريلُ عليهِ السلامُ حتى أسألَ ربَّ العزة فسأله ، فقال عز وجلَّ من واظبَ على قراءة الفاتحة وآية الكرسى وآمن الرسولُ الى آخر السورة وشهدَ اللهُ إلى الإسلام ، وقل اللهم مالِك الملك إلى بغير حساب ، والإخلاص والمعوذتَين يكون آمِنا من سلْب الإيمان والقراءة مرةً مرةً .

وأيضا قال الله عز وجل شهد الله أنه لاإله إلا هُو والملائكةُ وأولوا العلمِ قائما بالقسطِ لا إلَه إلا هو العَزيز الحكيم ان الدين عند الله الإسلام ومن يتبع غير الإسلام دينا الخ فلا يحسن فى قراءةِ الناسِ الآياتِ المنتخباتِ الاقتصارُ على قوله الحكيم ، دون أن يضم إليه إن الدينَ عندَ اللهِ الإسلامُ لأنهُ من تمامِ التكلمِ بالتوحيدِ وقد تم فى قولهِ الإسلام ، ومع هذا : لحسْن الاقتصارِ على المنتخبات لنهيهِ ﷺ بلالاً عن ذلِك وقوله : اذا دخلت سورةً فأتمها إلا ماوردَ الأمر بهِ كآية الكرسىِّ عقب الصلاةِ ، وحينَ كذَا وكذَا .

والإسلامُ أى التوحيدُ بالقلبِ . لايتمُّ إلا بقول نُطق باللسانِ ، وأن لم ينطق بهِ هو معتقدٌ له فهو مشترَك عند جمهُورِ أصحابنَا وجمهورِ قوماً وعملٌ للواجباتِ وتركٌ للمعاصى وهُو مِن العملِ ، ومن وحَّد اللهَ نطقا واعتقاداً وفعلَ الكبائرَ فتوحيده غير كاملٍ وليس مشركاً ، أما القولُ فشهادةُ أن لا إلَهَ إلا اللهُ بفتح الهاءِ الأولى وضم الثانيةِ وإن ضمهُما بتنوين أو فتحهما بتنوينٍ أوضمت إحداهما وفتحت الاخرى بتنوين أو غيرهِ صح لهُ التوحيدُ ، ويقالُ بصحتهِ أيضا : إن كسرَهما أو أحدهُما وفتح الاخرى أو ضمها بتنوين فِي ذلك كله أو تركه . لايجزى فى التوحيد إلا أن ينوى بألَه من يعبدُ على الحقِّ ، وباللهِ واجبِ الوجُودِ ، أى لامعبُود بحق إلا واجبَ الوجودِ ، وغير اللهِ جائز الوجودِ ، فلو أرادَ بالَهٍ مقصوداً إليه فِي الحوائج ، أو مَن يتحير إليه أو مَن علا أو مطلقَ مايعبُد ، أو معنىً من معانِي ماوضع لهُ لفظ إلَه فى اللغةِ ، لم يدخُل فى التوحيد ، ولمْ يجزه ، وكذا لو أرادَ باللهِ مطلقَ مَن يعبدُ أو مطلقَ من يعبدُ بحقٍ مَع أنهُ لا معبُود بحَق إلا واجبُ الوجُود ، ومعناهُ المطابقِى لامعبُود بحَق إلا اللهُ ومعناهُ الالتزامِي لا مستغنيا عما سَواه ومفتقرا اليهِ كل ماعَداه

إلا اللهُ ، والمعنى التضمينى لا يتصورُ هنا ، لأن اللهَ سبحانهُ وتعالى لايتصِفُ بالكل ولابالجزء وهذه العبارةُ لبدئِها بالتخلى بالمعجمةِ أولَى مِن عبارة « اللهُ لا إلهَ إلا هُوَ » لبدئها بِالتحلى بالمهملةِ وحدهُ

ومصدرُ وحدَ يحِدُ وعد يعِد يستعمل بمعنىَ الوصف أى منفرداً بافعالِه وأقواله ، وصفاته ، وهو تأكيدٌ للحصرِ قبلَه ، وزاد تأكيدا بقوله : لاشرِيكَ لهُ فى قول ، ولافعل ، ولاصفَة ، ولَا فى الألوهية ، وهى مِن الصفاتِ وزادَ تأكيداً بقوله : ولانِد لهُ ، أى لاشىءَ يُتعاطى أن يكون غالباً للهِ عز وجلَّ ولاضد لهُ أى لاشىءَ إذا كاَن لم يكنِ اللهُ واذا كانَ اللهُ لم يكن هُو ولايرتفعانِ فإن الضديْن أمرانَ وجودِيان لا يجتمعَان وقد يرتفعان ، ويزادُ عِند بعضٍ : مانصهُ بينهُما غايةُ الخلافِ وإن شئت فالضدانِ همَا المعنَيان الوجودِيان اللذَان بينهما غايةُ الخلافِ ، ولاتتوقفُ عقليةُ أحدهِما على عقلية الآخر ، وغايةُ الخلافِ التنافِي بينهما ، بحيثُ لايصِح اجتماعُهما فخرجَ نحو البياضِ معَ الحركِة فانهما أمرانِ وجوديانِ مختلفان فِي الحقيقة لاتنافِي بينهمَا لجوازِ أن يكونَ المحلُ أبيضَ متحركاً والمتضايفَان كالضدينِ ، إلا أنه تتوقفُ عقَليةُ أحدهِما على الأخرى كالبنوةِ والأبوةِ ومعنى الوجوديينِ : كل منهما ليسَ عدماً ولَاقرينَ لهُ لاشىءَ مقترن بِهِ ، ويصطحب معهُ يجمعُهما فعل أو قول ولاشبيهَ لهُ أى لاماثِل له مماثلةً عظيمةً حتى يكادُ لايفرزُ أحدهما مِن الآخرِ ، وعبارةُ بعض أن المثلَين من نوعيْن والشبيهَين مِن نوعٍ واحد.

ومذهب المتكلمين : أن المماثلةَ الاتحادُ فى النوعِ وقيلَ الشبيهُ المشارِك فى أكثرِ الأوصافِ حتى كأنهُ يشتبهُ ويلتبسُ به ، وكأنهُ قائم مقامه والمثل دون ذلك ، ويقالُ مثلُ الشيءِ ماشاركهُ فى أخص أوصافِه كما تقول فلانٌ مثلُ فلانٍ تريدُ أنهُ مشاركٌ لهُ فى أخص أوصافِه التى هِى الناطقيةُ وشبه ماشاركهُ لافِي أخص أوْصافِه ، كما تقولُ فلانٌ يشبهُ الحيوانَ فى الإدراك ، فإن أخصَّ اوصافِ الحيوَان التحركُ بالإرادةِ ، أو الأحساسُ ولامثلَ له لامماثلةٌ ما ، وقيلَ المثل : من الجنسِ ، والشبيه من غير الجنس ، ولاجنسَ للهِ عز وجل ، وإن محمدا ﷺ الخ . روى أنّ ابا عبيدة رحمهُ الله كتبَ إلى أهل المغربِ أنهُ انما كانَ الإيمانُ به من التوحيد ، مع أن التوحيدَ افراد اللهِ عز وجل ، لأنّ توحيدَ اللهِ عز وجل إنما يعرفُ بهِ

وفى لاإلهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ الله أربعةٌ وعشرون حرفاً عدد ساعات النهارِ والليلةِ ، كل حرف لذنوبِ ساعة ، وسبعُ كلمات كل كلمة لبابِ النار يسد بها ، وأبوابها سبعة ، وكل كلمة

لعضو من سبعةِ أعضاءِ : الرجل ، والفرج ، واليدُ ، واللسان ، والبطنُ ، والأذن ، والعين ، وكلها مكتوبةٌ باعتبارِ أن التنوين كلمةٌ وهو غيرُ مكتوب تكونُ الكلمات ثمانيةً كل كلمة لبابٍ من ابواب الجنةِ ، وكلُها مجردةٌ مِن الإعجامِ ليتجردَ عما سِوى اللهِ ، ولايجزى أن يقولَ « احمد » وقيل بالاجزاءِ ، والأصح الأول : ولو كانتِ الأحمديةُ سابقةً للمحمديةِ لأنهُ حمدَ اللهَ حين كانَ نورا أولَ مخلوق ، وحين خرجَ من ظهر آدمَ وبعد رجوعِه وقبل خروجهِ فقد افتتح حمد الخلقِ ، وكذلك يُفتحُ البعثُ والحسابُ بحمده فى سجودهِ ، وأما كونُه محمداً : أى يكثُر حمدُ الخلقِ له ، روى أن اللهَ عز وجل أوحَى اليهِ أربعَمائةٍ وعشرين ألف مرة عبدَه ورسولَه إلى الأولينَ والآخرين مِن الإنس والجن والملائكه وسائِر الحيواناتِ وغيرها من كل ماخلقَ اللهُ بأن خلق اللهُ عز وجل التمييزَ فى الحيوان وغيره ، فآمن به وآمنت بهِ الأنبياءُ كلهُم وأممهم الذِين لم يكفُروا وأعطوا الميثاقَ أن يؤمنوا بهِ إن أدركهم

وإرساله إلى الملائِكة رسالةَ تشريفٍ لأن عبادتهم جبليةٌ لَايكلفُون بِها كذا قال بعض الشافعية ، ويقالُ طبعُوا طبعَ من لايعصَى

بعثهُ اللهُ على رأسِ الأربعِين عندَ كمالِهَا ، عندَ الجمهورِ وبحث بأنهُ ولد فى ربيعِ الأول كما شُهر وصحح وبعثَ فى رمضانَ فقد بعِث بعدَ الأربعِين بنصف سنةٍ وإن كانَ البعثُ فى رمضانَ الأربعين فذلِك تسعةٌ وثلاثونَ سنةً ونصف ، ويجابُ أنهُ ألغَى الكسرَ على الأول وجبَر على الثانى أو بأنه أوحى إليه فى ربيع فى النومِ ومكث ستة أشهر ، ومن قالَ فى رمضانَ أراد مجيىء جبريل يقظة فالخلافُ لفظِى ولاكسر

قال ابنُ عبدِ البر وغيرهُ أرسلهُ اللهُ لما بلغَ ثلاثا وأربعين سنة فكانتِ النبوة سابقةً بنزول اقرأْ وكانتِ الرسالةُ بأمره بالإنذار لما نزلت آيةُ المدثّرِ ، فهو فى زمانِ فترةِ الوحى : نبى لارسول ، وقيل نبوته وإرسالته مقترنتان ، وإن المعنىَ اقرأ مانبينهُ لك على قومِك ، وبينه بعد ثلاثِ سنين بقوله : ياأيها المدثر ، وجاء حديثٌ أنه مامن نبى إلا على رأس أربعين

وقال ابنُ الجوزى موضوع : وقال الشنوانى والأمير ، وذلك غالب فقد نبىء عيسى ورفع وعمره ثلاث وثلاثون سنة ، ونبىء يحيى صبيا ، على أن الحكمَ الذى أوتيهِ صبيا النبوة ، وأجيب بأن الصحيح ، أن عيسى مارفع إلا بعد ثمانين سنة من النبوة ، واذا نزل عاش أربعين سنة ، والحكم العلم : ومعنى جعلنى نبيا جعلنى فى علمه

وجمع ابن مالِك جموع عبدٍ فى بيتين وذيلَهما السيوطى بمثلِهما ووطّأقبلهما ببيت قال

جموعٌ لعبدٍ لابن مالك نظمهَا وزدتُّ علَيها مثلهَا فاستفِد وجد
عبـاد عبيـد جمع عبـد وأعبـد اعابدُ معبـودُ داء معبـدة عِبُـد
كذَالِك عُبـدَان وعَبـدان اثبتـــا كذاك العبدى وامدد إن شئتَ ان تمد
وقـد زيـد العبـاد غبـود عنـده وخفف بفتح والعبدان أن تشد
واعبـده عبـــدوُن تمت بعدَهـــا عبيدُون معبُودا بقصرٍ فخذ تسُد

وقوله خفف بفتح راجعٌ إلى الاثنين قبلَه ، وقولُه ان تشد : فنقول عبدان بالتشدِيد ، وان لم تشدد ، فقل عبِدان بالتخفيف وكسر الباء ، وذلك اثنانِ وعشرون لابن مالِك أحدَ عشر ، وزاد السيوطىُ مثلَها ، وفى القامِوس جمعَانِ آخران معابد وعبـد كسيـد ، وجعَـلا عابدِ جمع الجمعِ ، ولايجزِى إيمانهُ به الا أن عرفَ أنهُ ابنُ عبدِ الله ، وقيلَ لابُد ايضا أن يعلمَ أنَ جدهُ عبدُ المطلب إلا فى حياتِه ومشاهدته ، فيكفى الإيمانُ بِهِ ، ولو لم يعرفْ أبَاه وجده ، وقيل يجزى ذلك بعد موتِه ويجزِى غائِبا عنهُ أيضاً إذا قصدَ إلى الذِى يجب الايمان بِهِ أوْ إلى الذِى فِي القرْآنِ والدينِ وإنَّ ماجاءَ به من القرآنِ وسائر الوحى اليهِ ، ومِن اجتهادهِ عَلى القولِ بأنه مجتهدٌ حق مِن عنِد اللهُ حتَى مايجتهدُ بِهِ لأن الله جل وعلَا إذِن لهُ فى الاجتهاد ، وفى النسخة من عند رَبه وفيه إشارة فيما قيلَ الى أن اللهَ جل وعلا يربيهِ فى مدارج الكمَال .

وقولِه ان ماجاء به حقٌّ من عند اللهِ تأكيدٌ لقولِه ورسولِه لأن الرسالَة إذا كانت مِن الله لا يكونُ معها إلا الحقُّ ولايرسلُه اللهُ بباطلٍ ولكن ذكرهُ مع أنه يكفى عنه قوله ورسولُه مناسبةً لقوله تعالىَ « فآمنِوا باللهِ ورسوله والنور الذى أنزَلنا » فهذه ثلاثةُ اشياءِ الإيمان باللهِ وبرسُوله ، وبما جاء بِهِ .

وَيجبُ الإيمان بالقرآنِ كلِه مالم يُنسخْ منهُ ، ومانُسخَ لفظه وحكمهُ ، ومانسخ لفظهُ ومانسخ حكمهُ لكن مانسخَ مِن ذلك فإنه لايلزمُ العلمُ بِهِ أنهُ منسوخ حتى يأخذ ولايشرك بإنكار مانسخَ لفظهَ ، ويشرك بانكارِ مامرجعُه الى الإجماع .

وتجبُ قراءةُ القرآن وتدبُره ، ولاكفرَ بترك ذلِك إذا علم ما يجزِى فى الصلاة

قال زيدُ بن أسلم : سئل رسولُ الله ﷺ : أى الاعمال أفضل ؟ قال الحالُّ المرتحِلُ الخاتِم المفتتِح الحال الذى فرغ مِن القراءِة ، فذلِك حلولُه والمرتحِل هو ذلك الحال إذا رجع إلى القراءةِ ، والخاتِم هو ذلك إذا ختمَ القرآنَ ، والمفتتِح هو ذلك إذا بدأ من الفاتحِة ثم

البقرة ، وقوله الخاتِم المفتتحُ تفسير لقوله : الحالُّ المرتحل شبه الختمَ بالحلولِ فى موضعٍ والافتتاحُ بالارتحالِ ، وقوله الخاتِم بلاواو ، وبذلك الحديث عمل عبدُ الله بنُ كثير من القراء السبعة ، روى عنه البزى المنسوبُ الى بزة المكى وهو مِن رواة قراءتهِ ، انه كان يأمر القارىء إذا ختم عليهِ القرآنَ أن يفتتحَ عقب ذلِك فيقرأ الفاتحة وخمسَ آياتٍ من أول البقرةِ ليكونَ مرتحلا من ختمهِ حالاً فى ختمةٍ أخرى أدبا معَ الحديث ، وقال غيرهُ سبعَ آيات وكانوا يسمون الدورة ختمة، كل دورةٍ ختمة ، ومعنى أىُّ الأَعمالِ ؟ أى ذوى الأعمالِ أو أى الأعمال أفضلُ ؟ قالوا حلولُ الحالِّ وارتحالُ المرتحِلِ وذلكَ كلُه فى ختمِ القرآن وافتتاحه

يجزِى أن يقولَ محمد رسولُ اللهِ ، وماجاء به حقٌّ من عندِ الله ، لا إلَهَ إلا اللهُ محمد رسولُ اللهِ ، وأن يقولَ ماجاء بهِ محمدٌ حقٌ من عندِ اللهِ ، لا إله إلا الله ، وأن يقولَ ماجاءَ بهِ محمد حق من عندِ اللهِ ، محمد رسولُ اللهِ لا إله إلا الله وان يقولَ مِن اللهُ وأن يقولَ من ربهِ ، وأن يقولَ من عند ربهِ ، ولايجزى أن يقولَ : نبىُّ اللهِ ، لأن الرسالةَ أخصُّ من النبوة ، وهى شاملة للنبوةِ ، وأفضل منها لتعلقِها بالخالق والمخلوق ، والنبوة بالخالق كذا قيلَ قلتُ بل تعلقت النبوة بالخلقِ لأنها إخبارٌ من اللهِ جل وعلا لنبيه ، ولاسيما : أن النبى أيضا يخبر الخلقَ ولما شملت الرسالةُ النبوةَ وزيادةً كانت أفضل منها ، وكما أنه لاثوابَ للنبوة بمعنى إخبار جبريل أو إخبار اللهِ عز وجل لهُ : كذلك لاثوابَ للرسالة وأن للنبوةِ ، بمعنى إخباره ﷺ للأمة ثواباً ، وذلكِ أن النبى بمعنى مخبر بفتح الباء أو مخبر بكسرها ، وللرسالة بمعنى التبليغ ثوابٌ

ومن قالَ ولد رسولُ اللهِ ﷺ فى غيرِ مكة أو دفن فى غيرِ المدينة اشركَ، ومن لم يدرِ ولم يجزمْ بغير ذلِك فلا بأسَ عليهِ إذا كان غافِلا لاشاكا ، وان شك فليسأل، وأولُ واجبٍ على أبى الولِد أو قائمِه اذا بلغَ سبعَ سنين وميزَ أن يعلمهُ أن محمدا رسولُ اللهِ ، وأنهُ ولد فى مكة ، ودفِن فى المدينةِ ، ومولدهُ هو المشهورُ فى سوق السْيل ، آخر شِعب بنى هاشم ، وتجبُ معرفة أبيهِ عبدِ الله ، قِيل : وجده عبد المطلب ، وهو سيدُنا محمدْ بن عبدِ الله بنُ عبد المطلب بنُ هاشم بنُ عبد مناف بنُ قصى بنُ كلاب بنُ مرة بنُ كعب بنُ لؤى بنُ غالبٍ بنُ فهر بنُ مالك بن النضرِ بنُ كنانة بنُ خزيمةَ بنُ مدركة بنُ إلياس بن مضَر بنُ نزارِ بنُ معد بنُ عدنان.وقد جمعهم الشيخ عبد العزيز صاحب النيلِ فى قوله :

عهِدت عظيماً هالَ عقلى قرائُه كتـابٌ مبين كامـلٌ له غرائبـهُ
فدا معشر نفِسى كرامٌ خلاصه مدى الفهم مُذنال مجدا عواقبُه

أخذ رحمه الله من أول كل اسم حرفا ، أما عبد الله فكنيته : أبو قُتم بضم ففتح ، وهو مِن أول أسمائهِ ﷺ ، مأخوذ من القتم ، وهو الإعطاء أو الجمعُ ، يقال للرجل الجموع للخير : قُتُوم وقُتَم ، وقيل كنيته : أبو محمد وأبو احمد على أنه ﷺ : ولدَ وأبوه حى ، أو لأنهُ اتصل اليه من الأخبار والأحبار والكهان أنهُ يلدِ ولدا اسمه محمدُ وأحمد ، ولعبد المطلب من ذلك أخبار ، أو ألهمُه اللهُ أن يكون له ولد اسمه محمد واحمد ، أو تفاءل .

والمشهور أنهُ مات وسيدنا محمد ﷺ فى البطنِ لشهرين من حملهِ ، ولقبه الذبيح أرادَ عبدُ المطلب حفرَ زمزم ومنعتهُ قريش ، وآذاه بعضُ سفهائهم ولم يكن له ولد إلا الحرثَ فنذر : لئن جاء له عشرةُ بنين وصارُوا له أعوانا ليذبحَن أحدهم قربانًا إلى اللهِ عز وجل عندَ الكعبةِ ، واحتفرَ زمزم هو والحارث ، فكانت له عزا وفخراً وكمُل له عشرةُ بنين ، الحارثُ والزبيرُ وحجلُ وضرارُ والمقومُ وأبو لهب والعباسُ وحمزةُ وأبو طالب وعبد الله ، وقرت عينهُ بهم ، ونامَ يوما عند الكعبة : فرأى قائلًا : أوفِ بنذرِك لرب هذَا البيت ، فأطعم كبشا للفقراءِ ، ونامَ فقيل قرب أكبرَ ، فقرب ثوراً ونامَ فقيل قرب أكبر ، فقالَ ما هو : فقيل أحدُ أولادك الذى نذرت بهِ ، فاشتد غمهُ فأخبر أولادَه ، فقالوا نطيعُك ، فقال يكتبُ كل واحد اسمَه فى سهم بلا نصلٍ واعطَوا سهامهم للقيمِ يدخُل بها على هبل كبير أصنامهم من عقيقٍ أحمرَ على صورةِ آدمى معلقٍ فى الكعبةِ ، فقال : اللهم إنى نذرتُ لك نحرَ أحدهم ، فأصبْ مَن شئت منهم بالقرعةِ ، فخرجَتْ على عبدِ الله أحب ولدهِ فحد الشفرةَ وأخذَ بيدهِ ، وأقبل بهِ إلى إساف ، وكانُوا يذبحونَ عنده الهدايَا ، فقال لهُ سادةُ قريشٍ : لاندعُك تذبحُه حتى تعذرَ فيهِ الى ربك ، وإلا لم يزلِ الناسُ يذبحُون أبناءَهم ، اذهبْ إلى فلانةٍ الكاهنةِ ، فقالت : كم الديةُ عندكم ؟ فقال عشرةٌ مِن الإبل ، فقالت قربُوه وعشرة حتى تقعَ القرعة على الإبل وانحروها ، ولاتمنعوُا آكلاً فيرضىَ ربكم ، فما زالَ يزيدُ عشرةً عشرةً ، وتقع عليه ، حتى تمت مائة ، فوقعتْ عليها .

وكان عبدُ المطلبَ مجابَ الدعوة ، يحرم الخمر على نفسهِ ، وكان أول من تحنثَ بحراءٍ يصعدهُ فى رمضانَ ، ويطعم المساكين ، ويرفع من مائدتهِ للطير والوحْش ، ولقب الفياضَ ، لجودهِ،ومطعِم طير السماء ، وكان مجابَ الدعوة ، وسمى عبدَ المطلب ، لأنَّ أباه هاشماً ، قال حين احتضر لاخيه ، المطلبَ أدرِك عبَدك بيثرب ، وذلك استعطاف ، أو على عادةِ العرب فى تسميةِ اليتيمِ المربى فى حجرِ شخصٍ عبده ، وقيلَ إن عمهُ المطلب لما جاء بهِ من المدينةِ بلا إذن ، من أمه فيها وهو يلعبُ بالكرة ، وقيل بإذنها وبلغ مكة بثلاث ليالٍ خوفا

أن تندمَ أمُّه أردفه ، فمر على جماعةٍ من قريش ، فقالوا هذا عبدك ، ولما دخل أهله غسلَه وألبسه ، فقال ليس عبدا ، إنه ابُن أخى ، وهو أول من خضب بالسواد من العرب ، وعاش مائة وأربعين سنةً ، وقيل : مائة وعشرين .

واسم عبد المطلب شيبة الحمد ، لأنهُ ولد وفى رأسه شيبةٌ ظاهرة ، وقيل وُلد ووسط رأسِه أبيض ، وقيل لأنّ أبَاه أوصى أمَّه أن تلقبَه بذلك ، رجاء أن يكبرَ حتى يشيب ويكثر حمد الناس له ، وقد حقق اللهُ عز وجلَّ ذلك ، وصار سيدَ قريش وشريفَهم كَمالا وفِعالا ، وكانوا يفزعون اليه فى النوائبِ ومهماتِ الأمور .

وقيل : اسمه عامر وكنيتهُ ابو الحارثِ ، وهو أكبر أولادهِ ، وسمى أبوه هاشِما ، لأنه أول من هشم الثريدَ بمكة لأهل الموسم ، ولقومه فى سنةِ المجاعة ، وهذا لقب ، واسم ، واسمه الأول عَمرْو بفتح فاسكان ، وكان أفخرَ قومه وأعلاهم ، وكانت مائدته منصوبةً لا ترُفع فى السراءِ ولا فى الضراء ، رحل الى فلسطينَ فاشترى دقيقا وكعكا ، فكان يذبحُ ويخبز ، لأهل مكة لما أصابتهم فاقة ، حتى استقلُوا ، وكان يحملُ ابن السبيل ويؤدى الحقائق ، وكان نورُ رسول اللهِ ﷺ يتلألأ فى وجهه ضياؤه ، ويتوقدُ فيه شعاعه ، لايراهُ أحدٌ إلا قبَّل يده ، ولايمرُّ بشىء إلا سجدَ له ، غَدَت إليه قبائل العرب ، ووفود الأحبار ، عرضوا عليه بناتِهم أن يتزوجَ بهن ، حتى بعثَ إليه هرقل بأن له بنتاً لم تلد النساء أجملَ منها ، ولا أبهى وجهاً منها : فأقدِم إلى أزوجكها ، فقد بلغَنى جودُك وكرمك ، وذلِك : لِما رأى فى الإنجيل والتوارةِ من أمرهِ ﷺ فأبى هاشِم،وهو أول منَ ماتَ من بنى عبدِ منافٍ وسنةُ عشرون سنةً وقيل خمس وعشرُون ، وعمروٌ بفتحٍ فَإسكان من عمر الإنسان وهُو مدةُ الحياةِ أو مِن اسمِ الكم أو اسمِ القرط أو النحلِ قيل :

عمْرو العُلا هشمَ الثريدَ لقومِه ورجالُ مكة مسنتون عِجاف

ومَناف بفتح الميم ، من معنىَ الإنافة ، بمعنى الارتفاع ، أو الأشراف ، أو الزيادة لقِّب بهِ لمشابهته لعبد منافِ بْن كنانة ، واسم مناف المغيرة : اسم فاعل أغار ، تفاؤلاً بكبره وإغارته على الأعداء ، وساد فى حياة أبيه ، وأطاعته قريشٌ وسمى القمر لجماله . وكان فيه نورُ رسول اللهِ ﷺ .

وكان فى يدِه لواءُ نزارٍ وقوسُ إسماعيل ، وذِكر الزبيرانَه ، وُجد نقش فى حجْرِه أنا المغيرة ابن قصى آمرُ بتقوىَ اللهِ وصلةِ الرحم ، قيلَ كانتْ قريشٌ بيضة فتفلقت ، وماتَ بغزة

وقُصى : بضم ففتح وشد المثناة مصغر قصى : بفتح فكسر فشد أى بعيد مجمع بضم ففتح فكسر فشد سمى لأنه كأسعد بن زرارة من الانصار ، يجمع قومَه يومَ العروبةِ أى الجمعة ، فيذكرهمُ ويأمرهم ، بتعظيم الحرم ، ويخبرهم ، بأنه سيبعث فيه نبى ، وبهِ جمع اللهُ القبائل من بنى فهر فى مكة بعد تفرقهم فى البلاد ، وقيل اسمهُ زيد ، وقيل يزيد ، ولقب قصيا ، لبعده فى بلاد قضاعةَ البعيدة عن مكة إلى أن عاد الى الحرم فحماه ، وكان أول بنى كعب أصابَ ملكاً طاعَ له قومُه وكانت إليه الحجابةُ والسقاية ، والرفادة ، والندوة ، واللواء ، وحاز شرفَ مكة جميعاً ، وكان رجلًا جلْداً جميلًا ، وعالم قريشٍ وأقومها بالحق ، وكلابٌ اسمهُ حكيم ، وأصلُ كلاب : مصدرُ كالَب بفتح اللامِ بمعنىَ شارو ضايق أو اشتد فى الكسب أو وَاثبَ ، أو جمع كلب كأنهمُ يريدون الكثره

قيل لأعرابى لم تسمُّون أبناءَكم بأسماءِ سوءٍ ككلب ، وذئب ، ومرة ، وحنظلة ، وعبيد كم بأسماء خير ، كسعيد ، ورباح ، ونافع ، فقال : لأنَّ أبناءَنا مضرةٌ على أعدائنا ، وعبيدُنا منفعةٌ لأنفسنا ، قيل ولقب كِلابا لحبهِ : الاصطيادَ بها ، ويقال اسمهُ الحكيمُ وقيل اسمه عُروة ، وقيل المهذب ، وأما مُرة ، بضم الميم وشد الراء ، وأصله وصف ، والتاء للمبالغة : أو من وصف الحنظل ، والعلقم ، فالتاء للتأنيث ، وله ثلاثة أولاد : كلاب ، وتيم ، ومن نسله الصديق ، وطلحة ، كلاهما . ويقظة ، وبه كنى ، وكعب منقول ، من كعبِ القدم ، أو القناة ، لارتِفاعهِ وشرفِه فيهم ، وكانُوا يخضعون لهُ قيل : هو أولُ من جمعَ الناسَ للوعظ يوم الجمعة .

والتذكيرُ بمبعث النبى ﷺ واعلامُهم بأنه مِن ولَدهِ ويأمُرهم باتباعِه ولهُ أبيات منها

باليتنـي شاهِـدٌ فحـواء دعوتـــه اذا قريش تبغى الحقَّ خذلانَـا

ومات قَبل البعثةِ بخمسمائةِ وستين عاما ، ولؤى بضم اللام ، وفتح الهمزةِ ويجوزُ تسهِيلهُا ، وشد الياء مصغر ، لأى كعصا ، وهو الثور ، أو بوزن عبد ، وهو البطأ وقيل : مصغَّر لواء الجيش ، وكنيتُه : أبو كعب ، وله سبعُة أبناء

وغالب : علم منقولٌ مِن اسم فاعل ، ويكنى ابَا كعب ، وابا لؤى ، وفهر بكسر فاسكان ، منقول من اسم الحجر ، الطويل ، وقيلَ الأملس ، وقيل الصغير الذى يملأ الكف ، واسمه قريش ، تصغير قرش دابة عظيمة فِي البحر تأكل ولاتُوكل ، وقيلَ ابنُ بدر ابن يخلدُ بن النظر بن كنانة ، وقيل قرش اجترأ ، وقيل فتش كان يفتش عَن حوائج الناس

ليقضيها ، وقيلَ من معنى الأقراش ، وهو وقوع الرايات بعضٌ على بعض ، وقيلَ سماهُ أبوهُ فهرا ، وأمه قريشاً ، وقيل الأول اسم ، والثانى لقب .

وإلى قريش تنسبْ البطون القريشيه ومافوقه كنائى بكِسر الكاف كما جنح إليه الكثير : قال الزهرى : وهو الذِى ادركت عَليه من أدركت من علماءِ النسبِ ونساب العرب : أنّ ماجاوزَ فِهرا فليسَ قريشياً ، ويشهدُ له حديث مسلم ، والترمذِى إن اللهَ اصطفى كنانةً مِن ولدِ إسماعيلَ واصطفىَ قريشا من كنانةَ الخ وقيلَ أصلُ قريش النظرُ فقريش ، هو النظر ، وبهِ قال الشافعى ، وعزاه الطرقى للاكثر : قال : أما قريشٌ ، فالأصح فهرْ جماعُها ، والاكثرون النظر ، وقال النووى هو الصيححُ المشهور : ونسبه العلائى للمحققِين لقول الأشعثِ : قدمت على رسولِ الله ﷺ فى وقد كِندة ، فقلت : ألستم منا يارسول الله ؟ فقال لا : نحن بنو النظر بن كنانة ، قال أشعث : والله لاأسمعُ أحداً نفَى قريشاً مِن النظر بن كنانة إلا جلدته ، وقيلَ لاخلافَ فى ذلك ، لأن فهرَ أجماعُ قريشٍ ، وأبوه مالك لم يعقب غيرَه ، فقريشٌ كلها ينتهى نسبُها إلى مالِك بنِ النظر ، وليسَ له عقب إلا مِن مالكِ ، فاتفق القولَان بحَمد اللهِ .

وقيلَ قريش:إلياس وقيل مضر ، وقيل قريش:هو قصى ، ونسب للشيعة : قالوه : لينفوا بهِ إمامة الصديقِ وعمر رضِى اللهُ عنهما .

ومالكٌ:منقولٌ من اسمِ فاعل ملك ، لأنهُ كان ملِك العرب ، وكنيته أبو الحارث والنضرُ منقول مِن اسم الذهبِ الأحمر ، لإشراق وجههِ وجمالهِ واسمه قيس ولهُ مِن الذكورِ مالك ، والصلت ، ويَخْلدُ بفتح المثناةالتحتية وسكون الخاء المعجمة وضم اللام ، وبه كنى أبوه ، ولم يعقب الامن مالك .

وكنانة:منقول مِن اسم الجعبةِ تفاؤلا بصيْرُ ورَتهِ ، مثلها فى سترِ قومهِ ، فكان كذلك عظيم القدرِ،يحجُّ له العربُ لعلمهِ وفضله بينهم .

وخزيمةٌ منقول مِن مصغر خزمه ، وهى شد الشيء وإصلاحهُ ، لاجتماع نورِ آبائه ، فيهِ مع نور النبى ﷺ .

قال ابن عباس:مات خزيمة على ملة ابراهيم.

ومدركة:منقول من اسم فاعلِ أدركه لإدراكه كلَّ عز وفخر ، كان فى آبائِه ، وقيل:لأنه أدركَ صيداً وطبخه أخوه فسمى طابخه ، واسمه عمرو عند الجمهور .

وقال ابن اسحاق: اسمهُ عامر ، والياسُ منقول من مصدر يئِس ، لأن أباه كبِر ولم يولد له ، ثم ولدلهُ على الكبر ، وكنيتهُ أبو عمرو ، وقيل اسمه حبيب ، قال ابن ثابت وهو ضد الرجاء وأل فيه للتعريف ، والهمرة للوصل ، قال السهيلى : هذا أصح ، وقال ابن الأنبارى، همزته قطع مكسورة كالذى فى القرآن ، وهو أول من أهدى البدن ، وسمِع من ظهر إلياس تلبيةُ النبيى ﷺ بالحج ، وذكر الله عز وجل مرارا ، ولم تزلِ العرب تعظمهُ تعظيمَ أهل الحكمة ، كلقمان ، ولايقطعون أمراً دونه ، قال الزبيُر بن بكار:لما بلغ إلياس أنكر علَى بنى إسماعيل تغييرَ سنن آبائِهم وبان فضلهُ عليهم ولانَ جانبهُ لهم حتى جمعهُم على رأيهِ ، ورضوا بهِ فردهم إلى سنن أبائهم وكان ذا جمال بارع .

ومضَر:من اسم اللبَن الماضر اى الحامض ، وقيل لأنهُ مضر القلوب بحسنه وجماله ، ولم يرهُ أحد إلا أحبه ، وقيل اسمهُ عمرو ، وكنيته أبو الياس ، ومن حكَمه : من يزرعْ شرا يحصُد ندامة ، وخيرُ الخير أعجله ، فاحمِلوا انفسكم على مكرُوهها واصبر فوُها عن هواها فيما يفِسدها ، فليسَ بينَ الصلاحِ والفسَاد إلاصبر فَواق ، وهو : مابينَ الحلْبتَين ، وهو أول من سنَّ الحِداء وهو الغِناء للإبل ، ضربَه أبوه لتفرق إبله فبكىَ بصوتٍ فحنت عليهِ الأبل ، وقيل وقعَ من بعيرٍ هو أو مولى له ، وهو شاب فصاح فاجتمعت عليه الأبل من المرعَى ، فوضع الحداءَ فزاد الناسُ فيه.

ونزار بكسر النون : وهو القليلُ بالغ فى ذبح الإبل والبقرِ والغنمِ لما بلغَه أن النبى ﷺ من ذريته ، فقيل لهُ فقال ذلك نزْر فى حقه ، وقيلَ لأنه لما وُلد ونظرَ أبوه إلى نور محمدٍ بين عينيه فرحَ فرحا شدِيدا : وقال هذا كله نزْر فى حق هذا المولود ، وقيل لآنهُ فريدُ عصرهِ ، وأنبسطت له الملوكُ بالعطاء ، وكنيته أبو أياد ، وقيل أبو ربيعة .

ومَعَدّ : هو بِفتح الميم والعين وشد الدال ، سمى به لأنه صاحبُ حروبٍ وغارات على بنى إسرائيل ولا يحاربُ أحدا إلا نصر عليه ، وكنيتهُ أبو قضاعة ، وقبل أبو نزار .

وعدنان مِن العدنِ ، وهو الإقامة ، لأن أعينَ الجن والإنس كانت اليه ، وأرادوا قَتله ، قالوا لئن تركناهُ حتى يدرِك مدرَك الرجال ليخرجن من ظهرهِ من يسود الناسَ فوكل اللهُ به من يحفظُه ، و حكى الزبيرُ أنه أول مَن وضع علاماتِ الحرمِ ، وأولُ من كسا الكعبة ولعل المرادَ أنه أولُ من كساها من العرب ، الذين فى الحجاز ، فإن أولَ من كساها تُبّع لكن كساها الديباج ، وعدنان كساها الأمطاع وروى ان جعفر بن حبيب فى تاريخه عن ابن عباس كان عدنان ومعد وربيعةُ وخزيمة وأسدُ على ملةِ إبراهيم فلا تذكروهمُ إلا بخير .

وروَى الزبيرُ بنُ بكار مرفوعا : لا تسبوا مضرَ وربيعة فإنهما كان مسلمِين،ولهُ شاهدٌ عند ابن حبيبٍ من مرسل سعيدِ بن المسيبِ ، قالَ السهيلي يذكرُ عن النبى ﷺ « لا تسبوا إلياسَ فإنه كان مؤمِنًا » قَال بعض لا أدرِى حالَ هذا الحديثِ ويذكر مثله فى تبع

ومن خلقهُ للهُ أعمى وأصم وتعذرَ عنِ الفهمِ والبلاغِ سقط عنهُ التكليف ولا يكونُ ذلك إلا أبكم ، وذلك عندنَا .

وقالتِ المعتز لة فيما قال بعضُ العلماءِ عنهم:إنه مكلفّ وهو بعيد ، ولعلهم لم يقولوا بهِ بل لزمِ على مذهبهم فى تكليفِ أهل الفترة بالفروعِ كلها والأصول ، لكن مذهبناَ هذا التكليفُ لأهل الفترة ، نعَم الواضح إن لم يبلغهُم فرع ولا سمعوا بهِ عذِروا ولا يعذرُون فى الشرك،رتب بعضُهم فى قوله .

نورُمحمـــــــــدٍ مقـــــــــدمُ فالعرشُ فالكرسِى ثم القلـــم .

وأما:العملُ فالإتيان بجميعِ الفرائضِ:فرض العينِ وفرضِ الكفاية ، ودخَل فيها تركُ المعاصِى لأنهُ فرض ، وهو عمل لأنهُ جبْرُ النفسِ وعلاجُها عما تنزِع إليه ، كما سمى اللهُ عز وجل تركَ الفرائِض فى القرآن كسْبا وعملاً وفعلا ، كعمل المعاصى مثلَ قولِه عز وجل « بما كانُوا يكسبون » « بما كانوا يعملون » « بما كانوا يصنعون »

والفرضُ : قطعُ الشىء وحوزه على حدةٍ ، والفرائضُ فيها هذَا المعنى ، فهذهِ الفاءُ فذلكة لقوله : أمَّا القولُ : فشهادةُ أن لا اله إلا اللهُ إلى قوله : مِن عند اللهِ ، وفرعية ، وعاطفة على ذلك ، كقولهِ جاء زيدٌ وعمرو وبكر ، فهؤلاء ثلاثة جاءُوا أو سبقوُا ، وفصلَ بقوله:وأما العملُ الخ،لقلتهِ وطول الكلامِ علَى ماهُو من قبيلِ القولِ .

والاعتقاد :ثلاثُة أقاويل : القولُ على ظاهِره من معنى المصدرِ ، ولايحتاج الى تأويلهِ بالمقول . فان المرادَ التلفظُ ، وكذا فيما يأتى إلا أنَّ الاقاويلَ العشرةَ وسائرَ خصال التوحيدِ بعدَ الجملِ الثلاثِ يكفى فيها الاعتقاد ، فيجوزُ تأويلُ الاقاويلِ العشرة ، بمعنى المعتقَدات العشرة : الأول : لا إلهَ إلا اللهُ ولايلزم ذكرْ مابعده ، والثانى : محمد عبده ورسوله ، والثالث : ماجاء بهِ حق ويغنِي عنهُ الثانى،وكان رسولُ الله ﷺ وسلم يكتبُ الى الناسِ القولين الأوَلين فقط ، ولايجزِى ذكر أحمد بدلَ محمد ، وقيل يجزِى وهو الصحيحُ فيما بينهُ وبين اللهِ ولايجزِى اعتقاد الثلاثِة أو بعضِها بلَا نطق ، وبعضها مع نطْقٍ عند جمهورنا وجمهور قومنا ، وقال الإمام عبد الوهاب وابن زرقون يجْزى ذلك ، والنطقُ بقولك

أشهدُ أفضلُ من تركِ ذكرِ الشهادِة ، وأقاويلُ جمع قولٍ على خلاف القياسِ أو جمعُ أقوولِه بضم الهمزةِ وإسكان القافِ وضم الواو الأولى ، وهو بناء مبالغة ، فالأقوولة ، القولُ العظيم : مثلُ أعجوبة وأحدوثة وأنكوحة ، وكل واحد من الأقوال الثلاثة : قول عظيم ، أو جمع أقوال ، فأقوال ثلاثة فجمعه تسعة فصاعداً تعد كلمات الأقوال الثلاثةِ . فنجدها أكثر من تسعة ، أو اعتبر ماتضمنتهُ الجمل الثلاث مِن أقوالٍ كالألوهية ، ونفيها عن غير الله تعالى .

ووجوبُ الوجودِ والقدم والبقَاء ، اللازِم من ذلك : استغناؤه عَن كل ماسواهُ وافتقادُ كل ماعداهُ اليه ومخالفة الحوادث ، والتنزهُ عن صفات الخلق ، وغير ذلك مما هو معنى الجملة الأولى أو لازِمٌ لمعناها ، وكوجوب الإيمان بكل ماأرسل بهِ مما تضمنتهُ الجملُة الثَانية من جميع الأحكام التى فِي القرآنِ وسائِر الوحْى وصفاتِ الأنبياء مِن واجبٍ كأداءِ الفرائضِ ، ومحرم وهو الكبائِر والمعاصِى ، وجائزٌ كالأكل ، وذلك : أنه أرسلَ بذلِك كلهِ وبجميع مافِي القرآن وسائِر الوحى المتضمن لهُ : قوله : ماجاء به حق .

وأولُ الواجباتِ :معرفةُ اللهِ عز وجلَّ ، وقد عذر المكلف بمراهقةِ البلوغ،الاسفرائينى: النظَر ، ويردهُ أن النظَر ليس أولَ الواجباتِ باعتبار المقاصدِ:بل وسيلةٌ ولاباعتبارِه مايشغلُ المكلف ، لأنه أولُ شاغله القصدَ بالقلبِ وتخليصُه مِن الشواغلِ . الباقلانى:أولَ النظر لتوقفِ النظرِ على أوله ، ويردهُ أنه لايُسند وجودُ كلهِ لاجزؤه كما لَا يسند وجوب الصلاةِ إلى أولها امامُ الحرمين القصد ، لتوقفِ النظر على قصدِه ، ورد أن مبناه على أنّ المرادَ بالأوليهِ الاشتغالُ بتحصيل أسباب النظرِ ، وهو فاسد فإن الكلام فى أول واجب مما كلف به وإلا كان الأمر بأداء الصلاة أمر . بالقصدِ الى تحصيلها ، فلايأثمُ بتركها ، ولو خرجَ الوقتُ ، وقيل التقليد ، ورد بأن مع التقليدِ احتمالَ النقيضِ لأنهُ ليس معرفة ، ولو جازماً،وليس هو نفس المعرفةِ،أبو هاشم وبعضُ المعتزلِة الشك ، ورد بأنّ الشك فى وجود الله وصفاته كفرٌ مطلوبُ الإزالة ، ولاسيما أنهم قالوا بالتحسين العقلى ، وقيل النطقُ بالشهادتين ، ويردهُ أنه كان عنِ اعتقاد ، فالأول : الاعتقادُ أولا عنه فجهل ، وكلهم لزمهم إباحة الشرك أول البلوغ ، لايقالُ يشهدُ للنظرِ الحث عليهِ فى الشرع لأنهُ مأخوذ من أنّ الأمرَ بالشىء أمرٌ بما يتوقف عليه الشىء ، وعلى قولِ النظر يعصَى عند القائِل به إن لم ينظُر بلا عذرٍ وان لم يمكنْه لموتِه أولَ البلوغ أو جنونِه عذر ، وإن امكنَه بعض ، فشرع بلا تأخير ، ومات قبل الاتمام عذر ، وان أخرَ بلا عذر عصى ، وبسطت ذلك فى شرح مختصرِ العدل ، من جاء بهن تامةً لم ينقص منهن شيئا ، كمل توحيده فيما بينه وبين الخلائق .

وقال جماعة: كمل توحيدُه فيما بينهُ وبين اللهِ تعالى أيضا حتى ينكرَ أحد الأقاويل العشرة ، أو يصوب مَن أنكره ، وأما فيما بينَه وبينَ الله تعالى تنزه تنزها عظيما عَن صفات الخلق ، وصفات النقص ، وذلِك العظم من صيغِه التفاعل فلا يكملُ إيمانهُ حتى يأتى بعشرةِ أ قاويل : أى بمضمونِها ولو اعتقادا فقط ، بلا نطق ، وفيه ماتقدمَ من الأوجه وزيادة أنه جمعَ أقوال وأقوال اثنان لإطلاق الجمع علَى اثنين ، فذلِك اثنانِ خمس مراتٍ فهو جمع للجمعِ المطلق على اثنين ، أما الأوُل فالإيمان بجميع الملائِكةِ هكذَا أو لم يصفهم بصفاتهم مالم يصفهُم بغير صفاتِهم أو يصفون من وصفهم بغيرِها ، أو يخطىءُ من خطأ من وصفهم بغيرها .

ومن صفاتهم أنهُم معصومُون عن المعصية مادامُوا على حالهم ، وإذا خلقَ فى أحدٍ منهم شهوات بنِي آدم زالتْ عنهمُ العصمةُ كما قيل فى قصة هارُوت وماروت ، وصفتهم أجسام « متنورةٌ لانفسَ نور ، ومنكر ونكيرٌ أيضا متنورَان ، إلا أنهُ اذا جاءَا إلى الشقيِ صارَا أسودَين بإذن اللهِ عز وجلَ ، وقيل هما أسودانِ من أولِ الأمرِ ، والسعيدُ ، مبشر وبشير ، ملكان آخران »

والملائكة تنثنى وتنبسِط ولايحجبهَا حائِط أو أرض أو غير ذلك ، ولايعصُون اللهَ وتطيرُ وتتولدُ مِن الأذكار بخلقِ الله منها ومِن بحر نورٍ ينغمسُ فيه جبريل وينغص نفسه فكل نقطةٍ طَارتْ منه صارتْ ملَكا بخلقِ الله عز وجلَّ ، ولايموت إلى يوم القيامِة .

ومَن وصفَهم كلهم بصفة غيرهم كاللحْم والدمِ والشعْر والفرج والجنون والطفوليّةِ فهو مشرِك لأن ذلك إنكار لهم ، وان وصف بعضهم بذلِك نافقَ إلا إن قصد معينا فوصفَه بذلك كجبريلَ وميكائيل واسرافيلَ وعزرائيلَ وغيرهم ممن يعينه ولو بلا اسم ، كالمَلَك البواب للسماء الأولى ، أو خص جماعة كحملة العرش ، أو ملائكة السماء الثانية ، فإنه مشرك ، ومن وصفَهم بذلك كلهم ، أو معينا ، أو معينين ، اشرك ، أو بعضاً بلا تعيين نافق ، واما الثانية فالإيمان بجميع الأنبياءِ والرسل جملتهم : مائة ألف وأربعةٌ وعشرون ألفا ، أولهم آدمُ وآخرهم سيدنا محمد ﷺ ، جاء بذلك حديث ، وقيل مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفا ، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر كما جاء به حديث ، وقيل وأربعة عشر ، وقيل وخمسة عشر ، قال بعض : الأسلم : الإمساك

لقوله تعالى : (منهم من قصصْنا عليك ومِنهم من لم نقصُص عليك)

واتفقت البراهمةُ لعنهم اللهُ على إنكار ما سوى آدمَ عليه السلام من الرسل ، واختلفت فى إبراهيم عليه السلام ، وسميت براهمة ، قيل لأنهم أقرُّوا بابراهيم وحدهُ وهو ضعيف ، وقيل : نسب إلى برهم رجل من المجوس ، ذكره المؤرخون ، وقيل لأنهم جمع من الهند أصحاب برهم ، كذا قيل .

وقيل:هم ثلاث فرق : فرقة جحدت الرسل ، وفرقة جحدت غير آدم ، وفرقة . جحدت غير ابراهيم . وحذف أما وما بعدها ، لدلالة ما قبلها ، والنبى أعم من الرسول ، وقيل سواء : بمعنى أنهم كلهم مرسلون ، وقيل : الرسول من أوحى اليه وانزل اليه كتاب ، أو كان نسخ على لسانه ، والنبى من اوحى إليه ، ولم يؤمر بالتبليغ ، أو أمر به لكن لم ينسخ على لسانه شيء ، ولا أنزل اليه كتاب ، والمشهور الأول ، وهو أن النبى من أوحى اليه ولم يؤمر بالتبليغ ، والرسول من أوحى إليه وأمر بالتبليغ ، فكل رسول نبى ، وليس كل نبى رسولا

والرسول : رسول من أول مرة فهو رسول ، نبى بمرة ، وقديكون أولا نبيا ثم تضم إلى نبوته رسالة ، كما أن سيدنا محمدا ﷺ نبى فى الثلاث السنين الأولى من البعثة ، وانضمت اليه الرسالة فى الرابعة ، وكنبى بلا رسالة يامر وينهى بحسب ما يرى وما يسمع بحسب الطاقة ، وله التبرع بمالا يطيق ، وان عينّ الله عليه شيئا مما لا يطيقه ، تعيّنَ عليه : فى القول بجواز التكليف بما لايطاق ، وعد الأنبياء والرسل معا واحد من العشرة ، لأن النبوة تشمل الرسالة ، والرسالة بعض النبوة ، وعبارة بعضهم : الرسول انسان أوحى اليه بشرع يعمل به وأمر بتبليغه ، وأما النبى فإنسان أوحى اليه بشرع يعمل به وان لم يؤمر بتبليغه ، فبينهما عموم وخصوص بإطلاق ، وقيل : النبى من خص بما أوحى اليه ، والرسول من لم يخص ، ومن خص ببعض وامر بتبليغ بعض فهو نبى رسول ، وقيل وعليه السعد مترادف فان ، بمعنى أن النبى مطلقا لايخلو من تبليغ ، وقيل : بينهما عموم وخصوص من وجه بناء على أنه يشترط فى النبى ، أن يختص باحكام ، لانهما حينئذ يجتمعان فيمن أمر بتبليغ بعض الاحكام واختص ببعضها الآخر ، وينفرد الرسول فيمن أمر بتبليغ الكل ، وينفرد النبى فيمن اختص بالكل ، ولايكون نبى أو رسول عبدا ،

وأما لقمان:فليس نبيا على الصحيح ، بل تلميذ لانبياء ، وورد أنه كان تلميذ الالف نبى وكفر من قالَ فى كل أمة مِن الحيوان رسول

وقيل بنبوةِ مريم ، وآسية ، وحواء ، وأم موسى ، وهاجر ، وسارة ، وهو مرجوح . واسم أم موسى يوحانذ ، ولا دليل فى قوله تعالى (فأرسلنا إليها روحنا) وقوله (فبشرناها باسحاق) وقوله (وأوحينا الى أم موسى)

ولا نبى من البدو ، وقيل منه يعقوب لقوله تعالى (وجاء بكم من البدو) وقيل : البدو بلده .

ورسل البشر:أفضل من رسل الملائكة ، ورسل الملائكة أفضل من عامة البشر ، وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة ، واتفق العلماءُ أن سيدَنا محمدا ﷺ أفضلُ من الملائكةِ كلهم ، وزعم الزمخشرى : أن جبريل أفضل منه ، وهو خطأ ، والصحيح أن المؤمن أفضل من الملائكة ، واتفقوا : أنه لا يصل صدِّيق أو ولى درجة نبى ، ويقال آخرُ نهايات الصديقين : أولُ أحوال الأنبياء ، ويقال : أدنى مراتبِ المرسلِين أعلى مراتب الأنبياء ، وأدنى مراتبِ الانبياء ، أعلى مراتب الصديقين ، وأدنى مراتب الصديقين أعلى مراتب الشهداء ، وأدنى مراتب الشهداء ، أعلى مراتب الصالحين ، وأدنى مراتبُ الصالحين ، أعلى مراتب المؤمنين ، وولاية النبى أفضلُ من نبوته ، لأن جهتها أخذ الفيض من الله تعالى ، وجهة نبوته تبليغه للخلق ، فهو من حيث إنه ولى أفضل منه من حيث إنه نبى ، وليست ولاية غيره أفضل من ولايته ، ولا مساوية له ، بل أدنى ، وكل نبى ولى ، وليس كل ولى نبيا ، ونهاية الأنبياء فى الشرائع بداية الاولياء فيها .

ومن الأنبياء:خالد بن سنان العبسى ، وحنضلة بن صفوان ، وأما خالد:فكان فى عهد كسرى أنوشر وان.وكان يدعو الناس إلى دين عيسى وكان بارض عبس،وأطفأ النار التى كانت تخرج من بئر هناك ، وتحرق من لقيته من عابر سبيل أو غيره ، وكان نبيا مِن ولد إسماعيل ، وكان بعدَ المسيح بثلثمائة سنة ، وهى الفترة ، ويقالُ بين عيسى وسيدنا محمد ﷺ خمسةُ انبياء ، اثنان عربيانِ وثلاثة اسرائيليون ، والعربيان حنظلةُ بنُ صفوان ، وخالد بن سنان العبسى ، وحنظلةُ بنُ صفوان هو الذى دعَا على العنقاء حين خطفت صبيا فشكوا إليه فأهلكها اللهُ عز وجل ، ويروى أنه نهى قومه عن عبادة الصنم فالقوه فى البئر وسدوا فمها،ويروى أن العنقاءَ كانت تأكلُ الوحوش وتخطف الصبيانَ فى الحجازِ فشكوا إلى نبى الله خالد بنِ سنان فدعا عليها فهلكت هى ونسلها،ويروىكان خالد بن سنان لما احتضر، قال:إذا دفنتُ تجيىء عانةٌ من حمير يقدمهُا عيرٌ يضربُ قبرى بحافره ، واذا فعلَ فانبشونى ، فأخرجُ فاخبركمُ بعلم الأولين والآخرين ، فكان ذلك فلم ينبشوُه لئلا يعيرهم

العرب بنبش قبر أبيهم ، وأتت بنتهُ النبى ﷺ فبسط لها رداءه ، وقال أهلا ببنت نبِى ، وسمعت رسول الله ﷺ يقرأ : « قل هو الله أحد » فقالت ، كان أبى يقرأ هذه ، وروى أنهُ ﷺ قال (نبى أضاعهَ قومه) . ويقال أنه نبى وكل بهِ مالك خازنُ النار ، ومن معجزاتهِ أن ناراً يقال لها نارُ الحدثانِ تخرجُ من مفازة فتأكل الناسَ والدواب ، ولا يستطعيون ردهَا ، فردها خالدُ بن سنان فلم تخرج بعدَ ذلك ، وعن ابن عباس ظهرت نار بالباديةِ بينَ مكةَ والمدينةِ فى الفترةِ فسمعتها العربُ«بدا»وكادت طائفة منهم تعبدُها كالمجوس ، وَافتتنوا بها ، فأخذ خالد عصاه ودخلها ، حتى توسطَها وفرقها ، وهو يقول بدا كل هدَى مؤدى إلى الله الأعلى ، لأدخلنها وهى تلظَّى ، ولاخرجن منها وثيابى تندى ، وطُفئت وهو فى وسطها ، وذكر ابن ابى شيبةَ أنها يقال لها نارُ الحدثان فى حسرةِ بنى عَبس تعشَى الأبلَ بضوء من مسيرةِ ثماني ليال ، وربما خرجَ منها العنُق ، وذهب فى الأرض ، فلا يبقى شىْء إلا أكله ، ثم يرجِعُ ، وقال خالدٌ يا قومِ:إنّ لله أمَرنى أن أطفىء هذه النارَ التى أخذت بِكم ، فليقم مع مَن كل بطن منكم رجلٌ فخرج بهم فخط علَيهم خطاً ، فقال : إياكم أن تخرجُوا عنِ الخط فتحترقُوا ولا ينوهُ أحد باسمى فاهلِك ، فجعل يضربُ النار ، ويقول بدا بدا كل هدى للهِ مؤدِى ، حتى عادتْ من حيثُ خرجت ، ودخل إليها فى البئر ، وفى يده عصا ، فأطفأها ، ووجد كلابا تحتها ، فرضها بالحجارةِ ، وجعل ابنُ عم له حَاضر ، يقول هلكَ خالدٌ وخرجَ عليه بردان تنطفِانِ عرقا ، وهو يقول : كذبَ ابنُ راعية المعزى ، لأخرجن مِنها وثيابى تندى ، فسمى أولادُ الرجل المذكور بنى راعية المعزى .

وفى رواية : أن قَومه سالت عليهم النارُ من موضع يقالُ له بعدَ ذلك حرة النار ، فى ناحية خيبر ، والناس فى وسطها ، تأتى من الناحيتين ، وروى أنها تخرجُ من شعب فى شق الجبل ، من حرة يقال لها حرَة أشجع ، فقال خالدٌ لهم ابعثوا معى إنسانا ، حتى اطفئها مِن أصلها ، وخرج معهُ راعى غنم ، هو ابنُ راعية المعرى ، حتى جاء غارا تخرج منه النار ، ويروى أنه قال امسك ثوبى ، ثم دخَل فى الغار ، وروى أنهُ أتاها مع ناس من قومه ، وقال لهم إن ابطأت عنكم ، فلا تدَعونى باسمِى ، فخرجت كأنها خيلٌ شقر يتبع بعضها بعضا ، فجعل خالدٌ يضربها بعصاه ، ويقول هديا هديا ياكلُ مؤدى ، وزعم ابنُ راعية المعزى : أنى لا أخرج منها وثيابى تندىَ ودخلَ معها الشعب ، فأبطأ عنهمُ ، فقال بعضٌ لو كان حيا خرجَ إليكم فقالوا نهانا أن ندعوهُ باسمه ، فقيل ادعوهُ باسمه ، فإن كان حيا خرجَ اليكم فدعوه باسمه ، فخرجَ آخذا براسه ، فقال ألم أنهكم أن تدعونى باسمى ، فقدْ والله

قتلتموني احملوني ادفنوني ، فاذا مرت بكم حمر معها حمار أبتر ، ويروى:فاذا دفنتموني فأتى على ثلاثةُ أيامٍ ، وفى روايةٍ فأتوُا قبرى فارصدوه ، فاذا عرضت لكم عانة من حمر وحش ، وبين يديها عير ، فانبشوُنى ، ويروى فارمُوه واذبحُوه على قبرِى ثم انبشوا قبرى ، وفى رواية يقدمهُا عير أبتر ، يضرب قبرِى بحافرهِ ، فاذا رأيتم ذَلك فانبشوُا قبرِى ، فانى أقوم وأخبركم بجميع ما يكون إلى يوم القيامة ، فماتّ ولما مضت ثلاثُ ليالٍ مرت الحمر ، على ما وصف ، ففعلُوا ما أمرهم ، فمنعهم قومٌ من أهل بيتهِ من نبشه ، فقالوا نعيَّر وندعى بنى المنبوشِ ، وفى روايةٍ لابن القعقَاع ، ثم أرسلَ اللهُ خالدا إلى عبسٍ ، وقالوا لا نؤمنِ إلا إن سالت هذه الحرة علينا ناراً فإنك توعدُنا بالنارِ ، فتوثق منهم ، فتوضأ فقال اللهم إن قومي كذبونى إلا أن ترسلَ الحرةَ ناراً ، فطلع مثلُ رأس الضب ، ثم عرضت اكثر من ميلٍ فَسالت عليهم ، فقالوا ياخالدُ ردها ، فانا مؤمنون ، ثم دخَل عليها بعصاه ، بعد ثلاث ليال ، يضربها ، ثم رجعت ، ويروى أنهمُ يعشوُن الإبل عليهَا مِن ثلاثة أيامٍ ، واذا أراد خالدُ الاستسقاءَ : أدخل رَأسَه فى جيبهِ ، ولا يمسك المطر ، حتى يرفع رأسه .

وأما حنظلةُ بن صفوانَ فقيل : بعثهُ اللهُ إلى أهل الرسّ ، وهم قوم ابتلاهم الله بطائرٍ عظيم ، له عنقٌ طويل ، من أحسن الطير ، فيهِ من كل لون يسمى:عنقاء مغرب ، لطول عنقه ، يسكنُ جبلهَم الذى يقال له فتح ، أو دمخ ، أرتفاعهُ ميل ينقضّ على صبيانهم ، اذَا اعوزهُ الصيدُ ، وأضيفَ للمغرب لأنهُ يغرب بكل ما اختطفه ، وانقض على جارية ترعرعت ، وضمهاَ تحت جناحين صغيرين غير الكبيرين فكانت العربُ تضربُ بها المثل ، ويقولون طارت بهِ العنقاء ، فشكوَا إلى نبيهم حنظلة ، فدعا عليه ، فاصابته صاعقةٌ ، ثم قتلوا حنظلة فأهلكهم اللهُ وقيل ، فى الرس وأهله غير ذلك ، كما شهر ، وكان حنظلة نبيا بعد خالد بمائة سنة ، ويقال هو من ولد إسماعيل ، أرسل إلى قدمان ، ورعويل ، فعصوه ، وقتلوه ، فأهلكهم اللهُ ، قيل دفن موسى بدمشق ، قال ابنُ العربى : دُفن بدمشق ، من الأنبياء مائة ألف وعشرون ألفا ، وأما أربعةُ الآلافِ الباقيةِ فى بقية الدنيا ، قال فى سفح جبل قاسيون ، مائة ألف وتحت الحائط القبلى من جامِع دِمشق سبعة عشر ألفا ، وفى حوران ، ثلاثة آلاف ، والباقى فى بيت المقدِس وما حولها

وأما القول الثالثُ :فالإيمانُ بجميع الكتب ، تشملُ الصحفَ التى أنزلت علَى جميعهم أى على جميع الرسُل ، لأن النبىَّ بلا رسالة ، لا كتاب له إلا كتاب ، انزل على رسول قبله ، لكن أنت خبيرٌ أنّ الكتب أقل من الرسل ، وليسَ كلُّ رسول له كتاب ، ذلك رد الضمير الى الانبياء والرسل ، فانهُ ينزِلِ الكتابُ على نبى ورسول ، ويجرى حكمهُ على الرسل ، الذِين لم ينزل عليهم كتاب ، وعلى مَن انزلَ عليه كتاب آخر وعلى باقى الأنبياء ، وذلك مع انزالِها على جميعهم .

واما الرابع فالايمان بالموت وهو زوالُ الروح عما هى فيه ، فهو وجودى ، وهذا أنسب بقوله تعالى: خلق الموت ، وقيل الموت :عدم الحياة عما هى فيه ، فهو عدمى ، وقال ابو مسعود يجبُ الايمانُ بموت كل عاقل فقط ، حتى يأخذ أنه « كل نفسٍ ذائقة الموت » روى البيهقى عن أبى هريرةَ عند النبى ﷺ أن ملكا بباب السماءِ ينادى كل يوم « لِدوا للموتِ وابنوا للخراب » وروى عن عبد الله ابن الزبير عنهُ ﷺ « مامِن صباحٍ يصبحُ على العبادِ إلا وصارخٌ يصرخُ لدوُا للموتِ واجمعُوا للفناءِ وابنُوا للخراب » وروَى ابو نعيم فى الحلية عن ابىِ ذر أنهُ قال « تِلدونَ للموتِ وتبنُون للخراب» وفيها عن مجاهد ، أوحى الله تعالَى إلى آدمَ « لِدْ للفَناءِ وابنِ للخراب » وروى احمدُ فى الزهد عن عبدِ الواحد بنِ زيد . قال عيسى بنُ مريم « يابنِى آدمَ لدُوا للموتِ وابنُوا للخراب » وروى الثعلبى فى تفسيره عن كعْب أنَهُ صاح ورْشان عند سليمان بن داود فقال : اتدرُون مايقولُ : قالُوا اللهُ ورسوله أعلم : قال : يقولُ لدُوا للموت وابنوُا للخرابِ ، واذَا مات ناداهُ ملَك ياابنى آدمَ . أتركت الدنيَا أم تركَتْك ؟أجمعتها أم جمعْتك ؟ أقتلتها أم قتلتْك ؟ واذا وضع على المغسل ، ناداهُ يابن آدمَ أينَ بدنُك القوى ؟ ماأضعفه ! ! ولسانُك الفصيح ؟ ! مااسكته ! ! وأحباؤك ؟ ما أوحشك ! ! وفى الكفن تسافِر بلا زاد ، ولاترجِع ، وتصيرُ إلى بيتِ هوْل ، وعلى السريرِ طُوبى لك إن كنت تائبا ، طوبى لكَ إن كان عملُك صالحا ، كل عملكِ تراه الساعةَ خيراً أو شرا ، وعلى شِفير القبرِ :ماتزودت لهذاَ الخراب ، وما تحملت مع الغنِى لهذا الفقر ، وماتحملت مِن النور لهَذه الظلمة ، وفى القبر كنتَ على ظهرى

ضاحكاً ، وفى بطنى بَاكيا ، وعلى ظهرى فرحاً ، وفى بطنى حزنا ، وعَلى ظهرى ناطقا ، وفى بطنِى ساكِتا ، ويقول اللهُ : بعد ذهاب الناسِ : ياعبدى بقيتَ فريداً وحيداً ، وتركوكَ في ظلمة القبر ، وقد عصيتنى لأجلهم ، وللزوجة والولِد ، وأنا ارحمك اليوم رحمة يتعجبُ منها الخلائق ، وأنا أرحمُ بكَ من الوالدة بولدها .

وأما الخامسُ : فالإيمانُ بالبعثِ:الإخراج من القبورِ ونحوها بعد الإحياء . ويوم القيامة : القيامُ من نحو القبورِ أو القيامِ لربِ العالمين ، أو قيام الحجةِ بقطع العذْر ، أو بالفور أو كل ذلك ، لشمول مطلقِ القيام له ، وإنما عد البعثَ ، ويوم القيامة واحداً ، لأن البعث أولَ ذلِك اليوم ، وهو يوم لا انقضاء له ، ويوم القيامهِ قريب وقد وجدْنا بعضَ علاماته ، وبقيتْ علاماتهُ الكبرى ، ولايدرى متى تكون القيامهُ على التعيين ، إلا أن السيُوطى ذكر أنهُ لاتتم خمسُائة عام بعد الألف ، وذلِك اليوم يتحصل بالبعثِ ، فساغ أنهما واحد ، وتعددت أسماؤُه لكثرةِ معانيه ، يوم القيامِة ، ويوم الحسرةِ ، ويوم التغابُن ، ويوم الندامة ، ويوم المسابقَة ، ويوم المناقشَة ، ويوم المنافسة ، ويوم المحاسبة ، ويوم المسألة ، ويوم الزلزلة ، ويوم الدمدَمة ، ويوم الآزِفة ، ويوم الراجِفة ، ويوم الرادِفة ، ويوم الصاعِقة ، ويوم الواقعِة ، ويوم الداهية ، ويوم الحاقة ، ويوم الطامة ، ويوم الصاخّة ، ويوم الغاشِية ، ويوم القارِعة ، ويوم النفخة ، ويوم الصيحة ، ويوم الرجفة ، ويوم الوجدَة ، ويوم الوحدَة ، ويوم السكرة ، ويوم البقاء ، ويوم اللقاء ، ويوم البكاء ، ويوم القضاء ، ويوم الجزاء ، ويوم المآب ، ويوم الثواب ، ويوم المثاب ، ويوم الحساب ، ويوم العَذاب ، ويوم العِقاب ، ويوم المِرصاد ، ويوم الميعاد ، ويوم التنَاد ، ويوم الانكدَار ، ويوم الانفِطار ، ويوم الانشِقاق ، ويوم الأنتشار ، ويوم الانفِجار ، ويوم الافتِقاد ، ويوم الاعتِبار ، ويوم الحشر ، ويوم الآخِرة ، ويوم النشر ، ويوم الجزَع ، ويوم الفزَع ، ويوم السبَاق ، ويوم التلاقِ ، ويوم الفِراق ، ويوم القَلق ، ويوم الفَلق ، ويوم العَرق ، ويوم الفِتن ، ويوم الدين ، ويوم يقوم الناس لرب العالمين

واما السادس : فالإيمان بالحساب اليسير ، جعلنا اللهُ من أهله ببركة الله لا إله إلا هو رب العرش العظِيم

واما السابع : فالإيمان بالعقاب أى الحساب العسير

واما نفسُ مايجازَى به فالجنة والنار ، وقد ذكرهُما بعد،ويجوزُ أن يريد الحسابَ مايشملُ اليسيَر والعسيَر وهو : وهو سادِس ، وبالعقابِ مايعقبُ ذلك من خير وشر ، كقول ابن النظر على أنه ، إما حساب عقابِها أى عاقبتُها ، وهو سابع ، ولايتكررُ بذكر الجنةِ والنار بعدُ ، لأن إثبات الجنةِ والنارِ لأهلهما غيرهما .

وأما الثامن : فالإيمان بالجنةِ : جنسُ الدورِ ، والابنية ، والأجنة الأخروية ، بمياهِها ونسائها ، وخدمها ، ونعيمها ، وهى : ثمانِ جناتٍ ، وهو المشهور للجمهور ، وقيل أربع لقوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) جنه النعيم ، وجنة المأوى ، وقال (ومن دونهما جنتان) جنة عدن ، وجنة الفردوسِ ، ونسب للجمهور ، ويرده قوله ﷺ (اذا سألتُم اللهَ الجنةَ فاسألوه الفردوس الأعلى فإنه أفضل) فكيف يفسرُ بِها ماهو أدنى ؟ وقيل : الجنةُ واحدة وكلها جنةُ عدْن أى اقامة ، ولكنها مأوَى للمؤمنين ، وكلها يخلد فيهَا ، وكلها دارُ سلامة من النقصِ ، ولكنها فيها نعيم ، وكلها فيها كل شىء ، وكلها دار الجلال ، عز وجل سبحانه .

وأما التاسعُ : فالإيمان بالنارِ ، دار العذاب بحرارتها . وزمهريرها فى طبقاتها ، ولادارَ فى الآخرة إلا الجنة أو النار ، وروى عن أبى حنيفة أن الجن المؤمنِين يكونُون فى موضع غير الجنةِ ، وأنكر ذلِك صاحباه وغيرهما ، وان صح عنه ذلك فهو خطأ عظيم ، واما كفارُهم ففى النار ، اجماعا لنص القرآنِ .

والجنة والنار مخلوقتانِ موجودتانِ الآن ، لقصة آدم وحواء فى الجنة ، واخراجهما ، فكذا النار إذ لاقائل بالفرق ، لقوله تعالى « اعدت للمتقين » « اعدت للكافرين » واحاديث كثيرة منها ، الحور العين ، وقصصهن : فى دخول رمضان ، وغير ذلك ، وانكر المعتزلة وجودهما كعباد الصميرى ، وضرار بن عمرو ، وأبى هاشم ، وعبد الجبار ، قال أبو هاشم ، لو وجدتا فإما عالَمُ الأفلاكِ ، أو العناصر ، أو فى عالم آخر .

أما الأول : فلأن الافلاكَ لاتقبل الخرق ، والالتئام ، فلا يخالطها شىءٌ من الكائنات الفاسدات ، وهو باطل ، لأن الافلاك أجسام ، واذا كانت أجساما فلا بدلها من صانع ، وكذا الاعراض ، فهى قابلة للتغير ، والله عز وجل يغيرهما ،

وأما الثانى : فلانه قولٌ بالتناسخ ، لأن النفوسَ تعلقت حينئذ بأبدان موجودةٍ فى العناصر ، بعد أن فارقت أبدانا فيها ، قالوا لنا : وانتم لاتقولون بذلك ، قلنا نعم لانقول بذلك ، ولادليل على قولِكم بوجود الأبدان فى العناصر ، والعقل كالشرع يأباه

واما الثالث : فلان العالم بسيط ، وشكلهُ الكرةُ ولو وجد عالم آخر لكان كرويا آخر ، ففرض بينهما خلاءٌ تباينا أو تماسا ، ويرده أن هَذا ، يقتضى أنهما لَم توجدا ، أو لن توجدا أبدا ، وهو خلاف الشرع والإجماع أيضا هما فى عالم آخر غيرَ عالم الأفلاك ، وقال أبوهاشم قال الله تعالى وجل وعلا (أكلها دائم) وقد قال (كل شيء هالك إلا وجهه) فلو وجدت لهلكت ، قلت (تهلكان هما ومافيهما ثم تخلقان) وأيضا (الدوام على البدل ، كلما فنى شيء خلفَهَ آخر ، وتدومان بعدَ ردهما ، قال الله عز وجل (عرضها السموات والأرض) قلنا هذا تمثيل للسعةِ وليسَ المرادُ أن الجنةَ تكونُ فى عرضِ السمواتِ فضلًا عن أن نقولَ لا يتصورُ ذلكِ إلا بعد فناءِ السمواتِ لاقتناعِ تداخُل الأجسامِ ، وفى الآية الأخرى كعرضِ السمواتِ والأرض .

مسألة : أو جبت معتزلةُ البصرة الثوابَ للمطيع ، لأن التكليف إما لا لغرض ، وهو عبث قبيح ، فيستحيل صدوره عن الله سبحانه ، واما لغرض عائد الى الله عز وجل ، وذلك مستحيل ، لأنه متنزه عن التضرر والانتفاع ، بل هو خَالق النفع والضر ، واما الى العبد فى الدنيا ، أو فى الآخرة ، وذلِك اما تعذيبهُ على الطاعة ، وذلك قبيح تعالى الله عنهُ كيف يأمره بالفعل ، ويعاقبه عليه ، وقد أتى به كما أمره ، أو نفعه وهو المطلوب .

ويجاب أنه لايتصف بالفرض ، لأنه شأن الناقص ، فيتكمل بفرض ، تعالى الله عن ذلك

وأوجب أصحابنا ، رحمهم الله تعالى والمعتزلة والخوارج عقاب صاحب الكبيرة إن لم يتب ، ولم يجيزوا أن يعفو الله عنه ، لأنه أوعد ، فلو خلف لزم الكذب ،

أجاب الأشعرية بأن غاية ذلك وقوعُ العقاب ، فاين وجوبه الذى كلامنا فيه ، إذ لاشبهة فى أن عدم الوجوب مع الوقوع لايستلزم كذبا ولاخلفا ، قالوا : لايقال إنه يستلزم جوازهما ، وهو ايضا محال ، وإنا نقول استحالته ممنوعة ، كيف وهما من الممكنات التى تشملها قدرته تعالى أهـ : كلامهم .

قلنا إيعاده على عموم أصحابه الكبائر ، فذلك : وجوبٌ ولاواجب عليه ، ومن قال أعذب فلانا ، ولم يعذبه ، فقد كذب ، ثم إذا علم صاحب الكبيرة ، أنه يعفى عنه جزما

كما هو قول المرجئة ، أو من الجائز أن يكون ممن يعفو الله عنه بلا توبة ، كما هو مذهب الأشعرية ، أنه يعفو عن بعضِ المصرّين ، ويعاقب بعضا ، كل ذلك تقريرا له على الذنب ، واغراء عليه فى قول المرجئة ، وضعفا لانزجاره فى قول الأشعرية : ان احتمالَ العفو عن البعضِ احتمال مرجوح ، لاينا فى الانزجار ، قلنا ، يضعفُ معه الانزجار ، وضعفه محذور ، وأيضا يكونُ إتكاله على العفو المحتمل قويا ، لضميمة ماسمع من سعَة رحمه الله ، مع أن النفس مجبولة على حب الغرض العاجل ، وقد رجع كثير من الأشعرية عن دعْوى وقوع العفو عن المصرِ ، وقالوا : نقولُ من الجائِز ولانقطع بُوقوعِه ، فنحن نقولُ لايجوزُ وكثير مِن الأشعرية يقولون بجوازِه ، لابوقوعِه وجمهورهُم يقولون بوقوعِه عن بعضِ المصرين واحتجوا بأن العفو من لايعذب على الذنبِ ، مع استحقاق العذاب ، قلنا التائب مستحق للعذاب بفعله أول وهلة ، فالعفو امهاله ، وتوفيقه للتوبة ، والمعتزلة لايقولون باستحقاقِه ولناكل آية ، أو حديثٌ فيه (أن اللهَ يعفو عمن تاب أو يغفر لمن تاب) والغفران (عفو) وحيثما أطلقَ الغفرانَ فى القرآن ، فمقيد بآياتِ التوبة ، وأحاديثُها ، ومعنى « يغفر مادون ذلِك لمن يشاء » انه يغفر لمن يشاءُ بأن يوفقَه للتوبة ، والمشرك كذلك ، ولاضعفَ فى تفسير الآيةِ بأن كلا من المشركِ والفاسق ، فى مشيئةِ الله ، فى المغفرة لمن شاء بالتوفيق للتوبة .

وبدأ بالشركِ مقيدا بالتوبة علَى التنازُع فى قوله : لمن يشاء ، لعظم الشرك ، و حجةُ اللهِ عِلىَ عبادهِ الكتب والرسل ، يعنى الحجةَ التى يقطع بها العذر ، فلا ينافِي أن العقولَ أيضا حجةٌ أى غير مستقلة ، بل باستنادٍ إلى القرآن ، والسنة أوِ الإجماع ، وذلك واضحٌ لأن الحجةَ لاتكون علَى غيرِ العاقل ، لأنه غير مكلف ، والعقل حجة على وجود الصانع المختار ، يختارُ أحدا لجائزاتِ المتنافِيةِ ، اذ لايتصورُ ترجيح بلا مرجح كزمان قبل زمان ، والوان ، وغلظ ورقة ، وطول ، وقصر ، فكل ذى لون يجوز أن يكون على لون آخر ، وكل ذىِ زمان يجوز أن يكون فى زمان آخر ، وكل ذى غلظة يجوز أن يكون رقيقا ، أو اغلظ ، وكل ذى رقة ، يجوز أن يكون أطول أو قصيرا ، وكل قصير يجوز أن يكون طويلا ، أو أقصر ، وكل ذى مكان يجوز أن يكون فى مكان آخر ، فلو وجد أحد المتنافيين بلا موجد لكان ترجيحا بلا مرجح فتبين أن لها موجدا أو مختارا لأحدهما لحكمة .

وأما العاشر : فالإيمان بجميع ما كان أى مضىَ مِن الدينا وماقبلها ، وما يكونُ فى المستقبلِ من الدينا والآخرة ، وما هو كائن فى الحالِ فى حق كُل أحد بحسبه ، ويقدرُ مضافٌ أى

بأحداث جميع او باختبار جميع فإن الحوداثَ كلهّا جائزةٌ اختارهَا اللهُ من جملة ما يمكن ، فالله اى لأن الله هو المكونُ له بذلك الجميعِ أى الخالقُ له لا خالق سواه ، فالإيمان بهذا ايمان بالقضاء، والقدر ، فالأفعال والأجسام ، والأحوال ، وسائر الأعراض ، معلومة لله بلا أول ، لعلمه ، وهو خالقها لأوقاتها : وهذا العاشر ، هو الإيمان بالقضاء والقدر ، ويجب على الكافر الرضى بقضاء اللهِ لا الكفر عليه ، لأن قضاءه عدلٌ وتجب عليه التوبة ، ولايصل اليها إن كان قضاه شقيا ، ويختم عليه بكفر ولو تاب وذلك على الوصف ، اذ لايعلمُ أنه شقى إلا فى زمان الوحى ، فانه يسمع شقاوتَه ان اوحى بها فيجبُ عليه الإيمان بها ، والرضى بها .

وكذا يجب على من قارفَ كفرا أن يؤمِن بانه قضاءٌ ويرضى بهِ من حيثُ إنه قِضاءٌ ولايرضَى بأنْ يفعله ومع ذلك لايدرِى مايختم له به ، قال يهودى من يهود تلمسان

أيا علماءَ الدينِ ذِى دينُكمُ تحير دكوهُ بأوضحِ حجـــةٍ
قضَى بضلالي ثم قال ارضَ بالقضاءِ فهلْ أنا راضٍ بالذى فيه شقوتى

قلت : قضَى بضلالِ الكافرين على اختيارهم ، دون إجبارهم ، ولاطبع ، وأوجب أن يرضُوا بذاك القَضاء ، اذ هو العَدل ، دون ماثواب ولانفع ، وهكذا ذكر العلماءُ واستدلوا به على أن يهودَ تلمسانَ كانوا يقرؤنالنحوَ، وزعمَ بعض مشارقةِ قومِنا ان الابياتَ ليهودِى فى الشامِ وجملتها .

أيا علماءَ الدين ذمى دينكمَ تحيـر دلـوه باوضِح حجـة
اذا ماقَضى ربى بكفرِى بزعمِكم ولم يرضَهُ منى فما وجهُ حيلتى
دعانى وسد البابَ دونى أفهل لى الدخول سبيل بينُوا لى قضيتى
قضى بضلالى ثم قال ارضَ بالقضَا فهل أنا راضٍ بالذى فيه شقوتى
فان كنت بالقضاءِ يارب راضيا فربى لايـرضى بشؤمِ بليتـى
وهل لى رضىً ماليسَ يرضاه سيدى وقدحِرتُ دلونى على كشف حيرتى
اذا شاء ربى الكفر منى مشيئةً فما أنا راض باتباع المشيئةِ
وهل لى اختيار أن أخالفَ حكمه فبالله اشفوا بالبراهين علتـى

وأجابه الغنوى بقوله :-

صدقتَ قضَى الربُّ الحكيم بكل مَا يكونُ وماقد كانَ وفقَ المشيئة
وهـذا اذا حققتَـه متأمـلاً فليسَ بسَد البابِ مِن بعد دعوة

لأنَّ مِن المعلـــــومِ أن قضَاء بأمـــر على تعليقـــهِ بشريطـــةِ
يجوزُ ولايأبَاهُ عقـــل كما ترى حدوثَ أمور بعدَ أخرى تأدتِ
كما الرى بعد الشربِ والشبع الذِى يكونُ عقيب الأكل فى كل مرَّة
فليسَ ببدْعٍ أن يكـونَ معلقاً قضاءَ إلـه الحقِ رَب البريئـــةِ
بكفرِي مهما كنت بالكفرِ راضيا تعاطىَ لاسباب الهدىِ مع مكنة
فمن كمَن الأسباب مما رفضتهُ معَ الأمن والإيمان لفظُ الشهادةِ
فانتَ كمَن لايأكلُ الدَهر قائلاً أموت بجوعِى اذا قضَى لى بجوعَتى

واجابه الشيخ العلامة سعيدُ بن على الجربى

أقـولُ لذِمـــى تحيـــرَ هاكَ مَا طلبتَ بحمدالله ربى وعُمـــدتى
اذا كانَ لايقضِى بكفر عبـادِه فقد صارَ مغلوبا بضيم وسطْوَة
له العلمُ بالاشياءِ قبل وجودِها فمِن علمهِ الايجادُ فِي كل مدة
رضاكَ بما يقضى اعتراف بأنـه هو الرب ليسَ فيه أسْبابُ شقوتى
ولم يرضَ كفر العبدِ بل ينجُ له ومنك اختيار باحتراك وبنيـــة
ولـولَا ماصَح أمرُ ربى ونهيـــهُ كذاك الجزاءُ بالعقـــابِ وجنـــة
علـيكَ اجتهاد وامتثـال مسلِمـــا ولاتعترض سرّ الآلـهِ بسئولتـــى

ووصل همزة أمر للوزن واجابه عبد العزيز الديرنى أيضا نثرا واجابه من أهل الأندلِس أبو سعيد فرج بن لب بقول

قضَىَ الربّ كفرَ الكافرِين ولم يكنُ ليرضاه تكليفاً لدى كل ملـــة
نهى خلقه عما أرادَ وقوعَـــه وانفـــاذه والملك أبلـــغَ حجـــة
فنرضَى قضاءَ الربِّ حكماً وانمَا كراهتُنـــا مصروفـــة للخطيئـــةِ
فلا ترضَ فعلاً قد نهَى عنهُ شرعُه وسلـم لتدْبيرٍ وحكـم مشيئـــةِ
دعَا الكل تكليفاً ووفق بعضهم فحصَّ بتوفيـق وعـــم بدعـــوةِ
فتعصَى إذا لم تنتهجْ طرق شرعِه وإن كنتَ تمشِي فى طريق المشيئِة
إليكَ اختيارُ الكسبِ والرب خالِقٌ مريـدٌ بتـدبير لهُ فِي الخليقـــةِ
ومالـمْ يردهُ اللهُ ليَس بكائِـــن تعالـىَ وجـلَّ اللهُ رَب البريئـــة
فهذاَ جوابٌ عَن مسائِل سائِل جهولٍ ينادِى وهو أعمىَ البَصيرةِ
أيَا علماءَ الدينِ ذمـى دينكـمُ تحيَّـــر دلـــوه لأوضح حجـــة

اتفقت العلماءُ أن ألف أنا يكتب ، ولو لم يقرأ ولا يعد فى الوزن ، فلا عيب فى قوله فهل أنا راض ، اذ كتب الف ولم يعد فى الوزن ، وذمى مضاف إلى دينكم وفى نسخة ذمى بينكم ، بعدم تنوين ذمى للوزن ، وهو أمرٌ جائز للضرورة أو يضاف لبين فعدم التنوين غير ضرورة ، بل للاضافة ، وهو أولى وقطع همزة اشفوا للوزن ، والضرورة ، وهو جائز لمن علم ، أن الهمزة وصل ، وان تعمد قطعها للضرورة ، وذلك جائز ، ولو فى وسط الشطر الأول أو الثانى من البيت ، وليس الفاعل خالقا ، لفعله كما تقول المعتزلة ، فمن المعتزلة قبحهم الله من يقول يعلم الله قبل وقوع الفعل ان الفاعل يخلقه بعد ، ويعلم خلق الفاعل له ، ويعلم حال وقوعه وخلق الفاعل له ومؤمن المعتزله ، من يقول لايعلم الفعل حتى يخلقه فاعله ، وذلك خطأ لايخفى مخالفا للقرأن ، وحركة التولد مخلوقة لله عز وجل كحركة الباب أو القفل لتحريكك المفتاح ، والفاعل لها هو المحرك للمفتاح ، فمن المعتزلة من يقول خلقها الفاعل المحرك للمفتاح مثلا ، ومنهم من يقول خلقها الفعل التى تولدت هى منه ، وذلك خطأ عظيم شرعا وعقلا ويعلم الله شيئا يقع ومع ذلك يقول ، إن لم تفعل أو ان فعلت ، ويعلمُ أنه لايقع ومع ذلك يقول إن لم تفعل أو ان فعلت ، ومن ذلك أمرهُ للأشقياءِ بالايمان والإسلام ، وقوله إن فعلتم فلكم الجنة ، وأمره للسعداءِ بالايمان والاسلام ، وقوله إن لم تفعلُوا ، ومن ذلك كلامه فى الإمداد بالملائكة ، إن كان كذَا يمددكم ربكم بكذا منهم ، وذلك تنشيط وترغيب وترهيب ، فهذه عشرةُ أقاويلَ ، من جاء بها تامةً مع الاوقاويل الثلاثِة الأوائِل لم ينقص منها شيئاً كمل توحيدهُ فيما بينهُ وبين الله تعالى والخلائِق ، ومن ترك قولةً واحدة جهلها فكيف لو نفاهَا فقد أشرك بالله لقوله تعالى : فى صاحِب الجنتينِ إذ شك فى البعثِ ، وقالَ ان رُددت الى ربى . اكفرتَ بالذى خلَقك من ترابٍ ثم نطفَة ثم سَواكَ رجلا ، لكنا هو الله ربى ولَا أشركُ بربى أحدا .

والشاكُّ فى شركهِ مشركٌ ، والشاك فى الشاك مشركٌ ، بتتابع الشك والإشراك إلى يوم القيامة ، شك إنسانٌ فى شرك الشاك الأولِ ، وشك آخر فى شرك هذا الشاك الثانى ، وشك آخر فى شركِ هذا الشاك الثالثِ ، وشك آخرُ فى شرك هذا الشاك الرابع ، وكذا الخامسُ فى الرابع ، والسادس فى الخامس ، وهكذا على اتصال واتحاد أو تعدد ، مثل أن يشك اثنانِ فى شاك ، ويشك ثلاثة فيهما ، أو فى أحدهما ، وذلِك التتابع فى زمان واحد ، أو زمان بعد زمان ، أو كل ذلك ، وكل ذلك داخل فى كلام المصنف رحمه الله ، والمراد مطلق استمرار الحكم ، اذ ليسِ التتابع فى الشك واقعاً فى زمان واحد ، ولا فى أزمنةٍ متتابعَة ، ووجه العبارةِ : إن يوم القيامة يستلزم التأبيد ، فعبر به عن الاستمرار ، ويدل على

شرك الشاك قوله تعالى : فى أحد الرجلين (ولاأشرك بربى أحدا) أى لاأشركُ كما اشركت بالشك فى قولك (ولئن رددت إلى ربى)

وقال المعتزلة : لايهلك الشاك الرابع لأن أقل الجمع ثلاثةٌ ، ولاحجة لهم فى هذا ، وازاح أبو الربيع سليمان بن يخلف الشرك عن الشاك ، واثبت مكانه الكفر ، وكذا الشاك فى الشاك ، وهكذا : ففى الشاك وتابعه لاصحابنا ثلاثة أقوال : قول جمهور المغاربة تشريكهم ، وقول أبى الربيع والمشارقة تكفيرهم ، وقول بعض المغاربة بالتفصيل بين مااذا ذكر ذلك بين أيديهم ، فيقطع عذرهم ، أو الخطور بالبال فلا يقطع ، وانظر هل قطع عذرَهم تشريكٌ وهو الظاهر ، وانظر هَل الكفر المذكور نفاق ؟ وهو ظاهر اطلاقهم ، وعندى إذا أطلق اصحابنا الكفرَ ، ولم يتبين أنهُ شرك أو نفاق كما اذا اطلقتِ المعصيةُ ولادليل على أنها كبيرةٌ حملت على العموم بمعنى لاندرى أهى عندالله صغيرة أم كبيرة ، وظاهر كلامهم انها صغيرة ، مع ان المذهب المشهور أنها لاتظهر، أو يلزم الحكم بالكفر ، هكذا اذا اطلق الكفر ، واماإن يعلم أنه اشراك فلا يلزم ، حتى يأخذهُ ، وعلينا أن نعلم أن قولنا : لاإله إلا الله توحيدُ وفرض طاعة ، وعليه ثواب ، وعلى تركه عقاب ، وعلينا أن نعلم أن خصالَ التوحيد كالأقاويل العشرة ، فرض طاعة ، وعليها ثواب ، وعلى تركها عقاب ، وهى توحيدٌ لكن لايلزمُ ان نعلم أنها توحيد ، حتى نأخذ .

وأما محمد رسولُ اللهِ : فقيل من الأول ، وهو الصحيح ، وقيل من الثاني ، وعلينا أن نعلم أن الفرائض التى هى دُون التوحيدِ طاعة وفرض وعليها ثَواب ، وأما تركها فعليهِ عقَاب ، لكن لايلزمُ أن نَعلم أن على تركها عقابا ، حتى نأخذ وقيل ، يلزم فى الصلاة ، وقيل فى جميع الفرائض ، وعلينا أن نعلمَ أن إلٰهين اثنين شِرك وكفر ، وعليه عقاب ، وعلى تركهِ ثواب ، واما دونه من خصال الشرك كفر ، وعليه عقاب ، وعلى تركه ثواب ، ولايلزمُ أن نعلم ، أنه شرك مع أنه فى نفس الأمر شرك ، حتى نأخذ ، ومن جاءَ بهذهِ الوجوه كلها : الثلاثةُ والعشرةُ ، فقد حرُم دمه وقتله ، ومادون القتلِ من مضار البدِن ، ويجب على المكلفِ على الفور أو اذا أخذ ، قولان : أن يعلم أن قتلَ الموحدِ حرام إلَا بحقه ، وقيل يجب عليه أن يعلمَ ذلك وأن حبسه حرام ، ومايؤدى الى موته حرامٌ إلا بحقهِ وماله ، وسبى ذريته ، وذلك التحريم : لما علمَ من التوحيدِ أى لما علمهُ من التوحيد ، يباحثونهُ عن غيرِ الثلاثة الأولى ، بل إذا سمعتَ منه الثلاث كف عن قتلهِ ، وحكم بتوحيده ، ولَايلزمهم السؤالُ عن العشرة

وعملُ التوحيدِ هو اعتقاده ، والتلفظ به ، فعبر باللازمِ عن الملزومِ ، وانك اذا علمتَ شيئا لزم أنك عالم به ، أو بالملزوم عن اللازم ، فإنك اذا علمتَ شيئا لزِم انك تعمل به ، أعني باللزومِ الترتيب ، أو ذلك مِن الاكتفاء أى لما علمه وعملَه ، وفهم من كلامه أنهُ من جهلَ واحدةً من العشرة حل دمه ، وماله ،وسبىُ ذريته ، ولكن فى الوصف ونفس الأمر ، لأنه إذا علم الامام ، مثلاً بجهلة واحدة : دعاه إلى العلم بها وعلمه ، فلا يحل ذلك منه إلا إن أنكرهَا ، أو أصر على أن لايتعلم ، وعلى القولِ بشركِهِ بجهلْ العشرةِ أو بعضهِا فذلِك من الشرْك الذى لاتحرمُ به الأزواج ، ولاينقطِع به التوارثُ كالشركِ بجهل الملل الست ، أو حكمهِا ، أو بجهلِ آدَم ، أو بعدمِ ولاية الجملة ، أو براءةِ الجملة ، أو نَحو ذلِك من خصَال التوحيد ، فإنّ الجهَل بذلك كلهِ شركٌ لاتحرمُ به الأزواج ، ولاينقطِع به التوارثُ ، وان تزوجَ على ذلِك لم يفرّق بينهما ، وقيل : لاشركَ بتركِ ولاية الجملة ، أو براءتها بل نفاق : وقيل حتى يأخُذ ، ولاشيءَ عليهِ مالم يأخذ .

وكذا : اختلفَ فى تحريمِ دماء المسلمين اتجبِ معرفتهُ على الفور ؟ وقيل من أتَى بالجملِ الثلاث : أو الجملتين ، الأوليين كمل توحيدُه فيما بينه ، وبين اللهِ تعالى ، والخلائق ، وعليه جمهُور المشارقه وعمروس بنِ فتح ، وابو خزر ، وعبد الرحمن بن رستم الامام ، ولايشرك بجهلِ العشرةِ ولابغيرها ، ولايشرِك الشاكُّ ، ومن جهلَ الجمل الثلاثَ أشركَ هو والشاكُّ الى يوم القيامه ، وَزعم ابنُ الحسين وابنُ عمير أنه لايشركُ من جهِل محمداً ﷺ ، بل ينافِق ، وهماضا لّان بذلك مثلَ أن يقولَ : اللهُ سبحانه « جسم » أو أنه « مستو على العرش الاستواء المعقول » أو أن اللهَ يرى فى الدنيا ، أو نحو ذلِك معَ أنهُ يقولُ لا إلهَ إلا اللهُ محمد رسول الله ، الخ حل دمُه وماله وسبىُ ذريته عند قوم ، لنقضهِ التوحيدَ بذلك،ولم يحل ذَلك عنِد قومٍ ، لقولهِ ﷺ ، إذا قالُوا لا إلَه إلا اللهُ وإنى رسولُ اللهِ فقد حقنُوا منى دماءَهم وأموالَهم الخ ، والضميرُ فى قوله إلا بحقهَا عائد الى الأموالِ والدماءِ ، وذِكرُهُ ﷺ الزنَى وقتلِ النفس : تمثيل لاقيد ، ويجوز عوده إلى كلمة الشهادة ، أى لابتضييع حقها »

فان قيلَ لك : ماقواعدُ الاسلام ؟ وما الخصالُ التى يبنى عليها الاسلام كما يبنى سائر الجدار على أوله ؟ واما مالاأساسَ له أوله أساسٌ ضعيف لايحمله ، فلا يثبت ، فاجاب بالعلِم والعملِ والنيةِ والوَرع ، فيبحث بأنهنّ نفسُ الاسلام ، ولايخرجُ الانسانُ عنهنّ ، إذْ لاتجد إسلاما غيرَ علم ، وغيرَ عمل ، وغيرَ نية ، وغيرَ ورع ، ودخلَ الكلامُ فى العملِ

وكذا النيةُ : هى عملٌ بالقلبِ فلزِم بناءُ الشيءِ على نفسهِ ، وهو لا يصح ، لأن الشيء الواحد ، لا يكون متقدما متاخرا ، علة معلولا من جهة واحدة ، ويجاب : بأن كل واحدٍ من الاربعة قاعدةٌ للثلاثة الأخر ، فتلك اربعُ قواعدَ : لا يصح واحدٌ منها إلا مع الثلاثةِ الباقية ، بل إفراد كل واحِد منها لا يصح إلا بباقى الأفراد مثل عمل الصلاة لايصح الا بعمل الصوم ، وعمل الصوم لايصح إلا بعمل الصلاة ، وكل واحد قاعة للآخر لا فى جهة واحدة ، بل باعتبار وجودِ علمهِ ، فاذا وجبتِ الصلاةَ فلم يصَل ثم وجب الصومُ عليهِ فصامَ ، أو بالعكسِ لم ينفعْه ما عمل منها ، أو أراد بالاسلام التوحيد فتكون الاربعة قواعد للتوحيد خلاف المشهور بمعنى أنّه لا ينتفعُ به ، ان لمْ يأتِ بهنَّ ، أو ارادَ هنا باللام العلمَ بالاحكام الشرعيةِ فقال : لا ينفعُ إلا بالعلمِ بِها فى الشخص والعمل بها والنية فيها والورع فيها ، فقل أوجهُ العلم : الواجب الاعتقاد الجازم ولو تقليدا ، ولو قيل التشكيكُ مالم يشككه أحدٌ أو شيء فيشك ، وهذا هُو المراد هنا ، كما يعنى له بقوله فى الفروع ، وفيها قول آخر : علم به بعد ، أو لم يعلم ، فهو قابل للتشكيكِ ومن أين يعلم ، أنه قول مطابق للحق عند الله ، حتى لا يشك ، وكما تأخذ العلم عن انسان تصدقه وتقبل شهادة الشهود ، فتصفُ بانك عالم بمضمونها مع أنه يحتملُ ذلكِ الكذبَ والخطأ ، وذلك : مُجز فى أمرِ الدين ، ولا يشترط عدم قبول التشكيكِ ، كما يقال العلمُ : الاعتقادُ الجازمُ الذى لا يقبل التشكيك ، كمايقال العلمُ الاعتقاد الجازمُ الذى لا يقبل تشكيكا المقترن بحجةٍ مدركة ، وانما يشترط عدم قبولِ التشكيكِ أو مع الحجةِ فى الأصولِ التى لا يجوزُ الخلاف فيها ، والعلم الغائبُ ، اما أول البلوغ فكا لعلمِ بالوحدانية ، والرسالةِ على مامر فى خصالِ التوحيد ، وإما عندَ قيامِ الحجةِ بالسماعِ ، والأخذ ، أو بالخطور بالبال ، مثل أن يجهل صفة الله عز وجل فيسمع انها صفة فيأخذهَا أو يراها فى كتاب أو يخطرَ بباله هل يوصفُ اللهُ بها ، او يسأل هل يوصفُ الله بها ، أو يسمع سائلا لغيرِه أو ذكر إلها بدونِ أن يثبتَ له به علمٌ ، فيكون مشركا فى حينهِ فيذهب يسأل حتى يعلم ، أنه يوصفُ بها ، فيكون موحدا ، وقيل لا يشرِك ، بل يقول « ليس كمثلهِ شيء » فيذهبُ يسألُ وقيل ، يقولُ ليس كمثله شيء ولا يلزمه السؤالُ ، واما عندَ حضورِ وقته المضيق ، كأول رمضان وكوجودِ ما يوجب ولاية ، أو براءة ، فيجب عليه العلم بالوجوب .

واما عند حضورِ وقته الموسع ، كدخولِ الصلاةِ ، يجب عليه العلم بها ولا يكفر حتى يخرج الوقت ، وككمال شروطِ وجوب الحج ، فيجب عليه علم وُجوبه ، ولا يكفر بجهلهِ حتى يموتَ لا حاجا ، ولا موصيا ، اما على قولِ الفورِ ، فيهلك اذا أخر مع القدرة ، حتى

لا يبقىَ مقدارُ الدراكِ ، وقيل من جهل فرضهُ أو فرضَ الزكاةّ يهلك ، إذا بقى مقدارُ مالا يدركه ، ولو على قولِ التراخى ، أو تم الحول فلم يؤد الزكاة ، واما عندَ ارادةِ المقارفة ، فإن لم يقارفْ ، فلا باسَ عليه ، وان قارف بلاِ علم هلك ، ولو وافق الحق ، وقيل عصَى إن وافق ، وإلا هلك ، وقيل إن وافق اساء ، وقيل : لا إساءة أيضا ، وهو قول من زعم : ان الواجبَ العمل لاالعلم ، واذا قارفَ بالجهلِ ، فقد وجبَ عليهِ أن يعلم قبل المقارفة ، ان لا يقارف ، وقال بعضُ أصحابنا : هلكَ بالمقارفةَ ، ولم يجبْ عليه العلم ، والصحيح الأول ، وذلكِ كالربا والارثِ وغيرهما ، واذا خطّأ المصيب ، أو صوّب من خطأه ، أو خطّأ من خطأ المخطىء ، أو صوّب من صوبه ، أو فعلَ نحو ذلك بلا علم ؛ فكالمقارف

وطلبُ العلم : فريضةٌ على الإطلاق ، فرضَ العين ، وفرضَ الكفاية ، إلا أنه لا يكفر بالجهلِ إلا حين يكفر بالترك وإنما وجب قبل الحضور ، لأنه لايعذر إذا فعل بالجهل ، والعمل شامل لترك المعاصى ، ولعملِ العَين ، ولعمل الكفاية ، والحركة ، والسكون ، من اللسان ، أو سائر الجوارح ، ولا يجب عملُ النقل ، وَ السنة سنة العين ، أو سنة الكفاية

والعمل لغة:حركة البدن والسكون من الجوارح ، واللسان.وفى العرف : تعلق القدرة الحادثة ، بالمقدور . والنية : هى قسمان : الأول : لتحصيل العمل وصحته ، كنية رفع الحدث الأصغر والأكبر بالماء والتراب ، ونية الفرض : كالا صباح فى الصوم ، واعتقاد الفريضة للفرِض والسنية للسنة : فانه من عمِل ما هو فرضٌ بلا علم بأنه فرض لا يجزيه ومن عملَ سنةً بلا معرفةٍ بأنه سنة ، لا يسمى مؤديا للسنة ، ومن اغتسل أو توضأ بلانيةٍ لرفع الحدث ، أو بلا معرفة أن ذلك فرض ، لا يجزيه ذلك ولا ثواب ، لمجرد هذا القسم : بل لما ينضم اليهِ من التقرب الى الله ، والثانى : لتحصيل الثواب وهو أن يقصِد رضىَ الرب ، أو التقربَ الى اللهِ أو الاخلاصَ ، لله جل وعلا ولا يجزِى هذا القسمُ عن الأول ولا الأول عن هذَا ، وما كان من معقولِ المعنى صح بدونها ، ولا ثوابَ عليه كالاستنجاء ، وغسل الانجاس ، وقضاء الديون ، والتبعاتِ ، وان نوى قضاءَ الفرض من ذلك ، لينجوَ من النار أو ليفوز بالجنة ، أو ليرضى الله ، عز وجل عنه ، أو قصدَ التقربَ أثُيب ، ودخَل فى القسمِ الثانى ، وسواءٌ فى القسمين أن يعمل لنفسه ، أو لغيرهِ مثل أن يعمل نفلا يقصد بثوابه ، غيرهُ كوالدَيه ، ومثلَ أن يتوضأ ليحُرم للحج ، أو العمرة ، عن غيرهِ ولاينوى ثوابَ الآخرة ، أو الرضى مِن اللهِ لغير متولاه ، وبعضٌ يسمى الأربعَة قوائم الدين ، لأن الديَن لايقومُ إلا بهن ، وقال الذكارُ ليس علينا العلم ، بل علينَا العمل ، بالفرائِض لا العلمُ بها ،

واصحابُنا يكفرونَ من عمل فرضا دونَ أن يعلم أنه فرض ، الا ان علم أنه فرضٌ واعاده ، قبل خروج الوقتِ ، والورعُ هو الكف عنِ الكبائر والصغائر ، ولايبطل الإسلام بمكروهٍ ولابصغيره غير مصر عليها ، وهذا الورعُ هو الذى يبنَى عليه الاسلام ، وأما الشبهةُ المعلومُة : فقد عد بعضُهم مقارفَتها كبيرة ، وقيل ، الشبهة المعاقب عليها : هى التى قويت دلائلُها الى الحرام ، وقيل لاعقَاب فى ذلك كله ، مالم يوافق حراما عند اللهِ ، وقيل : ولو وافقهُ إذ لم يعلمْ به حتى ماتَ ، والعمل بالأول ، وعن جابر بن زيدٍ لاشبهةَ ، اما حلالٌ أو حرامٌ ، وذلِك حمل لاشبهةَ فى الأحاديث علَى الأحكامِ مِن التحليل والتحريم ونحوهما ، لاعلَى المعاملاتِ ، واما الشبهةُ العارضةُ فقيل هى التى ضعفت دلائلها وقيل مااشتبه عليك بعد دخول يدك فقيل يحلُّ امساكهُ وقيل يكره ، وأما الكفُّ عما يُخافُ أن يؤدى الى حرام ، والكف عما جرى علَى مايأكلُ الحرام ، كطعام محمول على بعير يطعمُ الحرامَ ، أو يحمله عليه ، من يأكل الحرام أو يحملُه مَن يأكلُه على بدنِه ، فلا يبطلُ الاسلامُ بتركهما ، وليس مبنيا عليهما كما لا يبطلُ بتركِ الورع ، الذى هو الإعراض عما سِوى اللهِ عز وجل .

وأدلة الاصرار المبطلةُ للعملِ أدلة على أنه لاتعد الحسنات والسيئات ، ويعتبر الاكثرُ ، وعلى أن الكبيرة تبطلُ الأعمال كقوله ﷺ (هلك المصرون) وقوله عز وجل (لاتبطلوا اعمالكم) وقوله تعالى (واتبعُوا مااسخط اللهَ الى قوله فاحبط اعمالهم) وقوله عز وجل (لاترفعوا اصواتَكم الى قوله أن تحبط اعمالكم) وقول عائشة رضى الله عنها (أبلغوا زيداً أنه قد أبطل حجهُ وغزوهُ وجهاده معَ رسول اللهِ ﷺ الحديث ، وهو فى بيُوع الإيضاح من بيوع الذرائع ، وقولهِ ﷺ الربا يُحبطُ العمل ، وقوله ﷺ (من كذبَ وأصرَّ فهو فى النارِ مخلد) وأركانه أى الخصال التى تشبهُ أركانَ البناء المربع ، حتى أنهُ أن لم يكن لهُ ركنٍ أو ركنانِ أو ثلاثةٌ لم يحَفظ مالاً ولابدنَا ، ولم يكنْ حصنا عن اللصوصِ والمفسدين . أربعةٌ إن لم يكنْ أو كانَ بعضهُن الأوَلى ، فى القوة ولذلِك سماهن أركانا لله الا قواعد وسمَّى الأوائِل قواعد ، اذْ لاشىءَ مع بطلانهن بخلافِ الأربعةِ الأواخر ، فيثابُ عليهن إن ثبتتِ الأوائلُ ، إلا أنَّ هؤلاءِ الأربعة الأواخر داخلات فى العملِ مِن الأربعة الأوائل ، اذهنَّ امور اعتباريةٌ وهن عمل بالقلبِ اذهن الاستسلام لأمر اللهِ ، والرضى بقضاءِ الله ، والتوكلُ على الله ، والتفويض إلى اللهِ وكلهن مِن أعمالِ القلب ، أما الاستسلام لأمر اللهِ ، فالإذعان اليهِ بعد وقوعِه مما يحب أو يكرهُ ، واما الرضى بقضاءِ الله ، فالإذعانُ إلى الاحكامِ الشرعيةِ،لاتقولُ على الكراهةِ لم فرض هذا أو حرمَ هذا ، أو اباحَ هذَا أو كرِه هذا أو ندبَ إلى هذا ، والمرادُ بالقضاء

العلمُ الأزَلِي ، أو فعل اللهِ عز وجل ، وهو القدرُ فى الخارج ، أو كتبه فى اللوحِ المحفوظ ، فيجب أن نرضَى بما سبقَ فى علمهِ ، وبانزاله وبكتبهِ فى اللوح .

والتوكل على اللهِ : الاذعانُ إلى امره قبلَ وقوعهِ ، ويقالُ توكلت علَى اللهِ ولايقالُ توكلتُ علَى فلانٍ لعَدم الاستيثاق ويقالُ اتكلت على اللهِ ، ويقال أيضا اتكلتُ على فلان ، بمعنى أسنادِ الأمر ، الى فلان ، بجعلهِ واسطةً ولو قيل توكلت على فلانٍ واريد هذَا المعنىَ لجازَ لكن يتجنبُ مايوهم . والتفويضُ إلى الله تعالى عز وجل : أن لايختارَ غيرَ الواقِع قبلَ الوقوعِ كما لايختارُ بعد الوقوع وهذهِ الأمور اعتبارية لامحققة لأنها قابلة للتداخل ، وبعض يفسرُ الرضى بالإذعان لما نزل مِن المصائب ومن الأحكام الشرعيةِ ، وقيل : الاستسلام لأمر اللهِ الخضوعُ لامتثالِ أوامِره واجتنابُ مناهيهِ قولاً وفعلاً فرضاً ونفلا والتفويضُ ان يعلمَ أنه لامَانِع لما اعَطى اللهُ ولامعطى لما منع وان مفاتيح الأمور كلها بيَدهِ وان لاقدرةَ للخلق على مامنَع أو أعطاه الله وأنه الخالق والرازق والتوكل عليه والاستيثاق بما عنده ولايكون التوكل فى المعصِية إلا من جهة انه إن شاءَ صرفها عنهُ فلا يفعلُها ، وان شاء رزقه التوبة فيها إن فعلها والرضى بقضَاء الله ، ان يُذعنِ ، الى ما الزَم العَبْد من فعل أو تركٍ وفيما ابتلاهُ به من المصائبِ ، وقيل الاستسلامُ الانقياد لما سيقع من اللهِ محبوباً أو مكروهاً بلا معارضة ، والرضى عدم سخطِ ماوَقع ولو معصية والرِضا بها معناه اعتقادُ أنها بقدرة الله ، وان خلقها منه عدل ، والتوكل السكون الى ماعندَ اللهِ من نعمة أو حكم شرعى ، والتفويض رد الأمر الى اللهِ عز وجل وقيَل الاستسلامُ الخضوع والانقياد الى ماأمر الله به والرضى سرور القلب والعزمُ على امتثال ماحكم اللهُ عز وجل به ، والتوكلُ والاستيثاقُ بما عند الله والاعتماد وعليه ، وأن تظهر عجزك وفى السؤالات : وأصل الرضى : أن يرضَى بامِر الله ونهيه ، وأصل التوكلِ : الاستيثاقُ والطمأنينةُ للهِ فيما عَنده فى جميع المواهِب ، والتفويض أن ترد مفاتيح الأمور كلها الى الله تعالى ، وفى السئولات أصلُ التفويض أن تعلمَ أنه لامانعَ لما اعطى اللهُ ، ولامِعطَى لما منع ، وان مفاتيحَ الأمور كلها بيده ، قيل : وأصلُ التفويض من فوضتُ الأمرَ إلى فلان إذا رددتهُ اليهِ ، ولم تبالِ بما قطعَ عليك فيه ، وقواعد الكفر ومادونهُ من المعاصى ، واراد بالكفر مايشمل الشرك ، والنفاق ، فان هذه الأربعةَ ينبنى عليهن الشركُ والنفاقُ بمعنى أن خصلةَ نفاقٍ ، تجر أخرَى ، وكذا الشركُ ، وكل يجر الآخرَ وسائرَ المعاصى ، وتتقوى بهنّ أنواعُ المعاصِى ، ولاسيما الجهلُ ، فانهُ يؤدى الى الإشراك ، ويليه الكبرُ أربعة : الجهلُ بالفرائِض ، أو مادونَها ، أو بالمحرمات ، وذلِك هو عدمُ طلبِ العلِم فيقع فى الشرك ،

ومادونهُ ولايدرى ، وقد يجهلُ الإنسان ولايقع فى الحرام ، فينجو كما اذا جهلَ الربا ، ولكن لم يعملْه ولم يصوبْ فاعله ، ولم يخطىء مخطئهُ ولم ير معاملتَه فياكل ، ماتولد منهما ، أو جهل مسائل الزكاةِ ولامال لهُ ولم يأكل الزكاة ، وهو غنى أو ذو كبيرةِ ، وهكذا .

والجهل اما بسيِّط : وهو أن لايخطر ببالِك شىء، أو يخطرَ ولاتعرفُهُ ، أو لاتعرف حكمه ، وإما مركب : وهو ان تجهلَ شيئا فتتعرفُه أو تتعرف حكمه ، على غيرِما هو عليه وهو أشد لأنه لايتوبُ منه مادام يعتقده حقا ، ولأنه يدعُو غيره إليه لأنه يعتقدهُ حقا ، فيخطىء مخالفهُ ويصوب موافقهُ فيه ، ويفعلُ نحو ذلك مِن المفاسد ، وصاحب البسيط ، يتوقفُ فيعُذر فيما لاتجب معرفته فينجو ، وان اقتحم على جهالة هلك ، ويشمل الجهلينِ قولُك انتفاءُ العلِم بالمقصود ، فشمل البسيطَ والمركبَ ويختصُّ بالمركبِ قولُك اعتقادَ الشىء على خلافِ ماهو به .

والحميةُ : المنعُ عن الحق انتصاراً للنفسِ أو بغيره ، واما الحمية للحق فمحمودةٌ واجبة ، بقدر الإمكان مع الإخلاص ، وتسمى الحميةُ عصبية ، والمعنى واحدٌ ، والمفهوُم مختلف ، فمِن حيثُ إنه يحافظ عليهِ تسمى محافظتُه حميةً من حيثُ إن ذلك تقوية وتسمى عصبية كالعصبة الدائرةِ بالشىءِ الماسكةِ له كعصبة الرجل والمرأة،والحميةُ فى المعنيين الأنفة وتحمل صاحبَها على الغضب والغَيرةِ على غير احكام الشريعة ، فتذم أو على أحكامها فتمدح ، وتفسيرهُا بحب قوم علي سوءِ أفعالهم ، وهو تفسير بالملزومِ فإنك اذا أحببتَ احداً ترتبَ على حبكَ أن تحميهُ وتحافظَ على مايليق به ويحترز عن الحمية والغضب بالمشى عن السرعة ، وبالوقوف عن المشيِ ، وبالقعود عن القيامِ ، وبالاضطجاع عن القعود . وان لم يكفهِ القيام وصار إلى القعود مثلا ، ثم إن لم يكِفه القعود واضطجعَ وان لم يكفِه اغتسل ، بماء بارد .

وذِكر الموت نافع مطلقا واكبرُ المحرم تسفيه الحق ، اعتلاءٌ عليه ، أو قائله ، وذلك تخطئة الصواب أو تصويب الباطل ، والمبطل تعظيما لنفسه ، وتعاطيا لمنزلةٍ لم تكن له فى أمرٍ دينى أو دنيوىِ ثم إنه لامتكبر إلا وهو متعاط لما ليسَ له لأنَ الكبرياءَ وهى العظمةُ لله وحدهُ لاشريكَ له فيها ، واذا رأى انسان نفسَه بعينِ العظمه لم يكفر بذلِك حتى يتولدَ عن ذلِك تسفيهُ الحق ، واحتقارُ الخلق أو الظلم أو الأمن أو نحو ذِلك من الكبائِر ، أو يتولدُ عنه معصيةٌ دون ذِلك فيكفرُ بما يتولدُ أو يعصى بهِ ، فيجب اجتنابُه لئلا يتولدَ عنهُ ذلكِ .

والحسدُ:هو تمنى المكلف زوالَ النعمةِ عن صاحِبها إليه أو إلى غيره أولا الى أحد ، وذلك التمنى معصيةٌ اذا استرسل فيهِ ولم ينفهِ ، واما حدوثهُ وكراهةُ النفسِ ، فلا أثم فيها لأنهما ضروريان واذا بقىَ فى حسدِه كالدعاءِ بزوالِ النعمةِ وكالشتمِ لصاحِبها والسعي فى زوالهَا ، أو نقصها فذلك كبيرة كما قال ﷺ واذا حسدتَ فلا تبغ ، ويجوزُ الدعاءُ بزوالِها عمن يفسدُ بها الدينَ ، أو يظلم بها أحدا .

وأما الدعاء نفسهُ أو غيرهُ بمثلهاِ فجائزُ ويسمى غبطة ، واركانه أربعة : أى الخصال التى تجمعُ الكفرَ ، وينموبها ، كبناء لهُ أربعةُ أركان ، يحصنُ مافيه ، ويحرزه ، قال محمد بنُ بصير احتفظِوا عن هذه الأربعة : من الشيطانِ تتركوه كالخابية بلا عُرا ، وكالخابيةِ حالٌ من الواوِ ، أى تتركوه ، وأنتم كالخابية ، التى لا عروه لَها تمسك به ، كذلِك لا يجد فيكم ما يجركم الى الضلال والنار . الرغبة والرهبة والشهوةُ والغضبُ لا شيء منهن كبيرة بذاتهِ ، وانما الكفرُ ما يتوصل اليه بهنَّ مثلُ أن يرغبَ فى المالِ فيجمعُه من الحرامِ أو منهُ ومن الحلال ، فالكفرُ جمعهُ مِن الحرامِ ولو قليلا منهُ ، ومثلُ أن يرهَب أى يخافُ مِن الفقر أو مِن قلةِ المال فيمنعُ حقوقهُ أو بعضا منها ، كالزكاة أو بعضها ، ونفقة العيال أو بعضِها ، والحج بأن لايحج ولايوصى ، والضيافة الواجبة ، وتنجية المضَطر مِن الجوع ، أو مِن الوحم كالحامِل اذا اشتهت ، فالكفر ، هو ذلِك المنع ، ومثلُ أن يشتهى كلاما محرما ، أو جماعا محرما ، كالزنا ، والجماع فى الدبر والحيض ، والنفَاس ، أو مسا محرما ، أو نظرا محرما ، أو طعاما محرما ، أو شرابا محرما ، أو نحو ذلك : فيفعلُ ذلك : فالكفر : فعلُه بالشهوةِ المحرمِة هى الحاملة للنفِس على المعَاصِي ومثلُ أن يغضبَ من حق لأنهُ مُرّ فيتركُه أو يعينُ على أبطاله ، أو يعاقب عليه أحداً ، فالكفر ماتولدَ من غضبهِ من ذِلك ونحوهِ لانفسَ غضبه ، فانه ضرورىَ لاكسْبى.وكذا الرغبةُ والرهبةُ والشهوة ضروريات ، وانما يؤاخذ على ماهو كسب ، واختيار ، فالواجب عليهِ أن لايسترسِل فيهن ، لئلا يوصلنه الى المحرماتِ ولايختص الأربعَة بالمالِ بل فى جميع المعاصِى فلو رغب فى مالٍ أو جاه أو مباحٍ ما ، أو معصية ما ، أو رهب من فقْر أو خمول ، أو غيرْه أو اشتهى حراما ، أو غضِب من حق ، ولم يترك واجبا ، أو يفعل محرما لم يكفر ، وتجب الرغبةُ فى دين الله والرهبة من المعاصِى ، والرهبة من عقاب اللهِ ، فى الدنيا والآخرة ، ومِن أن لايكونَ مقبولَ العمل ، ومِن أن لايكونَ موفيا ، ويجب اشتهاءُ الطاعِة وأن يكونُ محبوبا عندَ المسلمين ، وعند الله ، وان يغضب لدين اللهِ ، اعنى تعاطى الأربعة بكسب مايوصلُ إليهن ، لما علمتَ من أنهنّ لسنَ مما يكسب

والغضب : قيلَ غليانُ دمِ القلب لإرَادةِ الانتقام ، وذلِك لضيق النفسِ عن تحمل ماأصيب به ، وهو غيرُ جامِع ، لأنهُ لم يشملْ غليانَ دمِ القلب ، لدفع مايؤذى ، فالأولى أن يُزاد مانصه ، ولدفع مايؤذِى ، وبسطهُ أن يقالَ : هو غليانُ دم القلبِ طلباً لدفع المؤذى ، عند خشيةِ وقوعِ الأذى أو الانتقَام ، ممّن حصلَ منه الأذى بعدَ وقوعه ، وقد يجُابُ بأن الغضبَ أن يريدَ الانتقامَ ممن توجَه الى إيذائه ، ولو لمْ يقع الايذاء بعدُ . يعدُّ ذلِك التوجه اهانة لَهُ فينتظرها بها ، فهو مريدٌ للانتقامِ ، فيكونُ الحدُّ جامعاً ، والذى عندى أنّ غليانَ الدَمِ لازم الغضبُ لا نفسَ الغضب ، وأن الغضبَ كما قالَ السعدُ :حركة النفسِ لكنْ قالَ مبدؤها إرادةُ الانتقام ، وفيهِ مامر إشكالا وجوابا ، ومثلهُ قولُ بعضٍ : أن الغضبَ تغير يتبعهُ غلَيان دمِ القلبِ لإرادة الانتقِام

والغيظ أصلُ الغضبِ : وكثيرا مايتلا زمانِ ، وفرق بان الغيظَ لايظهرُ على الخوارج ، والغضبُ يَظهرُ عليها ، والغضبُ لايكون إلا على مغلوُب ، أو يرجى أن يكون مغلُوبا ، فإن كان على مغلُوب : اشتعلتْ نارُ الغضبِ فى القلب ، وغلا دمُ القلب ، وانتشَر في العروق ، وارتَفع إلى اعالى البدن كارتفاع الماء الذى يغلِى فى القدر ، فيصِيب فِي الوجه ، فيحمر الوجه والعينان ، وانما يظهرُ تحت الجلدِ لسرعته وصفائه ، كما تحكى الزجاجةُ بصفائها مافى داخِلها ، وان كان علىَ مَن رجى أن يكون مغلوبا ، انتشَر الدمُ كذلِك إذا رجا أن يكونَ مغلوبا له ، فيتردد بين انقباض وانبساط واصفرار واحمرار ، وذلك إذا ضره غالبه ، وكان له قصد فى الانتقام .

وأسهُم الاسلامِ ثمانية : أى اقسامُه العظمى بعد التوحيدِ ثمانية ، والمراد العمل بهن ، وليس ثمانٍ بلا ياء ولاتاءٍ نسَبا إلى ثَمنَ بفتحتين ، كما قيل حُذفت احدى ياأى النسبِ وعوض منها الالف ، كتِهام ويمان ، لأنهُ يُعرب على النون ، بخلافِ تهام ويمان ، فانهما يعربان على ياء محذوفه خفيفة ، وتظهر حيث لاتنوين ، وفى النصبِ نحو اليمانى ويمانى وصنعاء ، ودخلت بلداً يمانيا ، بتخفيف الياءِ ، وقد يُعرب ثمان ، كجوار وغواش ، وقيل هو لغة ، ولم يذكر التوحيد ، لأن المراد اسهمُ صفاتِ التوحيدِ ، لأن الثمانية المذكورة بعد ذِلك صفاتُ للتوحيد

وإن شئت : فقل اسهم الإسلام تسعةٌ والعدد لايفيد الحصر .

وتمت بالتوحيد ، وهو أعظمهُاء وأشهرهُا الصلاةُ الفريضة ، والنافلة ، والسنة ، ودخلت صلاةُ الجنازة ، ولو كانت لاركوعَ فيها ولا سجودَ ، ولايقطعها مايقطع الصلاةَ من مرورِ

مارٌّ ، والزكاةُ :زكاةُ الأموال ، أو زكاةُ الفطر ، والصومُ :صوم رمضان ، والسنن ، والنفل ، والحج الواجب ، والعمرة ، وكذلك الجهاد ، الواجب المتعين ، وغيرُ الواجب للمشركين ، والمنافقين ، والأمر بالمعروفِ ، والنهى عن المنكر ، الواجبان ، وغير الواجبين ، ومِن غير الواجبيْن أن تأمر أو تنهىَ فتقتلَ أو تضرب ، أو يمثل بك أو يؤخذ مالك ، ومنها أن يكون غيرك قد أمر أو نهى ، ومنها أن تكونَ قد أمرتَ انسانا أو نهيته ، فلم يقبل مِنك فلا تلزمُك الإعادةُ ، إلا إنْ عاد إلى نوع آخر من المعصية ، واما الشتمُ فلا يكون مانعا مِن الأمر والنهى ، ورخصَ بعضهُم أن لا يجب إذا لم يرج القبوُل .

وكل عبادةٍ تسمى إسلاما وإيمانا عندنا ، فرضا ، أو نفلا ، أو سنة ، وان شئت فاذكر النفلَ فتدخلُ فيه السنة التى لم تجب .

قيل جملةُ الإسلام والايمانِ لا إلّه إلا اللهُ محمد رسول الله ، والتكبير ، والتسبيح ، والتحميد ، والتمجيد ، والتجريد، والتفريد ، والتوبة ، والانابة ، والنظافة ، والطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والقيام ، والاعتكاف ، والحج ، والعمرة ، والقربان ، والصدقة ، والغزو ، والعتق ، وقراءة القرآن ، وملازمة الاحسان ، ومجانبة العصيان ، وترك الطغيان ، وهجر العدوان ، وتقوى الجنان ، وحفظ اللسان ، والثناء ، والدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والحياء ، والصدق ، والصفاء ، والنصح ، والوفاء ، والندم ، والبكاء ، والاخلاص ، والذكاء ، والحلم ، والسخاء ، والشكر ، والصبر ، والرضى ، والاستعداد للمنية ، وتعظيم السنة ، وموافقة الصحابة ، وتعظيم أهل الشيبة ، والعطف على الصغار ، والاقتداء بعلماء الأمة ، والشفقة على العامة ، واحترام الخاصة ، واداء الأمانة ، واظهار الصيانة ، والاطعام ، والانعام ، وبر الايتام ، وصلة الارحام ، وافشاء السلام ، وصدق الاستسلام ، وتحقيق الاعتصام ، والزهد فى الدنيا ، والرغبة فى العقبى ، والموافقة للمولى ، ومخالفة الهوى ، والحذر من لظى ، وطلب جنة المأوى ، وبث الكرم ، وحفظ الحرم ، والاحسان الى الخدم ، وطلب التوفيق وحفظ التحقيق ، ومراعاة الجار ، والرفيق .

فهذه تسعة وسبعوُن شعبة ادناها اماطة الأذى عن الطريق ، كذَا عدَّ بعض ، وفيه تداخل وتكرير ، وانما العدُّ الصحيحُ ، مَاذكرته فى ازالة الاعتراض ، وهو هذا مع زيادة وبسط .

التوحيد وخصاله ، والولاية بأقسامها ، والبراءة باقسامها ، والوقوف ، وترك المعاصى ، والصلاة الفريضة ، وصلاة السنن ، وصلاة الجنازة ، والتكفين ، والغسل ، والحفر ،

والدفن ، وسجود التلاوة ، وسجود التقرب ، والطواف ، واجبا أو غيره ، والحج الواجب وغير الواجب ، والعمرة الواجبة وغيرها، وغسل الانجاس ، والاستنجاء ، والوضوء ، واغتسال الجنابة ، واغتسال الحيض ،واغتسال النفاس ، والاغتسال من الحجامة ، والاغتسال من غسل الميت ، والاغتسال للاحرام ، والاغتسال لدخول الحرم ، والاغتسال لدخول مكة ، والاغتسال لدخول المسجد الحرام، والتيمم لذلك كله : حيث فقد الماء ، أو لم يقدر على استعماله ، وكفارة الظهار ، وكفارة الايمان ، وكفارة الايلاء ، والايصاء بهن على قول الظهار ، فانها اذا فاتته لزمته كفارة أيضا ، وكفارة الكبيرة ، وكفارة الصغيرة ، وكفارة القتل ، وجزاء صيد الحرم ، وجزاء صيد البر ، مطلقا على الحرم ، والايصاء على عددهن ، وزكاة المال وزكاة الفطر ، وهدى التمتع المحصر ، وما يلزم المحرم اذا فعل موجبا ، وصدقة النفل ، ودينار الفراش ، ودينار الوطء فى الدبر ، وقيادة الأعمى، والاعتاق ، ولو بتدبير ، والمكاتبة ، والصوم الواجب ، وصوم السنه ، وصوم النفل ، وطلب العلم ، والذهاب اليه ، وتعليمه،والذهاب الى تعليمه ، وكتابة العلم ، وشراء كتبه لله ، وقراءة القرآن ، والنظر فى المصحف ، ولو بلا قراءة ، وكتابته ، وشراؤه لله ، وتجليده ، وتجليد كتب العلم ، وصنعه ، ما يحتاج إليه ذلك على عدده ، والنظر فى وجه الزوج ، ونظره فى جه زوجه ، وكذا السريةُ من الجهتين ، والنظر فى وجه الوالدين ، والنظر فى وجه الامام العدل ، والنظر فى وجه العالم ، والنظر فى الكعبة ، والتزين لزوجها ، أو لمتسر بها ، والسلام فى البيوت ، وسلام الملاقاة ، ورد السلام ، وفرق الشعر : وقص الشارب ، ونتف الابط ، وازالة شعر العانة ، وقص الاظافر ، والدعاء مطلقا ، والدعاء بعد الصلاة ، ووصية الأقرب ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وصلة الرحم ، وطاعة الوالدين ولو علوا ، وطاعة الأخ الكبير ، والخوف ، والرجاء ، والتُقرب بالطاعة ، والتقرب باداء الديون ، ونفقة العيال ، واطعام من يجب اطعامه ، لاضطرار مخمصة ، أو وحم ، والتقرب بذلك على عدده ، واطعام الضيف ، والقيام بحقه ، والروع ، والنية ، والاستسلام لأمر الله ، والرضى بقضاء الله ، والتوكل على الله ، والتفويض الى الله ، والاستئذان فى البيوت ، والرحال ، والأذان ، والإقامة ، وصلاة الجماعة ، والصبر على الطاعة ، والصبر على مايكره ، والصبر عن المعاصى ، والوفاء بالعهد ، والوفاء بالنذر ، والوفاء باليمين ، إلّا يمين مكروهة ، أو معصية ، أو يمينا يرى غيرها افضل منها ، وحفظ الأمانة ، واداءها ، وكتمان السر ، والرجم ، والجلد ، والقطع ، والجلد على الخمر ، والجلد على البهتان ، والتعزير ، والنكال ، والأدب ، والحبس ، وقتال المفسدين ، والفئة الباغية ، وذكر الله ، واراقة مايسكر ، وافساده ، وقتل الخنزير ،

والاصلاح بين الناس ، وبناء المسجد ، وبناء المصلى ، ولو فى الدار ، والتزوج ، والتسرِّى ، والاشهاد عليهِ ، والرجعة من الفداء ، والإشهاد عليها ، والصداق ، ونصفه ، والمتعة والاشهاد على أنواع الديون ، والاشهاد على الأمانة أنها لفلان ، وبيان ذلك لورثته ، وبيان أرحامه لأولاده ، واتخاذه الوطن ، وبيانه لأزواجه ، وأولاده وعبيده ، ومن يصلى بوطنه ، والقيام بمال اليتيم ، ورده اذا آنس رشدَه ، والقيام بمال المجنون ، والقيام بمال الهرم ، والقيام بمال الغائب حيث يجب ، والحجزُ على السفيه فى ماله ، وقسَم الإرث ، وقَسم الاموال ، وتحمل الشهادة ، واداءها ، والذبح ، ونسك الولد ، وارشاد الضال ، والفتح على الإمام ، وتنبيهه ، وتنجية المضطر ، والطب ، والرقى ، والمداراة ، وحقوق الازواج ، وحقوق العشير ، وحقوق الصاحب ، وحقوق الجار ، وحقوق ابن السبيل ، وحقوق الأولاد ، وحقوق المماليك ، وحقوق الرعية ، وحقوق الراعى عليها ، كالامام ومن دونه ، والقضاء ، والافتاء ، والمصافحة ، والخطبة ، والوعظ ، ومسح رأس الصغير ، يتيم ، أو غير يتيم ، والإمامة الكبرى ، وأخذ الجزية ، وأخذ الغنيمة ، وقسمة ذلك ، وصرف مال بيت المال فى محاله ، والعيادة ، والزيادة ، للاحياء ، وزيارة الموتى ، والنصيحة ، وقتل المؤذى ، وأماطة الأذى عن الطريق

كمال الدين:المراد : مسائله ثلاثة : أى مناطُ كمالِ الدين ثلاثة ، لأنّ كماله مِن الثلاثة أو طرق كمالِه لأن أحكامه مأخوذةٌ من الثلاثَة : وهذا غيرُ مسالكِه لأنه أراد بمسالكهِ إنفاذ احكامه ، واجراؤها ، والمراد هنا : مسائله ، قال بعضٌ ، والدينُ وضعٌ الهى سائقٌ لذوى العقُول السالمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات ، ويتناولُ المسائل الأصول ، والمسائل الفروع ، والمحمود نعت لاختيار ، ويجوزُ أن يكونَ مفعولا به لاختيار ، أى لاختيارِهم ماكان محمودا ، فخرج اختيارُهم لما لم يكن محموداً ، ووضْع : بمعنى موضوعٍ سواء كان الموضوع حكما أم غيره ، بدليلِ الإخراجاتِ الآتية ، والموضعُ بمعنى الموضوع : مجاز لأنه مصدر بمعنى مفعول ، وجاز فى الحد للعلم بالمقصود ، واحترز بقوله « الهى » عن الأوضاع البشريةِ كالرسوم السياسية ، والتدبيرات المعاشية . والواضعُ لجميع الأشياء هو اللهُ عز وجل ، ونسبَ للبشرِ لملابستِهم اياه ، وذلك : كعلم إصلاح المنزل مِن العشرةِ مع الأهل ، والأخوان ، والتجارة ، والخياطة ، وكان القدماء ، يؤلفون كتبا فى سياسة الرعية ، واصلاح المدن فيحكم بها ملوك لاشرعَ لهم ، فانه وإن كان الخالقُ لكل الأشياء ، هو اللهُ تعالى ، إلا أن للبشر فى ذلك كسباً ، ولايلزمُ على ذلك . أن احكامَ

الفقهِ الاجتهادية ليست من الدين لأن للمجتهدين فيها كسباً وانما منه ماوردَ الاختلافُ فيه ، لأنا نقول هى الدين قطعا ، وهى موضوع الهى ، غاية الأمر أنها تخفوُ على غير المجتهد ، والمجتهد يعانى فى إظهارها ، والاستدلال عليها بقواعد الشرع ، ولامدخل للمجتهد فى وضعها ومعنى سائق : باعث ، لأن المكلفَ إذا سمع مايترتب على فعل الواجب من الثواب ، او على فعل المحرم من العقاب ، انساق الى فعل الأول وترك الثانى ، وخرج بهِ الوضع الآلهى غير السابق كانبات الأرض ، وامطار السماء كذا ، قيل وبحث بأنه سائِق لإصلاح المعاش ، فالأحسن التمثيلُ لغير السائق بالوضع الإلهى الذى لااطلاع لنا عليه ، فإن مالا نعرفه لايسوقنا الى شىء ، واحترزَ بقوله سائق لذوِى العقول ، عن الأوضاع الطبيعية ، التى يهتدى بها الحيوانات ، لخصائص منافعها وعن مضارها ، والمراد العقول السالمة من الكفر ، ومن عدم الفهم ، والمراد سائق لهم فقط ، وخرج مايسوقهم وغيرهم من الحيوانات ، كالاوضاع الطبيعية التى تهتدى بها الحيوانات ، وهى الإلهامات التى تهدى الحيوانات ، لفعلِ منافعها ، كنسج العنكبوت واتخاذ النحل بيوتا ، واجتناب مضادها ، كنفور الشاة من الذئب ، واحتَرز بقوله باختيارِهم المحمود : عن المعانى الاتفاقيةِ والطبعية من الإنسان ، كالآلام السائقة للأنين ، والوجدانياتِ كالجوع والعطش ، فانهما يسوقان الى الاكل والشراب قهرا ، وخرج ماباختيارهم المذموم ، كحب الدنيا ، فإنه وضْع آلهى باعث الى ترك الزكاة باختيارهم المذموم ، والاختيار المحمود لايسوق إلا الى الخير ، فانما ذكروا إلى ماهو خيرلهم ، ليتوصلوا إلى قولهم بالذات ، والخير الذاتى السعادة الأبدية ، واحترز بقوله إلى ماهو خير لهم بالذات ، عن نحو صناعِة الطب وصناعة الفلاجة ، فانهما ولو تعلقتنا بالوضع الآلهى ، أعنى تأثيرَ الأجسام العلوية والسفلية بخلقه تعالى ، وكانتا سائقتين لذوى العقول باختيارهم المحمود الى صنف من الخير ، لكن لاتؤديانهم الى الخير المطلق الذاتى ، وهو مايكون خيرا بالقياس الى كل شىء ، وهو السعادة الأبدية ، والقرب إلى خالق البرية ، بل إلى صنف من الخير ، وحفظ صحةِ أبدانهم بالحكمة والعقاقير ، اى أجزاء الأدوية وبنحو الأغذية.

وحاصل ذلك : أن الدين : الأحكام : التى وضعها الله عز وجل الباعث للعباد الى الخير الذاتى ، وتلك الأحكام كما تسمى دينا ، لأنه يدان عليها أى يجازى وتدان اى تعاد ، ويدان لها أى يخضع ، ولغير ذلك تسمى شريعة ، لأنها شرعت لإنقاذ النفسِ من الهلاك ، ومِلة : لأنها تمُل على مَن يأخذها ، كما أملها جبريلُ عليه السلام على رسول الله ﷺ ،

وكما أملها ﷺ على الصحابة ، وأملوها على التابعين ، وهكذا التنزيل مصدر فى الأصل ، جعل اسما للقرآن ، المنزل اسم مفعول .

والسنة بأنواعها : الصحيح والحسن وغيرهما إلا مااشتد ضعفهُ ، فانه كالموضوع لايُعمل به إلا فى الرغائب والرهائب ، ولا يعمل بالموضوع فى الرغائبِ والرهائب ، كما لايعمل به فى غيرهما ، وان عمل بمضمونه لم يجز نسبته للنبى ﷺ ، فى القلب ولابااللسان ، ولاكتابته عن النبى ﷺ ، ولاقراءته عنه ، ولاذكره إلا عن طريق التنبيه ، فانه يذكر للتنبيه تحذيرا عن أن يقال : إنه عنه ﷺ ، والسنة هى ماقاله النبى ﷺ ، أو اهتم به أو عزم عليه ، والعزم اقوى من الاهتمام ، أو قاله أحد ، او فعله بحضرته ، أو فى غيبته ، وبلغه ولم ينه عنه مما مرجعه الى العبادة ، وقيل أو الى المباحات ، مثل اكله ، وشربه ، ونومه ، ولباسه ، وسواء ماكان من غير القرآن بوحى أو بلا وحى ، أو ما كان مأخوذا له من القرآن ، وسواء ماوجب ، ومالم يجب .

والرأى : اَجتهاد العلماء ، وندين بتكفير من أنكره ،

واما الاجماع : فماخود من القرآن والسنة ، لكن خفى مأخذه منهما ، وهو اجتهاد ، وانما خفاؤه على غير المجمعين ، وقد يظهر لغيرهم أيضا ، واما ان كان صريحا فيهما أو فى أحدهما أو ظاهرا ، فيقال إنه من القرآن والسنة ، لامِن الإجماع المتكلَّم عليه ، ولو كان قد يطلق عليه الإجماع ، من حيث إنه لامحيدَ عنه للعلماء والأمة ، والجمعُ « أرْآء » ، بهمزة مفتوح ، فراء ساكنه فهمزة هى عين الكلمة بعدها ألف فهمزة أصلها ياءْ هى لام الكلمة ، قلبت همزة لتطرفها بعد ألف زائدة ، وأراء بهمزة فمتوحة ، هى عين الكلمة مقدمةٌ على فاء أفعال ، فقلبت الهمزة ألفا ، لاجتماع همزتين مفتوحتين ، بعدها راء هى فاء الكلمة ، وبعد الراء ألف أفعال ، وبعدها همزة هى بدل من لام الكلمة ، التى هى ياء ، ورى بضم الراء وكسرها بعدها ياء مشدودة ، قلبت الهمزة ياء ، وادغمت ، ورأى بفتح الراء وكسر الهمزة وشد الياء ، وأرى بفتح الهمزة واسكان الراء بعدها ياء ، وفيه تقديم العين ، أو حذفها ، والأولى أرء بفتح فاسكان فهمزة مكسورة وحذف اللام ، كأيد فى جمع يد ، وأدل فى جمع دلو ، فالتنزيل ، أخرجُوا أى أخذوا أو ميزوا ، أو عزلوا ، فان الإخراجَ يترتب عليه الأخذ ويلزمه هو والعزل والتمييز وكذا فيما بعد والضمير فى اختاروا للعلماء مطلقا ، لابخصوصِ المجتهدين ، لأن الاختيارَ يصلح أيضا لغير المجتهدين ، والاستنباطُ يختص بهم ، والمراد كل ذلك منه وجوها كثيرة المراد ، مسائل من العلم ، منها الاجماع لقوله

تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين) الآية : فاذا اجمعوا وخولِف اجماعهم ، فقد اتبعَ غير سبيلهم ، وان اختلفوا ، فكل مقلد قلد عالما نجا ، وصدق عليه أنه اتبع بعض المؤمنين ، واختاروا منها اختيار تعظيم على ماسوى الأربعة ، اذ هن مما بنى عليه الاسلام ، أربعة أوجه عدوها مما هو أعظم : الصلاة الواجبة وغير الواجبة ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، ومن انكر صلاة العصر أشرك كغيرها ، كما اسقط مسيلمة الكذاب المشرك صلاة العصر عن قومه مدعيا للنبوة ، وقد سألت عائشة بنتُ معاذ أبا محمد الشيخ عبد الله بن محمد اللنتى رحمه الله عمن أنكر صلاة من الصلوات الخمس ، فقال لايشرك ماأمقر بشيء منهن ، فقالت له تب أنه مشرك ، فيما ذكر الشيخ بتغورين بن عيسى وهو من تلامذته ، قلت الحق معها ، ومع الشيخ بتغورين ، وسأل الشيخ عبد الله بن محمد المذكور المكنى ابا محمد الشيخ يحيى بن أبى بكر ، وموسى بن على ، فقالا إنه لايشرك فقال لهما أجركما الله ، هذه عائشة بنتُ الشيخ معاذ سألتنى فقلتُ لايشرك كما أجبتانى ، فقالت لي فتبتُ فقالا : له كل من استتابَك عن الصواب ، تتوب ، فقال لهما : أى شيء أفعل قلت الصواب معها ، فى أنه يشرك لافى قولها إنه لايشرك ، لأن الصلاة المفروضة فى القرآن ، هى الصلوات الخمسُ اجماعا : وجاء الحديثُ بأنهم الخمسُ ، فمنكِر واحدة كمنكر للقرآنِ ، والحديث المتواتر ، والإجماع ، فلا يخفى انه مشرك

والزكاةُ زكاةُ المال ، وزكاة الفطر ، على أنها المرادُ« قد أفلح من تزكى »وهو مرجوح لايعمل به ، ولايفسر به القرآن ، وانما هى من السنة ، ولايجوز تفسير القرآن به ، لأن المعنى ، قد أفلح من تطهر من الشرك والمعاصى وصلى الخمس أو مع غيرها ، نعم روى عن على وابى سعيد الخدرى : أن المرادَ زكاةُ الفطر وصلاة العيدِ ، ونسبه بعض قومِنا أنه ظاهر المتقدمين ، ويبحثُ بأن كلام على وأبى سعيدٍ لم يوجَد فى كتب الحديث ، ويبحث بأن السورَة مكيةٌ وزكاة الفطر مدنية قال البراء بنُ عازب : أول من جاءنى من المهاجرين ، عمير بُن مصعب ، وابن أم مكتوم معا ، ثم عمار بن ياسر ، وبلال ، وسعد معا ثم عمر فى عشرين رجلا ، وماجاء هؤلاء إلا بعدَ ماقرأت سورة الا على وسورا ، وهذا هو الاصحُ وادعى بعضُ أن السورَة مدنيةٌ ، ويجاب أيضا بأن عدم ذكره فى كتب الحديث لايبطله ، اذا صح النقلُ ، واما مايظهر من أن تزكى بمعنى تطهر من الشرك والمعاصى ، فيقابله قوله تعالى « يؤتى ماله يتزكى » فانه بمعنى يكتسب الطهارة بتصدقه بماله ، والصحيح ماعليه الجمهور ، من أن « التزكى فى الآية » التطهر من الشرك والمعاصى

والصلاةُ : الصلوات الخمس واعترضَ تفسير التزكى : بزكاة الفطر بأن الصلاة فى القرآنِ مقدمة على الزكاة ، ويجاب بأن الحديث جاء بتقديم اخراج زكاة الفطر عن صلاة العيدين ، وبأن التقديمَ اذا ذكرت الزكاة باسمها ، وهنا ذكرت بالفعل ، وبقوله تعالى « فلا صدق ولاصلى » بتقديم اعطاء المال على الصلاة ، بلفظ الفعل ، وجاء الأثر عن الحسن بن أبى الحسن ، أول مانزل من القرآن بمكة (اقرأ باسم ربك ، ثم نّ ، ثم المزمل ، ثم المدثر ، ثم تبت ، ثم اذا الشمس كورت ، ثم سبح اسم ربك) ويجاب بأن ذلك مما تأخر حكمه عن نزوله ، نزلت بمكة ، وحكمه بالمدينة ، ويلزم على ماروى عن على ، وابى سعيد الخدرى أن تكون زكاة الفطر ، والتكبير من حين رؤية الهلال إلى تكبير الإحرام من صلاة العيد ، وصلاة عيد الفطر ، واجبات يهلك من تركهن ، ثم نسخ وجوبهن بزكاة الفطر ، والصلوات الخمس ، وانظر بم نسخ التكبير ، ولعلك لاتجد إلا مطلق الذكر ، والاصل ، عدم ثبوت الشىء ، ثم نسخه .

والصوم : صوم رمضان وقضائه فرضا أو نفلا ودخل فيه صومُ الكفارات ، وليس تفسير الآية بالصومِ بخصوصه صوابا ولادعوىَ انه مذهب الجمهور .

والحجّ وتبعته العمرةُ ويشمل الواجبين وغير الواجبين (من استطاع اليه سبيلا) من فاعِل الحج على إعمال المصدر المعرف بأل أو مَن ، بدل من الحج ، على حذفِ مضاف أى حج من استطاعَ إليه سبيلا ، والسنة اخرجوُا منها استنباطا واختيارا ، فشمل المجتهدَ وغيره ، والاستنباطُ يختص به .

ومن السنةِ : قصر الصلاة على الفرسخين ، ولولم يجاوِز الحوزة ، اذا لمْ يشترط فى الحديث مجاوزتهما ، ولو شرطه أصحابنا ، وجوها كثيرة ، واختارُوا منها أربعة ولبناء الصلاةِ على الاستنجاء ، وكذا الصوم ، فإن من قدر على الاستنجاء ولم يستنج لاغسل له ، ان غسل الجنابة ، أو الحيض ، أو النفاس ، أو غيرهن ، ومن لم يختتن ، وهو قادر فلا صلاة له ، ولاصوم ، ولاحج ، ولاعمرة ، وان فعلهن أعاد ، ولانكاح له ، وإن دخل عليها ، حرمت عليه ، وان ذبح حرمت ذبيحته ، وهو كالمشرك ومن لم يصل الوتر ، بات معه شيطان كصورة خنزير ، فى طول سبعين زراعا وقد قيل بوجوبه ، وقد الحق بالواجب ، فى صورة قوله ﷺ ، إن الله زادكم صلاة سادسة ، وقد علم أن ، أصل الرجم من القرآن الكريم والرجم أمر عظيم

الاستنجاء اى ازالة النجس، وهو نحو البول والغائط ، بنحو الحجارة وبالماء وان اقتصر على الماء أجزى بلا نحو حجر ، اذا استبرأ ، لما فسرت السنةُ به قوله تعالى (يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) عد من السننِ ولو كان من القرآن ولم يعد منه ، لأنه غير صريح فيه ، قال رسول الله ﷺ (من الفطرةِ قص الشارب ، واعفاء اللحية ، والسواك ، والمضمضة ، والاستنشاق وقص الاظافر ، وغسل البراجم ، ونتف الابط ، وحلق العانة ، والختان ، والاستنجاء وفرق الشعر ، وقال ﷺ (من استنجى من الريح فليس منا ، دل على انه اذا لاقت ريحُ الدبر بللاً فى الدبر ، ويتنجس الدبر ، وكذا ملاقاته هذه الريح ، من ثوب مبلول أو موضوع مبلول ، أو نحو ذلك لا ينجس ، والاختتان اى الختن وهو الواجب ، ان يقال عد من السنة ، ولو كان فى القرآن فى قوله تعالى (ملة ابراهيم) وقوله تعالى (ملة ابيكم ابراهيم) لأنه فيه غير صحيح ، لكن بينت السنة : أنه يعم الاختتان ، قال ابن عباس وشداد بن اوس عن رسول الله ﷺ : الختان سنة للرجالِ ومكرمة للنساء وكذا روى والد أبى المليح مرفوعا ولايجوز الاختتان بالنحاسِ أو المحمى بالنار ، فان فعل اجزأ ومن ولد مختونا بعضه ، زيد البعض الآخر ومنْ ولد على صورةِ المختون ، فقد كفى ذلك فيه ، وقيل يجُر على موضع الختان منه بالموسُى ، وأراه كالعبث ، وقيل يقطعُ من جلده شيء ، ويرده أن هذا القطع ظلم ، وليس بسنةٍ ، والسنة : قطع القلفةّ ، وهى غير موجودة ويجب قطع القلفة كلها ، ورخص أن قطع نصفها أن يبقى كذلك وانسب لمن رخص ان يرخص ، فى بقاء أقل من النصف ، قال رسول الله ﷺ (من كرامتى على ربى انى ولدت مختونا أى فى صورة المختون ، ولم ير احد سوأتى قلنا ذلك أيضا للنظافة ، اذ ولد نظيفا ، وهذا كما قيل (ولد ﷺ مدهوناً ، مكحولا أى فى صورة ذلك ، والمراد بقوله ﷺ : لئلا يرَى أحدٌ سوأتى : لئلا يتمكنَ أحد من رؤيتها ، كرؤية الخاتن والا فلا بد أن جده قد رآه رؤية خفيفة ، يعلم بها انه لايحتاج لختن ، وقيل ختنه جده عبد الملطب فى سابع ولادته ، ولعل المرادَ عمل له وليمة الختان ، وقيل ختنه جبريل عليه السلام ، حين شق صدره عند حليمة قيل .

وفى الرسل مختون لعمرك خلقةً ثمان وتسع طيبـــــون أكارم
وهم زكريا شيث ادرِيس يوسف وحنظلـــةٌ عيسى ومـــوسى وآدم
ونوحٌ شعيبٌ سام لوط وصالح سليمان يحيَى هودُ يَس خاتِـم

وهذا على ان ساماً نبى ، وذكر ابن حجران العرب تزعمُ ان الغلام اذا ولد فى القمر فسختْ قلفته أى اتسعت وتقلصت ، فيصير كالمختون وتختن المرأة استحبابا ، وذلك من فوق الفرج ، وقيل من جانبيه

والوتر بكسر الواو ، وفتحها فى قوله ﷺ (ان الله زادَ لكم صلاةً سادسة خيرٌ لكم من حمر النعم ، هى الوتر وقال الوتر واجب علىَّ دونكم وفى احاديث أنه أكيد على غيره ، وقال جماعة بوجوبه وكفر تاركه حتى خرج الوقت ، ولزوم الكفارة له ، وقتل من أنكره أو انكر الاختتان ، وعدم الصلاةِ عليه منهم ، ابنُ محبوب ، وليس كذلِك وقيل واجب ولايكفُر تاركه ولاكفارة عليه ، وفى الاثر كفرَ مصلى الوتر قبلَ غيوب الشفق داخل بلد فيه أقاربه ، ولم يصلهم ، ومؤخر غسل الجنابة مقدار مايغتسل ، أى نهارا فى رمضان ، لافى غيره ، ولافى القضاء ، وفى حديث (من لم يوتر فليس منا ، وهذا منسوخ بقوله : الوتر واجب علىَّ دونَكم) وكذا روايةُ أن الله زاد لكم صلاة سادسة منسوخ على فرض ، أن المقصودَ بزيادتها إيجابُها ، وذلك أنه قالَ فى حجة الوداع : لاصلاة عليكم إلا الخمسُ ، أو قالَ قبلَها أو لم ينزل بعدها حكمٌ ، واما حديث زاد لكمُ صلاةً سادسةً فالمرادُ زاد لكم فى الثواب لا فى الفرض ومنْ زعم أنه الصلاة الوسطى ، المذكورة فى القرآنِ عده أيضا من السنةِ ان ادعى حديثا ، مفسرا لهَا ، بالوترِ فلما بينتُه السنة من القرآن عد منها ، لكن الصحيح ، أن الصلاة الوسطَى غيرهُ ، ولم يصح حديث إنها هو وهُو من السنة ولو فوقَ عددِ وترِه ﷺ أو أقل بأن يوتر أحد بواحدة فقط ، لأنه ﷺ ، هو الفاتِح لبابِه ، على التوسعة فيه ، كما يسمى قيامَ رمضان ، ولو باربعٍ وعشرين سنةً لو فتحه ﷺ بثمانية واسم الوتر يطلق ، على واحدة منفردة ، وعلى واحدة تقدمها شفع وعلى الشفع والوتر معاً ، كل ذلك جائزٌ مستعمل فى الحديثِ والكتبِ واللغة

والرجم هو فى القرآن : فى قوله تعالى (الشيخُ والشيخة إذا زنيَا فارجموهُما البتة : نكالا مِن الله والله عزيزٌ حكيٌم) كانَ هذا فى سورةِ الاحزاب ، أو فى سورة النور قولانَ نسخ لفظه وبقى حكمه ، فعد من السنة ، اذ كونه من القرآن بطريق الآحاد ، وكونه من السنة بالتواتر ، ويحفر للرجل الى سرته فيرُجم ، وللمرأة الى ابطيها فترجَم ، ولابأسَ بالرجم لها بلا حفر ، وقد رجما على عهد رسول الله ﷺ بلا حفر ، وهرب رجل فكانوا يلحقونه ويضربونه حتى مات ، ويرجم العبد والأمة ان أحصنا ، وقيل لايرجمان لانهما مال ، بل يجلدان خمسين جلدة ، نصف ماعلى المحصناتِ إن لم يحصنا نكالا ، والنكال مافوق الحد أو دونه ، وقيل

لايبلغ به حد التعزير ، والتعزير مادون أربعين ، ويبدأ الإمام بالرجم أو غيره ، والأَولى أن يبدأ الامام ، وهو بالحجارة الوسطى لابالكبار ، لئلايشوه ولابالصغار لئلا يعذب ، واجيز الرجم بنحو الفُخّار والعظام .

واللائط يرجم ، أو يلقى من شاهق ، أو يقتل بالسيف ، أقوال والصحيح الأول ، ويرجم ناكحُ البهيمة على الصحيح ، وقيل تلقى عليه برد عتها ، ويُقعد عليه حتى يموت ، وقيل : أن أقر بدأ الإمام ، أو شهد عليه ، بدأ الشهود .

ويحضر الرجم أربعة من كبار المؤمنين ، وقيل اثنان ، وقيل عشرة ، ولا يرجم إلا المحصن ، ويحصن الحر البالغُ الموحدُ العاقل السالمُ من عيب مانع لجماع الحرة ، وتحصنهُ الحرةُالتى هى كذلك ، وان لم يتماسا عند جابر وقيل بشرط التماس ، ويحصن الحر الذى هو كذلِك ، والامةُ لاتحصنه وتحصن حرةٌ عبدا ، ولا يحصنها ، ولايحصن طفلٌ بالغة ، ولامجنون عاقلة ، ولاتحصن كتابية موحدا ، ويحصنها ، وتحصنُ الأمة عبدا ، ويحصنها ، ويحصن مشرك مشركة ، ومشركة مشركا ، ويحصن مفتولٌ ومجبوب حرة وأمة وموحدة ومشركة ، وتحصنها حرة ، ولايحصن عنينٌ ومستأصل زوجة ، وفى الخصى قولان ، ولاتحصن الرّتقاءُ زوجَها حتى تعالج ، ويحصنها زوجها ، وقيل لايحصن مشرك مشركة ، ولاتحصنه إن عقدا فى الشرك ثم اسلما ، إلا إن تماسا فى الاسلام ، وكذا قيل لايحصن عبد أمة ، ولاأمة عبدا إلا إن تماسا بعد عتق ، ويحصنُ الرجل زوجه ، وتحصنه مادامت فى عدة رجعية ، وان خرجت عنها ، او كان الطلاق بائنا ، او فداء ، أو ثلاثا أو افترقا بلعان ، أوظهار ، أو ايلاء ، او حرمة ، أو موت : فقولان ، اختار الديوان بقاء الإحصان ومن شرط فى الاحصان المسَّ اكتفى بمس الدبر ، ومس الحيض ، والنفاس ، والاعتكاف ، والمس ، فى البدن بالذكر ، والمس باليد فى الفرج وروى أن رسول الله ﷺ رجم ماعزا ، قال أبو سعيد خرجنا به إلى البقيع، فوالله ماحفرنا له ، ولأأوقفناه ، ولكنه قام لنا ، ورميناه بالعظام والخزف ، وروى مسلم عن بريُدة : أن رسول الله ﷺ أمر فحفِر له حفرة ، فجُعل فيها إلى صدره ، ثم أمر الناس أن يرجموه ، ثم حُفر أيضا للغامدية حفرة ، فجعِلت فيها إلى صدرها ، ثم أمر الناس أن يرجموها

قال البيهقى : ففى الحديث : إثبات الحَفْر للرجل والمرأة جميعا ، وروى البيهقى ، فى الشاب المعترف بالزنى : أنه : أمر رسولُ اللهِ ﷺ أن يُحفرَ له ، فحفروا له ، فرموه بالحجارة حتى سكن ، وروى أنه ﷺ أمر أن يحُفرَ لامرأة فحفر لها إلى الثدى ثم رماها بحصاة مثل الحمصة ، ثم قال ارمُوا واجتنبُوا الوجه ، ولما ماتت أخرجَها فصلى عليها .

روى البيهقى عن ابن عباس عنه ﷺ : اقتلُوا البهيمةَ ومن زنى بها ، وفى رواية عن ابن عباس : من وجدتموه وقع على بهيمة فاقتلوا البهيمة معه ، فقيل لابن عباس : ماشأن البهيمة ؟ قال أرى رسولَ الله ﷺ كرِهَ أن يؤكل لحمها أو ينتفع بها بعد ذلك ، قال أيضا روينَا : أن النبى ﷺ ، قال (ملعون من وقع على بهيمة) وقال (اقتلوه واقتلوها لا يقال هذه الذى فعل بها كذا وكذا) قال : وروينا عن ابن عباس ، أنه لاحد على مَن أتى بهيمة ، ورواية ثبوت الحد عليه أقوى وأصح ، لأنها من رواية عَكرِمة عند أكثر الأئمة من الثقات ،

قال البيهقى : وروينا عن جابر بن زبير من أتى بهيمة ، أقيم عليه الحد ، وسئل الحسن ابن على عن رجل أتى بهيمة ؟ قال إن كان محصنا رجم ، وروى عن الحَسن البصرى أنه مِثْل الزانى ، والرأى اخرجوا منه أى لأجله ، أو به وجوها كثيرة ، واختاروا منها أربعة أوجه ، الفقد مثل الغيبة ، المراد حكم الفرد ، وهو أن يؤجل أربع سنين ، سنة لكل جهة يبحث عنه فيها ، ويحكم له بالإرث فيها وفى ماله بانفاق من لزمته نفقته ، وان شاءت زوجته طلقت نفسها اذا مضت له فى فقده سنتنان ان شرطت ذلك ، واذا تمت أربع سنين انقطع ذلك ، وصار ميتا بالحكم ، وورث ماله ، فإن كانت له زوج اعتدت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرا ، سواء كان طفلة ، أم بالغا ، حرا ، أو عبدا ، عاقلا ، أو مجنونا ، موحدا ، أو مشركا ، ويحتاط لها : قيل بعد ذلك : بأن يطلقَها وليه ، فتعتد عدة الطلاق ، وقيل يطلقها وليه ، فتعتد عدة الطلاق ثم تعتد للوفاة ، فان لم يكن له ولى ، طلق الامام ، أو نائبه ، أو الجماعة ، وكذا إن كان وليه طفلا ، أو عبدا ، عاقلا ، أو مجنونا ، موحدا ، أو غائبا ، وقيل يستخلف له من يطلق ، ولايعد طلاق الولى أو الامام تطليقا من الثلاث ، فان قدم كانت له على ثلاث ، ولو تزوجت واختارها ، وان قدم رد الورثة ماورثوا من ماله ، والواضح اذا أريدت الحوطة أن يطلقها الإمام أو نائبه ازالة للتعطيل كما أن شأنه ذلك فى قولٍ ، فى بعض الصور ، واما الولى فليس بسيد يطلق على عبده ، ولابامام ينفذ الأمور ، ولم يرو عن عمر رضى الله عنه أنه طلق عن المفقود ، ولا أمر ولى المفقود أن يطلق عنه ، ولاعن غيره من الصحابة

وعن ابن مسعود مدُة الفقْدِ سبع سنين بموحدة ، وعن على ست سنين ، وحكم الغائب حكم المفقود ، إلا أنه يحكم بموته اذا تمت له سبعون سنة بباء موحدة ، ويعدُّ له من حين ولد ، ويجزى ما غلب ولو قليلا ، ويدل لذلك قوله ﷺ « أقل أمتى أبناء سبعين » رواه أبو هريرة وعنه ﷺ « أقل أمتى الذين يبلغون السبعين » رواه ابن عمر فباعتبار الحديثين :

يكون الحكم فى الغائبِ من السنة ، لامن الرأى ، وقيل فيه بمائة وعشرين ، وقيل بخمسة وسبعين بالموحدة ، وقيل بتسعين بمثناة

وسواء فى أحكام الفقد والغيبة ، الحر ، والعبد ، والذكر ، والأنثى ، والطفل ، والكبير ، والحساب من حين الفقد ، لا من حين الحكم به ، والفقد : بالماء ، والحريق ، والحرب ، والخروج ليلا لالحاجة عُلمت له بلاسلاح ، وبالتخلف عن الرفقة ، وقيل فى المتخلف ومحمول سيل بالغيبة

والإمامة الكبرى : الموضوعةُ لإنفاذ الأحكام كلها ، وأجاز بعض العلماء أن يتفقد فى الكتمان ، والشراء والدفاع كل ما قدر عليه من أحكام الظهور ، حتى صلاة الجمعة ركعتين ، والعمل بغير هذا القول ، والأولى فى الإمامة : أنها من السنةِ ، لأنه ﷺ : إمام كبير ، وأسرَّ بامِامة الصديق ، وإمامة الفاروق بعده ، ولأنه يذكر الأئمة ، ويأمر باتباعهم مالم يخالفوا الحق ، ورواية الأئمة من قريش ، وغير ذلك

والحد فى الخمر : ولو قليلا لا يسكر ، وقيل أن أسكره ، أوكان يسكر غيره ، شهدوا على شربها ، أو تقيأها ، وكل ماأسكر فهو خمر ، وكذا الإسكار برائحة تسكر يحد فيها حد الخمر ، أو تقيأها ، يضرب الحر والحرة ثمانين جلدة ، والأمة والعبد اربعين ، وذلك : انه استشار عمر رضى الله عنه الصحابة فى الخمرِ يشربُها الرجل ، فقال على نرى أن نجلدَه ثمانين « فإنه إذا شرب سكر واذا سَكر هذَى افترى ، وعلى المفترى ثمانون جلدة » فجلد عمر ثمانين ، وكذلك قال عبد الرحمن بن عوف لما استشار عمر الصحابة يجلد كأخف الحدود ، ثمانين ، أى أخف حدود الأحرار ، وهى حد المفترى : وكذلك روى أبو هريرةَ والسائب وابن عباس وعقبة بن الحارث وأبو سعيد وخالد بن الوليد والمهاجرون والأنصار ، قال ابن عبد البر : انعقد الإجماع على ذلك يعنى إلا قليلا : فقد روى أن عثمان جلدَ أربعين ، والجالد عِلى ، ثم انعقد الإجماع مطلقا على ثمانين فى خلافِة عثمان بعد جلْده أربعين : رجع إلى ثمانين على عهد على معه ، وقد يقال إن الثمانين سنة . روى أنس أنه أتى رسُول الله ﷺ برجل وقد شرب الخمر ، فضربه بجريدتين أى بعصوين مجردتين عن الخوص أربعين ، فذلك ثمانون لأنه قرنهما ، وكذلك روى أنه جلده أربعين بنعلين ، لو احتمل أنه جلد عشرين بواحده ، وعشرين بأخرى وقال الشافعى : انه من روى أن الجلد ثمانون فهو صحيح ؛ لأن السوط له اذ ذاك طرفان ، ومع ذلك : يقال : إن الثمانين بالرأى لأن الأربعين بمضاعفة آلة الضرب غير صريحة بالثمانين ، ويروى ان النبى ﷺ جلد أربعين ، وان أبا بكر جلد أربعين ، وان عمر جلد ثمانين.

ويدرأ الحدُّ عمن شرب نباتا مسكراً ولا يدرى أنه مسكر للشبهة ، ومادة الخمر من المخامرة ، وهى المخالطة ، اذا خالط العقل بالتغيير ، أو من التغيير ، أو تغيرت رائحته

وميراث الأجداد : من جهة الأب ، والجدات من جهته ، أو من جهة الام ، السدسَ بالنصب ، مفعول به لميراث ، لأنه بمعنى الإرث أو بالرفع : بدل من ميراث ، بمعنى مال موروث ، أو نصب ، والأولى : أن ميراثَ الأجداد والجدات من السنة ، روى بريدة أنه ﷺ جعل للجدة السدُسَ إذا لم تكن دونها أم ، وروى معقل بن يسار وبريدة وعبدالله بن عباس : أن النبى ﷺ « ورّث الجدةَ السدس » قال ابن مسعود وبلال بنُ الحارث : أنها أم الأم ، ويجوز أن يُراد من أى جهة كانت ، بمعنى حكم للجدة بالسدس سالما ، رواه الحاكم : أنه ﷺ ، قضى للجدتين بالسدس أى حكم بأخذهما ، ويحتمل واقعة حال يقاس عليها ، وروى أبو داود مرسلا : أنه ﷺ ، أطعم السدُس ثلاث جدات : جدتين من الأب ، وجدة من الأم ، وروى قبيضة بن أبى ذؤيب : أن الجدة جاءت إلى أبى بكر رضى الله عنه ، تسأله ميراثها ، فقال « مالَك فى كتاب الله شيءٌ » وماعلمت لك فى سنة رسول الله ﷺ شيئاً فارجعى حتى أسأل الناس ، فقال المغيرة بن شعبة ، حضرت رسول الله ﷺ ، أعطاها السدس ، فقال هل معك غيرُك ؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصارى فقال مثل ماقال المغيرة ، فأنفذلهَا أبو بكر السدُس ، وجاءت الجدة الأخرى الى عمر رضى الله عنه تسال ميراثها فقال لها « مالك فى كتاب الله شيء » وماكان القضاءُ الذى يُقضى به إلا لغيرك ؟ ومأأنا بزائد فى الفرائض شيئا ، ولكن هو ذلك السدس ، فان اجتمعتما فهو بينكما ، وأيتكما خلت به فهو لها ، يرى ان التى قضى لها أبو بكر أم الأم والتى قضى لها عمر أم الأب ، قالت ياأمير المؤمنين ، أنا أولى بالميراثِ منها ، لأنها لو ماتت لم يرثها ابن بنتها ، ولو مت انا ورثنى ابن ابنى وعنه : ﷺ ، للجد ميراث الأب ، وعنه ﷺ أنه قالَ للجدتين » لكما السدس ، ان اجتمعتما فهو بينكما ، وايتكما خلت به فهو لها ، رواه أبو داود والنسائى وصححه ، وابن خزيمة وابن الحارود ، وقواه ابن عدى وروى ابن ماجه الى معقل بن يسار ، أنه قضى رسولُ ﷺ فى جد كان فينا بالسدس ، وهذا فى الجد الذكر بلا تاء ، وماقبلة بالتاء ، فكل من ميراثِ الاجداد والجدات من السنة ، لامِن الرأى

ويروى أنه قضى رسول الله ﷺ لثلاث جدات ، بالسدس ، ثنتان من قبل الأب ، وواحدة من قبل الام ، وروى أنه جاءت جدتان إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فاراد أن يجعل السدُس للتى من قبل الأم ، فقال له رجل من الأنصار اما أنك تترُك التى لو

ماتت وهو حى كان اياها يرث ، فجعل السدس بينهما ، قال الحسن سئل عمر رضى الله عنه عن فريضة رسول الله ﷺ فى الجد ؟ فقام معقل بن يسار فقال : قضى فيها رسول الله ﷺ بالسدس ، قال عمر من مَن ؟ قال لأدرى ، قال لادريت ، فما يغنى اذا فرز الدين ثلاثة ، أى أهل تمييز الدين ، والمراد دين الاسلام وغيره ، أى أهل تمييز أهل احدهما من أهل الآخر ، ويجوز أن يريد الدين المعهود ، وهو دين الإسلام من غيره ، ونسبة الفرز الى الثلاثة ، لأن الفرز فيهم بينهم ، والفارز حقيقة العلماء الناظرون.

وطفل المتولى محكوم له بحكم أبيه ، وكأنه موف ، ومن جهل حاله فهو فى نفسِ الأمر أحد الثلاثة ، ويجوز أن يرادَ فرز الدين لازم معرفة ثلاثة ، اى اذا عرفت الثلاثة لزم أنك فارز ، أو يراد فرز الدين مسبب معرفة ثلاثة ، فإن معرفة الثلاثة سبب للفرز ، وذلك بعيد ، لأنه لايتبادر أن يريد الإخبار بأن معرفة الثلاثة سبب الفرز ، وايضا هى نفس الفرز ، ولا أن يريد الإخبار بأن معرفة الثلاثة ملزوم الفرز ، وكذا الكلام فى قوله حرز الدين وقوله : حد الدين المسلم : أى الموحد ، وإن أراد به الموفى فقوله المقر الموفى بما أقربه ، صفتان كاشفتان ، وكذا فى قوله ، والمنافق الخ صفتان كاشفتان ، وقوله : والمشرك الخ صفة كاشفه ، والموفى بالشد والتخفيف الآتى بالامر . وافيا ، فالمراد انه أتى بمضمون ماأقربه من جمل التوحيد ، فان الألوهية تقتضى أن يعبد الله ، ورسالته ﷺ بمعنى : أنه جاء من عند الله بامتثال الأوامر ، واجتناب المناهى ، فالمسلم هو المؤدى للفرائِض المجتنب للكبائر .

والمسلم فى اصطلاح فقهائنا : هو الموفى ، ومع ذلك كثير مايستعملونه بمعنى مطلق الموحد ، وقد ذكر الفخر فى سورة لقمان ، مايوافق ذلك الاصطلاح من أن اسمَ الفاعل لما رسخ ، والموحد الفاسق غير راسخ فى الاسلام ، والمنافق المقر المظهر بتوحيده أو مع عمل بعض الاعمال الصالحات ، أنه موف بدين الله ، الخائن فيما أقربه ، أى فى حق ماأقر به من الجمل الثلاث ، وفى ضمنهن اداء الفرائض ، واجتناب المعاصى ، اذا ترك الفرائض أو بعضها ، أو فعل بعض الكبائر فى خفية أو ظهور ، فهذا الترك أو الفعل مخالف لظاهر كلمة الشهادة ، اذ ظاهرها ان لايترك فرضا ، ولايفعل كبيرة ، فلما خالف هذا الظاهر ، ولو فى اعلان سمى منافقا ، أى خارجا من غير المدخل ، ومخفيا لما أظهر ، كما يظهر اليربوع بابِ الدخول ، ويخفى باب الخروج ، وكداخل النفق الخارج منه ، وهو سِرب فى الأرض مخلص الى مكان ، ويجوزُ ان يكون من نفقتِ الدابة ، أو الرجل إذا مات ، فانه يفعل الكبيرة شبيهة فى المضرة بما مات فى مضرةِ الموت ، وعدم الانتفاع ، أو من نفق بمعنى نفدَ

وفنى ، فإن عملَ المنافق من توحيده وغيره ذاهب بالكبيرة ان لم يتب ، أو من نفقت السلعةُ أو غيرها اذا غلت بالرغبة فيها ، وكذا هو يرغب الناسَ بكلمة الشهادة ، أو مع غيرها مِن الدين

والالِف فى تلك المعانى كلها للمبالغة فيها ، أو للتعدية ، تقول نافقه ينافقه نفاقا أو منافقةً فهو منافق له ، اى عامله بتلك المعانى ، وسواء فى ذلك : أن يضمر التوحيد كما أظهره وخالفه بفعل الكبيرة جهلا ، أو مع علمه بأنها ذنب أو كبيرة ، أو مع اعتقاد أنها حلال جهلا منه ، أو ديانة كالديانة فى الأصول بما يخالف الحق ، كاعتقاد الرؤية ، فهؤلاء كلهم لهم اسم منافق ، لامشرك أو يضمر الشرك ويظهر التوحيد ، فهذا له اسمان مشرك للشرك فى قلبه ، ومنافق لاضماره خلاف ماأظهر ، وكل من النفاق بالكبيرة ، والنفاق باضمار الشرك واقع فى زمان رسول ﷺ ، والمشرك الجاحد لله ، أو لرسول من رسله ، أو نبى من أنبيائه ، أو كتاب من كتبيه ، أو حرف منها ، أو حركه حرف أو سكونه ، مما يتعين ولم يجز غيره ، وقيل كلمة ، وقيل كلام تام ، وقيل آية ، ودخل فى الجاحد من لم يعرف الله ، لا بالإثبات ولابالنفى عبد غيره أو لم يعبده ، ومن لم يعرف من تجب معرفته من الرسل ، فالمراد بالجاحد خلاف المثبت حرز الدين ، مايحرز الأعمال التى هى عبادة قلبية أو جارحية فلا يبطل ثوابها

واما العبادة التَّركية ففى قوله : وترك المعاصى فالدين هنا العبادة : لا الأحكام الشرعية ، والحرز بمعنى الحارز ، أو آلة تحرز ، أى الحفظ ثلاثة : ولاية من علمت منه خيراً وفاء بدين الله ، أو بأكثره أو بكثير ، والباقى خفى عليك حاله ، فتحسن الظن فيه شاهدته أنت ، أو أخبرك به متوليان ، أو متولى ومتولاتان قيل أو متولى ، ولو عبدا قيل أو متولاة ولو أمةّ ، والعمل بالأول ، أو شهر فى الخير ، من عرفه ذكره بالخير ، ومن لم يعرفه لم يذكره بخير ولاشر ، وليس ذلِك داخلا فى الشهادة ، لأنه شهر فى العامة وإن شهر فى أهل ولايتك أيضا ، فأنهم يذكرونه فى الخير على وجه تقوم به حجة الولاية ، أو ذكر فى القرآن أو الحديث المتواتر ، قيل أو الآحاد اذا صحت ، أو الإجماع اذا علمت بذكره فى ذلك ، أو بالاجماع ، أو اخبرك بذلك من تتولى بِه على مامر من الأقوال ، وقيل بولاية من ادعى الإسلام ورأيت منه بعض خير ولم تعلم منه كبيرة ، وبراءة من علمت منه شرا أى كبيرة ، ومنها الإصرار على المعصية بالمشاهدة ، أو باخبار متولين ، أو متولى ومتولاتين ، قيل أو بمتولى واحد حر ، أو بالشهرة ، أو بذكره بسوء فى القرآن أو فى الحديث المتواتر ، أو

الاحاديث بعلمك بذلك ، أو باخبار امينين ، قيل أو بأمين واحد ، اعنى الامانة أن يكونَ بصفة الولاية ، وترك المعاصى كلها صغارِها وكبارها ؛ لأن الولاية لاتدخل على من فيه خلقُ السوءِ ، فكيف تدخل على من فيه خلقُ سوء وتوليته ، ثم أحدث خلق سوء ، أو علمت أنه سبق على ولايتكِ ، فانك تبقيه على الولاية ، ولا يستوى مع مَن لم ترفيه خلقَ سوء ، لاقبل ولابعد ، ومن عمِل واتقى كعمل الملائكة وتقواهم ، ولم يتول ولم يتبرأ لم ينفعه عمله وتقواه ، وقد يمكن أن لايقوم له مايتولى أو يتبرأ به ، فلا تجب عليه الولاية والبراءة ، ولاتجوزان له ، إذا قلنا لاتجب ولاية الجملة ، وبراءة الجملة ، حتى تقوم الحجة بها ، وهو لم تقم عليه ، لكن لايبقى عليهِ أن يتولى النبى ﷺ ، وان يتولى الله عز وجل ، ويتولى نفسَه واطفاله ، ولم يذكر الوقوف ، لأنه ضرورى ، فيمن لم ير فيه موجبَ براءة ، ولاموجبَ ولاية ، ويستعملها فيمن رأى فيه موجبهما ، وقيل : أى تلفظ أو تكلم ، ولذلك : عداه بالباء بالوقوف ، أى الامساك عن امضاء الولاية ، أو البراءة ، لو عبر بالوقف لجاز ، وليس اولى من الوقوف ، كما قيل بل الوقوف أولى من الوقف ، لأنه لازم ، واما الوقف فقد يكون متعديا ، ولا وجه للتعدى هنا إلا أن يتوهم أنه وقف نفسه عن الإمضاء ، وفيه تكلف ، ولايخفى أن الوقوف هو المشهود المستعمل ، وموافق فيمن لاتعرفه بموجب أحدهما ، حتى تعرفه بانه موف ، فتتولاه او صاحب كبيرة فتبرأ منه ، يعنى أنه ذكر بعض العلماء بدل المعاصى ، الوقوف فيمن لايعرف حاله ، فيدخل ترك المعاصى فى الدين بمعنى العمل الصالح

والتقوى : حد الدين ، ثلاثة مانع الدين من أن يدخل فيه ماليس منه ، أو يخرج منه بعض ماهو منه ، والمراد بالدين : الأعمال والتروك ، التى هى طاعة ، معْرِفة مالا يسعُ الناس جهله طرفة عين قدر ايقاع النظرة الخفيفة ، أو قدر غمضها فهو من الاضداد ، وهو التوحيد وخصاله ، كالاقاويل العشرة ، ونحوها ، وصفة خطر فى قلبه أنه يُوصف الله بها أولا يوصَف ، أو سئل عنها فيجبُ عليه السؤالُ فى الحين ان لم يعرف الحكم ، وكصفة أخبر أنها صفةُ الله عز وجل ، فيجب عليه اعتقادها فى الحين ، وكولاية الجملة وبراءتها ، وكمعرِفة أن قولَ الهين اثنين معصية وكفر وشرك ، وعليه عقاب ، وعلى تركه ثواب ، كما لزمه معرفة أن قولَ لا آله إلا الله طاعة وفرض ، وتوحيد عليه ثواب ، وعلى تركه عقاب ، وكذا محمد رسول الله ، وقيل فى قولنا محمد رسول الله يجب عليه أن يعلم أنه طاعة وفرض ، وعليه ثواب ، ولايلزم ان يعلم أنه توحيد ، حتى يأخذ .

ولزم فى خصالِ التوحيد أن يعلمَ أنها طاعة وفرض وعليها ثواب ، وعلى تركها عقاب ، ولايلزم أن يعلم أنَها توحيد حتى يأخذ ، ولزم فى سائر الفرض أن يعلم أنها طاعةٌ وفريضة وعليها ثواب ، ولايلزم أن يعلم انها على تركها عقاب حتى يأخذ ، وقيل يلزم فى الصلاة ، وقيل فى جميع الفرائض ولزم فى خصال الشرك ، أن يعلم أنها معصية ، وكفر وعليها عقاب ، ومنها ترك خصال التوحيد ، ولايلزم أن يعلم انها شرك حتى يأخذ ، ولزم فى سائر الكبائر أن يعلم أنها معصية وكفر ، وعليها عقاب ، قال رسول الله ﷺ (مامن حيوان أو جماد إلا يعلمُ أنى رسول إلا كفَرةُ الجن والإنس) وفعل مالا يسع الناسَ تركه ، وهو جميع الفرائض العينية ، والكفائية كالأذان ، وصلاة الجماعة فى قول ، وصلاة الجنازة وغسل الميت ، وسواء فى الفرائض ماوقته على الفور ، كولاية الجملة ، وبراءتها ، وبراءة الاشخاص وولايتها ، اذا قامت الحجة بها بمشاهدة أو سماع ، أو بلا فور كالصلاة وسع وقتها ، وكالحج وسع فيه ، وفى الوصية به ، والزكاة كذلك ، وقيل اذا لم يعْطها حتى دخل الوقت الثانى هلَك ، ولايكفر بتأخير زكاة الحب حتى يموت لامؤديا ولاموصيا ، واذا عذر بجهل شىء كالربا والقسمة كفر بالجهل إذا قارف فيه ، ولزمه العلمُ حين اراد أن يقارف ، وقيل لا يلزمُه ، ولكن يكفر بالمقارفِة وترك مالا يسع الناسَ فعله ، وهو جميع المعاصى ولو صغائر ، أو لايدرى أنها معاصٍ

ومسالك الدين : أى الأحكام الشرعية أربعة : أى الطرقُ التى يتوصل بها إلى انفاذ الأحكام الشرعية أربعة : الظهور بالإمامة الكبرى لإنفاذ حقوق الله ، وحقوق العباد ، ولايزول أمامها إلا بالإحداث فى الاسلام ، أو زوال عقل ، أو عدم نفع به ، والدفاع للعدو إذا جاءهم ، أو جاء أموالهم ، أو جاء من يريدون دفع الظلم عنه بامام ينصب له ، واذا زال العدو ، زالت الإمامة فتجدد له ، أو لغيره لحادث ، وقيل يجوز نصبه على استمرار ، وابقائه اذا نصب بلا قيد استمرار ، وبلا نفى استمرار ، فلا يزول بزوال الحرب ، بل يبقى لما يحدث منها

والشراء : شراء الإنسان نفسه من النارِ أو شراء الجنة بنفسه ، أو بيع نفسه بالجنة ، فان الشراءَ يطلق أيضا على البيع ، والكتمان : المحافظة على الدين ، بحيث لو أظهر لعطل عنه ، ومنع منه فمن ضيع دينه ، فليس جاريا على حكم الكتمان ، كما أنه ليس على الظهور ، ولاعلى الشراء ، ولا على الدفاع فالظهور : أى أهل الظهور كالنبى ﷺ فى المدينةِ وفى مكة بعد إسلام عمر ، وكأبى بكر ، وعمر أو الظهور كظهور أبى بكر وعمر ، يصليان الجمعة ، ويجلِدان ، ويرجمان ، ويقطعان ، ويغزوان ، ويقيمان الثغور ، ويجمعان الزكوات ، والغنائم

والدفاع : كعبد الله بن وهب الراسبى نسبة إلى بنى راسب : قبيلة من العرب ، أمام الدفاع ، وامام المحكّمة القائلين لاحكم إلا لله : لقوله تعالى ، وماكان لمؤمنٍ ولامؤمِنة إذا قضى اللهُ ورسوله امرا أن يكُون لهم الخيرةُ من أمرهم وقوله تعالى (فقاتلوا التى تبغى حتى تفِيء الى امر الله) .

وأول من قال لاحكم إلا للهِ وسل سيفَه عروةُ بنُ أدّية وضرب الأشعث وأصاب عجز دابتهِ ، والصحيح : أنه سبقَ إلى ذلك غيره .

والشراء : كأبى بلال مرداس بن حدير بالحاء المهملة ، ويروى بالجحيم يخرج أربعون رجلا فصاعدا ، أو يكون الأكثر رجالا ، والاقل نساء كما تم أربعون بالنساء فى دار الأرقم على الصف ، ومنهم عمر آخرهم رضى الله عنه ، فانزل الله عز وجل (ياأيها النبى حسبُك اللهُ ومن اتبعك من المؤمنين) نزلت فى مكة وجعلت فى سورة مدنية ، ولهم الرجوعُ إذا نقصوا عن ثلاثة ، ولو أوجبوا على أنفسهم ان يرجعوا ، ولو نقصوا عنها فى قول ، ولهم الرجوع متى شاؤا اذا اشترطوا هذا ، ولو لم ينقصوا عنها فى قول ، ولهم شرطهم مطلقا ، ويصلون التقصير فى وطنهم وامياله ، والتمام فى غيرها وكذا أزواجهم : وقيل التمام مالم يخرجن منها ، وكذا كل من تعلق إليهم من العبيد ، وأزواج العبيد ، وازواج الاطفال : إذا قلنا الوهبية : نسب الى عبدالله بن وهب الراسبى ، فلا اشكال فى تسمية أصحابنا العمانيين ، والخراسانيين ، وغيرهم وهبية .

واذا قلنا : نسب الى الإمام عبد الوهاب فى المغرب ، فكيف يسمى أهلُ المشرق كأهل عمان وخراسان وهبية .

الجواب : أنهم يسمون وهبية ؛ لأنهم مقرون بأنه إمام عدل على الصواب ، وانه وإياهم شملهم مذهب وديانة واحدة ، وقد قال الربيع : وهو فى البصرة عبد الرحمن بن رستم إمامنا :

والكتمان : أى مسلك الكتمان كمسلك النبى ﷺ فى دار الأرقم قبل تمام الأربعين ، وكأبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، يذكره قومنا ، ويذكرون ضمام بن السائب ، والربيع بن حبيب ، ويذكرون ابن محبوب ذكرا قليلا ، ويذكرونهم فى الثقات ، وأبى الشعث جابر بن زيد يذكره قومنا كلهم ذكرا كثيرا ، وشهروه وعدوه فى الثقات .

أما أبو بكر فهو أفضلُ من غيرِ الأنبياء ، واسمهُ فى الجاهلية « عبدُ الكعبةِ » فسماه رسولُ اللهِ ﷺ « عبد الله » وقيل : اسمه « عتيق بن أبى قحافةَ عثمان بن عامر بن عمرو

كل واحد منهما ، وبين مرة ستة أشخاص ، وأمه : أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر ، وهى : بنت عم أبى قحافة ، وقيل اسمها ليلى بنت صخر بن عامر ، أسلمت قديما حين كان المسلمون فى دار الأرقم ، قيل نزل قوله تعالى (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمتَ على وعلى والدىّ) فى أبى بكر وأبيه أبى قحافة وأمه أم الخير وأولاده ، واستجابة دعائه فيه ، ولم يكن أحد من الصحابة المهاجرين والانصار أسلم هو وأبوه وأمه وأبناؤه وبناته غير أبى بكر ، ولقب عتيق ، لما روته عائشةُ رضى الله عنها : أن النبى ﷺ ، نظر إليه فقال : هذا عتيق من النار ، وقال الليث بن سعيد : لجمال وجهه ، والعتق الجمال ، وقال موسى بنُ طلحة بنُ عبيد الله : كانت أمه لا يعيشُ لها ولد ، ولما ولدته استقبلت به البيت ، ثم قالت اللهم هذا عتيقُك من الموت ، فهبه لى ، فعاش ، فسمته عتيقا ، وكان يعرف به ، وقال الأزدى : كانت أمه إذا هزته . قالت عتيق ، وما عتيق ذو المنظر الانيق ، رشفت منه بريق ، كالزرنب الفتيِق .

وقيل كان له أخوان : عتق وعتيق ، فسمى باسم أحدهما ، وقال مصعب وطائفة ، من أهل النسبِ سمى عتيقا ، لأنه لم يكن فى نسبه شىء يعاب به ، وقال أبو الفضل نعَيم بن دكين : سمى بذلك ، لأنه قديمُ الخيرِ ، والعتيق القديم ، وكان من صغره لا يعرفُ منه إلا الخير ، وسماه النبى ﷺ صِدِّيقا ، وقال يكون بعدى خليفة ، ولا يلبثُ إلا قليلا ، وكان على يحلف بالله : أن الله انزل اسم أبى بكر الصديق ، أى لتصديقه خبر الاسراء ، قالت قريش : أرأيت أنّ صاحبك قال إنه بلغ بيت المقدس فى ليلته ، ورجع فيها ، فقال : إن قال ذلك فقد صدق ، وقيل : لأنه صدق النبى ﷺ أول الرجال قال حسان :

اذَا تذكرت شجْوا من أخى ثقة فاذكرْ أخاك ابا بكرٍ بما فعلَا
خير البريــة أزكاهَــا وأعدلُهــا بعـد النبـى وأوفاهَــا بما حملا
والثانى التالى المحمودُ مشهــدُه وأول الناسِ طرا صدق الرُسلا

وقيل فيه :-

وسميت صديقــا وكل مهاجــر سواك يسمى باسمه غير منكر
سبقتَ إلى الاسلامِ واللهُ شاهد وكـنتَ رفيقــا للنبــىِ المطهــرِ

وقيل : لأن الله صدقه ، وقيل اسمه أبو بكر من أول

ويلقب ذا الخِلال لعباءةٍ كان يتخللها ، قاله ابنُ دريد ، وروى : أنه كان له يومَ أسلم أربعون الف دينار ، انفقها فى سبيل الله ، حتى تخللَ بالعباءةِ

وكان ﷺ ، يقضى فى ماله ما يقضى فى مال نفسه ، وكان رجلا نحيفا ، خفيف اللحم ، ابيض خفيف العارضين ، معروق الوجه ، ناتىء الجبهة ، غائر العينين ، اجنأ ، لا يستمسك إزاره ، يسترخى عن حقوه ، عادى الأشاجع ، يخضب بالحناء ، والكتم ، وعن قيس بن إبى حازم : قدمت على أبى بكر مع أبى فى مرضه الذى مات فيه ، فرأيتهُ رجلا أسمر خفيف اللحم ، خرّجه أبو بكر بن مخلد ، والمشهور ما تقدم ، من أنه أبيض ، ويروى أن فيه أدمة ، وأنه طويل .

وكان أصغر من النبى ﷺ بسنتين أو ثلاث ، والصحيح أنه اكبر منه بذلك ، أسلم وهو ابن سبع وثلاثين ، أو ثمان وثلاثين على القول الأول ، وعاش فى الإسلام ستا وعشرين سنة ، وكانت ولادته بمنى ، بعد الفيل ، ولم يكن أحد يفتى بحضرةِ النبى ﷺ غيره ، كذا قال الشيرازى ، وكان يتنزه عن شرب المسكر فى الجاهلية ، ومعروق الوجه : قليل لحم الوجه ، حتى يتبينَ حجم العظم ، وأجنأ بالجيم والهمزة أخراً ، متحن أو هو بالحاء المهماه والالف ، أحرا ، والأ شاجع : أصول الأصابع

وفتحَ فى مدته اليسيرة اليمامة ، وأطراف العراق ، وبعض مدن الشام ، قال ابو الهيثم بن التيهان :

وإنى لأرجـــوأن يقـــومَ بأمرنـــا ويحفظنا الصديقُ والبر مِن غدى
أولاكَ خيارُ الحى فهى بن مالك وأنصار هذا الدينِ من كل مقتدى

قال له الصحابةُ حين مرض : الَا ندعوا لك طبيبا ؟ فقال قد نظر الىّ قالوا ما قال لك ؟ قال لى « انى فعال لما أريد » ومات رضى الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان بقين من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وله رضى الله عنه ثلاث وستون سنة ، وسبب موته : حزنه على رسول الله ﷺ مع سم سنة أثارة غسل فى يوم بارد ، حم به خمسة عشر يوما

ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وثمانية أيام ، قال الزهرى : رأى رسول الله ﷺ رؤيا فقصها على أبى بكر كأنى استبقْت أنا وأنت درجة ، فسبقتك بمر قاتين ونصف ، فقال يا رسول الله : يقبضك الله الى رحمته ، وأعيش بعدك سنتين ونصفا ، قال الزهرى : إن أبا بكر والحرث بن كلدة كانا يأكلان حريرة ، اهديت لأبي بكر ، فقال الحرثُ ارفع يدك ، ياخليفة رسول الله ان فيها لسم سنه ، فماتا فى يومِ واحد لسنه ، وقال ابن اسحاق مات

يوم الجمعةَ لليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، وقيل عشاء يوم الاثنين ، وقيل عشاء الثلاثاء ، وهو الاكثر ، وقيل ليلة الاثنين ، بين المغرب والعشاء ، لثمان بقين من جمادى الآخرة ، لمعنى سنتين وستة اشهر ، من وفاة النبى ﷺ ، وهو ابن اثنتين وستين سنة ، وستة أشهر ، وقيل سمته اليهودية فى أرزةٍ وقيل فى حريرة .

قال ﷺ « لما عرج بي قال لى ربى على مَن تركتَ أهلَ أرضى ؟ فقلت : على أبى بكر الصديق فقال : أماأنه أحب عبادِى الىّ بعدك ، فاقرئه منى السلام

وإمامة عمر كلها حسنة من حسناتِ ابى بكر ، لأنه استخلفه هو ، وكلاهما حسنة من حسنات النبى ﷺ

قال الفخرُ دفع النبى ﷺ خاتمه إلى ابى بكر ، ليكتب عليه « لا إله إلا الله فدفعه أبو بكر إلى النقاش ، وقال اكتب عليه « لا إله إلا الله محمد رسول الله ولما جاء به أبو بكر إلى رسول الله ﷺ ، وجد فيه لا إله إلا اللهُ محمد رسول الله ابو بكر الصديق » فقال ﷺ ماهذه الزيادةُ ياأبابكر ؟ فقال يارسول الله مارضيتُ أن أفرق اسمك عنِ اسم الله تعالى ، وأما الباقِى فما قلته ، فنزل جبريل عليه السلام فقال : إن الله تعالى يقولُ : انى كتبتُ اسمَ أبى بكر ، لأنه مارضِى أن يفرقَ اسمك عن اسمى ، فأنا مارضيت أن أفرق اسمه عن اسمك وبسطت فضائله فى شرح لامية ابن النظر .

واما عمر : فهو عمرُ بن الخطابِ بنُ نفيل بنُ عبد العزى بنُ رباح بنُ عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدى بن لؤى ، ويقال عمرُ بن الخطاب بن نفيل بنُ عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بنُ زراح بن عدى بن كعب ، وهو الصواب : يلتقى هو وروسُول الله ﷺ عند كعبِ ، وبين كعب وعمر ثمانية آباء ، وكنّاه ﷺ أبَا حفص ، والحفص ولد الأسد ، وذلك يومَ بدر ، ولقبه ﷺ بالفاروق ، يوم أسلم فى دار الأرقم عند الصفا ، وفرق اللهُ به بين الحق والباطل .

وأمه خيثمةُ بنتُ هاشم بن المغيرة بنُ عبد الله بن عمر وبن مخزوم ، وقالت طائفة خيثمة بنتُ هشام بن المغيرة ومن قال ذلك أخطأ اذ لو كان كذلك ، لكانت أخت أبى جهل بن هشام والحرث بن هشام ، وليس كذلك : وإنما هى بنت هاشم بن المغيرة ، وإن هاشماً وهشام والد الحارث ، وابى جهل ، وام عمر بنت عمهما وهاشم بن المغيرة جد عمر لأمه ، وكان يقال له ذو الرمحين .

وولد عمر بعد الفيل بثلاث عشرة سنة ، والكوفيون يرون عمرَ شديدَ الأدمة ، وأهل الحجاز يرونه أبيض أمهق ، وكان طوالا أصلع أجلح شديد حمرة العينين ، خفيف العارضين فى وجهه أثر الجدرى ، وهو : وخالد بن الوليد متشابهان جدا ، وكان كثَّ اللحية ، أعسر أيسر ، شديد الأدمة ، وعليه الأكثر ، وقال الواقدى :لايعرف أنه آدم ، إلا أن تغير لونه بأكل الزيت عام الرمادة ، وهو أعوام قحط ، هلك فيها الناس ، والأموال ، من رَمدت الغنم هلكت ، أو كانتِ الأرض والجو كالرماد ، والمهقة شدة البياض ، والأصلع الذى انحسر شعر مقدم رأسه ، والأجلح الذى انحسر عن جانبى رأسه ، والانزع فوق ذلك ، وأعسر أيسر الذى يعمل بيمناه ويسراه ، ويقال له الأضبط ، وسبلته كثيرة الشعر فى أطرافها صهبة ، اذا اشتد عليه أمر فتلها ، وكان أروح ، وكأنه راكب والناس يمشون ، والأروح الذى تتدانى قدماه اذا مشى ، وقال الجوهرى : تتباعدُ صدورُ قدميه ، وتتدانى عقباه ، قال وهب بن منبه صفة عمر فى التوراة : قرن من حديد ، امين ، والقرن : الجبل الصغير ، كان يخضب بالحناء ، والكتم ، وعن ابن عمر :أن عمرَ كان لا يغير شيبهُ فقيل ياأمير المؤمنين : ألا تغير ؟ وقد كان أبو بكر يغير ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول (من شاب شيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيامة ، وما أنا بمغير) والأول أصح ، وكان يأخذُ أذنه اليسرى بيده اليمنى ، ويثب على فرسه ، ويلبس جبة صوف مرقعة بأدم ، ويطوف فى السوق معه الدرة ، يؤدب بها الناس ، وكان بين كتفيه أربع رقاع فى قيمصه ، ولما قدم الشام لقيه الجنود وعليه ازار فى وسطه ، وعمامة ، قد خلع نعليه ، وخاض فى الماء آخذا بزمام ناقته ، وكان من ليف ، فقالوا له يا أمير المؤمنين الآن يلقاكَ الأمراء ، وبطارقة الشام فأركبوُه برذوناً وأبدلوا له لباسا ، ومشى قليلا ، فقال : كدتم تهلِكون أميرَكم ، ردوا الى مرقعتى ، وراحلتى ، وانما أعزنا الله بالاسلامِ والسيف وكان فى ثوبه رقاع بعضها من جلد . قال معاوية : أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده واما عمر فارادته ولم يردها ، واما عثمان فأصاب منها ، واما نحن فتمرغنا فيها ، ظهراً لبِطن ، وفتح الفتوح العظام ، ومات فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة

وهو أول من وضع التاريخ ، وذلك فى السنة السابعةَ عشر ، وفى خاتمهِ ، « كفى بالموتِ واعظا ياعمر » واما الخاتم فى كتابه : فخاتم رسول اللهِ ﷺ ، وفى السنة الرابعةَ عشر من الهجرة مات أبو قحَافة رضى الله عنه بعد وفاة ابنه أبى بكر بسنة ، وله سبع وتسعون سنة ، قال زيد بن ثابت : رأيت على عمر مرقعةً فوقها سبع عشر رقعة ولما احتضر ، قال ورأسهُ فى حجر ابنِه عبدالله .

ظلـــومُ لنفسِـــى غير أنى مسلِـم أصلـــى الصـــلاة كلهـا وأصـــومُ

قال عمر رضى الله عنه : خرجتُ فى أيام الجاهلية إلى دمشق تاجراً مع اصحابى ، فلما قضينا حاجتنا ، وخرجنا نحو مكة تذكرت حاجة فرجعت إليها فبينما أنا فى السوق ، اذا أنا ببطريق مِن كداء الروم ، قد أخذ بعنقى وأدخلنى كنيسة فيها ترابٌ كثير ثم ناولنى مجرفة وزنبيلا ، وأمرنى بنقله ثم ضم أصابعه وضرب رأسى ، فضربته بالمجرفة فتناثر دماغه ، فواريته تحت التراب ، وخرجت على وجهى لاأدرى أن أتوجه ، فوصلت إلى دير ، فخرج منه راهب ، فقال من أنت ، أراك تنظر بعين خائف ، فقلتُ ، أضللتُ أصحابى ، فأدخلنى الدير ، وأطعمنى وسقانى ، وقال : ياهذا : قد علِم أهل الكتاب أنى أعلمُهم بكتابهم ، وإنى وجدت صفتَك انك تخرجنا من هذا الدير ، وتملك هذه البلدةَ ، فقلت له ياهذا الرجلُ قد صنعتَ معروفاً فلا تكدره ، قال اكتب لى كتاباً فى رق ليس عليك فيه مشقة ، فان تك صاحبَنا فهوما نريد ، وإن تك الأخرى فلن يضرك ، فكتبت له ، ثم ختمتُ عليهِ فأعطانى نفقة وأثوابا ، ودابة ، فقال اركب عليها فإنك لاتمر بك على ديرٍ إلا علفوها وسقوها ، حتى تصل مأمَنكَ فاضرِب وجهَها مدبرة ، اى اصرفها ، فانها لاتمر علَى قومٍ إلا علفوها وسقوها حتى تصِل الينا ، فركبت ، فلم أمر بقوم إلا فعلوا ذلك ، حتى أدركت أصحابى متوجهين إلى الحجاز ، فضربت وجهها مدبرة ، ثم قدم عمر فى خلافته إلى الشام فجاءَ الراهب ، وهو صاحب الدير القدس بذلك ، فعرفه عمر فقال له أوفِ لى : فقال عمر ان أضفتم المسلمين ، وهد يتموهم ، إلى الطريق ، ودوايتم مرضاهُم فعلنا ذلك ، فقال الراهب نعم ، ياأمير المؤمنين فوفى له بشرطه .

وعمره ثلاث وستون ، وهو الأشهر ، وقال سالم بنُ عبد الله خمسُ وستون ، وبه قال الشعبى ، وعن ابن عباس ست وستون ، وقال قتادة ، احدى وستون ، وقيل خمس وخمسون ، وصلى عليه صهيب ، وروى أنه جرح ثلاث جراحات يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وقيل غرة المحرم لتمام ثلاث وعشرين ، ودخل عليه كعب الأحبار رحمه الله ، فقال ياأمير المؤمنين : اعهد فإنك ميت لثلاثة أيام ، وذلك قبل أن يطعن ، ولما مضى يوم دخل عليه فقال ياأمير المؤمنين : بقى يومان ، ومن الغد : قال يوم وليلة إلى صبحها ، فطعن فى صلاة الصبح ، فانه بقى بعد الطعن ثلاثة أيام ، أيضا وقال سعد بن أبى وقاص ، طعن يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة ، سنة ثلاث وعشرين ولما طعن ، ودخل عليه كعب ونظر اليه عمر انشد عمر

توعدنى كعبٌ ثلاثاً اعدهَا ولاشك أن القولَ ماقاله كعب
ومابِى حذار الموتِ انى لميت ولكن حذار الذنب يتبعُه الذنب

ودفن فى يوم الأحد ، صبيحةَ هلال المحرم ، وقيل لثلاث بقين منه ، وقيل غرة المحرم سنة أربع وعشرين ، وأنزله فى قبره علىّ ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، وسعد بن أبى وقاص ، وقيل صهيب ، وابنه عبد الله بن عمر ، واستأذن عائشة رضى الله عنها أن يدفَن فى بيتها مع صاحبيه ، فقال كنت احب ذلك لنفسى ، ولكن أثرتك بِه ، ولما حمل وكان مغلقا ، ووصل اليه انفتح له ، وأطلت ذكر فضائله فى شرح لامية ابن النظر .

وأما عبدُ الله بنُ وهب الراسبى ، فهو : من الأزد ، وهو أول إمام عقَد له أصحابنا الإمامةَ ، وراسب قبيلة أوحىّ ، قال المبردُ فى الكامل : أراد المسلمون أن يبايعوه ، وكره ، وأبوا إلا إياه ، ولما رأى منهم العزم قال : ياقوم استبيتوا الرأى ، ويقول نعُوذ بالله من الرأى الدبرى ، أى دعوا رأيكم تأتى عليه ليلة ثم تعقبوه

وكان رحمه الله ذَا رأى ، وفهم ، ولسان ، وشجاعة ، وأنما لجؤا إليه لقول معدان
سلام على من بايع الله شاريا وليس على الحزب المقيم سلام

كذا قيل : ولفظ المبرد مانصه : ذكر أهل العلم من الصفرية : أن الخوارج لما عزموا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبى تكرّه ذلك ، فأبوا مَن سواه ، ولم يريدوا غيره ، فلما رأى ذلك منهم ، قال « ياقوم استبيتوا الرأى » أى يقول دعوا رأيكم تأتى عليه ليلة ثم تعقبوه ، يقال : بيت فلان كذا وكذا إذا فعله ليلا ، وفى القرآن « اذ يبيتوُن مالا يرضى من القول » اى اداروا ذلك ليلا بينهم ، وانشد أبو عبيدة :

أتونى فلم أرضَ مابيتُوا وكانوا أتونى بأمر نكره
لِانكحَ أيمهم منذرَا وهل ينكحُ العبد حر بحر

والرأى الدبرى : الذى يقعُ بعد وقوع الشىء ، قال جرير :

ولايعرفوُن الشر حتى يصيبَهم ولايعرفون الأمر إلا تدبرا

وكان عبدالله بنُ وهب ذا رأى ، وفهم ، ولسان ، وشجاعة ، وانما لجؤا اليه لقول معدان
سلامٌ على من بايَع الله شاريا وليسَ على الحزب المقيم سلام

أه كلام المبرد ، وكانت الأباضية والصغرية حزبا واحدا ، ولما ظهر من الصفرية القول بأن كل ذنب أو كل كبيرة شرك ، تبرأ منهم الأباضية باصنافها ، واعتزلوا عنهم ، وكان عبدالله بن وهب ممن حاربَ عليا بالنهرْوان ، قال المبردُ يقالُ : أول من حكمهمْ عروة بن

أديّة ، واديّه جدةٌ : له فى الجاهلية ، وهو عروة بن حدير ، احد بنى ربيعة بن حنظلة ، وهو غير زيد بن حصن الطائى بكسر الحاء ، ومعنى حكم ذكر التحكيم بالنفى ، قال لاحكم إلا لله ، وزيد خرج مع عبد الله بن وهب ، وأنه امتنع عليهم ، وأومأ الى غيره ولم يقنعوا إلا به ، فكان إمام القوم ، وأول سيف سل فى التحكيم ، فسيف عروة بن اديه ، قال الأشعث : ماهذا التحكيم ، أيكون أمرا أوثق من أمر الله ؟ ثم شهرَ عليه السيفَ ، فصادق عجُز بغلته

وروى أن عليا قال : لاتقتلوا أهلَ النهروان حتى يبدءوكم ، قلت هو كلام حق ، لولا أنه عسكر بمن معه وقابلهم فما شرعوا ، حتى قتل رجل منهم ثلاثة ، وهو من الخوارج ، وقال :

اقتلهُـــــم ولاأرى عليـــــا ولـو بدَا أو جرتـه الخِطيّـا

فخرج علىّ اليه فقتله ، فلما خالطه السيف ، قال حبذا الروحة إلى الجنة ، قال عبدالله بن وهب ، ماأدرى إلى الجنة أم إلى النار ، رواه المبرد ، وانما قال ذلك لأن الرجلَ أزرق يحل الدمَ والمال بالذنب ، ولأنه بدأ القتال .

وقيلَ:أول من حكمّ رجل من بنى سعدِ بن زيد مناة بن تميم بن مر من بنى صريم يقال له الحجاج بن عبد الله ، ويقال له البرك ، وهو ضاربُ معاويةَ حين توجَه إلى قتله فقبضَ عليه ، وأولُ من حكم بين الصفيين ، رجل من يشكر بن بكر بن وائل ، وكان فى أصحاب على ، ولما قال عبدُالله بن وهب : لاأدرى إلى الجنة أو إلى النار ، انخزل رجلُ من بنى سعد بألف ، وكان أصحابنا والأزارقة جنداً واحدا ، ولما ظهر منهم القول بإباحة الدم والمال بالذنب ، فارقهم أصحابنا كابنِ وهب عبد اللهِ ، وهو القائل بعض أصحابه ،

خلعْنا عليـا وابَـن عفـان قبلـه ولم نغل لما أن غلَا نجلُ أزرق
ودِنـا بدِيـن الهاشِمـــى محمَـــد ودينِ أبى بكْر وصاحبِه التقـى
ودِين بن مسعُود ودينِ ابن ياسر ودين ابنِ وهب راسبِى موفـق

وكذا ، قال فى الخوارج الذين جاء فيهم الحديث : أنهم يحلون الدماء والاموال بالذنب :-

برئتُ من الخوارِج لست منهُم من الغزّالِ منهم وابن باب
ومـن قومٍ اذا ذكـــروا عَليـــا يردون السلامِ على السحَـــاب

ولكنـــى أحب بكـــل قلبِ واعلـــم أن ذاكَ مِن الصواب
رسُول الله والصديـــق حبـــا به أرجـوا غدا حسن الثـوابِ

وأرادَ بالغزال ، واصلَ بن عطا ابا حذيفة ، وهو معتزلى ، ولم يكن غزّالا ، ولكن يلزم الغزالين ، ليعرف المتعففات ، ليجعل صدقته فيهن ، وابن باب معْتزلىّ أيضا ، والذين يسلمون على السحاب الروافض ، يقولون إن فيها عليا ، واما أبو بلال مرادس بن حديد ، فهو أخو عروة ، فأما فى العراق فى أيام يزيد بن معاوية على عبيدالله بن زياد ، وانما اماته على من خرج معه ، ويروى أن أبا بلال دعا الله عز وجل ، وتبارك وتعالى هو وأصحابه ، فانشق سقف البيت ، وهو بيت لبنى تميم ، اجتمعهوا فيه حتى رأو السماء شقا واسعا ، وذلك علامة على أن الشراء حق ، وذلك حين أرادوا الشراء ، فطلبوا من الله علامةً على رضاه بخروجهم ، وكثيرا مايخرج إلى ساحة الدار بليل ، ويقول « لو أرادوا الخروجَ لأعدوا له عدة » ويقول لأصحابه : عرضت نفسى على اللهِ فلم أره يقبلنى .

قال أبو سفيان محبوبُ بنُ الرحيل أبو محمد بنُ محبوب « أخبرنى أبو العلاء بن الشهيد رجلٌ من حجبةِ الكعبة وهو مِن قومنا عن بعضِ آبائه ، قال : إنى لفى الطوافِ فى ليلة صاحيةٍ قمراءَ فإذا برجل تحت الميزاب ، يرغب الى الله ، ويدعو حتى الح ، وقال اللهم حاجتى ، وكرر فسمعهُ أهل الطواف ، فقالوا اللهم اقضِ حاجته ، فقال اللهم : إن كنتَ رضيتَ ماأريد ، فارنى من ذلك علَما ، قال فقطرت عليه من الميزاب قطرات ، وذلك لأنه دخلَ فى الحجر الحطيم ، ودعا تحت الميزاب ، ولما أحس بالماء دخل فى الناس متغيبا ، فاذا هو أبو بلال ، ومن شجاعته أن غيلانَ بن خرشة ذكر أصحابه عند ابِن زياد ، فقال له ابو بلال : بلغنى أنك ذكرتَ أصحابى مايؤمنك أن يلقاكَ رجل أحرصُ والله على الموت منك على الحياة ، فينفذك برمحه،فقال لن أذكرهم بعد ، وأنه وقف على جماعة من قومه ، وسلم وقال شاب منهم فرسك حرورى ، فقال وددت واللهُ لو أو طأته بطنك ، فى سبيلِ الله ومضى فقال الفتى لأصحابه : إنى مقتول فمشوا إليه بالفتى ، وقالوا اصفح عنه فصفح ، وقال : إذا كنتَ فى مجلس فاحسن حملانَ رأسك

ومن كلام أبى بلال

مَن كان من أهل هذَا الدين كان له وذى وشاركتـه فى تالـدِ المال
اللهُ يعلـــم أنى لا أحبهم إلا لو جهك دون العم والخَال

وادية : أمه،وقيل : جدته ، ولما قتل أبو بلال : ومات يزيدُ بالشام ، هرب عبيد الله بن زياد من العراق خوفا على نفسه ، قال المبرد : قال زياد على المنبر : لآخذنّ المحسنَ فى المسىء ، والحاضرَ فى الغائب ، والصحيحَ بالسقيم ، فقام إليه أبو بلال مرداس فقال : ماهذا ذكر الله إذ قال « وابراهيمَ الذى وفّى ، ألا تزِر وازرة وزر أخرى ، الخ وهذه سبب خروجه فى الشراء ، وذلك من الخطبة البتراء ، لأنه لم يصلِّ فيها على النبى ﷺ

ونصها : الحمدُ لله على إحسانه ، وأفضاله ، ونسأله مزيدا من نعمه ، اللهم زدتنا نعما ، فالهمنا شكرا ، على نعمك علينا ، أما بعد : فان الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والفجورَ الموقِد ، لاهله النار ، الباقى عليهم سعيرها ، مايأتى سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام فيشب فيها الصغير ، ولايتحاشى عنها الكبير ، كأن لم تسمعوا نبى الله ، ولم تعلموا كتاب الله ، ولاماأعد فيه من الثواب الكريم ، لأهل طاعته ، والعذاب الاليم لأهل معصيته ، فى الزمن السرمد ، الذى لايزول ، تكونون كمن طرفت عينيه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ، واختار الفانيةِ على الباقية ، ولاتذكرون انكم احدثتم فى الإسلام الحدثَ الذى لم تسبقوا إليه ، ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلجَ الليل وغارة النهار ؟ تعتذرون بغير العذر ، وتعطفون على المختلس ، كل امرىء منكم يذب عن سيفهِ صنيعَ من لايخافُ عاقبةَ ولا يخشَى معادا ، ماأنتم بالحلماء ، ولقد اتبعتمُ السفهاء ، ولقد كنتم فى مكانِس الريب ، حرام علىّ الطعامُ والشرابُ حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا ، وإنى رأيت هذا الأمرَ لايصلحُ إلا بما صلح به أوله ، لين فى غير ضعف ، وشدة فى غير عنف ، وانى لاقسم بالله ،لآخذن الولى بالولى ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والصحيح بالسقيم ، حتى يلقى الرجل منكم أخاه ، فيقولُ انج سعد ، فقد هلك سعيد ، أو تستقيم لى قناتكم ، إن كذبة المنبر مشهورة ، فاذا تعلقتم علىّ ، فانا ضامن لما ذهب لكم اياى ، ودلج الليل ، فإنى لاأُوتَى بمدلج إلا سفكت دمه ، وقد اجلتكم فى ذلك ، بقدر مايأتى الخبرُ الكوفة ، ويرجع إياى ، ودعوى الجاهلية : فإنى لاأجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه ، وقد أحدثتم أحداثا لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرّق قوما غرقناه ، ومن حرّق على قوم حرّقناه ، ومن نقبَ بيتا نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبرا دفنته فيه حيا ، فكفوا عنى أيديَكم وألسنتكم اكفف عنكم لسانى ويدى واياى ، لايظهر من أحد منكم خلافَ ماعليه عامتكم إلا ضربت عنقه ، وقد كان بينى وبين قومٍ أحسن فجعلتُ ذلك دبرَ أذنى ، وتحت قدمى ، فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا ، ومن

كان مسيئا فلينزع عن إساءته ، إنى لو علمت أن احدكم قتله السل من بغضى ، لم اكشف عنه قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدى لى صفحته ، فإذا فعل لم أناظره ، فأستأنفوا أموركم ، واعينوا على نفوسكم ، فرب مبتئس بقدومنا سيسر ،ومسرور بقدومنا سيبتئس

أيها الناس : إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم زادة ، نسوسكم بسلطان الله ، الذى اعطانا ،ونذود بفىء الله الذى خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا ، وفيئنا ، نصحا ، واعملوا ، إنى مهما قصرت عنه فإنى لا أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حق ، أو حاجة منكم ولو طارق بليل ، ولاحابسا رزقا ، ولاعطاء عن إبانة ، فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم ، فأنهم ساستُكم المؤدبون ، وكهفكم الذى اليه تأوون ، ومتى تصلحوا يصلحوا لكم ، ولاتشربوا قلوبَكم بغضَهم ، فيشتد لذلك غيظكم ، ويطول له حزنكم ، ولاتدركوا حاجتكم ، مع أنه لو استجيب لكم لكان شرا لكم ، أسأل الله أن يعين كلا على كل ، فاذا رأيتمونى أنفذلكم الأمر ، وإن لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاى

فقام إليه عبدُالله بن الأهتم ، فقال : اشهدُ أيها الأميرُ أنك أوتيت الحكمة وفصلَ الخطاب،فقال :كذبت ذلك نبى الله داود .

فقال الأحنف رحمه الله « قد قلت فأحسنت أيها الأمير » والثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، وانا لن نثنى حتى نبتلى ، فقال زياد ، صدقت فقام إليه أبو بلال مرداس ابن أديه جدته ، وقيل أمه وقال أنبأنا الله بغير ماقلت ، قال الله تعالى « وابراهيم الذى وفى . ألا تزر وازرة وزر أخرى ، الى قوله الأوفى وقيل إلى سعى ، فما وعدنا اللهُ خير مما وعدتنا يازياد ، فقال زياد إنا لانجِد إلى ماتريد أنت واصحابُك سبيلا ، حتى تخوض إليها الدماء.

وروى أنه خرج أسلم بن زرعة الكلابى فى الفين ، لمحاربة ابى بلال مرداس ، وكان أبو بلال مرداس فى أربعين رجلا ، فانهزم اسلمُ منه فلاموه على ذلك ، وذمه ابن أبى زياد ، فقال لئن يذمنى ابنُ أبى زياد حيا خير لى مِن أن يمدحنى ميتا وكان أسلم بعد ذلك إذا خرج إلى السوق ومر بصبيان صاحوا به ، أبو بلال وراءك ، فكبرُ ذلك عليه ، فشكاهم إلى ابن أبى زياد ، فأمر صاحب الشرطةِ أن يكفهم عنه ، وفى ذلك من جبن أسلم ونحوه ، قيل يقول:

جبانُ القوم فى حالِ سكره وقد شرِب الصهباءَ ، هل مِن مبارز
وأينَ الخيولُ إلا هو جياتٌ فى الوغى انازِل منهم كل ليثٍ مناهـز
ففى السكرِ قيسٌ وابن معدى وعامر وفى الصحو تلقاه كبعض العجائز

وكان مع شجاعته شديد الخوف من الله عز وجل ، مر على الحدادين ، فغشى عليه ، ومعه أعرابى فرشه بالماء ، حتى أفاق وذلك لتذكره لنار جهنم ، ورأى رجلا فغشى عليه فرشهُ الأعرابى حتى أفاق ، وقال لأن الرجلَ كثيرا ما أراهُ فى مجالسِنا ، وتركها إلى حالة من الهيئةِ والغلمان والنزهة ، فاستعذت بالله من الشقوة ، ومر على امراة جسيمة عليها زينة عظيمة ، فغشى عليه ، فرشه حتى أفاق ، وقال تذكرت تقلبها فى النار مع حالها ، ومن ورعه وورع اصحابه أنهم يبيعُون حلى سيوفهم للحاجة ، ويروى أنه سئل بعد الثلاثة ، فاجاب بذلك مرة ، ومن أمانته انه سجنهُ ابن زياد مع جماعة من المسلمين ، فرأى السجانُ اجتهادَه فقال ان بت فى أهلِك أفترجع ؟ قال نعم ، فأتاه فى أهله أن ابن زياد يقتلهم ، وقال له أهله اتق الله فى نفسك ، قال أتريدون أن ألقى اللهَ غادرا ، فقال للسجانِ علمتُ أن ابنَ زياد يريد قتلنا ، قال علمت ورجعت ، قال نعم ، وقتل من فى السجن ، وأخبر السجان ابن زياد برجوعه وفاء ، لحق الوعد فاطلقه .

وأما جابرُ بن زيدٍ رحمه الله ، فهو من قرية تسمى فرق ، وهو من اليحمد ، ولد عمر بن اليحمد من الازد ، أزد عمان ، ولد سنةَ ثمان عشرة ، ومات سنةَ ثلاث وتسعين كما فى الجواهر للبرادى ، تلميذ الشيخ عامر رحمهما الله ، وقيل ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، مات عمرُ سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، وولد جابر سنة إحدى وعشرين ، ومات سنة ست وتسعين ، كما فى سير الشيخ أحمد رحمه الله ، ويروى أنه مات فى سنة مائة وثلاث فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، وروى أنه مات هو وانس بن مالك بالبصرة فى جمعة واحدة لسنة ست وتسعين ، وذكر ابو طالب مكى ، وليس مكيا ، بل هو أندلسى ، لكن جاور بمكة فى كتابه « قوت القلوب » لرجل آخر يكنى أبا طالب ، ويسمى مكيا أن ابن عباس قال اسألوا جابرَ بن زيد ، فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه ،

وقال صاحب الطبقات والشيخ أحمد الشماخ رحمهما الله ، قال اياس بنُ معاوية : رأيت البصرة وما فيها مُفْتٍ غير جابر بن زيد ، وفى أثر مع ان علماءَهامتوافرون ، قال جابر لقيت سبعين رجلًا من أهل بدر ، فحويت ما عندهُم من العلم ، منهم ابن عباس ، فإنى لم أحو ما عنده كله ، بل بعضه ، لأنه البحر ، وكان هو وصحار يفترقان بعد العشاء ،

ويلتقيان فى السحر ، فيقول كل منهما للآخر ، طال شوقى إليك ، وعبارة بعض قومنا(جابر ابن زيد الأزدى العمانى الجَوفى بفتح الجيم البصرى الفقيه ، أحد الأئمة عن ابن عباس فاكثر يعنى روى عن ابن عباس فأكثر الرواية عنه ، قال ومعاوية وابن عمر وعنه قتادة ، يعنى روى عنه قتادة ، وعمر وابن دينار ، وأيوب ، وخلق ، قال ابن عباس هو من العلماء ، قال أحمد مات سنة ثلاث وتسعين ، وقال ابن سعد سنة ثلاث ومائة) انتهت عبارة بعض قومنا ، وفيها قصور ، فانه روىَ عن ابن عباسٍ وعائشة وغيرهما أيضا ، والجَوف بفتح الجيم ناحية بعمان؛وعن الحصين بن حيان سمعت ابن عباس فى المسجد الحرام يقول؛جابر بن زيد أعلم الناس بالطلاق ، وعنه لما مات جابر بن زيد ، وبلغ موتهُ أنس بن مالك ، قال مات أعلمُ مَن على ظهر الأرض ، وقال مات خير أهل الأرض ، وعن ابن عباس رضى الله عنه جابر بن زيد أعلم الناس ، وعن ابن عباس : عجبا لأهل العراق !! كيف يحتاجون إلينا وعندهم جابر بن زيد ، ولو قصدوا نحوه لوسعهم علمه ، أخذ عنه ضمام ، وابو نوح ، وابو عبيدة ، وغيرهم ، من أصحابنا ، وسائر الأمة ، وأفقههم أبو عبيدة ، وفى الأثر أخبرنى الربيع عن عائشة بنت مطرف قالت أتيت جابراً فيما يبلى به الناس فما أعلم انى كلمت فقيها ولا عالما ، ولا أميرا ، قط أعلم ولا أعقل منه ، وذكر أن أبا سفيان قال إن جابر بن زيدٍ يحج كل سنةٍ ، ولما كان ذات سنةٍ بعث اليه عامل البصرةِ أن لا تبرح العام ، فان الناس يحتاجون إليك ، فقال لا أفعل فسجنه ، فلما كان غرة ذى الحجة ، جاءه الناسُ فقالوا أصلح اللهُ الأمير ، قد أهلّ هلال ذى الحجة ، فأخرجه وأتى أهله وناقته حول الدار ، هيأها للخروج قبل الحبس أو بعده ، أو بعد طلب الاخراج ، فشد عليها الرحل ، وقال « ما يفتح اللهُ للناسِ من رحمةٍ فلا ممسك لها ، يا آمنة اعندك شيء ؟ قالت نعم ، فهيأته فى جرابين ، فقال من سألك فلا تخبريه بمسيرى يومى هذا فخرج » وانتهى الى عرفات ، والناس بالموقف ، فضربت بجرانها الأرض ، وتجلجلت فقال الناس ذكها ذكها ، فقال حقيق لناقةٍ رأت هلال ذى الحجة بالبصرة ان لا يفعل بها هذا ، ثم سلمها الله تعالى ، وقد سافر عليها أربعا وعشرين ، بين حج وعمرة ، ويقال إنه حج أربعين حجة ، بعضها على هذه الناقة ، وبعض على غيرها .

وأصاب الناس على عهد جابر بن زيد ظلمةٌ وريحٌ ورعد أى نهارا ، ففزعوا إلى المساجد ، فخرج إلى بعض المساجد ، فجعل يذكر الله ، والناس فى تضرع وضجة ، ولما انجلت أخذ الناس ينصرفون إلى أسواقهم ومنازلهم ، فدعا من كان قريبا منه ، فقال ماكنتم تظنون هذا الأمر ، قالوا خفنا أن تكون القيامة ، قال إنما خفتم على الدنيا ، والإفضاء الى

الآخرة ، قالوا نعم ، قال لقد خفتم أمرا عظيما ، فحق أن تخافوه ، قال أين تذهبون الآن ، قالوا الى منازلنا ، قال لقد خفتم امرا عظيما ، ففزعتم الى الدنيا ، ولو جاء ماخفتم ، لم يغن عنكم ماكنتم فيه شيئا ، فالآن إذْ ردّ الله عليكم دنياكم ، فاعملوا حينَ قبول العمل ، فاما ماكنتم فيه ، فلو كان الامر كما خفتم ، لم يغن عنكم دعاؤكم من الله شيئا

وروى أن أبا سفيان قال : دخل جابر بن زيد وأبو بلال على عائشة فعاتباها على ماكان منها يوم الجمل ، فثابت واستغفرت ، ودخل عليها جابر يسألها عن مسائل ، لم يسأل احدا عنها ، حتى سألها عن جماع رسول الله ﷺ كيف كان ، وأن جبينها يتصبب عرقا وهى تقول : سل يابنى ، قلت :لايصح هذا عن جابر ولاعن عائشة اذ لايجوز له هذا السئوال ، فلو شاء العلم فى ذلك ، لقال ماالسنة فى ذلك ؟ أو كيف يفعلُ الرجل ؟ ومع هذا لايحسنُ فالأولى تركه ، وكيف يسأل عما يفعُل ﷺ فى فراشه مع زوجه ، وكيف تجيبه ولاتزجره ، وقد نهى ﷺ أن يحكى الرجلُ مافعلَ مع زوجه والإحترام فى ذلك أوكد من طلب علمه ويكتفى بعموم قوله تعالى . ، « فأتوا حرثكم أنى شئتم » وقد قال الله تعالى فيما هو دون ذلك « ذلكم أطهر لقلوبهن وقلوبهم » فان صح السئوال عن جابر فلعلهُ فى حالِ ابتداء أمره قبل تبحره فى العلم ، ولايجوزُ لأحد أن يقول : أجابت عائشةُ رضى الله عنها جوابَه ، وبينت له ، ومن قال ذلك ، فقد كذب ، بل لما سألها قالت له سلْ يابنى ، أى سل عن غير هذا ، فيكون تأديبا له ونهيا عن سؤاله عن ذلك ، فنحمل لها حكاية أصحابنا لذلك على ماذكرت ، لاعلى أنها رضيت سؤاله ، وأجابت عنه ، فيكون مدحهم له بذلِك من شدة حرصه على العلم ، حتى سألَ عما لايحسن السؤال عنه ، ولايشكل على ذلِك قوله عائشة رضى الله عنها ، أنه يجامع فوق الإزار . اى فوق السرة ؛ لأن هذا البيان مافيه بأس ، اذ لاتفصيل فيه ، بخلاف تبيين جماعه فى الفرج تفصيلا ، ففى تبيينه شنعة

وقال الشيخ محمود الألوسى ؛ من أحاط علما بما روى عن نساء النبى الطاهرات علم أنهن لم يتركن شيئا من أحواله الخفية إلاذكرنه ، وناهيك ماروى أن الصحابةَ رضى الله عنهم اختلفوا فى الإيلاج بلا إنزال ، هل يوجب الغسل ؟ فسألوا عائشة رضى الله عنها فقالت لاحياء فى الدين ، فعل ذلك رسولُ الله ﷺ معى فاغتسلْنا جميعا ، إما أن يكون إخبارُهن زلةً منهن تُبْن منها ، وهى مغفورة ، لأنهن من أهل الجنة ، واما يكون ذلك موضوعا ، لم يصح عنهن ، وأما أن يخصص بالجواز على جهة تبليغهن عنه ﷺ ، وقد روى مثل ذلك

واعظم ، عن غير جابر بن زيد ، فى كتاب قومنا ، وليس فيه أن الصحابة اختلفوا ، هل يجب الغسل فى الوطء بلا إنزال فسألوها ، فقالت فعل ذلك بى رسول الله ﷺ وقمنا واغتسلنا معا بلا إنزال ، لأن هذا أمر سهل ، لأنه تبليغ شرع ، لابيان كيفية ، فهو واجب ، ثم قالت له « ممن أنت » ؟ قال من أهل المشرق ، من أهل عمان ، وذكر بعض « انها سمعت رسول الله ﷺ يقول يكثرُ واردُ حوضى مِن أهل عمان » ورأى رجلا من الحجبةِ يصلى فوق الكعبة ، فقال مَنِ المصلى فوق الكعبة لاقبلة له ، وسمعه ابن عباس فى ناحية المسجد فقال جابرُ بن زيد فى شىء من هذه البلاد ، فهذا القول منه ، دخل ثابتُ البنانى على جابر بن زيد حين احتضر ، فقال هل تشتهى شيئا ؟ قال أنى أشتهى أن ألقَى الحسَن البصرى قبل أن أموت ، فخرج ثابتٌ فأعلمه بقول جابر ، وكان مستخفيا من الحجاج ، فركب بغلة ثابت على السرَج وركب خلفه ثابت بطليسانه ، ولما دخل على جابر ، وهو مضْطجع انكب الحسن عليه ، وهو يقول : قل « لا إله إلا الله » فرفع جابر عينيه وهو يقول « اعوذ بالله من غدو أو رواح الى النار » فقال : قل « لا إله إلا الله » فقال أعوذ بالله من غدو او رواح الى النار « ثم قال ياأبا سعيد » يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا » قال الحسن : هذا والله الفقيه العالم ، ثم قال ياأبا سعيد أخبرنى عن حديث ترويه عن رسول الله ﷺ فى المؤمن إذَا حضرته الوفاة فقال : قال رسول الله ﷺ (إن المؤمنَ اذا حضرته الوفاة فقال : قال رسول الله ﷺ « إن المؤمنَ اذا حضرته الوفاة وجد على كبده بردا » فقال جابر « الله اكبر انى أجد على كبدى بردا » ثم قبض رحمهُ الله .

ومر رجلان من المسلمين ، وجابر قاعد فى سقيفة باب داره ، ولم يرياه ، فلعنا رجلا ، فقال لعن الله من لعنتما ، فقالا ماعلمنا بمكانك ، وكيف تعلن رجلا لم يثبت عندك أمره ؟ قال وأى تثبيت أثبت منكما وقد اجتمعتما على لعنه .

وخرجت آمنة الى الحج زوج جابر ، ولم يخرج تلك السنة ، ولما رجعت سألها عن كربها ، فذكرت سوءَ الصحبة ، واثنت ثناء قبيحا ، فخرج إليه وأدخله دارا و اشترى لإبله علفَها وعولج له طعام ، واشترى ثوبين كساه بهما ، ودفع له ماكان مع آمنة من قربة ، او دواة ، وغير ذلك ، فقالت اخبرتك بِسوء العشرة ففعلت ماأرى ، فقال افنكافئه بمثل فعله ، فنكون مثلَه بل نكافئه بالإساءة احسانا ، وبالسوء خيرا

وشاروته امراة على جاريتها يخطبها رجل ، فقال لاتزوجيه ، فعادت فقال لا ، فقال لها الرجل ان لم تزوجينيها واقعتها حراما ، فقال زوجيه الآن ، فهذا خوف العنت ، وكان خاصا بيزيد بن أبى مسلم ، كاتب الحجاج ، فوفد عليه مرة ، فأدخله على الحجاج ، فقال اتقرأ ؟ قال نعم ، قال اتفرض ؟ قال نعم ؟ فعجب به ، فقال لاينبغى ان نؤثر عنك احدا ، نجعلك قاضيا للمسلمين ، قال جابر : أنا أضعف من ذلك ، قالَ ومابلغ ضعفك ؟ قال يقعُ بين المرأة وخادمها شر ، فما أُحسن أن أصلح بينهما ، فقال إن هذا لهو الضعف ، قال : فهل لك من حاجة ؟ قال نعم قال : وماهى ؟ قال تعطينى عطائى ، وتدفع عنى المكروه ، قال الحجاج هذا لايستقيم أن نعطيك من بيت مال المسلمين ، ولانستعملك لهم ، فقال يزيد بن أبى سالم : هنا خصلة تخفى على الشيخ ، وفيها عونٌ للمسلمين ، تجعله فى أعوان صاحب الديوان ، فقال يزيد أنا اكتب لصاحب الديوان ، أن لايكلفك مؤنة ، ويعطيك عطاءك كاملا ، وكان عطاؤه سبعمائة ، أو ستمائة ، وكان فى ديوان المقابلة ، وكان يزيد شديد الحب لجابر ، فخرج ذات يوم الى واسط فى يوم جمعة ، ولما تغذيا ، دعا يزيدُ جاريةً له فجاءت بغالية ، فطلت بها رأسَ جابر ولحيتَه ، فقال ياغلامُ أسرج البرذونَ لأبى الشعثاء ، قال اعفنى من البرذون ، قال فالبغلة ، قال نعم ، فخرج فقال للغلام : قف لى عند باب المسجد بموضع سمّاه له ، وأخذ على دحلة ونزل ، وغسل رأسه ولحيته ، أى من تلك الغالية، ودلكها دلكا شديدا يقول : اللهم لاتجعْل حظى منك منزلتى عند هولاء القوم ، ثم جاء إلى المسجد فلما حضر خروج جابر ، تنافست امرأتا يزيد فى زاده ، فصنعتاله شيئا كثيرا ، وكان معه عمارةُ بن حيان ، ولما ركبا السفينة : قال لعمارة : لا تدعْ احدا من أهل المركب يفتح زاده ، ولما انتهى إلى البصرة قال : بقى جربان ، احملهما الى الصبيان ، قال صبهُما على ظهر السفينة ، وأطعم ملاحيك ، وادع المساكين ، وادفع اليهم مابقى، ووقع فى نفس الحجاج شيءٌ من أمر القدر ، فشكا ذلك إلى يزيد ، فكتب الى جابر فاجابه ، قل للأمير يكثر ترديد خطبته ، فإنها مشتملةٌ على بيان ماسأل عنه ، فرددها مرارا ، كل ذلك لم ينتبه ، ثم بعد ذلك انتبه ، فقال « من يهد الله فهو المهتد ومن يضلِل فلن تجد له وليا مرشدا(و من يضلِل فلا هادى له) قال : ويحك يايزيد ماأعلم صاحبك

سلطنة عمان
وزارة التراث القومى
المكتبة
٨٤١

وأتى جابر الجمعة فتلقى الناسَ خارجين عنها فشق ذلِك عليه ، فقال اللهم لك على أن لا أعود ، وأرسلت عاتكة الى جابر بجزور فأمر العنبرَ أن ينحرَها ويجزئَها بين جيرانها ، وان يرسل الى أهله ، فأطاب وأكثر جزء أبى الشعثاء فقال اكل جيراننا اصابَ مثل هذا ؟ قال لا ، قال : واسوأ تاه ، ساو بيننا وبين جيراننا .

واتى شاب أبا الشعثاء جابراً ، فقال أىُّ الجهاد أفضل قال قتل خردلة والشاب لا يعرف خردلة فاراه رجل من المسلمين اياه فى المسجد ، ووضع يده عليه لئلا يخطئه فضربه ، بين كتفيه ، ضربة بخنجر مسموم ، وأخذ فقال له الوالى ، قد علمت أنك لم تفعل هذا من نفسك ، وإنما أمرت فدلنى على من أمرك ومنّاه ، فقال دع عنك هذا ، وكان خردلة قد سعى بجماعة من المسلمين ، فقتلوا وخرج ابن لجابر بن زيد ، وهو قاعد على باب داره ، فقتله ومسح رأسه ، فقال لجلسائهِ أترون أنى أحبه ، قالوا أجل قال صدقتم والله انى لأحبه ، وما من نازل ينزل به أحب الى من الموتِ ينزل به ، وباخوتهِ ثم ينزل بى ثم بآمنة قالوا فآمنة أعز عليكَ منِ ولدِك ، فقال ما هِى باعز الى منهم ! لكن لا أحب أن أبقى يوما واحداً فى الدنيا عازباً وكان كما تمنى ، وكان عبد اللهِ بن أباض المرى القميمى ، يصدر عن رأى جابر بن زيد رحمهما الله

وكان عبد الله بن اباض يناظر الخوارج ، وكان ممن خرج إلى مكة لمنع حرم الله من مسلم عامِل يزيد الملقب بمسرفٍ ، وكان عبد الله كثيرا مايبدى النصائحَ لعبد الملك ابن مروان ، وفى كتب قومنا أنه خلف جابر بن زيد ولدا ، ولعله فى البطن لم يشعر به ، وكلام الراوى ، على غيرهِ ورواية أصحابنا أولى ، لشدة توثقهم ومخالطتهم .

قال أبو سفيان نفي الحجاج جابرا ، وهبيرة جد ابى سفيان الى عمان ، قال كانت جدة أبى أم الرحيل عم أبى ، وجدى العنبر ، وكبرت فأتيا أبا الشعثاء ، فقالا : أمُّنا لا تطيق الصوم ، قال صوما عنها ، فصام عنها الرحيل فأتاه فى العام القابل ، فقالا أم الرحيل لا تطيق الصوم ، قال أطعما عنها ، فاطعم العنبر عنها وهو رجوع عن افتائه الأول بصومِ الحى عَن الحى العاجز ، قال جابر بن زيد : ليس للعالم أن يقول للجاهل اعلم مثل علمى ، والا قطعت عذرك ولا للجاهل أن يقول للعالم ارجع إلى جهلى وضعفى وإلا قطعت عذرك ، واذا قال أحدهما ذلك قطع الله عذره .

قال ضمام : كان جابر يأتى الخوارجَ فيقول لهم أليس قد حرم الله دماء المسلمين بديانة ؟ فيقولون بلى ، ويقول : اليس قد حرم اللهُ البراءة منهم بدين ، فيقولون بلى ،

فيقول : اليس قد أحل الله دماء أهل الحرب بدين بعد تحريها بدين فيقولون بلى ، فيقول أليس قد حرم الله ولاية أهل بدين بعد الأمر بها بدين ، فيقولون بلى ، فيقول هلّ أحل الله ما بعد هذا بدين ، فيسكتون .

قال جابر : لامراة من المسلمين : إنى أحبك فافترقا فتفكر فى قوله لها : إنى أحبك ، فرجع اليها فقال : فى الله ، فقالت : وماتظن أنى حملت ذلك على غير الحب فى الله ، أى والله فى الله .

ولما مات جابرٌ أتى قتادةُ قبره ، وهوأعمى اذ ذاك فقال ادنونى من قبره ، فوضع يده على قبره فقال اليوم مات عالم العرب .

ولجابر بن زيد دايونُ فقه وقر بعير ، وقيل وقر عشرة أبعرة ، أتى به نفاثُ نسخا من البصرة ، ولما وجد قومه مغلوبين ، أتلفه .

وكان جابر رحمه الله عدة لاصحابنا فى أمر الخروج والقتال ، ولايطلبونه بالخروج معهم لئلا يقتل ، فهو ذخر لنوازلهم ، وكان يقول : لاأغنى منى عندى درهم ، ولادين على ، وانما أخر ذكره عن أبى عبيدة مع أنه قبله وشيخه ؛ لأنه أقل كتمانا منه ، والله اعلم

وكان مجاب الدعاء ، قال : سألت ربى امراة مؤمنة ، وراحلة صالحة ، ورزقا كفافا ، فأعطانيهن .

وفى الأثر : من لم تكن فيه ثلاث خصال فموته كموت النساء ، من لم يتفرغ لتعلم العلم إلى اربعين سنة ، ويقعد للناس يعلمهم كفعل أبى عبيدة مسلم ، ومن لم يدفع نفسه فى الشراء كابى بلال مرداس ، ومن لم يتعمد طريق الحج كأبى الشعثاء جابر بن زيد رحمهم الله .

روى أنه رأى رجلاً من الأكارين ، يبكىَ ويمسح دموعه ، فقال : مالك ويحك ؟ قال نزع منى صبيانُ دربكم هذا قِنوين جِئت بهما لصاحب الأرض . فأخاف ان لايصدقنى ، فبعث جابر إلى بعض أصحابه ، فمن له نخل فأرسل اليه قنوين ؟ فأعطاهما الرجل

وأما ابو عبيدة مسلم بن أبى كريمة رحمه الله : فكان مولى فى تميم ، أخذ العلم عن جابر ابن زيد ، وجعفر بن السماك العبدى ، أخذ عن جعفر اكثر مما أخذ عن جابر ، وكذلك أخذ عن صحار العبدى اكثر مما أخذ عن جابر ، رحمهم الله ، ومأأخذ ضمام عن جابر أكثر مما أخذ أبو عبيدة عن جابر ، وسجن الحجاج ضماما وأبا عبيدة ، وربما ضاق

ضمام ، فيقول له أبو عبيدة على مَن تضيق ؟ وكانا ينفضان القمل مِن لحاهما ، ويقصان شواربهما بأسنانهما ، وسأل الحجاج مجو سيا بم يعذبهم ؟ قال باطعام الزيت والكراث ، فأطعم أهل السجن بهما ، قال ضمام فسمنا بهما ، فقيل للمجوسى لم اشرت بذلك ؟ فقال لعلهم يحيون ويموت قبلهم ، فيخرجون ، ومات الحجاج لعنه الله وهم فى الحبس ، فاخرجوا وتوفى فى ولاية أبى جعفر بعد وفاةِ حاجب رحمهما الله

وكان رجلا ذا عِلم وعَمل ، ووعظ نافذ وفقه وحديث ، وكان رحمه الله متواضعا متحملا للأذى معترفا بقصور الباع ، مع ماهو فيه من الاتساع ، بعث عبدالله بن الحسن الى ابى عبيدة إلى جماعة من المسلمين حين أرادوا الخروج ، فتكلم كل واحد برأيه فاتفق رأيهم أن يبعثوا إليه صالحَ بن كثير ، وقد قال لهم إنى على دينكم ، وكان من متكلمى المسلمين ، إلا أنه أحدث أشياء قلاه المسلمون عليها ، فقال أبو عبيدة : إن هذا ليس برأى ، أترون رجلا يخاف على نفسه ، ويطلب الملك ألّا يعطيكم كل ماسألتموه ، واذا طاوعكم على ماتدعونه إليه ، قال انا مقر بدعوتكم ولكن الناسَ إلى أسرع ، وانا احق ، فما عسى نقول له ياصالح ؟ وقد صدق فإن اراد الدين كما يزعم ، فليلحق بصاحبنا بحضر موت عبدالله بن يحيى ، فليقاتل بين يديه حتى يموت ، ففرق جماعتهم ، وأفسد رأيهم .

وقيل لأبى عبيدة : مامنعك من الخروج ؟ لو خرجت ماتخلف عنك أحد ، قال ماأحب ذلك ، ولو أنى فعلت ماأحببت ، ولاأحب أن أقيم مابين الظهر والعصر مخافة الأحكام وأهتم بدين الله ، وأحب علامة على أنه وأصحابه على دين الله ، فدعوا فانشق سقف الغار والسماوات ، حتى رأوا العرش ، وذلك علامة لهم ، رحمهم الله وجزاهم عن الاسلام وقواعده خيرا .

ومن اتضاعه انه كان يعظهم عند إرادة الخروج ، فقال له قائل خذ فيما جئنا فيه ، لو أردنا الوعظ لذهبنا إلى من هو أوصف منك ، فتحمل رحمه الله ، ولم يرد عليه .

وشهد رجلان على شهادة أبى عبيدة عند قاضى البصرة ، فقال المشهود عليه : أصلحك الله إنما شهدا على شهادة فلان ، فقال : ويحك أنا عارف به ، لو جاز لى أن أحكم بشهادة واحد لحكمت به ، وأتى حمزةُ الكوفى أبا عبيدة رحمه الله ، ليذاكره فى أمر القدر ، قال أبو سفيان : الى منزل حاجب ، فتناظرا كثيرا وآخر ماسمعت من أبى عبيدة : ياحمزة على هذا فارقت عن غيلان ، فخرج فكلم حاجب وكانت هيبته من حاجب أعظم من هيبته من ابى عبيدة ، فقال حمزة اخذت هذا القولَ من المسلمين ، فقال حاجب لم

تدرك أحدا إلا قد أدركته ، إلا جابرا ، فعمن أخذته ، فقال عنك ، فقال حَاجب ، إنى أرجع عنه ، فارجع عنه ، كما رجعت عنه ، فقال أرفِق بى ، واقبل مااقول (ماأصابكَ من حسنةٍ فمن الله ومااصابكَ من سيئة فمن نفسكِ) فالحسنة مِن الله والسيئة من العباد ، واقول (لايكلف الله نفسا إلا وسعها) فقال لايقبل منك ولا من غيرك ، فان المعنى : ماأصابك من حسنة فبفضل من الله ومأأصابك من سيئة فسببها منك والله خلقها ، وسئل عن حاجب ؟ فقال ارفقوا بحمزة ؟ ثم بعد مدة بلغهم أنه يمشى الى الضعفاء والنساء ، فيكلمهم فأمر أبو عبيدة حاجبا فجمع له الناس ، فتكلم المتكلمون ، ثم تكلم حاجب ، فحمد الله واثنى عليه ، وقال ، إن حمزة وعطية أحدثا علينا أحداثا ، فمن آوهما أو أنزلهما أو

جالسهما فهو عندنا خائن متهم ، فطردا من المجلس ، وهجره أبو عبيدة ، وأمر بهجرانه لِما قاله فى القدر ، فقال ياعجبا لأبى عبيدة أمر بهجرانى ، وهؤلاء الفتيان يقولون : أراد ، وشاء ، وأحب ، ورضى عنهم ، وبدينهم ، ولايقول بمثل قولهم ، فقال ابو عبيدة هؤلاء ارادوا اثبات القدر ، وحمزة أراد ازالته ، وليس مثبته كمزيله .

وقيل لأبى عبيدة : هل يستطيع الكافر الايمان ؟ فقال من يستطيع أن يأتى بحزمة حطب من حل الى حرم ، يستطيع أن يصلى ركعتين ، ولاأقول ليستطيع ذلك إلا بتوفيق من الله ، قال أبو عبيدة رحمه الله : إن دعا كتابي لم يبلغه أمرُ النبى ﷺ الى دينه ولم يغيره مجوسى قد بلغه أمر النبى ﷺ ، فأجابه ، فالكتابى مسلم ، والمجوسى مشترك

واجتمع ابن أبى الشيخ البصرى وأبو عبيدة بمنى فقال أجبر اللهُ أحدا على طاعة أو معصية ، قال لا ، ولو قلت ذلك لكان تخويفه وترهيبه لهم ، قال فالعلم هو الذى قاد العباد الى ماعملوا ، قال لا ، ولكن سولت لهم أنفسهم ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ، فكان منهم ماعلمَ الله .

ويروى أن المأمون بنَ هارون الرشيد سمع بأبى عبيدة يخالف مذهبه ، وهما فى البصرة ، فجمع له علماءه ، ومنهم يحيى بنُ أكثم القاضى ليجد لهُ مايتوصل الى قتله ، وأرسل اليه ليجيء فوجده الرسولُ يعلم التلاميذَ فى خفاء وكتمان ، فقال أجبْ أمير المؤمنين ، فجثا على ركبتيه ويديه ، وقال « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » وقرأ قوله تعالى « كلا إن معى ربى سيهدين » وقوله « حسبى اللهُ لا إلهَ هو عليهِ توكلت وهو رب العرش » فمضى فوجد المجلسَ ضاقَ بأهله حتى لم يجد مجلسا ، فوقف وظنوه خائفا أو مبغضا لهم ، وقال:السلام عليكم ولم يصح أنه قال السلام على من اتبع الهدى اللهم إلا إن كان فيهم مشرك ، وقال لهُ

المأمون اجلس وزحزحَ له يحيى ، وقال المأمون ليحيى سلْ هذا الشيخ الجافى عن فرضه ، فان قام به فهو أقوم بغيره ، وإلا فهو أعجز عن غيره ، فنضرب عنقه ، فقال يحيى كم فرض عليك ؟ فلم يجبه ، فأعاد مرة أو مرتين ، وقال لاينفع السكوت هنا ، فقال أبو عبيدة رضى الله عنه سؤالك تعنت ، أو تعلم ؟ فقال سؤال تعلم قال له أبو عبيدة فاجلس حيث يجلس المتعلم ، فجلس بين يديه ، فقال له اسأل فجزعوا ، وأرادوا الكلامَ فمنعهم يحيى ، وقال كم فرض عليك ؟ فقال أبو عبيدة : أعن فرض واحد أو عن خمسة ؟ أو عن واحد من اثنى عشر ؟ أو عن ثمانية عشر ؟ أو عن ستة وثلاثين ؟ أو عن واحد من أربعين ؟ أو عن مائة ، أو عن خمسة من مائتين ؟ أو عن واحد فى طول العمر ؟ فنظر يحيى إلى المأمون متحيرا ! ! وللمأمون علم ، فقال المأمون سألناك عن واحد فاكثرت الحساب ، فقال ياعبد الله لولا الحساب ماخلقت الجنة والنار ، اما سمعت قوله تعالى (ونضعُ الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) فغضب اذ لم يقلْ ياأمير المؤمنين ووبخَه فقال ياغلام اضرب عنقه ، فقال يحيى هبْه لى ياأمير المؤمنين ، وقد سل الغلام السيفَ ، وذلك لما رأى يحيى من علمه ، وجرى كلام بينه وبين المأمون فى العفو ، حتى قال يحيى لاسبيل إليه ، فضحك أبو عبيدة ، فقال ماأضحكك والسيف مسلول ؟ فقال أضحكنى أنك لاتقدمُ اجلا ان لم يحضر ، وإن يحيى لايؤخر إجلا ان حضر ، فقال للغلامِ اغمدِ السيف .

وقال لأبى عبيدة رحمه اللهُ فسر لنَا ماقلت فقال الفرض الواحدُ دين الإسلام لايخالطه شرك ولانفاق ، والخمس : الصلوات الخمس ، والواحدُ من اثنى عشر : رمضان من اثنى عشر شهرا ، والثمانية عشر ركعات : الخمس والوتر ، والستة والثلاثون : سجدات الصلوات الخمس ، والوتر الواحد من أربعين : مثقال من أربعين ، والمائة : مائة تكبيرة فى الخمس والوتر ، والخمسة من مائتين : خمسة دراهم من مائتى درهم ، والواحد فى العمر الحج للمستطيع .

قال أبو عبيدة للمأمون : أريد أن أسألك ؟ فقال اسأل ، وانت أحق بان نسألك فتفيدنا ، فقال ماتقولُ فى جارية حرمت على رجل قبل الفجر ، وحلت له فى الظهر ، وحرمت عليه فى العصر ، وحلت له فى المغرب ، وحرمت عليه فى العشاء ، وحلت له فى الفجر ، وحرمت فى الظهر وحلت له فى العصر ، وحرمت فى المغرب ، وحلت فى العشاء ؟ فقال لاأدرى ، فنجنا من هذا الغرق ؟ فقال أبو عبيدة كيف لاتدرى وأنت سلطان ؟ قال أحسن الينا بتفسيرها ، قال جارية إنسان حرمت على آخر قبل الفجر ، واشتراها ظهرا

فحلت له ، وأعتقها فى العصر فحرمت عليه ، وتزوجها فى المغرب فحلت له وطلقها فى العشاء فحرمت عليه وراجعها فى الفجر فحلت له وظاهر منها فى الظهر فحرمت عليه ، واعتق رقبة للظهار فى العصر فحلت له ، وارتد فى المغرب فحرمت عليه ، وتاب فى العشاء فحلت له ، وخصوصُ الأوقات المذكورة تمثيل والمراد بالحرمة حرمة الوطء واذا فتح لك هذا البابُ رحمك الله أمكنك الزيادة على ماذكر ، وأنواع أخرى .

وسأل المأمونُ أبا عبيدة رحمه الله تعالى ، عما افترض الله قبل الصلاة ، قال عشر : النية ، والتسمية عند الوضوء ، والاغتسال ، والاستنجاء ، وطهارة البدن ، وطهارة الثوب ، واختيار مواضع الصلاة ، ومعرفة القبلة ، والتوجيه اليها ، والنظر لموضع السجود ، وتكبيرة الاحرام ، واخلاصها ، قال المأمون : مابرهان الصلاة ؟ قال خشوعها ، قال مابرهان خشوعها؟ قال وقارها ، قال مابرهان وقارها ؟ قال سكينتها ، قال مابرهان ذلك كله ؟ قال تحريمها بجمع الهمة واخلاص النية لله عز وجل ، وايفاء اجزائها من ركوع ، وسجود وغيرهما . قال مامفتاح الوضوء ؟ قال التسمية ، قال مامفتاح التسمية ؟ قال اليقين ، قال مامفتاح اليقين ؟ قال التوكل قال مامفتاح التوكل ؟ قال الصبر على اداء الفرائض ، قال مامفتاح الصبر على آدائها ؟ قال الرجاء ، قال مامفتاح الرجاء ؟ قال الرضى بالقضاء ، قال مامفتاح الرضى بالقضاء ؟ قال الطاعة لله عز وجل ، قال مامفتاح الطاعة لله عز وجل ؟ قال توحيد الله عز وجل ، فهو رأس العلم ، فسبحان الله رب العالمين ، قال المأمون : بم استفدت هذا كله ؟ قال بالتعلم ، قال بم استفدت التعلم ، قال بالتعليم ، قال بم استفدت التعليم ؟ قال بالعقل ، قال بم استفدت العقل ؟ قال هو عقلان : عقل من الله عز وجل ، وعقل باستعمال يقوى كل واحد منهما الآخر ، قال بم بلغت ذلك ؟ قال بتوفيق الله تعالى ، ففرح المأمون فأمر له بعشرين ألف درهم أو أكثر ، قال الله يرزقنى ولا ينسانى ، يعنى لم أقبل هذه الدراهم ؟ رزق على الله ، قال أقض بها ديونا ، قال أبو عبيدة : اتفق العلماء ، والعقلاء أنه لايُقضَى دين بدين ، فإنك إذا اخذت دينا وقضيت به دينا لاتنفك ذمتك عن الدين ، يعنى انه إذا تصرف بها فى قضاء دين كانت دينا عليه ، لأنه لاتحل له لأن المأمون أعطاه من غير حل ، قال تصدق بها ، قال فاكون كالكيال بين الناس ، قال اخرجها من ذمتى وافعَل بها ماتريد ، قال أخرجها أنت من ذمتك بردها إلى أهلها ، قال أجرِى عليك النفقَة إلى موتك ، قال اللهُ يرزق من يشاء بغير حساب .

ويروى أنه لما أجاب رضى الله عنه أمر المأمونُ الغلمانَ يحملونه على اكتافهم إلى البصرة ، وبعشرة آلافِ معجلة ، ومائة ألف مؤجلة ، وبجوار يغنين خلفه إلى داره .

ويروى أنه دخل هارونَ الرشيدُ المطاف فابتدأ الطواف ، ومنع الناس الطواف ، فسبقه أعرابى ، وجعل يطوف معه فشق ذلك على هارون ، فالتفت إلى حاجبيه كالمنكِر عليه ، فقال الحاجب ياأعرابى خل الطواف ، ليطوف امير المؤمنين ، فقال الأعرابى إن الله ساوى بين الانام فى هذا المقام ، والبيت الحرام ، فقال اللهُ تعالى « سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم » فلما سمع الرشيد ذلك من الأعرابى ، أمر حاجبه بالكف عنه ، ثم جاء الرشيد الى الحجر الأسود فوجد الأعرابى قد سبقه ، فاستلم الحجر قبله ، ثم أتى الى المقام فسبقه الاعرابى فصلى قبله ، ولما فرغ الامير من الطواف والصلاة قال للحاجب ائتنى بالاعرابى ، وقال له أجب أمير المؤمنين ، فقال مالى اليه حاجة ان كانت له حاجة فهو احق بالقيام اليها ، فانصرف الحاجب مغضبا ، ثم قص على امير المؤمنين حديثه ، فقال صدق نحن احق بالقيام والسعى اليه ، ثم نهض أمير المؤمنين والحاجب بين يديه ، حتى وقف إزاء الأعرابى فسلم عليه ، فرد عليه السلام ، فقال له الرشيدُ ياأخا العرب : اجلس هناك بأمرى فقال له الأعرابى ليس البيت بيتى ، ولا الحرمُ حرمى ، البيت بيت الله ، والحرم حرم الله ، وكلنا فيه سواء ، ان شئت تجلس وان شئت تنصرف ، فعظم ذلك على الرشيد ، حيث سمع مالم يخطر بذهنه ، وماظن أحدا يواجهه بمثل ذلك ، فجلس الى جانبه ، وقال له ياأعرابى اريد ان أسألك عن فرضك فان أقمت به فأنت بغيره أقوم ، وان عجزت عنه فأنت عن غيره أعجز ، فقال الأعرابى سؤالك هذا سؤال متعلم أم سؤال متعنت ، فعجب الرشيدُ من سرعِة جوابه ، وقال بل سؤال متعلم ، فقال الأعرابى قم واجلس فى مقام السائل من المسئول ، فقام الرشيد وجثا بين يدى الأعرابى على ركبتيه ، فقال له سل عما بدالك فقد جلست ، فقال له اخبرنى عما فرض عليك ، فقال تسألنى عن فرض واحد أم عن خمسة فروض ، أم عن سبعة عشر فرضا ، أم عن أربعة وثلاثين فرضا ؟ أم عن أربعة وتسعين فرضا ؟ أم عن واحد من أربعين ؟ أم عن واحد فى طول العمر ؟ أم عن خمسة من مائتين ؟ فضحك الرشيد مستهزئا به ، فقال سألتك عن فرض وأتيتنى بحساب الدهر ، فقال ياهارونُ لولا أن الدهر حساب لما أخذ اللهُ الخلائق بالحساب يوم القيامة ، قال الله تعالى « وان كان مثقالَ حبةٍ من خردل أتينا بها وكفى حاسبين » فظهر الغضبُ فى وجه أمير المؤمنين ، وتغير من حال الى حال حين قال له ياهارون ، ولم يقل ياأمير المؤمنين ، وبلغ ذلك منه مبلغا عظيما غير أن الله عصمه من ذلك الغضب ، ورجع إلى عقله لما علم أن الله أنطقه بذلك ، ثم قال له الرشيدُ : وتربةِ آبائى واجدادى إن لم تفسر لى ماقلت ، لآمرنّ بضرب عنقك بينَ الصفا والمروة ، فقال له الحاجبُ ياأمير المؤمنين ، أعفُ عنه وهبهُ لله تعالى ، لأجل هذا المقام الشريف فضحك الأعرابى من قولهما

حتى استلقى على قفاه ، فقال له الرشيد مم تضحك ؟ فقال عجبا منكما فإن أحدكما يستوهب أجلا قد حضر ، والآخر يستعجل أجلا لم يحضر ، فلما سمع الرشيد منه ماسمع هانت عليه الدنيا ، ثم قال له سألتك بالله إلا مافسرت لى ماقلت ، فقد تشوقت نفسي الى شرحه ، فقال الأعرابى أما سؤالكم عن فرض الله على ، فقد فرض الله على فروضا كثيرة ، فَقولى لك عن فرض واحد ، هو دين الاسلاك واما خمسةُ الفروض الخمسة فالصلوات الخمس ، وأما سبعة عشر فسبع عشرة ركعة فى اليوم والليلة ، واما اربعة وثلاثون فهى السجدات ، واما اربعة وتسعون فهى التكبيرات ، واما واحد من أربعين فالزكاة ، وهى دينار من أربعين دينارا ، واما واحد فى العمر فحجة واحدة ، واما خمسة من مائتين فزكاة الورق ، فامتلأ الرشيد فرحا من تفسير ذلك ، ومن حسن كلام الاعرابى ، وعظم فطنته .

ثم إن الاعرابى قال للرشيد سألتنى فأجبتك ، فاذا سألتك فهل تجيبنى ؟ فقال الرشيد سل ، فقال : مايقول أمير المؤمنين فى رجل نظر إلى امرأة فى وقت الصبح فكانت عليه حراما ، فلما كان وقت الظهر حلت له ، ولما كان العشاء حرمت عليه ، ولما كان الفجر حلت له ، ولما كان الظهر حرمت عليه ، ولما كان العصر حلت له ، ولما كان المغرب حرمت عليه ، ولما كان العشاء حلت له ، فقال له الرشيد أوقعتنى فى بحر لايخلصنى منه غيرك ، فقال الأعرابى أنت أمير المؤمنين وليس أحد فوقك ، ولاينبغى أن تعجز عن شيء ، فكيف تعجزُ عن مسألتى فقال لهُ الرشيد : لقد عظم قدرُك ، ورفع ذكرك ، فأريد أن تفسر لى ماذكرت اكراما لى ، ولهذا البيت الشريف ، فقال لهُ الاعرابى حبا وكرامة ، أما قولى نظر إلى امرأة صباحا وهى عليه حرام ، فهى أمَةٌ لغيره ، ولما كان الظهر اشتراها فحلت له ، اى اذا استبرأت بعد ، وكانت قد استبرأت عند الأول ، ولما كان العصر اعتقها ، فحرمت عليه ، أى منع من وطئها والتمتع منها ، ولما كان المغرب تزوجها ، فحلت له ، ولما كان العشاء طلقها ، فحرمت عليه أى منع منها ، ولما كان الفجر راجعها ، فحلت له ، ولما كان الظهر ارتد فحرمت عليه ولما كان العصر تاب فحلت له ، ولما كان المغرب ارتدت فحرمت عليه ، ولما كان العشاء تابت فحلت له ، وفرح الرشيد بذلك ، واشتد عجبه ثم أمر له بعشرة آلاف درهم ، ولما حضرت قال لاحاجة لى بها ردها إلى أصحابها ، قال فهل تريد أن أجرى عليك جراية تكفيك مدة حياتك ، فقال الذى أجرى عليك يجرى على ، قال فإن كان عليك دين قضيناه عنك ، فلن يقبل منه شيئا ثم أنشأ يقول :-

هبِ الدنيا تواتينا سَنينا فتكدر تارةً وتلذ حِينا
فما أرضى بشيء ليسَ يبقى وأتركه غذا للوارثينا

كأنى بالتـــرابِ على يحثـــا وبالإخـــوان حولـــي نائحينـــا
ويـــوم تزفـــرُ الـــنيران فيـــهِ ونـــقسم جهـــرة للسامعينـــا
وعـــزةِ خالقـــى ،وجـــلالِ ربى لانتقِمـــن منكُـــم أجمعِينـــا

ولما فرغ مِن إنشادهِ تأوه الرشيد ، وسأل عنه وعن بلاده ، فاخبروه أنه موسى الرضى ابنُ جعفَر الصادِق بنُ محمد بن على بن الحسين بنُ على بن أبى طالب ، وكان تزيا بزى الاعرابى زهدا ، فى الدنيا ، وتورعاً عنها ، فقامَ وقبله بين عينيه ثم قرأ « اللهُ أعلمُ حيث يجعلُ رسالته » قال راوى هذه الرواية : أخوانى هؤلاء كانوا يخفوُن حالهم بين الأنام وهم شُعث غبر لايؤبَه لهم وهم عند الله فى أرفع مكان ، هذه صفاتُهم اذا قبلوُا فكيف صفاتك يامردود وهذه صفاتهم اذ قربوا ، فكيف صفاتُك يامطرود ؟ هذه صفاتهم فنُح على نفسك يامنكود ، ويحك يامسكين ، انت فى النهار فى البطالة ، وفى الليل من جملة الرقود ، وينشد :-

ياعـــالما بما يكـــن الضميـــرُ انتَ نعم المولَى ونعـمَ النـصِير
مَن لعبـد قدْ أوبقتْـه الخطايَـا من عذابِ ياسيـدِى يستـــجير
هل لأهْل الذنوب عنك محيصٌ ونفـــوس الـــورى إلـــيكَ تصِير
حسبُنَا فى غيرٍ من الذَنب مولىَ قد علمنَـــاهُ بالـــرحِيم الغفُـــور

بقطع الغفور الى الرفع ، أو تسقط الـ ويجعل نعتا لمولى

ستة تجبُ على ابن آدم والجن والإضافة للحقيقة ، والمراد على ابن آدم وبنته ، بإرادة الجنس ، أو أراد بالابن مايشمل البنات ، كأنه قال على ولد آدم استعمالا للمقيد فى المطلق ، بستة أى مع ستة ، لأن الذِى يجب بسبب الآخر منهن الكلفة فقط مع البلوغ ، أى تجب بسبب البلوغ ، وأما البواقى : ففيهن التقابلُ والمناسبة

والكلفة : لزوم الكلفة ، اى التكليف بالفرائض ، والسنن ، الواجبات ، مع البلوغ بلوغ الحلم ، قال الشيخ درويش فى احكامه ، يبلغ الذكر بتكعب الثدى فى الواحِد والانثى بتكعبها جميعا ، والحلمُ العقل ، ويتبين بالتكعب وثلاث شعرات أو شعرتين سود والنطفة والحيض والحمل وفى قول : الثلاثة عشر للأنثى ، والأربع عشرة للذكر ، وقد كان التكليف فى أول الإسلام بالتمييز ، ولذلك قيل أسلم على ابن أبى طالب ، وهو ابن ثمان سنين ، وقيل ابن عشر سنين ، والذى عندى أن اسلام الصبى بمعنى اذعانهِ لما يقول النبى ﷺ ، وقبوله الأمر بالمعروف والواجب ، والمستحب ، والمندوب للبالغ

والطفل يؤم الطفل اقامة لشعار الاسلام ، وليتعلم لوقت البلوغ ، ولأنه يثاب بفعل المعروف ، ولو كان لا يعاقب ، وانما وجب الأمر بالمستحب ، والمندوب اليه ، ليبقى الاسلام معقولا ومعمولا ، ولو كان لاكفر بترك المستحب ، والمندوب ، ولا بترك الاول بها ، والنهى عن المنكر الكبيرة ، والصغيرة ، وعن المكروه ، ومنه مساوىء الأخلاق للبالغ ، والطفل ، والمجنون ، وانما ينهيان مع أنه لا عقاب عليهما ، اقامة لشعارِ الاسلام ، وليثاب الطفل اذا ترك لوجه الله ، وليتعلمَ لوقت البلوغ ، ولينزجر المجنونُ عن السوء ، فانه يؤثر فيه الضرب ، والحبس والتغليظ .

ولا ثواب للمجنون على ما فعل حال جنونه ، كما لا عقاب عليه ، وانما يتحقق المنكر ، فى حق غيرهما ، واما فيهما ففى صورة المنكر ، ومن ترك نهى المجنون لم يعصِ ، واساء من ترك نهى الطفل عما هو كبيرة فى حق البالغ عصى ، وقيل : كفر ، ووجه الأول انه لا يكفر الفاعل الطفل ، فكيف يكفر التارك للنهى ، ووجه الثانى إقامة الشعائر وتعظيم أمر الدين ، والأمر بالشيء نهى عن تركه ، والنهى عن الشيء أمر بفعل ضده ، ان كان له ضد واحد ، وبفعل أحد اضداده ، ان تعدد ضده والنهى عن ترك الشيء أمر بفعله ، والأمر بترك الشيء نهى عن فعله ، واذا لم تحقق حرمة الشيء أو كراهته ، لم يجز لك النهىُ عنه ولا بأس عليك ، ولو كان محرما فى نفس الأمر ، وإذا لم يتحقق وجوب الشيء او ندبه او استحبابه ، لم يجز لك الأمر به ، ولابأس عليك ، ولو كان واجبا فى نفس الأمر ، وهما على الكفاية ، فاذا لم يأمر العالم ، أو لم ينه لجهله فى شيء أو تقصير أو عدم قدرة ، وجب على القادر

والأولى ان يقول : والأمر مع النهى ، ومعرفة الرسول مع معرفة الله ، والمن مع الدلائل ، والخوف مع الرجاء ، بمعنى فى كل ، كالأول داخلة على الراجح كما هو الأصل .

ومعرفة الله بأنه موجود بالانفراد فى ذاته ، أى لايتصف بالأجزاء ، وفى أفعاله وصفاته وأقواله وألوهيته ، ومعرفة الرسول : سيدنا محمد ﷺ ، بأنه نبى مرسَل ، ويجب أن يعرف أنه رسولٌ إلى الناس كافة ؛ لأن هذا المكلف منهم ؛ لأن دينه على يده ﷺ ، فمن يتبعُ إن لم يعرف ، أنه أرسل الى جنسه ؟ ! ويجب أن يعرف أنه إليهم والى الجن ، أو الى الخلق كلهم حتى يأخذوا لمنه على الانعام بالايجاد ، وهو أول النعم ، والاسلام وهو أفضلها ، وبالعقل وصحة البدن ، والحياة والمال وسائر ماينتفع به

والدلائل : مايستدل به على وجود الله عز وجل ، وعلى صفاته ، وهو ماعداه فى مخلوقاته ، أجسامها وأعراضها ، والكتب والرسل ، ولاخالق سواه ، قيل والنعمة أمر ملائم ،

تحمد عاقبته فقيل : لانعمة على كافر ، لأنه يعاقب عليها لعدم شكرها ، والصحيح ان النعم عليه كغيره ، لقوله تعالى « واذا أنعمنا على الانسان أعرض » الآية وغير ذلك كثير ، فإن العاقبة محمودة لو شكر فهو الذى أضاعها ، أو يسقط قوله : تحمد عاقبته ، ويجعل فى موضعها مانصه ، جعله الله تعالى للانتفاع » ثم انه كيف يقالُ أمر ملائم ، والأمر انما هو للأحوال ، والصفات ، والافعال ، فلا تدخل النعم التى هى أجسام ، ولايحسن التجوز فى الحد إلا بقرينة واضحة ، فالأولى ان يقال النعمة : الشىء الملائم الذى جعلُه الله تعالى للانتفاع بالتعريف أيضا ، فإن أصل التنكير فى الإثبات غير العموم ، وقد يقال النعمة أبدا ، غير جسم فهى انتفاع ، والانتفاع غير جسم ، فالنعمة التستر بالثوب لاالثوب ، والشبعُ ومادونه بالطعام ، لانفس الطعام ، وهكذا : والخوف من النار ومن التقصير ومن عدم القبول وسوء الخاتمة والسابقة ، والرجاء للجنة ولأن يكون غير مقصر ولأن يكون مقبولا ، وحسن الخاتمة ولايجب الخوف والرجاء فى أمر الدنيا لجواز الذهول ، ولايعذر فى استحضار أنه من غير الله .

ومن أمن أو أيس من الله فى أخروى أودنيوى كفر ، وان غلب أحدهما على الآخر لم يكفر عند بعض ، وهو الصحيح الا أنه لايحسن إلا عند الموت ، أو عند دفع وسواس الإياس ، ولابأس بالاياس من الخلق ، ولا بالأمن منهم إلا أنه غرور ، « ولاييأس من روح الله » « ولايأمن مكر الله » الآيتين « ولو وزن خوف المؤمن » الحديث « يابنى كن ذاقلبين » الخ

والولاية ولا يتنا الله ، وولاية المكلف نفسه وأطفاله ، وولاية الجملة ، وولاية الأشخاص . واما ولاية الله نفسه بمعنى الرضى عن نفسه ، وولايته لأوليائه فلا تدخل هنا ، لأن ماهنا فى الواجب على المكلف ، وسيأتى أنه يجوز أن تقول والى نفسه بمعنى رضى عنه نفسه

والعداوة :البراءة للجملة والاشخاص وعبر بالعداوة ، تأكيدا ولايجوز للملكف أن يبرأ من نفسه ، ولو كان كابليس ، بل يجب أن يتولى نفسه ولو كان مثله ، بمعنى أن يدعو لنفسه ولاطفاله بالجنة على الانقلاع ، ويجب على المكلف أن يرجُو ويخاف لأولاده الاطفال ويتولاهم ، ومعنى الخوف لهم : ان يخاف ان يكفروا بعد البلوغ .

ندينُ لله تعالى بعشرين صلاة ، حكم على المجموع أو جمع بين الحقيقة والمجاز ، أو من عموم المجاز ، وذلك أن الصلاة على النبى ﷺ ، وسجدة التلاوة ، والحج ، غير مفتتحا بتكبيرة الاحرام غير مختومة بالتسليم ، غير مشتملة على فاتحة الكتاب ، أو مع السورة ، ولا

على الركوع ، والتعظيم ، والسجود ، والتسبيح ، والتكبيرات ، والتحيات ، وسمع الله لمن حمده ، كسائر الصلوات ، ولا على التكبير ، والتسليم ، وفاتحة الكتاب ، والدعاء ، كصلاة الميت ، قال ﷺ « جميع الفرائض افترضها الله تعالى فى الأرض إلا الصلاة فان الله افترضها فى السماء وأنا بين يديه » أى وأنا فى مكان شريف .

ثمانية : لغة من يثبت التاء فى عدد المؤنث منهن الأولى منها ، لأنه جمع كثرة لغير العاقل فرض واثنتا عشرة سنة فالفرض : الصلوات الخمس والوتر فى قول جابر بن زيد وابن محبوب وصاحب الوضع ، والصحيح أنه سنة ، وهو قول الربيع والشيخ عامر رحمهما الله تعالى ، لقوله ﷺ : الوتر واجب على دونكم ولقوله ﷺ فى حجة الوداع : صلوا خمسكم ، ولو وجب الوتر لقال ستكم ، ولم ينزل فرض صلاة بعد حجة الوداع ، فظهر أن معنى قوله ﷺ « إن الله زاد لكم الوتر صلاة سادسةً انه تعالى زاد لنا مانتقرب به إليه من الصلاة لا على الوجوب ، وهو الوتر فقوله ﷺ « أوتروا » أمر ندب ، وقوله ﷺ « من لم يوتر فليس منا منسوخ » ويحتمل أن يريد بالفرض مطلقَ التاكيد » سواء مع عدمِ الوجوب كما فى الوتر أو معه كما فى الباقى ، وذلك عموم المجاز ، أو اراد بالفرض : الواجبُ والمتاكدُ ، أو ذكر الوتر لشبهه بالفرض ، وذلك جمع بين الحقيقة والمجاز ، أو من باب الحكم على المجموع

وصلاةُ الجمعةِ :ركعتانِ وقت الظهر بالفاتحة والسورة بعد آذان وخطبة ، تجب على الحر البالغ غير المسافر ، اذا كان الإمام الكبير ، أو السلطان العادل ، كما قال أبو اسحاق خلفه أو خلف من أمره بها مطلقا ، أو بقيد الأمصار السبعة ، ولاتجب فى غيرهن ولو مع امام ، أو من أمره بها إذا كانوا أربعين ولو بالامام ، أو عشرة أو ثلاثة ، ولو به ، أو تجب مطلقا ، ولو لم يكن امام ولو على فذ : أقوال : والمشهور أنه لاتجب فى غير زمان الامام ، وسمى اليوم جمعة ، لاجتماع الناس فيه ، وقيل : سماه كعب بن لؤى ، لاجتماع الناس فيه اليه ، وقيل سماه كعب بن زرارة من الانصار قبل الإسلام ، خصه ليذكر العرب فيه الله عز وجل

وعن سلمان الفارسى : قال لى رسول الله ﷺ أتدرى لم سمى يوم الجمعة ؟ قلت : لا ، قال لأنه جُمع فيه أبوك آدم ، أى جمع فيه قالَب آدم وروحه ، بعد أن كان ملقى أربعين سنة ، وقيل لاجتماع آدمَ وحواء فيه بعد الفرقة الطويلة ، وقيل لاجتماع أهل البلاد فيه ، وقيل لأنه تقوم فيه الساعة ، وهو يوم الجمع قال الله تعالى « يومَ يجمعكم ليوم الجمع »

والحج : سماه صلاة تسمية للكل باسم البعض ، لعلاقة الكلية والبعضية ، أو أحدهما ، لأن فيه الطواف ، وقد قال ﷺ « الطواف صلاة أحل الله فيه الكلام » ولاشتماله على

ركعتى الطواف ، ولو صح بدونهما ، ولابتنائه على ركعتى الاحرام ولو صح باحرام دونهما ، وكذا صح الاحرام بعد كل صلاة ، وتم بدونهما ، فسمى صلاة لعلاقة الجوار لركعتين قبله

والعمرة كذلك ، ولم يذكرها ، لأنه يستلحقها ، أو بناء على عدم وجوبها

واعلم أن الطواف على غير الكعبة حرام ، فلا يجوز الطوافُ على مسجد عند مشهد أبى العباس الويليلى الذى فوق الجبل المطل على مقبرة الشيخ جدّى محمد ، ولا على المسجد الذى عند شعبة موم ، وكانوا يطوفون على هذا وعلى المشهد المذكور سبعا ، كالكعبة ، وذلك بدعه محرمة لاتجوز ، ويجب انكارها ، ولايجوز الطواف كذلك على غير الكعبة

من استطاع اليه سبيلا : مَنْ : فاعل للحج من إعمال المصدر المقرون بأل ، أو بدل من الحج على حذف مضاف أى « حج من استطاع » والاستطاعة بصحة البدن والمال لذهابه ورجوعه له ، ولمن يجب عليه أن يمونه ، وأمان الطريق ، والصاحبين ، أو أكثر ، ان كان لايتوثق إلا باكثر ، والحرية ، والبلوغ ، والذكر ، والانثى سواء ، ويزاد لها زوجها أو محرمها أو ثقات يكفونها وعدم منه زوجها إياها ويعتبر فى ذلك الأصل أو غيره إلا مسكنا ، ويسامح فى مسكن حقير ، أو متوسط ، ويسمح لها فيما تتزين به لزوجها بلا سرف ، وتبيع للحج مافوق ذلك ،

وان حج مشرك ، أو عبد ، أو صبى لزمهم أن يحجوا إن استطاعوا بعد إسلام أو عتق ، أو بلوغ

والسنة ركعتان : تسمية للكل باسم البعض ، فإن الركعة : فَعْلة من الركوع ، وهى انحناء واحد بحسب الأصل ، والآن حقيقة عرفية ، للوقوف ، والركوع ، والسجدتين ، ومايتلفظ به فى ذلك ، وما بين ذلك ، وأول الأولى تكبيرة الاحرام ، ومنها التحيات فيما كانت فيه .

وقيل الركعة شرعا : مااشتمل على غالب الصلاة ، ومن غير الغالب : التحيات ، فانها ليست من الركعة قبلها ، ولامن التى بعدها ، بل جزء مستقل فى الصلاة ، والصحيح الأول قبل صلاة الفجر بعد طلوعه ، وان صلى ركعتين قبله نفلا ، وبان انهما بعده لم تجزياه ، لأنه لم ينو أداء السنة ، خلافا لبعض ، ويجوز فصلهما عن الفرض ، ولو بمدة طويلة ، وكل صلاة سنة بالفاتحة والسورة ، أو بها وبثلاث آيات ، والعمل بذلك .
وركعتان بعد صلاة المغرب باتصال أو فصل باوراد تذكر ، مثل أن يتسغفر سبعين مرة ،

ويستجير سبعا ، ويقرأ آية الكرسى ، وخواتم البقرة ، وشهد الله وقل اللهم مالك الملك ، واما بصلاة أخرى ، أو عمل اخروى ، أو دنيوى ، أو نحو ذلك مماليس وردا مخصوصا فلا ، والملائكة تنتظرهما فتطلع ، وقد يصلى رسول الله ﷺ المغرب فى المسجد ، واياهما فى البيت ، كما كثر صلاته ركعتى الفجر فيه ، ثم الفرض فى المسجد .

وصلاة العيدين ضحى باربع تكبيرات بعد تكبيرة الاحرام ، وثلاث بعد قراءة الركعة الثانيه تليهن تكبيرة للركوع ، والعمل بذلك ، ومن لم يحسن تكبير صلاة العيد صلى ركعتين بالفاتحة والسورة ، وان جاء خبر العيد بعد الزوال أو قبله بقدر ما لا تدرك ، أو عند وقوف الشمس ، صليت جماعة أو فرادى ضحى الغد .

وللملائكة عيدان ليلا ، لأنهم لا نوم لهم ، ليلة القدر ، وليلة النصف من شعبان ، تصلى بثلاثة رجال بالإمام ، وقيل هو رابع ، وقيل بعشرة ، وقيل بخمسة ، وقيل بأربعين ، ويرجع من طريق آخر ليتبرك به الطريقان ، ويشهرها فيهما ، ولا ينادى لها ، وقيل ينادى لها ايتوا الصلاة ، ويخطب لها بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، والاستغفار له وللمؤمنين والمؤمنات ، ويحمد الله أيضا فى آخر الخطبة ، ويتزين لها ، ويستطاب لها ، ويغتسل لها ، ويصليها الناس كلهم ، إلا أهل منى

والصلاة على الميتِ : الصحيحُ أنها واجبة لكل موحد ، ولو قاطع طريق ، إلا أنه لايصلى على نحو المنظور اليه ، بل بعض العامة ، وهى : تكبيرة الاحرام ، والفاتحة ، وتكبيرة، والفاتحة ، وتكبيرة ، والدعاء بالعربية وتكبيرة ، وتسليمة واحدة لليمين والشمال ، لابتسليم تام لليمين ، وتسليم تام للشمال كسائر الصلوات ، ولابركوع وسجود ، وتوجيهها سبحانك اللهم الخ ، أو سبحان الجليل الكبير سبحان الله العظيم .

وقيام رمضان : غير مؤكد ، تدخل الولاية على من استمر على تركه ، ان وفّى بخلاف من استمر على ترك سنة الفجر ، أو سنة المغرب ، أو العيد ، فلا تدخل عليه لو وفّى ، وان تولى ثم أحدث الاستمرار على ترك بعض ذلك ، أو تبين سبق ذلك على ولايته ، ابقى على ولايته ، ولايسوى من غيره ، وكذا سائر اخلاق السوء .

وصلاة الخسوف للقمر ، والكسوف للشمس ، كذا أراد ، وكل علامة سماوية كتطارد النجوم ، وتداخلها ، ونجم الذنب ، وكل مالا يعتاد من شدة ريح ، أو ظلمة ، أو حمرة ، أو نحو ذلك .

القمر يخسفه : أن تحيد الشمس عن مجراها ، فلايضيء مالم يقابلها منه

والشمس يكسفها نجم تحتها من الدرارى أو القمر ، أو وقوعها فى بحر هناك

والشمس أفضل من القمر ؛ لأن نورها من العرش ، ونور القمر منها ، ولكثرة ضوئها وكثرة نفعها ،ولأنه محادونها« فمحونا آية الليل »ولأنها فى الرابعة وهو فى الأولى ،وصحح بعض أنه افضل منها ، لأنه مذكر ، ولايعترض بتقديم ذكرها فى القرآن ، لأنه قد يتقدم ماليس راجحا كقوله تعالى «فمنكم كافر »وقوله «لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة» وقوله «ان مع العسر يسرا» وايضا يتحقق التفضيل بالذكورة لو كان الذكورة والأنوثة حقيقين ،نعم بقى بعضُ ترجيح لتذكير اللفظ ، إلا أنه لايتم دليلا ، ولاسيما أنه قد عورض بأدلة افضلية

ويقال فى ترجيح الشمس بأن نور القمر منها أنه لايتم دليلا ، لأن الذكر أفضل من أمه الوالدة له ، مع أنه منها ، ومرتضع منه ، لأنا نقول هذا فى الأنوثة الحقيقية والذكورة الحقيقية ، وهنا لاتحقيق لهما .

وصلاة الزلزلة : تحرك الأرض بعرق من عروق جبل قاف ، وقيل تحته جبال صغار ، فى كل واحد منهما عرق من عروق الأرض تزلزل به .

وصلاة الزلزلة مستحبةٌ وقال المصنف سنة .

وصلاة ركعتى الطواف : خلف مقام إبراهيم عليه السلام ، وهو الحجر الذى يقف عليه ، حين ارتفع بناء الكعبة ، اذ كان بينهما ، وحين نادى أيها الناس : حجوا بيت ربكم ، واستطال به حتى ساوى قبيسا ، ومعنى خلفه : بعده ، ولعله كان مستقبلا للكعبة ، فوجهه مااستقبل القبلة منه ، فالخلفية ظاهرة ، ومن استقبله ولم يحضر فى قلبه الكعبة ، كأنه اكتفى به ، أو ذهل به ، فلا صلاة له ، ويعتبر به أربعون ذراعا من جهة زمزم لجهة المنبر ، واربعون منه لجهة باب نبى شيبة

والسجدة : سجدة التلاوة ، وسماها صلاة ، لأن السجود بعض الصلاة .

والصلاة والسلام على النبى ﷺ حيث لم يذكر ، وامارة فى العمر ، أو حيث ذكر فواجبة ، أو تجب فى آخر تحية التسليم ، وقيل فى آخر تحيات التسليم ، وتحيات غير التسليم ، وهو قول الشعبى واسحاق بن راهويه ، وقيل تجب فى الصلاة من غير تعيين محل ، فحيثما أديت اجزت ، وقيل : يجب الإكثار من غير تقييد بعدد ، وهو قول ابن بكير من المالكية

وقال الطحاوى ،وجماعة من الحنفية ،والحلمى ،وجماعة من الشافعية تجب كلما ذكر قال ابن العربى والزمخشرى وهذا الأحوط ويدل له حديث التأمين عند صعود المنبر ،وحديث نسبة البخل الى من سمع اسمه ولم يصل عليه فقيل اسمه مطلقا ،وقيل لفظ محمد وقيل فى كل مجلس مرة واحدة ولو تكرر ذكره ، وقيل فى كل دعاء ،وقيل تجب مرة فى العمر فى صلاة أو غيرها ككلمة التوحيد ،قاله أبو بكر الرازى من الحنفية وابن حزم وغيرهما .

قال القرطبى : لا خلاف فى وجوبها مرة فى العمر ، وأنها واجبة وجوب السنن المؤكدة فى كل حين ، وسبقه إلى ذلك ابن عطية ، ونقل ابن القصار الإجماع على وجوبها فى الجملة بلا حصر لكن أقل مايحصل به الإجزاء مرة . وادعى الطبرى الإجماع على أنها من المستحبات .

وجاءنى سؤال من بعض علماء تونس وبعض نصاراها المنتسبين للعلم ، كيف يقال النبى ﷺ أفضل الأنبياء ، مع تشبيه الصلاة عليه وعلى آله بالصلاة على إبراهيم وعلى آل ابراهيم ، هذا يقتضى أن إبراهيم أفضل من محمد ، وآله أفضل من آل محمد ، فأجبت باختصار : ان الله سبحانه وتعالى فضله على جميع الأنبياء وغيرهم وفضل أمته على جميع الأمم فى قوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » فما كانت خيرَ أمة إلا أن يكون نبيُّها خيرَ الأنبياء ، لأن فضلَها يحصل منه ، واما التشبيه فالمراد به التنظير كقوله تعالى « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » وقوله تعالى « إنا أوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين » فانهما فى التنظير تسهيلا وتدريبا ، ومثلهما « وأحسن كما أحسن الله اليك » وذلك كله تنظير ، لا مراعاة لمقدار ، كما هو المتبادر ، ولو عند الخصم وهم النصارى ، واما أهل تونس فسؤالهم طلب للعلم : وقد قال الله تعالى « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » ولا مانع من تشبيه الأفضل بالفاضل وكذا فى قوله « وأحسن كما أحسن الله إليك » وأن ابيتم من التنظير عنادا ولا يقبل عنكم ، قلنا بتشبيه الأفضل بالفاضل ، لنكتة شهرة الفاضل ، فيراعى التشبيه للافهام ، فان نورَ المشكاة أظهر للناس من نور الله ، واحسانَ قارون لو أحسن اظهر لهم من احسان الله اليهم ، فان نور المشكاة واحسان قارون لو أحسن محسوسان ، وكذا ابراهيم وآله ، أشد شهرة فى القرون السابقة إلى عهده ﷺ ، لاتفاق الأمم عليه ، وكذا آله ، فالتشبيه لإلحاق مالم يشتهر ، بما اشتهر ، لالتفضيل المشهور على غيره ، وأيضا سيدنا محمد ﷺ ، داخل فى آل ابراهيم فله الفضل بأنه صلى عليه فى الصلاة على إبراهيم ، وصلى أيضا عليه على حدة

ويقال أيضا المراد أجب دعاء الملائكة الذين قالوا « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت فى محمد وآله لدخوله فى أهل البيت » كما أجبته فى ابراهيم وآله ، وقد قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا . صلوا عليه وسلموا تسليما » وهى الترحم أى طلب زيادة الرحمة سمى الترحم صلاة باعتبار اللغة أو باعتبار شبهها بصلاة الاحرام ، والتسليم بجامع الدعاء أو لأنه جزء من الصلاة لتأكيدها فى آخر تحيات التسليم أو لا ستلزام الصلوات الخمس لها أو عكسه فأنه يلزم من كونك تصلى الخمس ، أن تصلى عليه ﷺ وبالعكس لزوما بيانيا فإن المشرك لايصلى الخمس ولايصلى عليه

وحاصل ذلك : جمع بين الحقيقة والمجاز ، أو عموم المجاز .

الناس : على ثلاثة أوجه : مسلم موف ، ومنافق بالجارحة أو بكبائر القلب أو باضمار الشرك ، ومشرك باللسان والقلب أو بالقلب .

والولاية على أربعة أوجه : ولاية المسلمين جملة ، وولاية المعصومين ، وولاية العباد لله تعالى ، وولاية الأشخاص فتدخل فيها ولاية أنفسنا ، وولاية الامام ، ومن تحته ومن رجع من الشرك الى الإسلام ، ومن رجع من أهل الخلاف الى أهل الصواب ، وولاية الاطفال ، وأما ولاية الله لعباده فذكرها استطرادا لأنه فسر الولاية بالود ، بالجنان والثناء باللسان ، واراد ولاية بنى آدم وولاية الجن بحسب ما يظهر لنا منهم ، فلا يشكل على عدد الأربعة أو السبعة جملة الملائكة ، والاشخاص منهم ، وقد ذكرهم بعد وقيل سبعه بالرفع أى هى سبعة لا بالجر أى على سبعة اذ ليس ذلك مما حذف حرف الجر وبقى عمله ، ويضعف على نزع الجار ، بناء على جواره قياسا ، ولو فى السعة ، وهن الأربعة المذكورة ، وولاية البيضة وولاية التائب من شرك أو خلاف الى الحق ، وولاية الله لعباده ، بقطع النظر عن أنها تفسر بالحب بالقلب ، والثناء باللسان ، اكتفاء بلفظ الولاية ، وتدخل ولاية الأطفال فى ولاية الأشخاص ، وان شئت فولاية الله لعباده ذكرت لبيان الفائدة العظيمة ، لا لتتميم العدد بها .

والسابعة : ولاية الأطفال ، فأنه عز وجل لا يوصف بالجنان واللسان

وان شئت فتسعة بالمثناة ، ولاية المسلمين ، وولاية المعصومين ، وولاية انفسنا ، وولاية الله لعباده ، وولاية عباده له ، وولاية الأشخاص ، وولاية البيضة ، وولاية من رجع من الشرك أو الخلاف ، وولاية الاطفال

وأن شئت فثلاثة ولاية المسلمين ، وولاية جمل مخصوصة : مثل الانبياء هكذا والرسل هكذا وسحرة فرعون وقوم يونس ، وولاية الأشخاص كموسى ومريم ، ونحو ذلك من أفراد زمانك وغيره

وإن شئت فقل ولاية العامة الكلية وغيرها ، كعامة الخاصة ، وأفراد ولاية المسلمين ، جملة من عرفناه ، ومن لم نعرفه ، الحى منهم والميت

الإنس سموا لأنه يأنس بهم كل شيء حتى السباع والحيات إذا دربت لذلك ، والجن سموا ، لأنهم مستترون بدأ بها وولاية المعصومين ، لأنها توحيد ، فتارك ولاية الجملة مشرك ، وقيل منافق ، وهو الصحيح ، كسائر ما فى القرآن من الفرائض غير التوحيد ، لايشرك بتركه من علم به مالم ينكره ، وهى على الفور ، وقيل على التوسعة ، حتى يأخذ ذلك أن يقول : اللهم أعط السعداء الجنة ، وتعنى من الانس والجن من الأولين والآخرين ، أو تصرح بذلك ، وكذلك فى ولاية غيرهم ، تقول اللهم اعط فلانا الجنة ، أو فلانة ، أو هذا ، أو نحو ذلك ، أو جماعة كذا ، كسحرة فرعون ، وذلك تعبدا ، وقل اللهم زدهم فى الجنة خيرا ، فهو ظاهر العلة ، وكذا فى المعصومين ، ويجزى فيها ما يختص بالمؤمنين ، مثل اللهم اعطه كتابه بيمنه أو أعطهم كتبهم بأيمانهم ، آو نور قبره ، أو قبورهم ، وأطعمهم ، من ثمار الجنة ، أو أشممه ، أو أشممهم رائحتها ، وولاية المعصومين عن الموت على الكفر ، فشمل من لم يكفر قط ، وهم الانبياء والرسل ، ومن كفر باشراك ومات على الوفاء ، وهم اصحاب الكهف ، ومؤمن آل فرعون ، ومن بينهما ، ومن احتمل انهم اشركوا أو نافقوا أو تابوا ، وأنهم لم يفعلوا ذلك ، وهم القسيسون والرهبان ، وكل سعيد معصوم عند الله ولو لم نعرفه ، ولم يذكره الله لنا ، بمعنى أنه لايموت إلا على الوفاء ، وسيكون معصومون فى آخر الزمان متعينين سعداء معروفين تجب ولايتهم كالمنصوص عليه فى القرآن ، على من شاهدهم ، ويكون أيضا اشقياء متعينين ، تجب براءتهم على من شاهدهم ، ويكون كالمنصوص عليه ، وذلك اذا خرجت الدابة ، وسمت السعيد والشقى ، قال الشيخ بتغورين رحمه الله العون والعصمة والتسديد والشرح معنى ، يعطيه الله المؤمنين ، حال فعلهم الايمان ، والوفاء بدين الله يحول بينهم وبين الضلالة والكفر بفضله واحسانه الى المسلم ، ويعصم به عن الشيطان الرجيم ، ومن يرد أن يضله ،

وهو رحمة من الله تعالى من لطائف تدبيره ، قال الله عز وجل « ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد ابدا » « ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين » « ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا » ويقال العصمة عدم خلق الله الذنب فى المكلف مع قدرته واختياره ، ويقال العصمة : لطف من الله بالعبد ، يحمله على فعل الخير ، ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء ، ولاتتم تلك التعاريف إلا باعتبار الموت ، فان المؤمن يطيع ويعصى ، ويطيع ، فهل تقول كلما أطاع

فقد عصم ، وكلما عصى فقد خذل ، وهذا لامانع منه ، ان اعتبر معنى ، تارة يوفق على الطاعة ، وتارة لا ، ولامانع من هذا فى الكافر ، إلا أن السعيد يموت على الوفاء ، والكافر يموت على الاصرار ، وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه أى القرآن ، وأثنى عليهم ومدحهم فيه ، فأوجب لهم الجنة بذلك الذكر والثناء ، وكل من ذكره الله بخير علمنا أنه من أهل الجنة .

واما المعصومون الذين لم يذكرهم الله تعالى فى كتابه ، فكل سعيد من أول الدنيا الى آخرها ؛ لأنهم عصموا عن الموت على الكبيرة ، فالواجب علينا ولايتهم .

ونشهدَ بالنصب عطفا لمصدره على ولاية ، أى ولايتهم وشهادتنا لهم بالجنة ، وهم عشرة من الرجال أنواعا وافرادا ، والانواع فى قوله : فالانبياء الى قوله سحرة فرعون ، والافراد حبيب النجار ، ومؤمن آل فرعون ، وعشر من النساء افرادا ، اما الرجال فالأنبياء غير الرسل ، والأنبياء الرسل عليهم السلام ، والقسيسون قال الله عز وجل ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، الخ « ورهبانية ابتدعوها » الخ « والقسيسون العلماء من النصارى ، جمع راهب كراكب وركبان ، وهو لفظ عربى وقيل أصله روهبان عجمى ، مركب ، معناه صاحب الزهد ، ويقال هو عبرانى معرب ، وكذا العبرانية تقارب العربية كثيرا ، وقد يطلق الرهبان بضم الراء على الواحد كالجمع ، قال :

لو كلمت رهبان دير فى القلل : لانحدر الرهبان يسعى ونزل .

ويقال اصله الخوف ، ثم صار اسما لما زاد على المقدار وافرط فيه ، وقال ابن الاثير الرهبانية منسوبة الى الرهبنة بزيادة الألف فالنون زيد للالحاق ، وهى فعلنة من الرهبنة ، وهو أيضا فعللة الحاق ، وقيل النون أصل ، وهو فعللة وعنه ﷺ « لازمام ولا خزام ولارهبانية ولاتبتل ولاسياحة فى الاسلام » والرهبانية كالاختصاء . لبس المسوح ، وترك اللحم ، ومواصلة الصوم ، وترك الملأ ، وتكلف المشاق ، والعزلة ، وفى الحديث « رهبانية المؤمن الجهاد » وكانوا يخرقون أنوفهم ويجعلون فيها الزمام كزمام الناقة ، ويجعلون فيها الخزمة من الشعر كالبعير ، وكانوا يخرقون تراقيها ، فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك كله ، وهو تعذيب ، وانما قلت من النصارى ؛ لأن كلام المصنف فى المنصوص عليهم ، والنص جاء فى رهبان النصارى لقوله تعالى « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا » الآية . وذكر الله الرهبان على العموم ، الثابتين على الحق ، والفاسقين من النصارى ايضا ، فى قوله تعالى « وقفينا بعيسى بن مريم »الآية قال عروة بن الزبير « ضيعتِ النصارى الأنجيل ، وادخلوا فيه ماليس منه ، وبقى واحد منهم على الدين

والحق ، اسمه قسيس ، وكانوا يسمون من على دينه قسيسا ، وقيل من قس بمعنى قص ، وهو تتبع الأثر ، وهم يتبعون العلم والحكم ، واوراد الليل ، والآن يقولون قس ، ويقولون كسى ، ويقال القس بالفتح والقِسيس بالكسر رئيس النصارى فى العلم والدين .

وأصحاب الكهف هم أحياء على الصحيح كالنائم ، وصحح بعضهم أنهم ماتوا بعد ما أيقظهم الله عز وجل ، وكيفية ولايتهم : أن يقال مع الحب فى القلب اللهم اعطهم الجنة ، وذلك تعبد أو يزاد لهم بذلك خير فى الجنة ، أو يقال اللهم زدهم خيرا فيها ، وهكذا فى كل من علم أنه من أهلها ، وذلك أولى من الولاية بأسمائهم ، اذ لا يتيقن بالأسماء إلا مافى القرآن منه ، وبذلك يتحقق أداء فرض الولاية ، واسماؤهم : مكسلمينا وهو أكبرهم ، وتمليخا وهو اعقلهم ، ومرطليوس ، وبينوس ، ودوانوس ، وكشطوس وهو الراعى ، هذا ماروى عن ابن عباس وقال أنا من القليل ؛ اذ قال الله عز وجل « مايعلمهم الا قليل »

وعن على ثلاثة : قبل هجرتهم عن يمين الملك ، تمليخا ، ومكسلمينا ، وساونوس ، وثلاثة : عن يساره مرطليوس ، وبينوس ، ودوانوس ، واما كشطوس فهو الراعى الذى تلقوه فى الطريق ، واسم كلبهم قطمير ، عند ابن عباس ، وهو رواية عن على ، والاخرى عنه : ربان ، وحمرا عند شعيب الجبائى ، ونثوى عند الاوزاعى ، وقنطوريا عند مجاهد ، وسبيط عند عبدالله بن سلام ، وتغنى عند كعب ، وقطمور عند أبى حنيفة ، وقطفير عند قوم ، وهو ابلق ، وقيل أنمر وبه قال ابن عباس ، وقال مقاتل أصغر ، وقال محمد بن كعب يضرب الى الحمرة ، وقال الكلبى كالثلج ، وقيل كلون الهر ، وقيل كلون السماء ، وقال كعب أصهب ، وهو فوق القلطى ، ودون الكركى ، والقلطى الكلب الصغير .

والكهف غار فى الجبل، عن علىّ اسمه الوحيد ، وقيل خيرم ، واسم الجبل ناجلوس ، ويروى أن النبى ﷺ سأل ربه ان يراهم ، فقال لن تراهم فى الدنيا ، ولكن ابعث اليهم أربعة من خيار اصحابك ليبلغوهم رسالتك ، ويدعوهم الى الايمان بك ، فقال رسول الله ﷺ كيف أبعثهم ، قال ابسط ثوبك وأجلس على طرف منه أبا بكر ، وعلى طرف عمر ، وعلى طرف عليا ، وعلى الرابع اباذر ، ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان بن داود ، فان الله أمرها أن تطيعك ، ففعل النبى ﷺ ، فانطلقت بهم الى باب الكهف فقلعوا حجرا ، وقام الكلب ولما رآهم حرك رأسه ، وبصبص بذنبه ، وأو مأ برأسه ، أن ادخلوا ، فدخلوا ، فقالوا السلام عليكم ورحمه الله وبركاته ، ورد الله أرواحهم ، فقالوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فقالوا إن نبى الله محمد بن عبد الله ﷺ يقرأ عليكم السلام ، فقالوا وعلى محمد

رسول الله السلام مادامت السموات والأرض ، وعليكم بما بلغتم السلام ، وقالوا أقرؤه السلام ، وردهم الله إلى رقدتهم .

ويقال إن المهدى يسلم عليهم عند خروج يأجوج ومأجوج ، فيرجعون الى ان يميتهم الله عند قيام الساعة ، ثم جلسوا على اماكنهم من الثوب ، فحملتهم واخبروه ﷺ بما كان ، وقد أخبره جبريل برجوعهم ، فقال ﷺ « لاتفرق بينى وبين اصحابى واصهارى واحبابى واغفر لمن أحبنى وأحب أهل بيتى وأمتى واصحابى »

وعن ابن عباس : يقلبون لئلا تأكلهم الارض مرة فى السنة ، وقال أبو هريرة مرتين ، وقيل يقلبون يوم عاشوراء ، وسبب إيمانهم أنهم رأوا دقيانوس فزع من صوت هر ، فقالوا لو كان إلها لم يفزع ، وقيل كانوا عنده فرآه تمليخا حزن لسلطان من الفرس أراد غزوه ، وقال فى نفسه ، لو كان إلها لم يفزع ، ولم يبُل ، ولم يتغوط ، وهو يفعل ذلك ، وقد فزع حتى سقط التاج عن رأسه ، وليست تلك الصفات من صفات الاله ، وكان الستة كل يوم يجتمعون عند واحد منهم ، فاجتمعوا عند تمليخا ، وهو أعقلهم فاكلوا وشربوا دونه ، فقالوا مالك ، فقال ياإخوتى وقع فى قلبى شىء منعنى من الطعام والشراب والنوم اطلت فكرى فى هذه السماء ، فقلت : من رفعها سقفا محفوظا بلا علاقة من فوقها ، ولادعامة من تحتها ، ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ، ومن زينها بالنجوم ؟ ثم اطلت فكرى فى هذه الأرض ، من سطحها ، وحبسها ، وربطها بالجبال الرواسى ؛ لئلا تميد ، ثم اطلت فكرى فى نفسى ، فقلت من أخرجنى جنينا من بطن امى ؟ ومن غذانى وربانى ؟ ان لهذا صانعا ومدبرا غير دقيانوس ، فانكبت الفتية على رجليه يقبلونهما ، وقالوا وقع فى قلوبنا ماوقع فى قلبك ، فاشر علينا فخرجوا ، واسم بلدهم طرسوس ، وفى الجاهلية افسوس ،

والمراد كما رأيت : أصحاب الكهف المذكورون فى سورة الكهف ، وبسطت قصتهم بطولها فى « هميان الزاد » لأأصحاب الكهف الثلاثة الذين خرجوا يرتادون ، فأصابهم المطر ، فآووا الى الكهف ، فانحطت عليهم صخرة من الجبل ، فسدت باب الكهف ، فأوصدت عليهم ، فقال واحد منهم : ليذكر كل واحد منكم احسن عمل عمله ، فلعل الله يرحمنا ، فقال واحد منهم كان لى أجراء ، جاء رجل منهم وسط النهار ، فعمل كعمل واحد منهم ، فأعطيته كواحد منهم لاجتهاده فى عمله ، فقال واحد منهم اتعطيه مثلى ، ولم يعمل إلا نصف النهار ، فقلت له ياعبدالله لم أبخسك شيئا من شرطك ، انما هو مالى أحكم فيه بما شئت ، فغضب وترك أجرته ، فوضعت حقه فى جانب من البيت ماشاء

الله ، ثم مرت بى بقرة ، فاشتريت به ، وانميته فبلغ ماشاء الله ، وروى أنه حرثه ، فاشترى بغلته غنما وبقرا ، وأنمى ذلك ومر بى بعد ذلك شيخ ضعيف لاأعرفه ، فقال إن لى عندك حقا ، فقلت اذكره لى فذكره ، فقلت اياك أبغى ، وهذا حقك وعرضتها عليه ، فقال عبدالله لاتسخر بى ، ان لم تتصدق على فاعطنى حقى ، فقلت والله ماأسخر إن هذا لحقك ، ومالى فيه شيء فمرْ به ، اللهم ان كان هذا لوجهك الكريم ، فافرج عنا فانفرجت الصخرة ، حتى رأوا الضوء .

وقال الآخر : كان لى فضل مال ، وأصاب الناس شدة ، فجاتنى امراة تطلب منى معروفا ، فقلت والله ماهو دون نفسك ، فابت على وذهبت ثم أنها رجعت ، فذكرتنى بالله ، فقلت والله ماهو دون نفسك ، فلما رأت ذلك سلمت الىّ نفسها ، فلما كشفتها ، وهممت بها ارتعدت ، فقلت مالك ؟ فقالت « اخاف الله رب العالمين » فقلت لها خفته فى الشدة ، ولم أخفه فى الرخاء ، فتركتها وأعطيتها ماتحب بما كشفتها ، اللهم ان كان هذا لوجهك الكريم ، فافرج عنا فانفرجت الصخره حتى تعارفنا .

وقال الآخر : كان لى أبوان كبيران ولى غنم وكنت اطعمها وأسقيها ،

ثم أرجع إلى غنمى فاصابنى يوما غيث حبسنى ، حتى أمسيت فاتيت أهلى ، وأخذت محلبى فحلبت غنمى وتركتها قائمة فى مكانها ومضيت اليهما ووجدتهما ناماً فشق على أن أوقظهما وشق على أن أترك غنمى فما برحت جالسا ومحلبى فى يدى حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كان هذا لوجهك الكريم فافرج عنا الصخرة فأفرجها فخرجوا ، روى ذلك النعمان بن بشير الانصارى عن رسول الله ﷺ .

وأصحاب الأخدود شق فى الأرض بالحفر ، وهو مفرد من قوله تعالى (قتل أصحابُ الأخدود) قتل بالنار الذين ألقوا لإيمانهم فى الأخدود ، وقوله (إذ هم عليها قعود) الضمير فى قوله (وهم على مايفعلون) الخ للكفرة المحرقين لهم ، والضمير فى قوله (منهم إلا أن يؤمنوا) للمسلمين المحرَقين فى النار ، ويجوز أن يكون قتل بمعنى لعن ، فأصحاب الأخدود ، هم الكفرة الذين احرقوا المؤمنين ، والضمائر لهم بعد ذلك ، إلا الضمير فى قوله (منهم) وقوله (أن يؤمنوا)

قال عطاء عن ابن عباس أنه كان بنجران ملك من ملوك حمير ، يقال له يوسف ذونواس بن شرحبيل ، فى الفترة قبل مولد النبى ﷺ بسبعين سنة ، وكان له ساحر حاذق ، ولما كبر قال للملك انى قد كبرت فابعث لى غلاما أعلمه السحر ، فبعث إليه

غلاما اسمه عبدالله بن السامر ، فكره الغلام ذلك ، ولم يجد بدا من طاعة الملك وطاعة أبيه ، فجعل يختلف إلى الساحر ، وكان فى طريقه راهب حسن القراءَة ، فقعد الغلام عنده ، وسمع كلامه فأعجبه ، وكان يبطىء عن الراهب ، ويأتى المعلم فيضربه به ، ويقول له ماالذى حبسك ، واذا انقلب الى أبيه جلس عند الراهب ، فيضربه أبوه ، ويقول ماأبطأك ؟ فشكا الغلام ذلك إلى الراهب ، فقال له إذا اتيت المعلم ، فقال حبسنى أبى وإذا أتيت أباك فقل حبسنى المعلم ، وكانت فى بلدهم حية عظيمة قطعت الطريق ، وقال اللهم إن كان امرُ الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها ، فرماها فماتت ، فاخبر الراهب فقال انت قتلتَها ؟ فقال نعم ، قال ان لك لشأنا وقد بلغ من امرك ماأرَى ، وانك ستبتلى ، فلا تدل علىَّ ، فكان يبرىء الاكمهَ ، والأبرص ، ويشفى المرضَى ، وكان للملك ابن عم مكفوف البصر سمع بالغلام ، وقتله الحية فجاءه مع قائد ، وقال له أنت قتلت الحية ؟ قال لا ، قال فمن قتلها ؟ قال الله تعالى ، قال فمن الله قال رَب السموات والأرض ومابينهما ، ورب الشمس والقمر ، والليل والنهار ، والدنيا والآخرة ، قال إن كنت صادقا فادع اللهَ أن يرد على بصرى ، فقال الغلام ارأيت إن رد الله عليك بصرك ، افتؤمن بالله ؟ قال نعم ، قال اللهم إن كان صادقا فاردد عليه بصره ، فرجع الى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك ، فلما رآه تعجب منه ، وقال له من فعل هذا بك ؟ قال الله تعالى ، قال ومن الله ، قال رب السموات والأرض ومابينهما ، قال الملك أخبرنى مَن علمك هذا ؟ فأبى ، فلم يزل يعذبه حتى دلّه على الغلام ، فجىء بالغلام ، فقال يابنى قد بلغ من سحرك هذا ؟ فقال انى لاأشفى أحدا ، وانما يشفى الله ، فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب ، فجيىء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك ، فابى فدعا بالمنشار فوضعه فى مفرق رأسه ، فشقه حتى صار شقين ثم جىء بابن عم الملك ، فقيل له ارجع عن دينك فأبى ، فقال ألقوه فوق جبل كذا ، فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فهلكوا ، ورجع الى الملك ، فقال مافعل أصحابك قال أهلكهم الله ، فغاظه ذلك ، فدفعه الى نفر من أصحابه ، وقال احملوه فى السفينة واغرقوه فى لجة ، فقال اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانقلبت بهم السفينة فغرقوا ، ورجع الى الملك فقال مافعل أصحابك ؟ قال أغرقهم الله .

فقال اقتلوه بالسيف ، فنبا السيف عنه ، وفشى خبره فى الأرض ، وعظمه الناس ، وقالوا انه هو وأصحابه على حق ، وقال لا تقدر على قتلى إلا أن تجمع اهل مملكتك ، وانت على سريرك ، فتصلبنى على جذع ، وترمينى بسهم ، وتقول باسم رب الغلام ، ففعل فاصابه السهم فى صدغه فمات ، وقد وضع يده على صدغه ، فقال الناس (آمنا برب عبدالله بن

السامر ، لا آله إلا الله ، ولادين إلا دينه ، فأمر بحفر الأخدود وأضرموه نارا ، فمن كفر تركه ، ومن آمن ألقاه فيه ، وجاءت امرأة لها أولاد ثلاثة ، وقال لها ان لم تؤمنى القيتك فى النار وأولادك ، فألقى الاكبر ثم الاوسط ، واراد القاء الصغير الرضيع ، فهمت بالرجوع فأنطقه الله ياأماه لاترجعى ولابأس عليك ، فالقيا فيها .

قال سعيد بن المسيب كنا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ ورد عليه كتاّب أنهم وجدوا ذلك الغلامَ الذى كان يدخل على الراهب بنجران ، وهو واضع يده على صدغه ، وكلما مدت يده عادت الى الصدغ ، فكتب اليهم عمر واروه حيث وجد تموه .

وعن مقاتل الاخاديد ثلاثة ، واحد بنجران اليمن ، وآخر بالشام ، والثالث بفارس ، اما الذى بالشام فلا نطباخوس الرومى ، احرق قوما من المؤمنين ، واما الذى بفارس:فلبختنصر من المجوس ، وكانوا اهل كتاب احلت لهم الخمر فسكر ، فوقع على أخته وندم ، وقال لها ماالمخرج ؟ فقالت اخطب الناس وقل لهم ان الله قد أحل نكاح الأخوات ، ففعل فقام الناس كلهم اليه ، فقالت أبسط فيهم السوط وأبوا ، قالت جرد فيهم السيف وابوا ، فأمرته بخد الاخدود فمن لم يؤمن بتحليل نكاح الاخوات القاه فى النار ، وعن على . نزل قتل اصحاب الأخدود فى هذا ، وقيل فى أخدود اليمن ، وقد مرّ ، وهو ليوسف ذى نواس بن شرحبيل بن تبع بن يشرخ الحمدى ، وأما الثالث . فهو ماذكر محمد بن اسحاق عن وهبه بن منبه أنه بقى رجل على دين عيسى ودخل نجران ، فدعاهم فأجابوه فخيرهم ذو نواس بين النار واليهودية ، فأبوا فأحرق منهم اثنى عشر الفا فى اخدود ، وقال مقاتل سبعة وسبعين انسانا ، وقال الكلبى أصحاب الاخدود سبعون الفا أحرقتهم النار ، وارتفعت الى أعلى الاخدود وجوانبه ، واحرقت هؤلاء كلهم ، وغلت اثنى عشر ذراعا ونجا ذو نواس ومن لم يحضر،وسلط الله عز وجل أرباط الحبشى ، وغلب على اليمن ، وخرج هاربا ، وغرق فى البحر .

وفى صحيح مسلم عن صهيب:ان رسول الله ﷺ قال كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر ، فلما كبر قال للملك قد كبرت ، فابعث لى غلاما اعلمه السحر ، فبعث اليه غلاما يعلمه ، وفى طريقه راهب ، قعد اليه وسمع منه كلامه ، فاعجبه فكان يدخل اليه فيبطىء على الساحر فيضربه ، وشكا للراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى ، واذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر ، ومر يوما على دابة حبست الناس ، فقال اليوم اعلم ان الساحر أفضل أم الراهب ، فأخذ حجرا وقال بسم الله اللهم ان كان امر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة ، حتى يمضى الناس ، فرماها

فقتلها ، فمضى الناس فاخبر الراهب ، فقال له اى بنى انت اليوم افضل منى ، وقد بلغ من امرك ماأرى ، وأنك ستبتلى ، فلا تدل على ، وكان الغلام يبرىء الاكمه والابرص ، ويداوى ، فسمع جليس الملك وقد عمى ، فأتاه بهدايا ، فقال مالى كله لك إن شفيتنى ، قال انى لاأشفى أحدا انما يشفى الله ، فان آمنت بالله دعوت الله ، فشفاه الله ، فذهب إلى الملك فجلس اليه كعادته ، فقال من رد اليك بصرك ؟ قال ربى ، قال ألك رب غيرى ؟ قال ربى وربك الله ، فعذبه حتى دله على الغلام ، فقال للغلام أى بنى قد بلغ من أمرك ماتبرىء به الاكمه والأبرص وكذا وكذا ، فقال أنى لاأشفى أنما يشفى الله فعذبه ، حتى دله على الراهب فلم يرجع الراهب عن الإيمان ، فشقه بالمنشار من رأسه ، ثم فعل بالرجل كذلك ، اذ لم يرجع ، ففعل بالغلام مما مر من الجبل والبحر وغير ذلك ، فقال الغلام اصلبنى على جذع وخذسهما من كنانتى ، وضعه فى كبد القوس ، وقل (بسم الله رب هذا الغلام ،وارمنى) ففعل فوقع السهم فى صده فمات ، فآمن الناس برب الغلام ، فأضرم الأخدود على حد مامر .

وروى أنه اضرم أخاديد على أفواه السكك ، واخرج الترمذى ذلك بمعناه ، وفيه أن الراهبَ فى صومعته ، وفيه أن الدابة أسد ، قال معمر أحسب أصحاب الصوامع يومئذ مؤمنين ، قال الترمذى حسن غريب ، ورواه الضحاك عن ابن عباس ، وفيه أن الملك بنجران ، وان الراهب يقرأ الانجيل وأن الدابة حية ، وانه قال بسم الله رب السموات والارض ومابينهما ، فقتلها واسمه عبدالله بن ثامر ، فقال اهل مملكته (لا إله الا الله عبدالله بن ثامر) .

عن ابن عباس : ارتفعت النار فى الأخدود فوق الملك وأصحابه أربعين ذراعا ، فاحرقتهم ، وعن الضحاك هم قوم من النصارى باليمن ، قبل رسول الله ﷺ باربعين عاما ، أخذهم يوسف بن شراحبيل بن تبع اليمن ، وكانوا نيفا وثمانين رجلا فاحرقهم ، وقال قوم هم دانيال وأصحابه ، وعن على أن الله جل وعلا ، بعث نبيا الى الحبشة فاتبعه قوم ، فخدَّلهم قومهم أخدودا . قال ايوب السنحتيالى عن عكرمة : « قتل أصحاب الاخدود » كانوا من قومك ستحتيان ، وقال الكلبى هم نصارى نجران أخذوا بها قوما مؤمنين من هذه الأمة خدُّوا لهم سبعة أخاديد ، طول كل أخدود أربعون ذراعا ، وعرضه اثنا عشر ، ثم طرح فيه النفط والحطب ، فمن آمن برسول الله محمد ﷺ القوه فيها ، وقيل قوم من النصارى فى قسطنطينية زمان قسطنطين

وقال مقاتل أخدود بنجران ليوسف بن ذى نواس ، وآخر بالشام لا نطابوس الرومى ، والثالث بفارس لبختنصر ، ونزل القرآن فى الذى بنجران فقط ، وذلك : أن رجلين مسلمين أحدهما بتهامة والآخر بنجران ، أجر أحدهُما نفسه ، يعمل ويقرأ الانجيل فرأت ابنته المستأجر النور فى قراءة الانجيل فأخبرت أباها فأسلم ، فبلغوا سبعة وثمانين بين رجل وامراة بعد ما رفع عيسى ، فخدلهم يوسف بن ذى نواس بن تبع الحميرى اخدودا يلقى فيه من آمن بعيسى عليه السلام ، وقذف فيه فى يوم واحد سبعين انسانا منهم المرأة ورضيعها ، قال يا أماه ان لم تقعى فيه فوراءك النار لا تطفأ .

وقال وهب بن منبه : كان قيمون من أهل دين عيس ، باقيا على دينه لم يغيره ، صالحا زاهرا مجاب الدعاء سائحا بناء ، واهل نجران اهل اصنام ، وقريبا منهم ساحر يبعثون اليه أولادهم للسحر ، ومنهم التامر عبد الله بن التامر ، وكان يمر بخيمة قيمون ويدخلها ، وأعجبته صلاته وعبادته ، فاسلم ولزمه فى طريقه ، كلما مرو بخل عنه باسم الله الاعظم ، وجمع كل اسم من اسماء الله يعلمه فى الاقداح فالقى الاقداح واحدا بعد واحد فى النار ، حتى القى اسم الله الاعظم فخرج منها لم يحترق ، وطار فأخبر الراهب أنى ظفرت باسم الله الاعظم واخبره بما فعل ، فقال قدا صبته ، فقال له امسكه ، وما أراك تمسك ، فكان يدخل نجرانَ ويشفى كل ذى علة باذن الله على شرط الايمان قبل الشفا ، فقال ملكهم أفسدتَّ علىَّ قومى ودين آبائى ، ففعل به ما ذكر من الالقاء من الجبل ، والالقاء فى البحر ، فلم يتأثر بذلك ، وقال والله لن تقتلنى إلا ان قلت « لا اله إلا الله وان عيسى رسول الله ، ففعل فضربه بالعصا ومات ، وهلك الملك فى وقته ، فدخل اهل نجران كلهم فى دين عيسى عليه السلام ، ثم احدثوا ، ومن ذلك صارت النصرانية فى نجرانَ وسار اليهم ذونواس اليهودى بجنوده من حمير ، فخد الأخدود ، وأحرق بالنار ، وقتل بالسيف ، إلا من كفر بعيسى ، ومثل بهم ، وقتل سبعين ألفا .

وقوم يونس : هو ابنُ متّى وهو من الأسباط ، ومتىّ أبوه ، وقيل أمه ، فلم ينسب أحد من الأنبياء الى امه إلا عيسَى ويونس عليهما السلام ، وقريته نينوَى من قرى الموصل ، كان قومه يعبدون الأصنام ، وكان حديدا لايصبر على الناس ، فلحق بالجبل ، يعبد الله عز وجل ، وكان حسنَ القراءة ، يستمع لقراءته الوحشُ كداود ، وكان تعتريه حدة ، كما قال الله عز وجل « ولاتكن كصاحب الحوت » «واصبر كما صبر أولوا العزم » وكان قليل الصبرِ على قومه والمداراة لهم ، روى قومُنا عن رسول الله ﷺ ، انه كان فى يونُس بنِ متى عجلَة

وخفة ، فلما حمل أعباء الرسالة : تفسح تحتها تفسح الربع تحت الحمل الثقيل ، ولذلك السبب ذهب مغاضبا ، قال قوم ذهب مغاضبا لقومه ، وهى رواية الضحاك ، والعوفى.

عن ابن عباس كان يونس بن متى وقومُه يسكنون فلسطين ، فغزاهم ملك ، فسبى منهم تسعه أسباط ونصفا ، وبقى سبطان ونصف ، وكانوا اثنى عشر سبطا ، فيهم النبوة والملك ، فاوحى الله تعالى الى شعياء النبى عليه السلام ، أن سر الى حزقيا الملك ، وقل له يوجه نبيا قويا ، فانى القى الخوف فى قلوب أولئك ، حتى يرسلوا معه بنى اسرائيل ، فقال له الملك فمن ترى ؟ وكان فى مملكته خمسة من الأنبياء ، فقال أرى يونس أنه قوى ، فدعا الملك يونس وامره أن يخرج ، فقال يونس هلِ أمرك الله بإخراجى ؟ قال لا ، قال هل سمانى ؟ قال لا ، قال هاهنا أنبياء اقوياء غيرى ، فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبى والملك ولقومه ، فاتى بحر الروم ، فكان من أمره ماكان .

وقال الحسن انما غاضب ربه لأنه أمره بالمسير إلى قومه ، لينذرهم بأسه ، ويدعوهم فسأل ربه أن ينظره ، ليتأهب للشخوص إليهم ، فقال له الأمر اسرع من ذلك ، ولم ينظِره ، وسأله أن ينظِره أن يأخذ نعليه ليلبسهما ، فقال له الأمر اسرع من ذلك ، فقال اعجلنى ربى أن آخذ نعلى ، وهذا لايصح أن يفعله نبى ولاتصح روايته عن الحسن لأن الأنبياء لا يتعمدُون مخالفة الله عز وجل .

وروى عن شهربن حوشب عن ابن عباس قال جبريل ليونس انطلق الى أهل نينوَى فانذرهم أن العذاب قد حضرهم ان لم يتوبوا ، قال التمسُ دابة ، قال الأمر اعجل من ذلك فغضب وانطلق الى البحر ، فركب السفينة فكان من امره ما كان ، قيل : هذه الأقوال على أن الرسالة بعد نجاته من بطن الحوت ، قال ابن عباس كانت بعد أن نبذه الحوتُ ، وقيل : إنه عقّب القصة بقوله « وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون » وقيل قصة الحوت بعد دعاء قومه وتبليغه الرسالة ، وإنما ذهب عن قومه مغاضبا لربه ، اذ كشف عنهم العذاب ، بعد ما وعدهم به ، قلنا لا يصح أن يكون نبى يغاضب الله عز وجل ، بل كره أن يكون بين قوم جربوا عليه الكذب ، والخلفَ فيما وعدهم به فى يوم من العذاب ، ولم يعلم ما السبب الذى رفع عنهم العذاب به ، ومن عادتهم قتلُ الكاذب .

قال على بن ابى طالب بعثهُ الله عز وجل : ابنَ ثلاثين سنة ، ولم يؤمن به إلا رجلان روبيلُ وكان عالما حاكما ، وتنوخا وكان عامدا زاهدا ، ولما أيس منهم دعا عليهم فقيل له : ما أسرع ما دعوت على قومك ارجع اليهم فادعهم أربعين ليلة ، وقيل ثلاث ليال ، فان لم

يجيبوك أرسلت عليهم العذاب ، قيل ودعاهم سبعا وثلاثين ، وخطبهم ، وقال إنى أحذركم العذابَ الى ثلاث ، ان لم تؤمنوا ، وآية ذلك أن تتغير الوانكم ، ولما أصبحوا تغيرت ألوانهم ، فقالوا ان يونس لم يكذب قط ، فان لم يبتْ فيكم فاعلموا أن العذاب مصبحكم ، وخرج ليلة الأربعين ، وقيل تغشاهم لخمس وثلاثين ليلة ، تغشاهم كما يتغشى الترابُ القبر اذا دخل فيه صاحبه ، وكان العذاب فوق رؤسهم قدر ميل ، وقال ابن عباس قدر ثلثى ميل : غامت السماء غيما اسود هائلا تدخن دخانا شديدا ، وأسودت أسطحتُهم ، فطلبوا يونس تائبين فلم يجدوهُ ، وخرجوا بانفسهم ، ونسائهم ، وصبيانهم ، ودوابهم ، ولبسوا المسوح وأظهروا الإيمان ، وفرقوا بين كل والدة ، وولدها ، من الناس ، والدواب والانعام ، وحسن بعض لبعض ، وعلت أصواتهم بالبكاء ، وقالوا آمنا بما جاء به يونس ، فقبل توبتهم ، وكشف عنهم العذاب ، وذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة ، وقيل نصف شوال يوم الاربعاء ، وبلغت توبتهم الى أن يقلع الرجل من أساسٍ بناه ، فيرده لصاحبه ، ويقال لما غشيهم العذاب ، مضوا الى شيخ بقى من علمائهم ، فقال قولوا : ياحى حين لا حى ، يا حى حين تحيى الموتى ، لا إله إلا أنت ، فقالوا فكشف الله عنهم العذاب ، وقد خرج يونس عنهم ، ومعنى قوله عز وجل « أن لن نقدر عليه » أن لن نضيق عليه قاله عطاء وقال الجمهور ، ان لن نقضى عليه بالعقوبة ، وقد عوقب بالحبس ، وأخطأ من زعم أن المعنى : انه ظن ان الله لا يقدر عليه ، وأنه يعجز ، إلا إن قيل : الأصل افظنَّ بهمزة الاستفهام .

وحمله أهل السفينة بلا أجرة فاحتبست عن الجرى ، والسفن تجرى يمينا وشمالا ، فقال الملاحون ان فيها عبدا أبقا ، وهذا شأن السفينة اذا كان فيها آبق ، فقال يونس أنا الآبق ، فالقوا القرعة ثلاثا تقع عليه فى كل ، فذهب ليلقى نفسه ، فرأى حوتا فاتحافاه ، وذهب الى جهة أخرى ليلقى نفسه ، فوجده فيه ويجده فى كل جهة ، فالقى نفسه ، فبلعه ، وجعله الله له مكسنا وابتلع الحوتَ حوتٌ آخر ، وانطلق به حتى مر به على الأيله ، ثم على دجلة ، ثم الى نينوى ، ويقال رقق اللهُ جلد الحوتِ ، حتى كان يرى جميع مافى البحر ، ولما بلغ البحر سمع صوتا ، فقال يارب : ماهذا ؟ قال تسبيح دواب البحر ، فسبح فسمعت الملائكة تسبيحه ، فقالوا ربنا إننا نسمع صوتا ضعيفا معروفا بأرض مجهولة ، قال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر ، فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد لك منه عمل صالح كل يوم وليلة ؟ قال نعم :فسمعوا به ، وهو قوله تعالى « فنادى

فى الظلمات ان لا آله إلا انت سبحانك إنى كنتُ من الظالمين » ظلمة الليل ، وظلمة الحوت ، وظلمة البحر ، أو ظلمة الحوتين ، وظلمة البحر .

قال رسول الله ﷺ : اسمُ الله الذى إذا دعِى به أجاب ، واذا سُئل به اعطى ، دعوةُ يونس بن متى ، قال سعد بن مالك لمن هى يارسول الله ؟ أليونس خاصة أم للمسلمين ؟ فقال ليونس خاصة ، ولجميع المسلمين عامة ، ألم تسمع قوله تعالى (فنادى فى الظلمات الى قوله : وكذلك ننجى المؤمنين)

ومكث فى بطنه ثلاثة ايام عند مقاتل ، وسبعة عند عطاء ، وعشرين عند الضحاك ، واربعين عند السرى والكلبى ، وخاض البحورَ السبعة فيما قيل ، وقذفه الحوت على ساحل بحر نينوى رقيقا كالفرخ ، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين تظلله ، ووكل عليه وعلة ترضعه ، وبكى حين يبست الشجرة ، وأوحى الله إليه اتبكى على شجرة يبست ، ولاتبكى على « مائة ألف أو يزيدون » أردتُّ أن أهلكهم بضم التاء ، والمراد صورة الإرادة ، إذ غشيهم الدخانُ والسوادُ ثم زالا ، وذلك ان ارادةَ الله لاتزول ، أو بفتحها خطابا ليونس ، كما روى ان الله سبحانه وتعالى قال له « وطبتَ بهلاك مائة ألف أو يزيدون » كمايأتى ومر على غلامٍ يرعى غنما ، فقال من أنت ؟ قال من قوم يونس ، قال اذا رجعتَ اليهم فقل لهم إنى لقيت يونس ، فقال الغلام أن كنتَ يونس فاجعل علامة ، قال تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرةُ ، وهذه الشاة ، وأمرهن بالاشهاد ، فشهدن والغلام يسمع ، فاخبرهم ، فأمر الملك بقتله ، فقال لى بينة ، فأرسلوا معى رجالا ، فقال لهن بالله هل أشهدكم يونس ، قلن نعم ، فرجعوا مذعورين ، فأجلسه الملك مجلسه ، فأقام أمرهم أربعين سنة ، وقال له أنت أحق به منى .

ومن القصص أنهم خرجوا يلتمسون يونس ، فوجدوه وفرحوا به ، فجاء معهم .

ويروى أن يونس دخل قرية ليلا ، فاضافه رجل عمل فخارا كثيرا ، فأوحى الله عز وجل إليه ان مره بكسر الفخار ، فأمره فشتمه ، فقال إنه كسبى أنتفع به إنا واهلى ، فأوحى الله عز وجل إليه انه لم تطب نفسه بكسر فخاره ، وطبت بهلاك مائة ألف أو يزيدون من عبادى ، فهبط واديا وقالت لهم تلك الشاة ، أن أردتم يونس فهو فى هذا الوادى ، فوجدوه فانكبوا على رجله يقبلونها ، وسألوه الرجوع معهم ، فقال لاحاجة لى فى مدينتكم ، فبكوا ولحوا فأجابهم ، فأجلسوه على عجلة من فضة ، وعضّ جبريل على سبابته ، وقال هذا مجلسُ الجبارين ، فنزل منها على رجليه ، ومكث مع أهله وولده أربعين ، ثم خرج سائحا ، وخرج معه الملك ، واقام الملكُ الغلامَ مقامه وساحا حتى ماتا ،

وأما تمتيعهم إلى حين ، فإبقاؤهم على الإيمان إلى أجل موتهم : وقد ماتوا ، وقيل الى قرب قيام الساعة جدا ، وقيل إلى قيامها و يموتون قبل ذلك ، وأولادهم يموتون ، وأنهم فى أرض بعيدة عن العمران ، وقيل من رواء المحيط، وقيل من رواء الصين ، وأنه ﷺ رآهم ليلة الإسراء .

وسحرة فرعون ، لما رأى فرعون مارأى من سلطان الله عز وجل فى اليد والعصا قال لانغالب موسى إلا بمن هو مثله ، فأخذ غلمانا من بنى اسرائيل فأمر بهم أن يذهبوا إلى قرية تسمى الفرقاء ، يتعلمون السحر ، ثم بعث الى السحرة ومعهم معلمهم ، وقال له ماصنعت ؟ قال علمتهم سحرا لايطاق إلا أن يكون أمر من السماء، وبعث الشرطة فى جميع السحرة ، وكانوا اثنين وسبعين غير رؤسائهم ، ويقال منهم اثنان من القبط رئيسان فى السحر ، وقيل مجوسيان من أهل نينوى ، والباقون من بنى إسرائيل ، وقيل جملتهم اثنا عشر ألفا ، وبه : قال كعب ، وقال السدى بضعة وثلاثون ألفا ، وعكرمة سبعون الفا ، ومحمد ابن المنكدر ثمانون الفا ، ويقال سبعون ألفا اختار منهم سبعة آلاف واختار من سبعة الآلاف سبعمائة ، واختار من سبعمائة، وقال عطاء:رأس السحرة اخوان باقصى مدائن الصعيد ، جاءهم رسول فرعون لعنه الله ، فقالا لامهما دلينا على قبرابينا ، فصاحا باسمه ، وقالا جاءنا رسول الملك فى رجلين لهما عزة بلا رجال ولاسلاح ولهما عصى لايقوم له شيء ، قال إن كانت تعمل عند نوم صاحبها فلا طاقة به لأحد ، فان الساحر لايعمل سحره فى النوم ، فجاء ليأخذاها عند نوم موسى وهارون ، فقصدتهما .

وتواعدوا فى يوم لهم يوم زينة ، فى سوق يوم السبت ، أو يوم من السنة ، يجتمع الناس اليه من الآفاق ، قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ، اجتمعوا بالميقات من الاسكندرية . ويقال بلغ الذنب من الحية وراء البحر ، وجاء موسى متكئا على عصاه مع هارون عليهما السلام وفرعون واشرافه فى مجلسه ، فقال « موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا » الخ . فقال السحرة : ماهذا بقول ساحر ، وحبالهم وخشبهم حمل ستين بعيرا ، ملأت الوادى حيات كأمثال الجبال ، متراكبة ، وفيها تجاويف وزئبق فى حرارة الشمس .

فأوحى الله عز وجل أن ألق عصاك ، فألقاها وصارت ثعبانا عظيما أسود ، يطحن الصخور والبيوت ويعلوها لطوله ، يخرج من فيه وأنفه نار ودخان ، وأنياب وضروس فى كشيش وصريف ، فتلقفت تلك الحبال والخشب شيئا فشيئا ، ولم يبق شيء ثم تبعت الناس ، ومات فى الهروب بازدحام خمسة وعشرون ألفا ، وآمن السحرة ، وقالوا لو لم يكن من الله لم يغلبنا ، فأين عصيُّنا وحبالنا ؟ قيل انطلق بطن فرعون فى ذلك اليوم أربعُمائة

مرة ، ثم أربعين مرة فى كل يوم ، إلى أن هلك فى البحر ، وأول من آمن منهم سابور ، وغادور ، وحفظ ، وخطط ، ومصغى ، وكانت الحية بعد ذلك تلوذ بموسى وتبصبص كما يفعل الكلب الألوف ، وهم ينظرون ويتعجبون

ولما دخل عسكرَ بنى إسرائيل أخذها برأسِها فعادت عصى .

وحبيب النجار : بتنوين حبيب وكسر نونه للساكن فى اللغة الفصحى ، خلافا للغة الضعيفة ، وهى حذف التنوين للساكن ، وصف بالنجار ؛ لأنه ينحت قبل إسلامه الأصنام لقومه ، قال الله عز وجل « وجاء مِن أقصى المدينةِ رجل يسعى قال ياقومِ اتبعُوا المرسَلين.الى قوله : إنى آمنت بربكم فاسمعون ، قيل ادخل الجنة : الى المكرمين »

وممن نص عليه فى القرآن : زيدُ بن حارثة ، إذ قال الله عز وجل فيه « وأذ تقول للذى أنعم اللهُ عليه وأنعمت عليه » أى أنعم اللهُ عليه بالإسلام .

ومؤمن آل فرعون حزقيل : قالت الرواة كان حزقيل من أصحاب فرعون نجارا ، وهو الذى صنع لأم موسى التابوت وكان خازنا لفرعون مائة سنة ، مؤمنا مخلصا كاتما لإيمانه ، إلى أن ظهر موسى على السحرة ، فاظهر إيمانهُ فقتل صلبا مع السحرة ، قال الله عز وجل « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه » وهو من القبط ، وقيل : ليس منهم ، بل المراد أنه يكتم إيمانه عن آل فرعون ، ذكر بعض المفسدين : أن اسم هذا الرجل حبيب ، وقيل شمعان ، قال السهيلى وهواصح ما فيه ، وفى تاريخ الطبرى اسمه خير ، وقيل حزقيل ، ونسب لابن عباس والجمهور ، وذكر الزمخشرى أنه سمعان أو حبيب ، وقيل حرميل ، أو حرمل ، قال الحسن : وهو قبطى ، ويقال كان ابن عم فرعون ، قال السدى وهو الذى ناجى موسى ، « قال إن الملأ يأتمرون بك » الخ ، ولهذا قال من آل فرعون ، وهو المراد بقوله « رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى » وهو قول مقاتل ، قال ابن عباس:لم يؤمن من آل فرعون غيره وامرأة فرعون ، والذى أنذر موسى ، قال السدى هو اسرائيلى والأصل يكتم إيمانه من آل فرعون ، فقدم وأخر ، ويعترض بأنه يقال كتمه كذا ، ولا يقال كتم منه كذا ، قال ﷺ « سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين : حبيب النجار ، ومؤمن آل يس ، وحزقيل مؤمن آل فرعون ، وعلى مؤمن آل محمد ﷺ . ولهم حزقيل آخر : حزقيل بن بورى ، بعثه الله نبيا إلى بنى اسرائيل ، لما قبض كالب وابنه ، ويلقب بابن العجوز ، لأن أمه سألت الله ولدا بعد ما كبرت خرجوا من ديارهم وهم ألوف ، ومات أهل داوردان بالطاعون ، فقال الباقون لنهر بنّ فنجوا كما نجا من هرب ، وقد هربت طائفة

فنجوا فخرجوا ، فنزلوا واديا طيبا واسعا ، وناداهم ملك من أسفله وآخر من أعلاه موتوا ، فماتوا فاحياهم بدعوته ، وقيل امرهم ملك بنى اسرائيل بالجهاد ، فخرجوا وجبنوا ، واعتلوا بأن فى الأرض العدو وطاعونا ، فبعث الله اليهم الطاعون فى معسكرهم ، وعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم وهم ثلاثة الآف عند عطاء الخراسانى ، واربعة آلاف عند ابن عباس ووهب وثمانية آلاف عند مقاتل والكلبى ، وعشرة آلاف عند ابى روق ، وثلاثون الفا عند ابى مالك ، وبضع وثلاثون عند السدى ، وأربعون الفا عند ابن جريج ، وسبعون الفا عند عطاء ابن أبى رباح ، مر عليهم حزقيل متقطعة أوصالهم ، فأوحى الله تعالى اليه اتريد أن أحييهم يا حزقيل ، قال نعم يارب : وذلك بعد أن وقف عليهم متعجبا ، فأحياهم الله .

وقال مقاتل الكلبى : هم قوم حزقيل ، مر عليهم ، فقال يارب كنتُ فيهم يعبدونك فبقيت وحدى ، ولو شئت احييتهم فعمروا بلادك ، قال الله عز وجل أتحب ذلك قال نعم يارب : فقال جعلتُ ذلك إليك ، فقال احيوا « باذن الله فعاشوا » وقال وهب : أصابهم بلاء وشدة من الزمان ،وقالوا لو متنا لاسترحنا ، فماتوا وامر حزقيل فاحياهم باذن الله ، وقيل أمره الله أن يأتى مقبرة كذا فيناديهم ، فحيوا وهم ينظرون ، ويعلمون أنى لو أمتهم لأحييتهم إن شئت وأى راحة لهم فى الموت على وجوههم ، و تبلى ثيابهم .

قال ابن عباس : فى تلك الطائفة رائحة الميت ، واما النساء:فأمنا حواء « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » لما اسكن اللهُ آدم الجنةَ توحش فيها ، وانما توحش فيها لأنه لم يدخلها للجزاء ، فالقى الله عليه النوم فاخذ الله ضلعا من شقه الأيسر ، يقال له القصيرى ، وخلق منه حواء بلا ألم ، ولو تألم آدم من ذلك لم يرحم رجل امرأة ، ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها بانواع الزينة ، وأجلسها عند رأسه ، ولما استيقظ وجدها عند راسه ، قالت الملائكة امتحانا يا آدم : ما هذه ؟ قال امراة ، قالوا لم سميت امرأة ؟ قال لأنها خلقت من المرء ، قالوا وما اسمها ؟ قال حواء ، قالوا صدقت ولم سميت حواء ؟ قال لأنها خلقت من شىء حى ، وقيل سميت حواء ، لأنها أم كل حى ، وقيل لأن فى شفتها حوة أى حمرة شديدة ، تميل الى السواد ، وقيل فى ذقنها ، وقيل ذلك فى جسدها كله ، ولا يصح هذا إلا إن سميت إليها إذا خرجت من الدنيا وزعم بعض أنه لا يصح أنها خلقت من آدم ، لأنه نقص منه ، ولا يجوز النقص على الانبياء ، ويرده ان هذا يكمل له معنى ، لأنها سكنه وآنسه ، وأيضا النقص من جسد الأنبياء ممنوع اذا كان ظاهرا يعاب ، قالوا : ولماذا خلقها الله تعالى ؟ قال لتسكن إلىّ وأسكنَ اليها .

وقيل لما هبّ من نومه ، وجدها عنده ، فقال لها من أنت ؟ فقالت له انى امرأة خلقت منك لتسكن الى .

قال بعض العلماء : حملت فى الجنة ، ووضعته فى الدنيا ، فدل على أن المجامع فى الجنة ، تخرج من النطفة،وشهر أنه لاتخرج منه وأنه تتم لذته بلا خروج ولا مانع من أنها تخرج بلا ريح كريهة ولاوسخ ، وان رحم المرأة ترشفها .

وقيل:خلقت حواء قبل دخول آدم الجنة « لقوله تعالى : اسكن أنت وزوجك الجنة » وهو مروى عن ابن عباس ، وجزم به السيوطى ، فى التوشيح ، قلت لادليل فى الآية ، لجواز أن يكون المعنى أبقيا على سكناها ، ولابعد فى هذه ولا ضعف ، وروى أن الخطاب لآدم قبل خلقها ؟ لأنها ستكون منه تغليبا للحاضر ، قال ابن عقيل : الجمهور على أنه لهما بعد خلقها ، والحكمة فى أن الرجل يزداد حسنا ، والمرأة قبحا ، أنها خلقت من لحم واللحم يفسد بالمكث ، والرجل من الطين والطين لايفسد بالمكث ، ويزداد حسنا بالماء أو الخدمة .

وروى أنه مد يده إلى حواء ، فقالت الملائكة « مه » ياآدم ، فقال ولم ؟ وقد خلقها الله لى ، فقالوا حتى تؤدى مهرها ، قال ماهو قالوا الصلاة على محمد ثلاث مرات وقيل عشرا ، وقيل عشرين ، وقيل ثلاثا وعشرين ، ثلاثا قبل التلذذ بها ، وثلاثا قبل الجماع ، وثوابها لحواء ، لأنها صداق لها ، ومن محمد ؟ قالوا آخر الانبيا من ولدك ، ولولا محمد ماخلقت .

وعن سعيد بن جبير عن عبدالله بن عباس:اذا اراد الله خلق جارية بعث اليها ملكين أصغرين مكللين بالدر والياقوت ، يضع أحدهما يده على رأسها ، والآخر يده على رجلها ، ويقولان باسم ربنا . وربك الله ، ضعيفة خلقت من ضعف ، المنفق عليها معان الى يوم القيامة .

وقيل لما مد يده الى حواء قيل (مه) حتى تتزوج بها فزوجه الله عز وجل بها ، وقرأت الملائكة الخطبةَ مِن الله عز وجل (الحمد لله والعظمة إزارى ، والكبرياء ردائى ، والخلق كلهم عبيدى وامائى ، اشهدوا ياملائكتى ، وحملة عرشى ، وسكان سماواتى ، انى زوجت حواء أمتى عبدى آدم ، بديع فطرتى ، وصنيع يدى ، على صداق تقديسى وتسبيحى وتهليلى ، ياآدمُ : اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكان أشد حبا لآدم منه لها ، وتكتم ، قيل له أتحبها ؟ قال نعم ، فقيل لها أتحبينه ؟ فعارضت أن لا أصرح بحبه ، وعاشت تسعمائة سنة وسبعين سنة ، منها بعد آدم سبع وستون سنة وسبعة أشهر ، وعاش آدم ألف سنة ، وقيل تسعمائة سنة وستين سنة ، ولفظ حواء من الحياة كما مر أنها سميت لأنها خلقت من حى ،

فاصله حيواء بوزن فعوال ، أو حوياء بوزن فوعال ، والزائد فيها الواو والالف قبل الهمزة ، والهمزة بدل من لام الكلمة ، وهى المتطرفة بعد ألف زائدة ، وليست فيه الف التأنيث ، ومنع الصرف للعلمية والتأنيث ، ولما اجتمعت الواو والياء وسكن السابق قلبت الياء واوا ، وادغمت الواو فى الواو شذوذا عكس القاعدة من قلب الواو ياء وادغام الياء فى الياء ، ومن ذلك الشذوذ قولهم عوى الكلب عوة ، والقياس عيه كذا قيل ، ويقال أيضا عية على القياس ، ولعل ذلك لغة من يجعل ياء عوى عن واو ، قلبت ياء لكسر ماقبلها قال عوة ، كما أن أصل رضى رضو قلبت الواو ياء لكسر ماقبلها ، ومن قال ياء أصل قال عية ، ويجوز على ضعف ان يكون ياء أحيى قلبتا واوا ، فصار اللفظ حواء ، فالألف والهمزة للتأنيث ، ولاينبغى ان يعدل عن كون اللفظ من الحياة ، لنص آدم بحضرة الملائكه عليهم السلام ، وقيل هو من الحوة وهى شدة الحمرة الى السواد ، فوزنه فعلاء بالف التانيث الممدودة ، وكان هو ابيض اجمل منها ، والله يفعل مايشاء ، ويحتمل أن تكون تلك الحمرة الشديدة باعتبار مآلها ، لأنها لما خرجت من الجنة تغيرت ، كما قيل فى آدم ، أنه من الأدمه وهى الحمرة الشديدة ، لأنه تغير الى ذلك حين خرج من الجنة .

وسارّة بنت هاران امرأة ابراهيم بشد الراء ، هو اسم فاعل سره يسره أفرحه ، وجعل علما لها ، لأنها تسر من رآها لكمال جمالها ، فهو بتاء على صورة هاء ، وقيل يسارت بمثناة تحتية أول وبتخفيف الراء وبتاء مجرورة فى السطر ، فيكون عبر ياشبيها بالعربى من معنى اليسر ، وسماها جبريل يوما سارت بتخفيف الراء واسقاط الياء من أول ، فقالت لابراهيم لم اسقطت الياء ؟ فاوحى الله اليه أن جعلها فى اسم ولد من نسلها أسمه حيا ، فكان يحيى « قالوا اتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت » وماتت سارة بنتَ مائة وسبع وعشرين سنه ، بالشام فى قرية الجبابرة ، من أرض كنعان ، فى حيرون فى مزرعة اشتراها ابراهيم ﷺ ، ودفنت بها وماتت قبلها هاجر بمكة ، ودفنت فى موضع الحجر ، وتزوج ابراهيم بعد موت سارة امرأة من الكنعانيين ، يقال لها قطورا بنت يقطان ، وولدت له يغشان ، وزمران ، ومدان ، ومدين ، واشبق ، وشوخ ، وهم ستة ، وتزوج امرأة من العرب إسمها حجون ، بنت أهيب ، فولدت له كيسان ، وفروخ ، وأهم،ولوطان ، ونافس خمسة ، فجملة أولاده ثلاثة عشر ، باسحاق واسماعيل ، واكبرهم اسماعيل ، قال سائر أولاده ، انزلت اسحاق معك فى الشام ، واسماعيل بقربك فى الحجاز ، واسكنتنا فى أرض الوحشة ، والغربة ، فقال امرنى الله بذلك ، وذلك أنه فرقهم فى البلاد ، ثم تلا عليهم اسما من اسماء الله تعالى يستسقون به ، ويستنصرون .

وأصل ابراهيم : اب رحيم ، فالهاء عن حاء وقيل الهاء زائدة للتعظيم فى تلك العجمة السريانية ، وكان ابراهيم أول من سن ثقب الأذن للنساء ، وهو سنة ، وأول من ختن النساء ، أمر سارة ان تختن هاجر ، وان تثقب أذنها ، وكذا فى المنهاج جواز ثقب الأذن للنساء ، وكذا فى الديوان للصبية ، بأذن أبيها ، وبالأولى للبالغة الحرة باذنها ، وهو الصحيح والسنة ، وهو ايضا سنة للذكر ، وفى المنهاج عن رسول الله ﷺ « ثقبوا آذان صبيانكم خلافا على اليهود » وكان الصحابة ، يثقبون آذان الذكور ، والاناث ، واذا قارب الذكر البلوغ نزعوا عنه ، وكذلك كان ابنه يفعل بهم .

وروى أن ابراهيم سابق بين إسحاق واسماعيل ، فسبق اسماعيل فجعله فى حجره ، وجعل اسحاق جنبه ، فغضبت سارة ، وقالت خيرت ولد الأمة على ولدى ، وحلفت لتغيرن خلق هاجر ، وتقطع منها بضعة ، وندمت وتحيرت ، فاوحى الله تعالى اليه ان افعل كلما طلبت سارة فى هاجر وإسماعيل ، فأمرها أن تبرَّ يمينها بثقب أذنيها وختنها ، فكان ثقب الأذنين سنة فى النساء ، وكان من سيدنا محمد ﷺ فى الذكر والأنثى ، وكذا ختن الاناث سنة منه صلى الله عليها وسلم .

وعن ابن عمر ثقب الأذن من السنن المؤكدة ، ولم يخص موضعا من الاذن ، فلا يختص بشحمة الأذن ، وفى الضياء : اذا ثقبت المرأة فى أذن بنتها فلا ضمان عليها فيما عرفت ، وذكر ذلك أو نحوه الشيخ يحيى بن صالح شيخ مؤلف النيل ، وفى الضياء : يجوز تثقيب آذان الصبيان باذن آبائهم ، وفى الدايون وغيره : كل ما جعلته المرأة فى عنقها ، فانه يجزيها للصلاة ، واما ما جعلته فى أذنيها أو فى ذراعيها أو فى رجليها فلا يجزيها . ومنهم من يرخص اهـ .

وذكر ابن حجر كلاما حاصله : ان كل حديث فيه ذكر علائق الاذن ، دليل على جواز الثقب للأذن ، وفى الديوان : تثقب المرأة إذنى بنتها باذن الأب ، ومنهم من يرخص أن تثقب بلا اذن منه ، وفى المنهاج . وغيره ، تثقب الأذن : ومن ثقبت لولدها بلا اذن من ابيه فمات ، فديته لابيه وغيره ممن يرثه ، وان اتفقا فللورثة غيرهما ديته ، وأن ثقب له غيرهما بلا أذن أب فعليه الارش ، وهو ناقة ، وقيل عليه من الدية ما انقص الثقب لو كان عبدا من القيمة ، وان ثقب بلا إذن أب فمات ، فالدية له ولأمه ولمن يرثه ، وأجاز ابو الحسن تثقيب الاذن للصبى بلا اذن أبويه ، وقيل يجوز لأمه ما لم ينهها ابوه ، وان نهاها فثقبت فى كل اذن أربعة فدية الاذن فى ثلاثة ، ويعد الرابع جرحا ، ولو انثى ، وأجاز ابن محبوب تثقيب الجارية دون الغلام للام بلا اذن من الأب ان لم ينهها ، وقيل لا تثقب لها الأم بلا إذن

من وصى أبيه القائم لمصالحه ، والا سلمت الأرش اليه ، ومن أمرته الأم بتثقيبه ، فلا يثقب إلا أن علم اذن الأب أو الوصى لها ، وقيل يجوز أن يثقب بلا اذن منه ، وهو قول من اجاز لها الثقب بلا اذن لها من ابيه ، وقيل يجوز له ان علم أنها لا تدخل فيما لا يجوز

ورحمة : امرأة أيوب ، بنت افرايم بن يوسف بن يعقوب ، وعبارة بعض : رحمة ابنة يوسف ، فيحتمل ظاهره ، ويحتمل ان المراد ابنه ، وعبارة بعض أن امها زليخا ، فهى ابنة يوسف لصلبه قال الله تعالى « وآتيناه أهله ومثله معهم » وهذا امتنان عليه بها ، ولو لم تكن فى أهل السعادة لم يذكرها فى معرض الامتنان ، قال الله تعالى « واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه » الآية . وقال تعالى « وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين » .

قال وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتاب ، كان ايوب رجلا من الروم ، ويقال أيوب ابن روم بن عيص بن اسحاق ، وكان رجلا طويلا عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين والساعدين ، وكان مكتوبا على جبهته المبتلى الصابر ، ويقال هو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيصون بن أسحاق عليه السلام ابن ابراهيم عليه السلام ، وكانت أمه من ولد لوط بن هاران ، وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا ، وكان له الثنية فى أرض الشام كلها سهلها وجبلها ، وما كان فيها ، وكان له من اصناف المال كله ، من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ، ما لايكون لرجل أفضل منه فى العدة ، والكثرة ، وكان له بها خمسمائة فدان ، يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة . وولد ومال ، ويحمل آلات كل فدان أتان ، ولكل أتان ، ولد من اثنين الى ما فوق الخمسة ، وكان الله اعطاه اهلا وولدا من رجال ونساء ، وكان امرءا تقيا رحيما بالمساكين ، يكفل الايتام والارامل ، ويكرم الضيف ، ويبلغ ابن السبيل ، وكان شاكرا لا نعم الله ، مؤديا لحقه ، قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من العزة والغفلة والتشاغل والسهو عن أمر الله تعالى ، بما هو فيه من الدنيا ، وكان معه ثلاثة قد آمنوا به ، وصدقوه وعرفوا فضله ، رجل من أهل اليمن يقال له اليقين ، ورجلان من أهل بلاده يقال لاحدهما مالك وللآخر ظافر ، وكانوا كهولا .

قال وهب : إن لجبريل عليه السلام بين يدى الله تعالى مقاما ليس لأحد من الملائكة أمثلة فى القربة والفضيلة ، وإن جبريل هو الذى يتلقى الكلام ، فاذا ذكر الله تعالى عبدا تلقاه جبريل مع ميكائيل ، ثم من حوله من الملائكة المقربين والحافين من حول العرس ، فاذا

شاع ذلك فى الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات ، فاذا صلت عليه ملائكة السموات هبط عليه بالصلاة الى ملائكة الأرض ، وكان إبليس لا يحبس عن شيء من السموات ، وكان يقف فيهم حيث ما أراد ، ومن هناك وصل الى آدم حين أخرجه من الجنة ، فلم يزل على ذلك يصعد إلى السماء ، حتى رفع الله عيسى عليه السلام ، فحجب عن أربع ، وكان يقعد فى ثلاث ، فلما بعث الله محمدا ﷺ حجب عن الثلاث الباقية ، فهو وجنوده محجوبون عن جميع السموات إلى يوم القيامة ، إلا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين ، قال فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أبواب ، وذلك حين ذكره الله واثنى عليه ادركه البغى والحسد وصعد سريعا ، حتى صعد فى السماء موقفا ، كان يقفه ، فقال : ياإلهى نظرت فى أمر عبدك أيوب وجدته عبدا ، انعمت عليه فشكرك ، وعافيته فحمدك ثم لم تختبره لا بشدة ولا بلاء ، وانا لك زعيم لئن ضربته ببلاء ليكفرن بك ، ولينسينك ، فقال الله تعالى ، انطلق اليه فقد سلطتك على ماله ، فانقضَّ عدوُ الله حتى بلغ الأرض ، ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم ، فقال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة ، فانى قد سُلطت على مال أيوب ، وزوالُ المال هو المصيبة الفادحة ، والفتنة التى لا تصبر عليها الرجال ، فقال عفريت من الشياطين أعطيتُ من القوة مالو شئت تحولتُ اعصارا من نار ، فأحرقت كل شيء أتى عليه ، فقال له ابليس فأت الإبل فأحرقها ورعاتها ، فانطلق يؤم ، وذلك حين وضعت رؤسها ، وثبتت فى مراعيها ، فما تشعر الناس حتى ثارت من تحت الأرض اعصار من نار ، تنفخ فيها رياح السموم ، لا يدنو منها أحد الا احترق ، فلم يزل يحرقها ورعاتها ، حتى أتى عن آخرها ، فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود منها فى صفة راعيها ، ثم انطلق يؤم أيوبَ حتى وجده قائما يصلى ، فقال له يا أيوب : قال لبيك : قال هل تدرى ما صنع ربك الذى اخترته وعبدته بإبلك ورعاتها ؟ فقال أيوب إنها ماله أعارنيها وهو أولى بها ان شاء تركها ، وإن شاء أخذها ، وقد تحققتُ وطيبتُ النفس أنى ومالى للفناء والزوال ، فقال ابليس فان ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحرقت كلها ، وبقى الناس مبهوتين وقوفا عليها يتعجبون منها ، فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئا ، وما كان إلا فى غرور ، ومنهم من يقول لو كان إله أيوب يقدر على ان يصنع شيئا لمنع وليه من حريق مواشيه ، ومنهم من يقول بل هو الذى فعل ما فعل ، فشمت به عدوه ، وفجع به صديقه ، فقال أيوب الحمد لله الذى أعطانى ، وحيث شاء نزع منى ، عريانا خرجت من بطن أمى ، وعريانا أعود إلى القبر ، وعريانا أحشر إلى ربى ليس ينبغى لك أن تفرح حين أعارك الله ، وتجزع حين قبض عاريته ، فهو أولى بك بما اعطاك ، ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا ، لنقل روحك مع تلك الأرواح ، وصيرك

شهيدا مع الشهداء ، ولكنه علم فيك شرا فاخرك وخلصك من البلاء ، كما يخلص الذارى من القمح الخالص ، فرجع ابليس إلى أصحابه خائبا ذليلا ، وقال لهم ماذا عندكم من القوة ؟ أنى لم اكلم قلبه ، فقال عفريت من عظمائهم : عندى من القوه مالوشئت صحت صوتا لايسمعه ذو روح ، إلا خرجت مهجة نفسه ، فقال له ابليس فأت الغنم ورعاتها ، فانطلق يؤم الغنم ورعاتها ، حتى اذا توسطها فصاح صوتا ماتت منه الغنم جميعا ، وماتت رعاتها ، ثم إن ابليس خرج متمثلا بقهرمان الرعاة ، حتى جاء الى ايوب وهو قائم يصلى ، فقال له مثل قوله الأول ، ورد عليه أيوب مثل ماقال فى المرة الأولى ، ثم إن ابليس رجع إلى اصحابه ، فقال ماذا عندكم من القوة ؟ فإنى لم أكلم قلب ايوب ، فقال عفريت من عظمائهم : عندى من القوة ماإذا شئت تحولتُ ريحا عاصفا ، تعصف كل شيء تأتى عليه حتى لايبقى منه شيء ، فقال له إبليس : فات الفدادين والحرث ، فانطلق يؤمهم حتى قرب من الفدادين ، واستوى فى الحرث واولادهم رتوع ، فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف ، فنسفت كل شيء من ذلك ، حتى كأنه لم يكن ، ثم إن ابليس خرج متمثلا بقهرمان الحرث ، حتى جاء إلى أيوب ، وهو قائم يصلى ، فقال له مثل قوله الأول فأجابه أيوب بمثل جوابه الأول ، فجعل ابليس يصيب ماله الأول فالأول حتى اتى على آخره ، قال وأيوب كلما انتهى اليه بهلاك ماله من ماله حمدالله وأحسن الثناء عليه ، ورضى بالقضاء ، ووطن نفسه بالصبر على البلاء ، حتى مابقى له مال .

فلما رأى أبليسُ انه قد أفنى مالَه ، ولم ينل منه شيئا ، ولانجح فى شيء من أفعاله ، شق عليهِ ذلك وصعد سريعا ووقف الموقف الذى كان يقفه ، وقال إلهى إن أيوب يرى أنك مهما منعته من نفسه وولده فأنت معطيه المال ، فهل أنت مسلطى على ولده فإنها الفتنة المظلمة ، والمصيبة التى لاتقوم لها قلوب الرجال ، ولايقوى عليها صبرهم ، فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ولده ، فانقضَّ عدو الله حتى جاء بَنِىَّ نَبِىِّ الله ايوب ، وهم فى قصرهم ، ولم يزل يزلزله حتى تداعى القصر من قواعده ، ثم جعل يناطح بجدره ، بعضها بعضا فرماهم بالخشب ، والجندل حتى مثل بهم ، كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسين ، ثم إن إبليس انطلق الى أيوب ، متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة ، وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه ، يسيل دمُه من دماغه ، فأخبره بذلك ، وقال له ياأيوب : لو رأيت بَنيك كيف عذبُوا ، وكيف قلب بهم القصر ، وكيف نكسوا على رؤسهم ، تسيل دماؤهم ، وادمغتهم من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف شتت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك ، فلم يزل يقول هذا ، ويردده ، حتى رق أيوبُ عليه السلام

عليهم وبكى ، وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه ، فاغتنم ابليس منه الفرصة لذلك ، فصعد سريعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا ثم لم يلبث ايوب ان أبصر فاستغفر ، وشكر ، فصعد قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبادروا أبليس فسبقوه إلى الله والله أعلم بما كان ، فوقف إبليس خاسئا ذليلا ، فقال ياإلهى إنما هَوَّن على أيوب ضر المال والولد : انه يرى أنك مهما متعته بنفسه ، فأنت نعيد له المالَ والولد ، فهل انت مسلطى على نفسه وبدنه ، فانى لك زعيم ، إن ابتليته فى جسده لينسينك وليكفرن بك ، وليجحدن نعمتك ، قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده ، ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه ، ولا على عقله ، وكان الله أعلم به أن لم يسلطه عليه إلا رحمة ليعظم له الثواب ، ويجعله عبرة للصابرين ، وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ، ليتأسوا به فى الصبر ، ورجاء الثواب ، فانقض عدو الله سريعا ، فوجد أيوبَ ساجدا ، فقبل أن يرفع رأسه أتاه من قبلِ الأرض فى موضع وجهه ونفخ فى منخره نفخة اشتعل منها جسده ، فذهل وخرج به من ترقه الى قدمه ، ثآليل مثل الياث الغنم ، ووقعت فيه حكة لايملكها ولايتماسك عن حكها ، فحد بأظافره حتى سقطت كلها ، ثم حكها بالمسوح الخشنة ، حتى قطعها ، ثم بالفخار والحجارة الخشنة ، فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه ، وتقطع وتغير وانشق ، فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة ، وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم ، غير امرأته رحمة بنت افرايين بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام ، وكانت تختلف اليه بما يصلحه وتكرمه ، فلما رأى أصحابه الثلاثة ماابتلاه الله به ، اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه ، فلما طال به البلاء ، انطلقوا اليه فى فلاته ، فبكتوه ولاموه ، وقالوا له تب إلى الله من الذنب الذى عوقبت به .

قال : وكان حضر معهم فتى حديثُ السن ، وكان قد آمن به وصدقه ، فقال إنكم تكلمتم ايها الكهول ، وكنتم أحق بالكلام لأسنانكم ، ولكنكم تركتم من القول أحسن من الذى قلتم ، ومن الرأى أصوب من الذى رأيتم ، ومن الأمر أجمل من الذى أتيتم ، وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم ، فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ، ومَن الرجل الذى عبتم واتهمتم ، الم تعلموا أن أيوب نبى الله وحبيبه ، وخيرته وصفوتهُ من أهل الأرض فى يومكم هذا ، ثم انكم لم تعلموا أولا أطلعكم الله تعالى على أنه سخِط شيئا من أمره منذ أتاه ماأتاه الى يومكم هذا ، ولاعلمتم أنه نزع منه شيئا من الكرامة التى أكرمه الله بها ، ولا أن ايوب غيرَّ الحق فى طول ماصحبتموه الى يومكم هذا ، فان كان البلاء هو الذى أنزوَى به عندكم ، ووضعه فى انفسكم ، فقد علمتم

أن الله تعالى يبتلى النبيين ، والصديقين والشهداء والصالحين ، ثم إن بلاءَهم ليس دليلا على سخطه عليهم ، ولاهوانَهم عليه ، ولكنه كرامة وخيرة لهم ، ولو كان أيوب ليس هو من الله بهذه المنزلة ، إلا أنكم آخيتموه على وجه الصحبة ، لكان لايجمل بالحكيم ان يعذل أخاه عند البلاء ، ولايعيره بالمصيبة ، ولايعيبه بما لم يعلم وهو مكروب حزين ، ولكنه يرحمه ويبكى معه ، ويستغفر الله له ، ويحزن لحزنه ، ويدله على رشد أمره ، وليس بحكيم ولابرشيد من جهل هذا ، فالله الله أيها الكهول ، فقد كان لكم فى عظمة الله وجلاله ، وذكر الموت مايقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ، الم تعلموا أن لله عبادا أسكنهم خشيته من غير عىٍّ ولابكم ؟ وإنهم لهمُ الفصحاء النبلاء ، البلغاء الأولياء ، العالمون بالله وآياته ، ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله **انقطعت** ألسنتهم ، واقشعرت جلودهم ، وانكسرت قلوبهم ، وطاشت عقولهم ، اعظاما لله تعالى ، وإعزازا وإجلالا ، فاذا استفاقوا استبقوا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية الصالحة ، يعدون أنفسهم مع الخاطئين الظالمين ، وأنهم برآء ويعدون انفسهم مع المفرطين المقصرين ، وأنهم لأكياس اقوياء ، ولكنهم لايستكثرون الله الكثير ، ولايرضون له بالقليل ، ولايدلون عليه بالأعمال ، فهم ورعون مفزعون ، خاشعون مستكينون .

فقال أيوب إن الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة فى قلب المؤمن الكبير والصغير ، فمتى ثبتت فى القلب أظهرها الله تعالى على اللسان ، ولن تكون الحكمة من قبل السن والشيب ، ولا من طولِ التجربة ، فاذا جعل اللهُ العبد حكيما فى الصبا ، لم تسقط منزلتهُ عند الحكماء ، وهم يرون عليهِ من اللهِ نورَ الكرامة ، ثم إن أيوبَ أقبل على الثلاثة ، وقال أتيتمونى غضابا ، رهبتم قبل أن تسترهبوا ، وبكيتم قبل أن تضربوا ، كيف بكم لو قلت لكم : تصدقوا عنى بأموا لكم ، لعل الله يخلصنى ، وقربوا عنى قربَانا لعل الله يتقبله ويرضى عنى ، وانكم قد أعجبتكم أنفسكم ، وظننتم أنكم قد عوفيتُم باحسانكم ، فهنيئا لكم بغيتم وتعزز تم ، ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ، ثم صدقتم لوجدتم عيوبا سترها الله عليكم بالعافيةِ التى ألبسكم الله أياها ، وقد كنت فيما خلا : الرجال توقرنى ، وانا مسموع كلامى ، معروف حقى ، منتصف من خصمى ، فاصبحت اليوم ، وليس لى رأى ولا كلام معكم ، فانتم اليوم أشد علىَّ من مصيبتى ، ثم إنه أعرض عنهم ، وأقبل على ربه مستغيثا متضرعا اليه ، فقال رب لأى شيء خلقتنى ، ليتنى إذكرهتنى ماخلقتنى ، ياليتنى كنت حيضة القتنى أمى ، أو ليتنى قد عرفت الذنب الذى اذ نبت ، والعمل الذى عملت فصرفت وجهك الكريم عنى ، لو كنتَ أمتنى فالحقتنى بآبائى ، فالموت كان أحمد لى ياإلهى كت للغريب داراً ، وللمسكين قراراً ، ولليتيم وليا ، وللأرملة قيما ، الهى : عبد ذليل إن أحسنت فالمنة لك ، وان اسأت فبيدك عقوبتى ، جعلتنى

للبلاء غرضا ، وللفتنة نصبا ، وقد وقع على بلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله ، فكيف يحمله ضعفى ؟ الهى تقطعت أصابعى فإنى لاأرفع الأكلة من الطعام إلا بيدى جميعا ، فما يبلغان فمى الا على الجهد منى ، إلهى تساقطت لهواتى ولحم رأسى ، فما بين أذنىْ من سداد ، بل أحدهما ترى من الأخرى ، وان دماغى ليسيل من فمى ، إلهى تساقط شعرى كأنما أحرق بالنار وجهى ، وحدقتاى متدليتان على خدى ، وورم لسانى حتى ملأ فمى ، فما ادخل فيه طعام إلا غصنى ، وورمت شفتاى حتى غطت العليا أنفى ، والسفلى ذقنى ، وتقطعت أمعائى فى بطنى ، وانى لأدخل الطعام فيخرج كما دخل ماأحسه ، ولاينفعنى ، وذهبت قوة رجلى ، فكأنما قديستا ولاأطيق حملهما ، وذهب المالُ فصرت اسأل بكفى ، ويطعمنى من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمن بها علىّ ، ويعيرنى

الهى هلك أولادى ، ولو بقى واحد منهم أعاننى على بلائى ونفقتى ، قد ملنى أهلى ، وعفنى أرحامى ، وتنكرت لى معارفى ، ورغب عنى صَديقى ، وقطعنى أصحابى ، وجحدت حقوقى ، ونسيت صنائعى ، اصرخ قلا يصرخوننى ، وأعتذر فلا يعذرونى ، دعوت غلامى فلم يجبنى ، وتضرعت لأمى فلم ترحمنى ، وان قضاءك هو الذى أذلنى ، وأدنانى وأهاننى ، وأقامنى ، وان سلطانك هو الذى أسقمنى ، وانحلّ جسمى ، لو أن ربى نزع الهيبة التى فى صدرى فأطلق لسانى لأتكلم بملء فمى ، ولو كان ينبغى للعبدان يحاج عن نفسه ، لرجوت أن يعافينى عند ذلك ممابى ، ولكنه أنفانى وتخلص عنى ، فهو يرانى ولاأراه ، ويسمعنى ولاأسمعه ، ولانظر الى فرحمنى ولا أدنى منى ولا أدنانى ، فأتكلم ببراءتى ، وأخاصم عن نفسى .

فلما قال ذلك أيوب ، وأصحابه عنده ، أظلته غمامة حتى ظن أصحابُه أنه عذاب ، ثم نودى ياأيوب ان الله تعالى يقول لك : ها أنا ذا قد دنوت منك ، فلم ازل منك قريبا ، فقم فادلُ بعذرك ، وتكلم ببراءتك ، وخاصم عن نفسك ، واشدد عليك إزارك ، وقم مقام جبار ، فانه لاينبغى أن يخاصمَنى إلا جبار مثلى ، ولاينبغي أن يخصامنى إلا من يجعلُ الزمام فى فم الأسد ، والسخال فى فم العنقاء ، واللحم فى فم التنين ، ويكيل مكيا لا من النور ، ويزن مثقالا مِن الريح ، ويصرصُرَّةً من الشمس ، ويرد أمس ، لقد منتك نفسُك امرا مايبلغ بمثل قوتك ، ولو كنت إذ منتك نفسك ذلك ، ودعتك إليه تذكرت أى مرام رامت بك ، أردتَّ أن تكاثر فى بضعفك ؟ أم أردتَّ أن تخاصمنى بغَيِّك ؟ أم أردت أن تحاجنى بخطئك ؟ اين كنت من يوم خلقت الأرض فوضعتها على اساسها ؟ هل علمت باى مدار قدرتها ؟ أم كنت معى تجر باطرافها ؟ أم تعلم مابعد زواياها ؟ أم على أى شيء وضعت

أكنافها ؟ ابطاعتك حمل الماء والأرض ؟ أم بحكمتك كانت الأرض على الماء غطاء ؟ اين كنت منى يوم رفعت السماء سقفا فى الهواء ؟ لامعالق تمسكها ؟ ولاتحملها دعائم من تحتها ؟ هل يبلغ من حكمتك ان تجرِى وتسيرَ نجومها ؟ أم هل بأمرك يختلف ليلها ونهارها ؟ أين كنت منى يوم سجرت البحار ؟ وأنبعْتُ الأنهار ؟ أقدرتك حبست امواج البحار على حدودها ؟ أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها ؟ أين كنت منى يوم صببت الماء على التراب ؟ ونصبت شوامخ الجبال ؟ هل لك أن تطيق حملها ؟ أم كنت تدرى كم من مثقال فيها ؟ اين الماء الذى أنزلته من السماء ؟ هل تدرى كم من بلدة أهلكتها ؟ وكم من قطرة أحصيتها ؟ وقسمت الأزراق ؟ أم قدرتك تسير السحاب ؟ وتنثر الماء ؟ هل تدرى ماأصوات الرعد ؟ أم من أى شىء لهب البرق ؟ وهل رأيت عمق البحر ؟ أم هل تدرى مابعد الهوى ؟ أم هل تدرى اين خزانة النهار بالليل ؟ واين طريق النور ؟ وبأى لغة تتكلم الأشجار ؟ واين خزانة الريح ؟ واين جبل البرد : ام هل تدرى من جعل العقول فى اجواف الرجال ؟ ومن شق الأسماع والأبصار ؟ ومن ذلت الملائكة لملكه ؟ ومن قهر الجبارين بجبروته ؟ وقسم ارزاق الدواب ؟ والعباد بحكمته ؟ ومن قسم للأسد ارزاقها ؟ وعرف الطيرَ معاشها ؟ وعطفها على أفراخها ؟ ومن أعتق الوحوش من الخدمة ؟ وجعل مساكنها البرية ؟ لاتأنس بالاصوات ؟ ولاتهاب السلاطين ؟ بحكمتك عطف عليها امهاتها حتى أخرجتْ لها من أجوافها طعاما ، وآثرتْها بالعيش على نفسها ، أم بحكمتك يبصر العقاب الصيدَ البعيد ، واضحى فى أماكن الفلا ، اين كنت يوم خلقت البهموت ، فى مكانه ، فى منقطع الثرى ، هل لك فى خلقها من شرك ؟ أم لك بالقوة التى غلبتها يدان ؛ أم هل يبلغ من قوتك ان تضع يدك على رؤسها ، أم تقعد على طريق فتحبسها أو تصدها عن قوتها ؟ اين أنت يوم خلقت التنين ؟ رزقه فى البحر ومسكنه فى السماء ؟ وعيناه تتوقدان نارا ؟ ومنخراه يثوران دخانا ، أذناه مثل قوس السحاب ، يثور منهما لهب كأنه اعصار العجاج ، جوفه يحرق ونفسه يلتهب ، وزبده حجر كأمثال الصخور ، وكأن ضرَب اسنانه اصوات الصواعق ، وكأن نظر عينيه لمعُ البرق تمر به الجيوش ، وهو متكىء لايفزعه شىء ، ليس فيه مفصل ، زبر الحديد عنده مثل التبن ، والنحاس عنده مثل الخيوط ، لا يفزع منه النشاب ، ولايخشى وقع الصخور على جسده ، يطير فى الهواء وكأنه عصفور ، فيهلك كل شىء يمر به ، هل أنت آخذهُ بأحبولتك ؟ وواضع اللجام فى شدقه ؟ هل تحصى عمره ؟ أم هل تعرف أجله ؟ ام تعرف رزقه ؟ أم هل تدرى ماذا خرب من الأرض ؟ وماذا يخرب فيما بقى من عمره ؟ أم هل تطيق غضبه حين يغضب ؟ أم تأمره فيطيعك ؟ تبارك الله أحسن الخالقين .

قال أيوب عليه السلام ، قصرت عن هذا الأمر الذى ورد على ، ليت الأرض انشقت لى ، فذهبتُ ولم اتكلم بشيء يسخط ربى حين اجتمع علىّ البلاء ، الهى : قد جعلتنى لك مثل العدو ، وقد كنت تعرفنى وتعرف نصحى ، وقد علمت ان كل الذى ذكرت صنع يديك ، وتدبير حكمتك ، وأعظم من هذا لوشئت علمت أن لايعجزك شيء ، ولاتخفى عليك خافية ، ولاتغيب عنك غائبة ، مَن هذا الذى يظن أن يسر عنك سرا ؟ وانت تعلم مايخطر على القلوب ، وقد علمتُ حكمك فى بلائى هذا مالم اكن أعلم ، وخفتُ أن يكون امرا اكثر مما كنت فيه ، انما تكلمت حين تكلمت لتعذرنى ، وسكت حين سكتُ لترحمنى ، كلمة زلت على لسانى ، فلن أعود وقد وضعت يدى على فمى ، وعضضت لسانى ، والصقت بالتراب خدى ، ودست فيه وجهى لصغارى ، وسكت حين أسكتتنى خطيئتى ، فاغفر لى ماقلت ، فلن اعوذ لشيء تكرهه منى .

فقال الله تعالى:ياأيوب نفذ فيك حكمى ، وسبقت رحمتى غضبى ، إذا اخطأتَ فقد غفرتُ لك ماقلت ورحمتك ، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم ؛ لتكون لمن خلفك آيَة ، وتكون عبرة لأهل البلاء ، وعبرة للصابرين ، « فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب » فيه شفاء وقرب عن أصحابك قربانا ، واستغفر لهم ، فانهم قد عصونى فيك ، فركضَ برجله فانفجرت لهُ عين ، فدخل فيها فاغتسل ، فأذهب الله عنه ماكان فيه من البلاء ، ثم إنه خرج وجلس ، فاقبلت امرأتهُ فقامت تلتمسه فى مضجعه ، فلم تجدهُ فقامت متكدرة كالوالهة ، فمرت به فقالَت ياعبدالله ، هل لك بالرجل المبتلى الذى كان هاهنا ؟ فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيته ؟ قالت نعم ، وكيف لااعرفه ؟ فتبسم وقال ها انا ذا هو ، فعرفته لما ضحك فاعتنقته .

قال ابن عباس : والذى نفسى بيده مافارقته من عناقه ، حتى مر بها كل ماكان لهما من المال ، والولد ، وبذلك قوله تعالى « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر » الآية « واختلفت العلماء فى وقت ندائِه ومدة بلائه ، والسبب الذى قال لأجله » مسنى الضر

حدثنا الامام ابو الحسين محمد بن على بن سهل املاء ، فى شهر ربيع الاول سنة أربعٍ وثمانين وثلثمائةٍ أخبرنى أبو طالب عمرُ بن الربيع بنُ سليمان الخشاب بمصر ، أخبرنا يحيى ابن ايوب العلافيِ أخبرنا سعيدُ بن ابى مريم ، اخبرنا نافعُ بن زيد عن عقيل بن شهاب ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله ﷺ أن نبى الله أيوب ، لبث فى بلائه ثمانى عشرةَ سنة ، فرفضه القريب والبعيدُ إلا رجلين من اخوانه ، كانا يغداون إليه ، ويروحان ، فقال أحدُهما لصاحبه ، والله لقد أذنب أيوب ذنبا ، ماأذنبه أحد من العاملين ، فقال له

أصحابه ، ومأأدراك ؟ قال منذ ثماني عشرة سنة له فى البلاء لم يرحمه الله ويكشف مابه ، فلما راحا الى أيوب ، لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك إلى ايوب ، فقال لاأدرى ماتقولان ، غير ان الله تعالى يعلمُ إنى كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذاكرَان الله تعالى ، فارجع إلى بيتى فانكفىء عنهما ، كراهة ان يذكر الله تعالى إلا فى حق ، قال وكان يخرج لحاجته ، فاذا قضى حاجته أمسكت امراته بيده ، حتى يبلغ فلما كان ذات يوم ابطأ عليهما ، وذلك أن الله تعالى أوحى إلى أيوب فى مكانه أن « اركض برجلك » الاية فاستبطأته فذهبت لتنظر ماشأنه ، فأقبل عليها وقد أذهب الله تعالى ماأصابه من البلاء وهو أحسن ماكان فلما رأته ، قالت له هل رأيت نبى الله المبتلى ؟ فقال إنى انا هو ، وكان له أندران : أندر للقمح ، واندر للشعير فبعث الله سبحانه وتعالى سحابتين فلما كانت أحداهما على أندر القمح ، أفرغت فيه الذهب ، حتى فاض وأفرغت الاخرى فى اندر الشعير الورق ، حتى فاض .

ويروى أن الله تعالى امطر عليه جراداً من ذهب ، فجعل يحثو منها فى ثوبه ، فناداه ياأيوب الم أغنك عما ترى ؟ فقال بلى يارب ، ولكن لاغنىَ لى عن فضلك ورزقك ورحمتك ، ومن يشبع من نعمتك .

وقال الحسن : كان أيوب عليه السلام مطروحا على كناسة فى مزبلة لبنى اسرائيل سبع سنين واشهرا ، تختلف فيه الدواب .

وقال وهب:لم يكن بأيوب أكلة ، وإنما كان يخرج منه مثل ثدى النساء ، يتفقأ .

قال الحسن:ولم يبق له مال ولا ولد ولاصديق ، ولا أحد يقربه غير رحمة امراته ، صبرت معه تخدمه ، وتأتيه بطعام ، وتحمد الله معه اذا حمده ايوب على مابه ، لايفتأ عن ذكر الله تعالى ، والثناء عليه ، والصبر على ماابتلاه الله ، فصرخ عدو الله ابليس صرخة جمع بها جنوده من اقطار الأرض جزعا من صبر أيوب ، فلما اجتمعوا قالوا له وماحاجتك ؟ قال لهم أعيانى هذا الصيد فسألت الله أن يسلطنى على مالهِ وولده ، فلم ادع لهُ مالاً ولا ولدا ، فلم يزده ذلكِ إلا صبرا ، وثناء ، على الله ، ثم سلطت على جسدهِ فتركته قرحة ملقى على كناسةٍ لايقربُه أحد إلا امراتُه ، وقد افتضحت من ربى ، فاستعنت بكم لتعينونى عليه ، فقالوا له أين مكرُك ؟ أين علمك الذى اهلكتَ به مَن مضى ؟ قال بطل ذلك كله فى أيوب فأشيروا على فقالوا نشير عليك بما أتيت به آدم حين اخرجته من الجنة ، من أين اتيته ؟ قال من قبل امراته ، قالوا فشأنك بأيوب من قبل امراته ، فانه لايستطيع أن

يعصيهَا ، وليس أحد يقربه غيرها ، قال اصبتم ، فانطلق حتى أتى امراته ، وهى تطلب الصدقة فتمثل لها فى صورة رجل ، فقال أين بعلك ياأمة الله ؟ فقالت له هو ذلك يحك قروحه وتتردد الدواب فى جسده ، فلما سمع منها ذلك طمع أن تكون كلمة جزعَ ، فوسوس لَها ، وذكّرها ماكانت فيه من النعيم والمال ، وذكرها شبابَ أيوب وجماله وماهو فيه اليوم من الضرر ، وأن ذلك لاينقطع عليه ابدا .

قال الحسن:فصرخَتْ فلما صرخت علم أنها جزعت ، فأتاها بسخلة وقال لها ليذبح أيوب هذه لى ، وسيبرأ ، قال فجاءت تصرخُ فقالت ياأيوب : إلى متى يعذبك ربك ؟ ولايرحمك ، اين المالُ أين الماشية ؟ واين جسمك الحسن ؟ قد بلى وهو يتردد فيه الدود ؟ اذبح هذه السخلة ، واسترِح ، فقال لها أيوبُ أتاك عدوُ الله ، فنفخ فيكِ فاجبته ، ويلك ارأيتِ ماتبكين عليه ، فما كنا فيه من المال والولد والصحة ؟ مَنْ أنعمَ علينا بها وقالت منذ سبع سنين ، قال ويلك : والله ماأعدلْتِ ولا انصفتِ ربَّكِ الا صبرت فى هذا البلاء الذى ابتلانا به ربنا ثمانين سنة ، كما فى الرخاء والله لئن شفانى اللهُ لأجلدنك مائة جلدة كما أمرتينى أن أذبح لغير الله تعالى وطعامك وشرابك الذى تأتينى به على حرام ، لا أذوق مما تأتينى به شيئا ، بعد أن قلت هذا ، فاغربى عنى لا أراك فطردها ، فذهبت فلما رأى ايوبُ امراته وقد طردها ، وليس عنده طعام ولاشراب ولا صديق خر لله ساجدا ، وقال رب « أنى مسنى الضر » ثم رد الأمر الى ربه وسلّم ، فقال « وانت أرحم الراحمين » فقيل له « ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك » الآية فركض برجله فنبعت عينُ ماء فاغتسلَ ، فلم يبقَ من دائهِ شيء ظاهر « إلا سقط أثره ، وأذهب الله منه كل الم وداء ، وكل سقم ، وعاد إليه شبابه وجماله أحسن مما كان ، وافضل مما مضى ، ثم أنه ضرب برجله فنبعت عين أخرى ، فشرب منها ولم يبقَ فى جوفه داء ، إلا خرج فقام صحيحا ، وكسى حلة قال فجعل يلتفت يمينا وشمالا ، فلا يرى شيئا مما كان له من أهل وولد ومال ، إلا وقد ضاعفهُ الله تعالى ، فخرج حتى جلس على مكان مشرف ، ثم إن امرأته قالت : أرأيت إن كان قد طردنى إلى من أكله ، أدعه يموت جوعا وعطشا ، ويضيع فتأكله السباع ، فوالله لأرجعن إليه فرجعت ، ولم تر الكناسة ولا الحالَ التى كانت تعهدها ، وقد تغيرت الأمور فجعلت تطوفُ حيث كانت الكناسةُ وتبكى وأيوب ينظرها ، قال وهابت صاحبَ الحلة أن تَأتيَ ، أرسل إليها أيوبُ فدعاها ، فقال لها من تريدين ياأمة الله ؟ فبكت ، وقالت أريد ذلك المبتلىَ الذى كان منبوذا على هذه الكناسة ، لاأدرى ضاع ام ماذا فعل به ، فقال أيوب عليه السلام : ماكان منك ؟ فبكت ، وقالت بعلى فهل رأيته ؟ فقال : وهل تعرفينه اذا رأيته ؟ فقالت

فهل يخفى على ؟! ثم إنها جعلت تنظر اليه ، وهى تهابه ، وقالت اما إنه كان أشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا ، قال فأنا أيوب امرتينى ان أذبح لإبليس ، فانى اطعتُ الله وعصيتُ الشيطان ، فرَدَّ على ماترين .

وقال كعب : كان أيوب فى بلائه سبعَ سنين ، وقال وهبٌ لبث فى ذل البلاءِ ثلاث سنين ، ولم يزد يوما واحدا ، فلما غلب أيوبُ أبليس لعنه الله ، ولم يستطيع له شيئا ، اعترض امرأتَه على هيئة ، ليست كهيئة بنى آدم ، فى العظم والجسم والجمال ، على مركب ليس من مركب الناس ، له عظم وبهاء وجمال ، فقال لها أنت صاحبة أيوب المبتلى ، قالت نعم : قال فهل تعرفيننى ؟ قالت لا ، قال انا اله الأرض ، وانا الذى صنعت بصاحبك ماصنعت ، وذلك أنه عبد إله السماء ، وتركنى وأغضبنى ، ولو سجد لى سجدة واحدة ، رددت عليكما ماكان لكما من مال وولد ، فانهم عندى ، ثم أراها اياهم فى بطن الوادىِ الذى لقيها فيه .

وقال وهب:وقد سمعتُ أنه قال لها لو أن صاحبك أكل طعام مالم يسم عليه لوقى مما هو فيه من البلاء ، والله أعلم .

واراد عدو الله أن يأتيه من قبلها ، ورأيت فى بعض الكتب أن إبليس قال لرحمة وإن شئت فاسجدى لى سجدة واحدة ، حتى أرد عليك الأولاد والمال ، واعافى زوجَك ، فرجعت الى أيوب فأخبرته بما قال لها ، ومأراد فقال أرادَ عد والله ان يفتنك عن دينك ، ثم ان ايوب اقسم إن عافاه الله ليضر بنها مائة جلدة ، فقال عند ذلك مسنى الضر مِن طمع ابليس بصبرها معه على البلاء ، وخفف عنها ، وأراد أن يبرَّ يمينَ أيوب ، فأمره أن يأخذَ جماعةً من الشجر ، مبلغ مائة قضيب خفافا لطافا ، فيضربها ضربة واحدة كما قال تعالى « وخذْ بيدك ضِغْثا فاضرب بهِ ولاتحنَثْ » الآية .

وقد كانتِ امرأةُ أيوب تتكسبُ ، وتعمل للناس ، وتجيئه بقوته ، فلما طال عَليها البلاءُ ، سئمها الناس ، فلم يستعملها أحد ، التمست يوما مِن الأيام ماتطعمه ، فما وجدت شيئا ، فجزت قرنا من رأسِها فباعته برغيف ، وأتته به ؛ فقال لها اين قرنك ؟ فاخبرته ، فقال عند ذلك مسنى الضرُ .

وقيل : انما قال ذلك حين قصد الدودُ قلبهُ ولسانه ، فخشى أن يعى عن الذكر والفكر

وقيل إنما قال ذلك حين وقعت الدودة من فخذه ، فاخذها وردها الى موضعها ، وقال لها كلى فقد جعلنى الله طعامك ، فعضته عضة زاد ألمه بها على جميع ماقاس من عض الديدان .

وعن عبدِ الله بن عمر: كان لأيوب أخوان ، فاتياه فقاما من بعيد ، لايقدران على الدنو منه لنتن ريحه ، فقال أحدهما لصاحبه لو علم الله فى أيوب خيرا مابتلاه بما ترى ، فما سمع أيوب شيئا أشد عليه من تلك الكلمة ، وماجزع من شيء أشد من جزعه بها ، فعند ذلك قال « مسنى الضر » فقال : اللهم ان كنتَ تعلمُ أنى لم ابت ليلة شبعانا قط ، وأنا أعلم ، بمن كان جائعا ، فصدقنى فصدقه ، وهما يسمعان ، ثم قال اللهم ان كنت تعلم انى لم أتخذ قميصا وأنا أعلم بمن كان عريانا ، فصدقنى فصدقه وهما يسمعان فخر لله ساجدا ، وقال مسنى الضر من شماتة الأعداء قال الشاعر :

كل المصائبِ قد تمر علَى الفتى فتهونُ غير شماتـــــة الحسادِ
إن المصائبَ تنـــقضى أيامهـــا وشماتـــة الاعـــــداءِ بالمرصاد

قال الجنيد فى هذه الآية : عرفه فاقةَ السؤال ؛ ليمن عليه بكرم النوال ، وذلك قوله تعالى « فكشفنا مابه من ضر وآتيناه أهله » الآية .

قال قوم: يردهم عليه فى الآخرة . ومثلهم لافى الدنيا .

وقال وهب،له سبع بنات وثلاث بنين ، وقول آخر: ردهم الله فى الدنيا ومثلهم معهم ، وبه قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم وقتادة وكعب وهو ظاهر الآية .

وعمرُ أيوب ثلاثٌ وتسعون سنة ، وأوصى ابنه خومل ، وبعث الله عز وجل ابنه الآخر بشيرين أيوب نبيا ، وسماه ذا الكفل ، وأمره بالدعاء إلى توحيده ، وكان مقيما بالشام طولَ عمره ، حتى مات عن خمس وتسعين سنة ، وان بشيرا أوصى الى ابنه عبدَان ، وان الله تعالى بعث عبده شعيا عليه السلامُ والله أعلم .

وآسية امرأة فرعون ، وأبوها مزاحم ، قيل هى عمة موسى عليهِ السلام ، قال الله عز وجل « وضربَ الله مثلا للذين آمنوا امرأةَ فرعون إذ قالت رب ابنِ لى عندكَ بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعملهِ ونجنى من القوم الظالمين » يأتى بقيةُ الكلام عليها بعد الكلام على ماشطة إن شاء الله عز وجل .

وقنة ماشطُة شعر ابنة فرعون ، لاذكر لها فى القرآن ، قال بعضُ العلماء : إنها من المعصومات سماعاً منهم وتقليدا ، أو أجمعوا على ذلك قاطبة ، وقد يمكن ذكرها فى الأخبار المستخرجة من القرآن ، وفى بعض القصص المأثورة ، وغاب عنا شرحها اهـ .

وهى امرأة حزقيل ، وهى مؤمنة من إماء الله الصالحات ، وكانت مع بنات فرعون تخدمهن .

وفرعون اسم لكل ملك فى مصر قبل الإسلام ، واسمه قابوس ، وقيل الوليد بن مصعب بن الريان ، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : لما أسرى بى مررت برائحةٍ طيبة فقلت لجبريل عليه السلام ماهذه الرائحة ؟ قال هذه رائحة ماشطة آل فرعون وأولادها ، كانت تمشطُ ذات يوم بنتَ فرعون فوقَع المشط من يدها ، فقالت باسمِ الله فقالت بنت فرعون : أبى ، قالت : لا ، بل ربى ورب أبيك ، فقالت أخبرُ بذلك إبى ؟ فاخبرته ، فدعا بها ، فقال من ربك ؟ قالت ربى وربك الله ، فأمر بتنور من نحاس ، فامر بها وبولدها ان يلقوا فيه ، فقالت : ان لى أليك حاجة ؛ قال : وماهى ؟ قالت تجمع عظامى وعظام أولادى وتدفنها ، قال لك ذلك ؛ لما لك علينا من حق الخدمة ، فألقوا فيه وآخرهم رضيع ، فقال اصبرى ياأماه فإنك على الحق ، فالقيت فيه واولادهاوهم ثلاثة ، الأول ابن عشرين سنة ، والثانى ابن عشر سنين والثالث ابن ستة أشهر ، كلهم ذبحوا على صدرها ، ولما ألقى على صدرها ابنُ ستة أشهر جعل يرضعُ فسكتت عن إجابتهم حتى شبع ، فقال : ماسكتُ إلا ليشبع ، ولاأترك لاإله إلا الله .

وكانت آسية امرأت فرعون من بنى إسرائيل مؤمنة مخلصة تعبد الله سرا ، حتى أنها كانت تتعلل فى قضاء حاجتها ، فتبرز فتصلى يومها خوفا منه ، الى أن قتل فرعونُ امرأة حزقيل ، وكانت تنظر من كوة فى قصر فرعون ، تنظر الى الماشطة تعذَّب وتقتل ، فعاينت الملائكة تعرج بروحها ، فزادت يقينا بالله ، وتصديقا فجاء فرعون يخبرها بعذاب الماشطة ، فقالت آسية الويل لك يافرعون ، ماأجرأك على الله تعالى ؟!! يافرعون !! فقال لعلك اعتراك الجنونُ الذى اعترى الماشطة ، قالت لا : ولكن آمنتُ بربى وربك ورب العالمين ، فقال لأمها : إن بنتك أصابها جنونُ الماشطة ، فراودتها أمها على الكفر ، فقالت والله لا اكفر ، فمد لها أربعةَ اوتادٍ فكانت تعذبُ ، حتى ماتت رحمها الله ، وقيل : ذلك قوله عز وجل ، وفرعون ذِى الأوتاد .

ويروى أن فرعون لعنهُ الله خرجَ على ملأهِ ، فقال ماتعلمون من آسية ابنة مزاحم وهى زوجة ؟ فاثنَوا عليها ، فقال لهم أنها تعبدُ ربا غيرى فقالوا له : أقتلها ، فأوتدَ لها أربعةَ أوتاد لرجليها ويديها ، ويقال ألقى عليها صخرة ، وأخرج الله روحها قبل وقوعها ، وقال عثمان النهدى كانت تعذب بالشمس ، فتظلها الملائكة باجنحتها ، ويقال سمَّر يديها ورجليها فى الشمس ، ووضع على ظهرها رحَا .

قال ابن عباس : مرّ بها موسى تعذب ، فشكت إليه بأصبعها ، فدعا الله ان يخفف عنها ، فلم تجدْ ألما إلى أن ماتت ، وقالت « رب ابنِ لى عندَك بيتا فِي الجنةِ ونجنى » الآية فأوحى الله إليها : أن ارفعى رأسَك فرفعته ، فرأتِ البيتَ فى الجنةِ من درٍّ فضحكت ، فقال فرعونُ انظروا إلى جنونها تَضحك ، وهى فى العذاب وحَنَّة بفتح الحاء مريم كما فى القاموس ، وكما قال ابن ماكولاء ، وكما فى الليث بن سعيد ، أنه بلغنا أنها أم مريم ، وذلك مِن الحنان بمعنى الحب والرحمة ، أو من الجنة بمعنى زوج الرجل .

ويقال : هى امرأة زكريا ، ويقال حنة بنت فاقود ، جدة عيسى أم مريم ، ويقال اشياع بنت فاقود بن قبل ، وهى أخت حنة بنت فاقود أم يحيى ، فيحيى على هذا القول ابن خالة عيسى ، فيحيى وعيسى ابن الخالتين ، كما جاء فى حديث الإسراء ، ولقيت ابنى الخالتين ، وقال الله عز وجل فى زوج زكريا « ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا . إلى : خاشعين » فانظروا إلى قوله إنهم كانوا الخ ، واما قوله « وأصلحنا له زوجَه » فيحتمل ذلك ، ويحتمل إصلاحها للولد ، قال الله تعالى « اذ قالت امرأة عمران إنى نذرت لك مافى بطنى محررا » الآيات .

وعمران هذا هو عمران بن ماتان ، وليس بعمران ابى موسى ، بينهما الف وثمانمائة ، وكانت بنو ماتان رؤوس بنى إسرائيل ، وأخبارهم وملوكهم وقال ابن اسحاق هو عمران بن ساهم بن أمور بن ميشا بن حزقيل ابنُ أحريف بن بؤام بن عزرايا بن أمضيا بن ناوس بنُ نوثابن بارض بن بهوشا فاض بنُ رادم بن أبيابنُ رجصم بن سليمان بن داود عليهما السلام

وكانت القصة فى ذلك : أن زكريا بنَ يوحيا ، وعمران بن ماتان كانا متزوجين بأختين ، احداهما عند زكريا بن يوحيا ، وهى ايشاع بنت فاقود أم يحى والأخرى عند عمران وهى حنة بنت فاقود أم مريم وكبرت عن الولادة ، وكانت فى ظل شجرة ، ورأت طائرا يطعم فرخه ، فتمنت الولدَ ، ودعت به ، وقالت : اللهم لك علىَّ إن رزقنى ولدا أن أتصدقَ به على بيت المقدس ، يخدمه فحملت بمريمَ « فحررت مافِي بطنها » ولم تعلم ماهو ؟ كما قال الله عز وجل « رب انى نذرْت لك » الآية . وكانوا يحررون الغلمانَ لخدمة بيت المقدس ، وإذا بلغ الغلامُ خرج إن شاء بعدَ اعلام رفقائِه ولم يكن عالمٌ من بنى اسرائيل ، او معظم « إلا وله غلام لذلك ان كان ، فقال لها زوجُها عمران : ولعل مافى بطنك أنثى ، والانثى لاتصلح لخدمة بيت المقدس ؛ لانها عورة وللحيض ، فاغتما معا إذ حررتها ، ومات عمران ، وحنة حامل بمريم ، ولما ولدتها « قالت رب إنى وضعتها انثى » الآية . ومعنى مريم : العابدة ، والخادمة ، وكانت أجملَ نساء زمانها ، قال رسول الله ﷺ « حسبُك من نساء العالمين

أربع ، مريمُ بنتُ عمران ، وآسيةُ بنت مزاحم ، وخديجةُ بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ﷺ » وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ « مامن مولود إلا والشيطانُ يمسهُ حين يولدُ ، فيستهل صارخا من مسه ، إلا مريمَ وابنها » قال أبو هريرة اقرءوا ان شئتم » « إنى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » والمراد بذريتها « عيسى فقط » لانها لم تلِد سواه ، ولم يلد عيسى لأنه لم يتزوج ، واذا رجع إلى الدنيا تزوجَ وولد ، ولعل الذريةَ شملت ولديه اللذين يلدهما اذا رجع

وروى أن الشيطانَ طعن لمريمَ وعيسى من الأرض ، إذ منع بالملائكة ، فنفذَ الطعنُ فى الحجاب ولم يصبها ، ويروى أنه مامسها ، ومامس سيدَنا محمدا ﷺ ويروى انه مامس نبيا قط .

ولما وُلِدت لفتها أمها حنة فى خرقة ، وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار ، أبناء هرون وهم يومئذ ثلاثون فى بيت المقدس ، فقالت لهم دونكم هذه النذيرة ، فتنافس فيها الأحبار ، لأنها كانت بنتَ إمامهم ، وصاحب قربانهم ، فقال زكريا : أنا احق بها منكم ؛ لأن عندى خالتها ، فقالت الاحبار : لاتفعل إن كان الأمر بالقرب فأمها أولى بها ، بل نقترع فتكون عند من خرجت له بالقرعة فانطلقوا وهم تسعة عشر رجلا ، الى ماء جار وهو نهرُ الأردن ، فالقوا أقلامَهم أى سهامهم ، فقيل أقلامهم التى يكتبون بها التوراة فى الماء ، فارتفع قلم زكريا فوق الماء ، ورسبت أقلامهم .

وقال السدى : ثبت قلم زكريا كأنه فى الطين ، وذهب الماءُ بأقلامهم جاريا ، فضمها إلى خالتها أم يحيى ، واسترضع لها ، وجعل لها غرفة فى المسجد ، بابها فى وسط الجدار ، لايوصل اليها الا بسلم ، ويغلق بابها وياتيها بطعام وشراب ، ويؤتيها الله فاكهة الصيف فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء فى الصيف ، فيقول لها زكريا « أنّى لك هذا » فتقول : هو من عند الله .

وأصابتهم مجاعة فقال لهم ، زكريا يابنى إسرائيل لقد علمتم انى كبرت وضعفت عن مؤنة مريم فتدافعوا ، وتقارعوا فصارت ليوسُف بن يعقوب بن ماتان بن عمها ، ورأت فى وجهه الشدة ، فقالت يايوسف احسن الظن بالله ، فإن الله سيرزقنا ، فوسع الله جل وعلا الكسْب له ، فكان يأتيها منه بما يكنيها ، وينميه الله ، ويجد عندها ثمارا من غير وقتها ، ويقول : من أين لك هذا ؟ فتقول من الله عز وجل ، وكذلك يدخل عليها زكريا ، ويجد ذلك كما كانت فى وقت كفالته .

وروى أنه ﷺ جاع وطاف فى بيوت نسائه ، ولم يأكل أياما ثم فى بيت فاطمة ، ولم يجد شيئا ، ورجع ثم أرسلت إلى فاطمَة جارةٌ لها رغيفين . وبضعة لحم ، وكانت هى وأهلُ بيتها جائعين ، فقالت والله لأوثرن بذلك رسولَ الله ﷺ ، فبعثت الحسن والحسينَ إليه فجاء ، فكشفت عن الجفنةِ التى فرغت فيها الرغيفين والبضعة ، فوجدتها مملوءة لحما وخبزا ، فقال « أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عِند الله إن الله يرزق من يشاءُ بغير حساب » ومأرسلتْ جارتى إلا رغيفين وبضعة ، فقال : الحمد ﷺ الذى فعل بابنتى مافعل بسيدة نساء بنى اسرائيل ووفقها الى قول ماقالت » فأكل النبى ﷺ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وعلى ، وأزواج النبى ﷺ ، والجفنة لم تنقص ، وأوسعت فاطمة على جيرانها

وحنة قيل امرأة عمران ، « إذ قالت امرات عمران رب إنى نذرت لك مافى بطنى محررا » وتقدم قول إن امرأة عمران حنة بنت فاقود وزَليخا بفتح الزاء وكسر اللام ، أو بضم الزاء وفتح اللام ، أو بشد اللام .

قال بعضُ المحققين الثانى والثالث من خطأ العامة ، وذلك لقب لها امرأة يوسُف عليه السلام ، واسمُها راعِيل بنت رعَاييل ، عند أسحاق بنِ يسار ، وقال ابن أبى شيبة بكا بنت فيوش ، وقيل زليخا غير راعيل، وغير بكا ، فقيل امرأة العزيز التى صارت ليوسف بعد : هى زليخا ، وقيل راعيل ، وقيل بكا بنت فيوش قال الله تعالى « قالت امرأة العزيز الى قوله:ان ربى غفور رحيم » ومريمُ ابنة عمران تقدم الكلام عليها ، وعلى أبيها عمران ، قال رسول الله ﷺ عليه وسلم : كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا أربع ، آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ﷺ ، فتُستثنىَ الأربع من قوله ﷺ « النساء ناقصات عقل ودين » ولما احتضرت خديجة رضى الله عنه ، قال : أقرئى ضراتِكِ منى السلام : مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، أو قال حُليمة بنت عمران اخت موسى بن عمران ، فقالت الرفاء والبنين يارسول الله ، ومعاذ بن جبل ، فيجمع بأنه يتزوج آسية ، وأخت موسى جميعا ، ويروى انه لما احتضرت قال لها : اقرئى ضراتِكِ منى السلام ، قالت هل تزوجت امرأة قبلى قال لا : ولكن هؤلاء أزواجى فى الجنة .

وعائشة أم المؤمنين صحَّحوا أنه لايقال أم المؤمنات ، لأن هذا الاسم وضع لها ، ولسائر أزواج النبى ﷺ : إشعارا ؛ بأنه لايحل لهم تزوجهن ، وبينت ذلك فى شرح « اسماءِ النبى ﷺ » . رضى الله عنهُم ، الأَوْلَى عنهم ليعم الرجال ، تواترت الاخبارُ أنه نزل فى شأنِها قوله تعالى « إن الذين يرمون المحصنات » الآية . فهى كالمنصوص عليها ، وهى عائشة

بنت ابى بكر بنِ أبى قحافة بنِ عامر بن عمرو بنِ كعب بنِ سعْد بن تيم بن مرة بنِ كعب بن لؤى ، وأمها أم رومان ابنة عامر بنِ عويمر بنِ عَبد شمس من بنى مالك بنِ كنانة ، وكانت مسماة على خيبر بن مطعم ، فخطبها النبى ﷺ ، وأصدقها فيما قال ابنُ اسحاق أربعمائة درهم ، وتزوجها بمكة فى شوال ، سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث ، ولها ست سنين ، وأعرص بها فى المدينة فى شوال سنة اثنين من الهجرة ، على رأس ثمانية عشر شهر ولها تسع سنين ، وقيل بعد سبعة أشهر من مقدَمه ﷺ ، واخرج البخارى ومسلم عن عائشة : تزوج بى رسول الله ﷺ ، وأنا ابنة ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحرث بنِ الخزرج ، فوعكت ، فتمزق شعرِى ، فَاتتنى أمى أم رومان وأنى لفى أرجوحة مع صواحب لى ، فصرخت بى ، فأتيتها ومأأدرى ماتريد منى ، فأخذت بيدى ، حتى أوقفتنى على باب الدار ، وأنا أنهج حتى سكن بعض نفسى ، ثم اخذت شيئا من ماء فمست به وجهى ورأسى ، ثم أدخلتنى الدار ، فاذا نسوة من الأنصار فى البيت يقلن على الخير والبركة ، فأسلمتنى أليهنّ فأصلحن من شأنى ، فلم يرعنى إلا رسولُ الله ﷺ ضحىً ، فأسلمتنى اليه ، وأنا يومئذ بنت تسع سنين .

وأخرجه ابو حاتم بتغيير بعضِ الفاظه ، قال ابن عبد البر : كان نكاحُه ﷺ فى شوال ، وابتَنَى بها فى شوال وكانت تحبُّ أن تدخل النساء من أهلها وأحبتها فى شوال على أزواجهن ، وكانت أحبَّ نساء رسول الله ﷺ اليه ، وكانت إذا هوِيت شيئا تابعها عليه ، وفقدها رسولُ الله ﷺ فى بعض أسفاره ، فقال واعروسَاه أخرجه أحمد .

وقال لها رسول الله ﷺ كما فى البخارى ومسلم : رأيتك فى المنام ثلاث ليالٍ جاءنى بك المَلَك فى سرقة من حرير ، فيقول هذه امرأتك ، فاكشف عن وجهك » وأقول إن يكن من عند الله يمضِه ، والسرقة : شقة الحرير أو البيضاء .

وفى الترمذى : انه جاءهُ جبريل عليه السلام ، بصورتها فى خرقة حرير خضراء ، وقال هذه زوجك فى الدنيا والآخرة ، وفى رواية عنده : قالَ جبريل . إن الله قد زوجكَ بابنةِ أبى بكر ، ومعه صورتها .

ومدة مقامها عنده ﷺ تسع سنين ، ومات عنها ﷺ ولها ثمانٍ عشرة سنة ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، وكانت فقيهة عالمة فصيحة كثيرة الحديث ، عن رسول الله ﷺ عارفة ، بأيام العرب واشعارها ، روى عنها جماعةٌ مِن الصحابة والتابعين ، وكان لها من رسول الله ﷺ ليلتان : ليلتهُا وليلة سودة بنتِ زمعة اذ كبرت ، وهبت ليلتهَا لها ، وكان

يدور بنسائه ويختم بعائشة رضى الله عنها ، وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين ، وهى ابنة ست وستين وأوصت أن تدفن بالبقيع ، وصلى عليها ابو هريرة وهو خليفة مروان بالمدينة ، فى أيام معاوية بن أبى سفيان ، وتكنى أم عبد الله لسقطٍ لها منهُ ﷺ ، والصحيح أنها تكنى بعبد الله بن الزبير ابن اختها أم عبد الله ، قالت فمازلت اكنى به ، وما ولدت قط ، أخرجه أبو حاتم

ومن المعصومين : العبدُ فى قوله تعالى « فوجدَا عبدا مِن عبادنا » رضى الله عنه وهو الخضر ، ومنهم الأبُ الصالح فى قوله تعالى « وكان أبوهما صالحا » وأما غلاماه ، فلا ندرى حالهما ؛ لانهما بلغاء

« ومنهم ذو القرنين » رضى الله عنه فى قوله « أما مَن ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا » وقوله « وأما مَن آمن وعمل صالحا فلهُ جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا » وقوله « فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا »

ومنهم طالوت فى قوله تعالى « وقال لهم نبيهمُ إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا » الخ

ومنهم النفر فى قوله تعالى « أنه استمع نفر من الجن ، الى : ولن نشرك بربنا أحدا »

ومنهم الأمّة فى قوله تعالى « من أهل الكتاب أمة قائمة يتلُون آيات الله » الآية :

ومنهم الرجلان فى قوله تعالى « قال رجلان من الذين يخافون » الآية ، والمشار اليها فى قوله تعالى « قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » ووالدى سيدنا نوح فى قوله « رب اغفرِ لى ولوالدى »

ومنهم من ذكر من الأنبياء فى القرآن باسمه ، أو لقبه ، وقوم يونس لما آمنوا الآية ، وأمة «ومِن قوم موسى أمة يهدوُن بالحق وبهِ يعدلون »، وأم موسى : « لو لا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين » والأبوان فى قوله تعالى « وأما الغلامُ فكان أبواه مؤمنين » والثلاثة الذين خلفوا ، فى قوله « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » والمهاجرون فى قوله تعالى « لقد تابَ الله على النبى والمهاجرين » والفقراء « والذين تبوؤا الدارَ والإيمان » فى قوله تعالى « للفقراء المهاجرين » الآية ، والذى مر على قريةٍ فى قوله تعالى « فلما تبين له قال أعلم ان على كل شىء قدير » وهو عزير والصاحب فى قوله تعالى « قال صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب » الخ ، والأعمى فى قوله تعالى « ان جاءه الاعمى » الخ وهو ابن ام مكتوم رضى الله عنه ، ولقمان ، وأخوه يوسف .

واصحاب الجنة المقسمونُ « ليصر منها مصبحين » قال القشيرى الجمهور ، على أنهم تابوا وأخلصوا ، قال ابن مسعود رضى الله عنه : إن القوم أخلصوا وعرف الله صدقهم وأبدلهم جنة ، يقال لها الحيوان ، فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا و احداً ، قال اليمانى ابو خالد : دخلتُ تلك الجنة فرأيتُ فيها كل عنقود كالرجل الأسود القائم ، وذلك أنسبُ لقولهم « سبحان ربنا إنا كنا ظالمين . الى راغبون » وتوقف الحسن فى قولهم « إنا الى ربنا راغبوان » أهو اسلام أم كما يقول المشرك : اذا اصيب ، قلت : أيدل التسبيح على الايمان وكذلك رجوعهم على أنفسهم بالعتاب مع التسبيح ، واما ولَعذاب الآخرة : فليس فيهم بل : وعظ عام ، ومنهم ، المطوعون من المؤمنين عبد الرحمن بن عوف ، وابو عقيل الانصارى ، وعاصم بن عدى رضى الله عنهم ، والمهاجرون والانصار ، الذين اتبعوه فى ساعة العسرة ، والمهاجرون الأولون ، وابن آدم المتقبل منه القائل : إنى أخاف الله رب العالمين .

ومن المعصومين : آل ياسين ، قال الله جل وعلا « سلام على آل ياسين » قال بعضهم وأهله المطيعون ، ومنهم آل عمران لقوله تعالى « ان اللهِ اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران » الآية ومنهم النفر فى قوله تعالى « واذ صرفنا إليك نفرا من الجن » الآية ومنهم الوالدان فى قوله تعالى « والذى قال لوالديه أفّ لكما أتعداننى » الآية وأبو بكر فى قوله تعالى (وسيُجنبها الأتقى . الذى يؤتِي مالَه يتزكى) الى قوله (ولسوف يرضى) فانه يتبادر فى المفرد ، وقوله « قد جاءكم يوسفُ من قبل بالبينات »

عن ابن عباس:هو يوسف بن أفراثيم يوسف بن يعقوب بمثلثة ، أو بهمزه ، اقام فيهم عشرين سنة نبيا يدعوهم الى الله عز وجل ، وعن الضحاك يوسف رسول من الجن ، أرسل الى بنى آدم فى ذلك الوقت ، وفيه شذوذ أن النبوة من الجن والرسالة وكونه منهم إلى الناس ، ولايصح هذا .

وقال ابن جريج : هو يوسف بن يعقوب .

والصاحب :فى قوله تعالى « اذ يقول لصحابه لاتحزن إن الله معنا » فإنه ﷺ لايقول لغير المسلم على ظواهر الآى .

أما الولاية فى ذاتها : أصل ذات بمعنى صاحبة ، وتستعمل فى الكتب بمعنى نفس الشىء كما هنا ، وليس ذلك ، ولاضافتها للضمير من كلام العرب ، وقال ابن برى على الجوهرى ذات الشىء حقيقته ، وخاصته .

قال الزبيدى :ومن هنا اطلقوه على جناب الحق عز وجل ، ومنعه الاكثرون ، وقال الليث : قولهم قلت ذات يده ، ذات هنا اسم لما ملكت يداه ، كأنها تقع على الأموال ، وعرفه من ذات نفسه ، يعنى سريرته المضمرة ، وقوله تعالى « بذات الصدور » بحقيقة القلوب ، من المضمرات ، قاله ابن الانبارى ، وذات الشوكة : الطائفة ، وذات اليمين ، وذات الشمال ، أى جهة ذات يمنى وشمال ، قلت : أخطا من يفسر ذات الشيء بمعنى نفس الشيء ، وكيف نفسر كتاب الله عز وجل به ، وانما هو كلام عامة تبادره الناس ، وجعلوه علما ، ومعنى ذات كذا ، صاحبة « كذا » ، و« وذات الصدور » الاعتقاد وفى : زائدة ، كأنه قال . اما الولاية نفسها : أجازه ذلك بعضهم فى قوله تعالى « وقال اركبوا فيها » اى اركبوها ، ويجوز أن يضمن معنى انزلوا فيها ، والمشهور أنها قد تزاد عوضا عن محذوفه ، نحو ضربت فيمن رغبت ، أى ضربت من رغبت فيه ، ولايقاس على ذلك ، خلافا لابن مالك ، وقد تزاد بلا تعويض ولايقاس على ذلك أيضا ، وأجازه الفارسى فى الضرورة كقوله :

انا أبو سعْد اذِ الليل دجَا يخال فى سواده برندجـــــــا

اى يخال سواده يرندجا أى سواد برتدج ، اى الجلد ، واجاز الدماميني ان يكون تجريدا كقوله تعالى « لهم فيها دار الخلد » إن فسردار الخلد بالنار كلها ، اما إن فسردار الخلد بمنزل كل واحد فى النار ، فلا تجريد ، فالحب بالجنان بالقلب ذكره مع أن الحب لايكون إلا به للتاكيد كقولك : رأيتك بعينى وسمعتك باذنى ، والثناء : المدح باللسان ذكره للتأكيد ، وهذا التعريف لايشمل ولاية الله لعباده ، لأنه لايوصف باللسان سبحانه وتعالى ، والمراد بالثناء باللسان « الدعاء بالمغفرة أو نحوها » مما يختص بالسعيد ، ولايجزى فى الولاية أن تقول فلان مسلم ، أو فى الولاية ، أو متق لله عز وجل ، أو نحو ذلك ، فإن قيل لكم بما تجب ؟ فقل بالعمل الصالح عمل الفرائض ، واراد مايشمل التقوى فانها عمله ، واذا ذكرت مع العمل الصالح ، فالمراد به غير التقوى .

والعمل الصالح على حد ماذكر : إما بالمشاهدة ، وإما بالشهرة ، أو الشهادة العادلة،أو نص القرآن ، أو الإجماع ، أو تواتر الحديث ، أو آحاده ، أو التبع كطفل المتولى ، ومجنونه من الطفولية ورعية الإمام العدل ، وان قيل: على من تجب أى على من تجب ؟ أعلى كل موف بالدين مطلقا ؟ فقل : لابل تقع على ذى صاحب الهيئة « الحالة الحسنة من أهل العمل الصالح والتقوى » وذو الهيئة الحسنة من لم تظهر منه بالمشاهدة ، أو بالإقرار ، أو الشهادة

اخلاق السوء ، وهى : المكروهات كترك سلام الملاقاة ، وكثرة الضحك ، وكثرة الحلف ، وكثرة الكلام ، والتعبس فى الوجوه ، وأكل مايكره ، والوسواس فى الصلاة ، أو الطهارة ، وترك سنة الفجر ، أو المغرب ، أو العيد ، وكشف الركبة ، أو مارق من الفخد ، فاذا ظهر من الموفى بالدين شيء من المكروهات واستمر عليه فلا تتوله ولو كان كالملائكة ، وان توليته ثم ظهر لك منه فابقه فى الولاية ، ولا يكون حقه كحقوق سواه من اهل الولاية ، بل دونها حتى يترك ذلك ، ومن أدخل عليه الولاية مع علمه بذلك منه تركها وتاب ، ورده فى حاله عنده من قبل ، ولا تجب بالقرآن أو الحديث أو الاجماع أو الشهادة او المشاهدة أو الشهرة ، الا لمن علم منه خير العمل الصالح ، والتقوى والعمل الصالح عمل الفرائض ، والتقوى ترك المعاصى وقد علمت انه لابد من ان لا يكون فيه اخلاق السوء ، ولا يدخل فى عبارة من يتولى بالتبع ، مع أنه لابد من ولايته كطفل المتولى ومجنونه من الطفولية ، وعبده الطفل ، أو ولد عبده الطفل ، فى قول المتولى بالامام .

واختلفوا:هل يتولى الطفل بامه ، ولو لم يكن ابوه فى الولاية ، وكان فى البراءة ؟ والصحيح ان لا يتولى ابن أمه المتولاة ، وانما لم تعم عبارته ذلك ، لأن الطفل والمجنون لا يعتبر عملهم بالامام ، يشترط فيه ان لا يظهر من موجب البراءة لا الوفا ، روى أن أبا عبد الله بن محبوب وقف فى الحسن والحسين وقال لم أجد احدا عاب الحسين بشيء ، ولكن خرج مع أهل الكوفة ، ولا كاتب معاوية مع أخيه الحسن ، ولا قبل هدية غير ان أبا صفرة قال قيل أعان على قتل عبد الرحمن بن ملجم ، قال الله اعلم : اكان ذلك ام لا ؟ قال ابن محبوب تبرأ منهما بعضٌ ووقف بعض ، وأنا مع من وقف فيها ، والحسين أحسن حالا ، وقلبى به أرأف اذْ كان يرمى بالنبل ودمه ينضح ، وما سمعت عن عبد الرحمن بن أبى بكر إلا خيرا ، وهو المستحق لها لاتجوز لغيره ، ولا تزاح عنه ، وهذا يبقى لما قد يتوهم انه قد تكون الولاية جائزة لا واجبة ، وتتولى المرأة نفسها ، وتتولى ولدهَا ان كان ابوه فى الولاية ، ومن قال يتولى بها ولو كان ابوه فى البراءة توبته ، كما اذا كان أمه بحكم الشرع لزناها ، ونحكم لها بأنه ابن أمه ، ولو بنكاح لخطأ فيه ، اذا لم يحكم بثبوت النسب .

واذا بلغ الطفل قطعت ولايته الى الوقوف ، لانها ليست بالذات بل بالتبع فيعتبر حاله ، وقيل يبقى عليها حتى يعلم منه موجب البراءة ، وقيل فى الطفل مطلقا ، واذا بلغ وأتى بكلمة الشهادة ، وما يجب عليه فى الفور تولى مطلقا حتى يعلم منه موجب البراءة ، فان قيل من يثات عليها ؟ فقل المتولى لمن ذكر أى لمن علم منه الخير ، لأن الولاية عمله ، فهو الذى يثاب عليها فقط ، وهو الصحيح ، وقيل يثابان معا اى جميعا ، المتولى لأنه الفاعل

للولاية ، والمتولى لأنه سبب لها ، لعلمه حتى انه يجوز له اظهار صلاحه ليتولى فيكون له ثواب ولايته لسعيه منها بدون نقص عمن تولاه ، ولكن من يتولى بالتبع ، لا سبب له ، فيجاب بانه تسبب له من تولى لاجله ، ولهذه الأمة ما عملت وما عمل لها ، ويلزم أن يثاب المتولى بكل ما يعطاه لوجه الله من حيث إنه متولى كالزكاة ، وشاة الاعضاء ، ودينار الفراش ، ونحو ذلك مما للمتولى ، ولا قائل بذلك ، فالصحيح أنه يثاب المتولى بكسر اللام فقط وإذا تحقق عندك وجوب الولاية وجوب البراءة لأهلهما أو الوقوف لأهله فمن تولى من لا تجب له الولاية أى لا تثبت له الولاية بل البراءة ، أو الوقوف فقد كفر كُفْر نفاق فيمن لم يجىء فيه الإجماع أو القرآن او التواتر أنه من أهل النار ، وكفر شرك فيمن جاء فيه بعض ذلك أوكله ، ولابد من الإجماع على ما فيه نص القرآن أو المتواتر ، فمن تولى من فيه أخلاق السوء ، كفر إلا أن تولاه فحدثت ، أو لم يعلمها فيه فتولاه

وشدد أصحابنا فى الدعاء لأهل الوقوف وأهل البراءة بالهداية ، ويؤخذ من كلامهم أنه يدعى بها لهم فى شىء أو أشياء مخصوصة ، نحو اللهم اهده عن الزنا والخمر ، وعن ترك الصلاة ، بحيث لا يكون لفظه داعيا بموجب سعادة .

وسأل بعض أهل تماسين وهو الحبر التقى السرى الأورع الوجيه الولى فى الله والأخ فى ذات الله ابو العباس أحمد بن سعيد التماسينى بعضا من العلماء فأجابه بجواز الدعاء بالهداية للمتولى وغيره لقوله ﷺ « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » وكذا قول حبيب النجار ، قلت : وكذا غير حبيب النجار ، وذلك من الحجة ان الشرائع لا تختلف فى الدعاء ، وانما تختلف فى ان هذا حرام يبرأ به أو غير حرام ، وعن أنس بن مالك عن النبى ﷺ ، قال تعرض أعمالكم على عشائركم وأقاربكم من الموتى فان كان خيرا استبشروا ، وان كانت غير ذلك قالت اللهم لا تمته حتى تهديه لما هديتنا) وعنه ﷺ (تعرض الاعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله عز وجل وتعرض على الآباء والامهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا وشروقا فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم) .

ومن يأمر الناس بولاية من لايعرفون حاله ، أو عرفوه بالكبيرة فقد كفر ، ومن قال لرجل او امرأة تول والدى مثلا مع ان الرجل والمرأة لايعرفان حال والدى القائل وعرفهما بالكبيرة فقد كفر القائل لأمره بما هو كفر ، ولو كانا عند القائل فى الولاية ، فان كانا قد ماتا فانهما لايرضيان بقول ولدهما ، وقد كرها منه ذلك الأمر ، لأن الموتى تتأذى بما يفعل ولدهما من المعاصى ، فقد آذى والديه ، بل لو تولاهما انسان بجهالة ، وعلم الوالد انه تولاهما بجهالة ، لوجب عليه نهيه عن الولاية بجهالة ؛ لوجوب النهى عن المنكر، فكيف يأمره هو بولايتهما ، واذا لم تعرف ماحالهما عنده فتولاهما فلا يلزمك النهى .

واذا بلغ طفل ، وصرح بما فعل فى الطفولة ، فلا تبرئه ، وأما هو قيل يلزمه كل دم أو مال أتلفه فى الطفولة ، وعقله بعد البلوغ ، فيحكم عليه به ، وقيل لايلزمه ، ولايحكم عليه به ، وقيل يلزمه فيما بينه وبين الله عز وجل لافى الحكم ، ومن أخرها بعد وجوبها فقد كفر كفرَ نفاق فيمن ولايته ليست بالنص أو الاجماع أو الحديث ، وكفْر شرك فيمن ولايته بذلك أو ببعضه ، وقيل كفرَ نفاق ، ومن أخر ولاية الجملة عن البلوغ فقد أشرك ، وقيل نافق ، وقيل لاشيء عليه حتى يأخذ وجوبها بأن يراه فى كتاب ، أو أخبره به ثقة .

ومن قرأ آية أو سمعها وفهم فيها أن إنسانا فصاعدا من أهل الجنة باسمه ، أو بغير اسمه ، وجبت عليه ولايته ، فإن أخرها اشرك ، وان لم يفهم فلا باس عليه ، وان فسرها له ثقة ، وقيل ثقتان ، وجبت عليه ، ومن اخر البراءة بعد وجوبها ، فقد كفر كفر نفاق فيمن لم يجيء القرآن أو التواتر او الاجماع ببراءته ، وكفر شرك فيمن جاء بها فيه ذلك أو بعضه ، ومن أخر براءة الجملة أشرك ، وقيل نافق ، وقيل لاشيء عليه حتى يأخذ وجوبها بان يراه فى كتاب ، أو يخبره به ثقة وقيل ثقتان ، ومن قرأ آية أو سمعها ، وفهم فيها ان انسانا فصاعدا من أهل النار باسمه أو بغير اسمه ، وجبت عليه براءته فإن أخرها اشرك ، وان لم يفهم فلا باس عليه ، وان فسرها له ثقة وجبت عليه ، وقيل ثقتان والصحيح عندى ان لم يتول المنصوص عليه ، أو لم يتبرأ من المنصوص عليه لايشرك ، بل ينافق ، لأنه قصر فى العمل ، وليس رادا للقرآن والأجماع فما هو إلا كمن ترك الصلاة أو غيرها من الواجبات ، وانما يشرك إن برأ من المنصوص عليه فى الخير ، أو وقف فيه ، أو خطأ متوليه أو تولى المنصوص عليه فى الشر أو وقف فيه أو خطأ من تبرأ منه

وضد الولاية البراءة وضد البراءة الولاية فإذا اوجبت الولاية لم تسقط إلا بالبراءة ، وإذا وجبت البراءة لم تسقط إلا بالولاية .

الضدان شيئان وجوديان ، بينهما غاية الخلاف لايجتمعان ، وقد يرتفعان ، فلا يكون شيء واحد فى الولاية والبراءة من جهة واحدة ، وقد لايكون فى الولاية ولا فى البراءة ، وهو الموقوف فيه ، وأما من جهتين فيجتمعان ، كما تبرأ من شخص هو عند الله سعيد داخل فى ولايتك من الجملة ، وكما يتولى شخصا هو عند الله شقى داخل فى براءتك من الجملة ، ولاتسقط الولاية أو البراءة الى الوقوف ، بل لاتسقط احداهما إلا الى الأخرى اذا كانتا بالذات ، وسقوط الولاية الى الوقوف للشك رجوع عن العلم فإن رأيت من متولاك مالا تعلافه فاتبعه فى الولاية ، وقف فيما لاتعرفه ، كما قال المشارقة بالوقوف فى ذلك المتولى ، بل اختلفت المشارقة ، واختلفت المغاربة أيضا ، ثم زال الخلاف عن المغاربة ، ولم يبق فيهم من يقول بالوقوف ، بل يبقى على الولاية ، ويوقف فى الحادث حتى يتبين .

واصل الخلاف : أن الحرث وعبد الجبار فى الولاية وجدا قتيلين ، وسيف كل واحد منهما فى الآخر ، ولا يدرى أقتل كل منهما الآخر ، ولا قتلهما غيرهما ووضع سيف كل فى الآخر ، ورأيت فى بعض التاريخ لقومنا أن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن نافع زحف الى عبد الجبار والحرث فى طرابلس سنة مائة واحدى وثلاثين وظفر بهما وقتلهما

وإما بالتبع : فتسقط الولاية إلى الوقوف ، كما اذا توليت طفلا أو بالغا مجنونا من الطفولية تبعا لابيه أو امه فى قول من قال يتولى بأمه كما يتولى بابيه ، وكولاية ابن أمه المتولاه ، أو سيده على مامر ، ثم كان أحد هؤلاء فى البراءة ، أو بلغ الطفل على مامر أوفاق المجنون ، أو تولاه بأمه الحرة ثم عتق ابوه المنافق أو عتق ابوه المملوك ، أو بلغ فأنك تنتقل من ولايته إلى الوقوف

واذا وقع الامام فى البراءة صرت من ولاية رعيته الى الوقوف فيهم .

واذا تبرات من انسان لكبيرة ، فتاب منها رددته الى الوقوف ، لأنه لابد عليك من قبول توبته ، وظنك به كبيرة أخرى لا تسوغ به البراءة ، اذ لا يعمل فيها بالظن فقد رجعت من البراءة الى الوقوف ، لا كما قال بعض بابقائه فى البراءة ، فالرجوع من الولاية أو البراءة الى الوقوف للداعى الذى لا يلزم منه الرجوع عن العلم صحيح ، كما فى تلك المسائل ، ثم رأيتُ فى بعض الكتب أن المتفقهة قالوا برجوعه الى الوقوف ، وأن اهل الحجة قالوا ببقائه فى البراءة ، وهم من العجاب ، وهل جاءهم وحى من الله تعالى ان له كبائر أخرى ، وأنه شقى أو أنه مصر فى قلبه ، لا والله لا حجة لهم ، وأما قوله لا يرجع إلى الوقوف من البراءة أو الولاية ، فعلى تفاصيل ، وأما الوقوف منك فى متولاك لرؤيتك منه مالا تعرفه ، فمن الرجوع عن العلم ، ومن قال لايتولى من أسلم على يد مخالف ، قال يوقف فيه حتى يرى منه الوفاء فقد رجع من البراءة بالشرك إلى الوقوف ، لكن لا بالذات .

وتجب علينا ولاية أنفسنا وولاية أطفالنا ، وأطفال غيرنا على ما مر ويأتى ان شاء الله ، ولو كنا فى حال توجب البراءة : نقول المرأة على القول بأن ولدها يتولى بها مطلقا ، كما يتولى بالأب ، أو بأنه يتولى بها إن لم يكن له أب ، أو كان مشركا واسلمت ، هى « اللهم ادخلنى الجنة وولدى » وكذا فى اطفال عبيدها ، على القول بانهم يتولون بالسيد « اللهم ادخلنى الجنة واياهم » كما يقول الرجل فى ذلك كله ، وذلك بالتوبة والانقلاع من الذنوب الكبار ، أى مع التوبة أى لا تقل اللهم ادخلنى الجنة واولادى واطفال عبيدى وأنا مصر ، تدخلنا الجنة مع الاصرار ، بل اللهم وفقنى للتوبة وأدخلنى واياهم الجنة ، وهذا أولى من أن

يقال الباء للتصوير ، برأى تتصور ولاية الانسان نفسه ، بمجرد توبته من الذنوب ، وأن توبته منها هى نفس الولاية ، اذ لا ولاية كذلك ، وانما الولاية : الحب بالجنان ، والثناء باللسان

ولا ياتى على الإنسان حال يجب عليه أن يبرأ من نفسه ، أو يقف فيها ، بل يجب ، ولو كان كابليس أن يتولى نفسه وهؤلاء بمعنى طلب المغفرة والجنة ، ويعتقد التوبة .

والمسلمون عند الله وهم السعداء ، واللفظ شامل للمسلمات حقيقة لا مجاز العلاقة الصحبة والموافقة فى الفعل ، كما قيل لأن جمع المذكر السالم فى الصفات وضع على وجهين ، أحدهما استعماله فى الذكور ، والآخر استعماله فى الذكور والاناث ، والالزم الجمع بين الحقيقة والمجاز ، أو التأويل بعموم المجاز ، كما وضعت تثنية الصفة للمذكر بلا تاء ، ولو كان أحدهما مونثا ، نحو زيد وبكر قائمان ، وزيد وزينب قائمان ، انما تجب ولايتهم ، ولاية الجملة علينا عند البلوغ ، أو عند الأخذ بالوفاء بالدين ، فنأخذ منها ولاية الاشخاص غير المنصوص عليهم ، لوجود العلة فيهم ، وهو الوفاء فى الدين بحسب ما يظهر لنا ، فكما لانؤخر أحكامهم ، لاحتمال كذلك لا نؤخر أو نترك ولايتهم ، لاحتمال أنهم أشقياء فتزوج له ، وليتك مثلا لظاهر توحيده ، ولا تقول لعل فيه خصلة شرك وتأكل ذبيحته وتصلى وراءه ، وهكذا ولا نترك ذلك ، لاحتمال أن فيه ما نعا ، وكذا أحكام أهل التوحيد ، وأما الاشخاص المنصوص عليهم ، أو الجمل المنصوص عليها ، فتجب علينا ولايتهم بالوفاء ، كولاية الجملة اذا علمنا بهم ، ويحتمل أن المصنف أراد بالمسلمين ما يشملهم ويشمل السعداء اجمالا .

والشاك فى شرك من جهل ولاية الجملة ، أو من لم يتولها معذور ، ولايعذر الشاك فى كفره ، وكذا براءة الجملة والله أعلم .

وولاية الله عز وجل لعباده أى السعداء ، وهى من ولاية الأشخاص معرفته بهم ، أى علمه بهم وهذا بناء منه كصاحب الضياء ، على جواز اطلاق المعرفة فى وصف الله عز وجل ، بمعنى أنه لايجهل ولم يجهل فتقول : عرف الله الخلق يعرفهم وهذا استمرار ، وهو عارف بهم معرفة كذلك » وقال السعد التفتازانى ولادليل فى قوله ﷺ « تعرف إلى الله فى الرخاءِ يعرفك فى الشدة » لأنه جاء على طريق المشاكلة كقوله تعالى « ومكروُا ومكر الله » ومنع بعضهم ذلك ، وكذا قال فى المطول ؛ يقال الله عالم ولا يقال عارف ، ولامفصولا بالذهول ، أو للشك ، أو النسيان ، وأجاز بعضهم عرف يعرف ومعرفة ، ومنع عارفا ، قال زرّوق : يجوز لايعرف الله إلا الله ، أى لايعرفه ماهو إلا هو ، والمراد معرفته بأشخاصهم ،

والباء للالصاق المجازى أولى ، من أن يقال زائدة فى المفعول به معرفة مآلهم : مصدر ميمى ، رجوعهم بالحشر ، أو الموت إلى الجنة إجمالا وذكر ديارهم فيها ، خصوصا بعد ، والمراد بالرجوع الصيرورة إليها بعد الكون فيها : فإنهم لم يكونوا فيها ، وخرجوا ويرجعوا

واما آدم ونحوهُ من اتصف بالكون فيها ، والخروج ، فلا يشكل ؛ لأنهم لم يكونوا فيها للثواب ، ويجوز أن يكون مآل اسم مكان : أى موضع رجوعهم ، وهو الجنة اجمالا واسم زمان ، أى زمان رجوعهم إليها إجمالا ، ويجوز ان يريد مكان الرجوع أو زمان الرجوع ، أو مكان الرجوع من حال لاتوجب الجنة الى حال توجبها ككون السعيد مشركا ، أو فاسقا فيرجع بالتوبة ، وأما كون من لايعصى طفلا أو جنينا ، وهم الأنبياء قبل البلوغ ، والاجتهاد فى العبادة فله الجنة لكن يرجع إلى المنزلة العظمى ، فيها بالاجتهاد بعد البلوغ ، وبعد البعثة ، ومنهم من اجتهد من الطفولية كيحيى ، فتعظم منزلته منها وتزداد عظما بعدها ، وبعد البعثة ، وأراد بالمكال المنازل ، فهو اسم مكان ميمى فيعطف عليه .

قوله ومنازلهم فى الجنة : عطف تفسير ، فاذا كانت ولاية الله لعباده معرفته بذلك ، فهى صفة ذات ، وإن قلنا ولاية الله لعباده مدحه لهم وقبول أعمالهم ، وكتبه لهم فى اللوح المحفوظ سعداء واعداد الجنة لهم ومنازلهم ، أو توفيقه لهم فهى صفة فعل ، وهذا أولى من كون ولايته معرفته بهم الخ ؛ ويدل لولاية الله لعباده قوله تعالى « يحبهم ويحبونه » « الله ولى الذين آمنوا » .

وأما ولاية العباد لله هم السعداء عنده وغير السعداء ؛ لأن غير السعداء قد يقبل ماأمر الله تعالى به ، ويعمل به ثم يزيغ ، فالقبول لما أمرهم به امتثالا ، ولما نها هم عنه انزجارا ، فحذف مانهاهم عنه للعلم به ، أو أراد بالأمر ماشمل النهى ، فان النهى عن الشىء أمر يتركه ، والنهى عن الشىء امر بضده ، إذا كان له ضد ، فواحد وعلى كل حال : كأنه قيل ماأمر به من فعل أو ترك اعتقادا ونطقا وعملا بالجوارح ، وهذه الولاية من ولاية الأفراد ، ولا اعتقادا ونطقا وعملا بالجوارح ، وهذه الولاية من ولاية الأفراد ، ولا يقال : الله إنه شخص ، والفرد الحقيقى هو الله عز وجل ، وولاية الله لعباده وبراءته منهم لاتتقلبان وولايته الأشخاص غير الأشخاص المعصومين ؛ لقوله « والعينان ماأبصرتا » وقوله « وأن يكون وهبيا أباضيا تجب بأربعة أوجه ، كذلك براءة الأشخاص بأربعة أوجه ستأتى ان شاء الله ، وبالمسخ : من مسخ . علم انه من أهل النار ، فتكون براءته توحيدا وتركها شركا ، لمن علمه وشهده ، قيل

وكذاك من مات بالصاعقة كما فى السؤالات ، قلت لايبرأ منه لذلك ؛ لأن عذاب الدنيا قد يعم ، وقد يخص ويبعث كل على نيته ، كما جاء الحديث بالبعث على النية ، وكما تكلم ميت واحد من جماعة الموتى ، ماتوا بغضب من الله مرة واحدة ، وقال إنى غريب حادث فيهم ، فاصابنى الموت معهم ، ولم يلجم بلجام من نار ، وهم ملجمون ان تقبل الأذنان ماسمعتا ، أو الاذن الواحدة إن لم تسمع الأخرى ، لسدها ولصممها ، وللسد فى الأخرى ، وقد يكون الانسان أصم فلا يسمع ، فتقوم الكتابة له مقام السمع ، فيراها فيقرأها ، فتقوم الحجة عليه من أمينين بالكتابة ، أو من أمين بالكتابة ، ومن آخر بغيرها وليس ذلك مما أبصرت العينيان ؛ لأن المراد بما أبصرتا ماأبصرتا من فاعله ، والمراد بسمع الأذنين وقبولهما ماسمعتا الكناية عن أنهما لم تسمعا من امينين كبيرة فى الشخص ، سواء سمعتا فيه منهما أو من الشهرة مايوجب الولايه ، أو لم تسمعا لكن أبصرت العينان أو أحدهما موجب الولاية ، وان أبصرتاه أو أحداهما بان كان اعور وجبها ، وسمعت الأذنان أو احداهما موجب البراءة من أمينين تبرأ منه ، واسند القبول الى الأذنين ، وإنما هو القلب ؟ لأنهم اللتان توصلان الى القلب ، فيقبل والعينان ماأبصرتا ، أو العين الواحدة ماأبصرت لعمى الأخرى أو لغمضها ، والمراد بقبولهما ماابصرتا مشاهدة الوفاء منه بالدين أو الكناية ، على انهما لم تبصرا كبيرة من الشخص ، فاذا لم تبصراها وقد سمعت الأذنان موجب الولاية تولاه ، وان سمعتاه أو احداهما وأبصرت العينان أو احداهما موجب البراءة تبرأ منه ، واسناد القبول اليهما مجاز عقلى من الاسناد الى الآلة ، وانما القبول حقيقة للعقل ، ويوافقهما اى يوافق النوعين أحدهما الأذنان والآخر العينان ، أو يوافق سمع الاذنين ، وابصار العينين القلب على ذلك المذكور من السماع والابصار ، فلو سمع الأذنان الخير ، وشهد الخير بعينه ، وارتاب قلبه فيما سمع من شاهدين ، أو من الشهرة ، أو فيما شهد بعينه لامرىء آخر كساكن مع أبيه الذى ماله حرام ، ولايدرى من أين يأكل أو يلبس ، ولم يعلم له مكسبا ولاصنعة ، ولامالا فبادر اليه أنه ينتفع بمال أبيه ، فلا يتولاه .

وعلى الشريعة : متعلق بمعطوف على مصدر تقبل ، او مصدر يوافق ، أى والثبوت على الشريعة ، أو يقدر فعل معطوف على احد الفعلين ، اى وان يثبت على الشريعة ، اى دين الله عز وجل ، ويبدل من الشريعة قوله « ان يكون وهبيا اباضيا » فلو علمت من أحدٍ الخيرَ بالمشاهدة أو السمع ولم تعلم أنه أباضى وهبى لم تتوله ، والنسب فى أباضيا بفتح الهمزة وضمها وكسرها إلى عبدالله بن أباض ، مثلّث الهمزة ، وكذلك وهو إمام لنا عالم ورع ناصح للأمة .

ومَن لم يوالِ أهل الولاية ، بعد هذه الوجوه كلها ، بأن حصل له موجبها من السمع أو من المشاهدة ، مع موافقة القلب والثبوت مع المذهب الأباضى الوهبى ، وأنت خبير بأنه يكفى السماعُ من الأمينين ، ان لم ينقضه أبصار العين السوء ، ويكفى أبصار العين ان لم ينقضه سماع السوء ، فقد كفر كفر نفاق ، واذا أخر الولاية لارتياب فلاباس عليه ، بل الواجب التأخير حتى يتمحض موجب الولاية ، ومن اخر ولاية الجملة أشرك فى قول ، ونافق فى آخر على الفور ، وفى قولٍ : التراخى حتى يأخذ ، قيل : إذا أخذ ولم يتول أشرك وقيل نافق ، واذا قامت الحجة فى المعصوم ، ولم يوال ، فالقولان أيضا

وولاية البيضة : أى الولاية المنسوبة لبيضة القتال ، وهى شىء من حديد او نحاس أو نحوهما ، او من جلد ، يضاعف ويجعل على الرأس ، وقاية عن ضرب السيف ، أو البيضة كبير القوم ، أو البيضة الحوزة ، وبيضة كل شىء حوزته ، أضيفت الولاية إليها ؛ لأن من شأن الإمام القتالَ ، وهو كبير القوم ، ولأنه يقاتل بأهل حوزته ، ويقدر مضافٌ بعد هكذا ، فولاية السلطان الإمام العادل ، ويجوز على القول بجواز زيادةِ الإسمين أن يحكم على لفظ ولاية بالزيادة ، ولايقدر مضاف بعد ، أى : وأما البيضة : فالسلطان العادل ، فيكون ذكر الولاية بعد هذا ، لافى هذا ، وعلى كل حال يكون كلامه مبنيا على شهرة بين الطلبة فى ذكر لفظ البيضة ، ولفظ السلطان العادل وولايته ، فكانهم ينتظرون ذكر ذلك .

فقال:وأما ولاية البيضة الخ والفاء زائدة فى خبر المبتدأ . على القول بجواز زيادة الفاء فى الخبر مطلقا ، أو يقدر ، أما : أى وأما ولاية البيضة ، والسلطان هنا الإمام كما رأيت ، وفى الجملة والعرف ، الخليفةُ من يأخذ الحق ويضعه فى أهله ، والسلطان من يأخذ من غير حق ويضع فى غير حق مطلقا ، أو غالبا ، والسلطان من فى ولايته ملوك ، كمن يملك مصر ، أو الشام ، أو أفريقية ، أو الأندلس ، وعسكره عشرة آلاف فارس ، وإن زاد أطلق عليه السلطان الاعظم ، وإن خطب له فى مثل مصر والشام ، والجزيرة ، وخراسان ، وعراق العجم ، وفارس وافريقية ، والمغرب الاوسط ، والأندلس ، فتسمية سلطانَ السلاطين عندهم ، ولاتحسن هذه التسمية شرعا ، فالواجب علينا معشر المكلفين موحدين ، ومشركين ؛ اذ يجب على المشرك كل مايجب على الموحد ، ويعاقب على كل مايعاقب عليه الموحد ، وقيل غير مخاطب ، إلا بالتوحيد ، فيعاقب على تركه فقط .

وقيل لايخاطبون بالأفعال التى أمر الله بها كالصلاة والزكاة ؛ لأنها لاتصح مع الإشراك ، ويخاطبون بترك الأفعال التى أوجب الله تركها كالزنا والربا ؛ لانه يصح تركها مع الإشراك ، ولاثواب لهم على تركها ، ولو قصدوا الثواب .

وعبارة الشيخ أحمد بن سعيد فى الأصول : ومنع بعضهم دخولَ الكفار فى الخطاب بشىء ، وقد تقدم أنهم مخاطبون بفروع الشريعة ، ومنعهم من منع دخولهم فى الشرعيات ؛ ومنهم من منع فى المأمورات دون المنهيات ولايته ، وولاية كاتبه ، أى الذى يكتب له مال بيت المال والخراج ، والزكاة ، والغنائم وارزاق الجند ونحو ذلك ، ووزيره الذى يحمل معه ثقل الرأى والمشاورة وخازنه ، أى الذى يخزن مال بيت المال ، وجميع من كان تحت لوائه أى تحت حكمه ، وأطلق اللواء على الحكم ، لأن لواء القتال سبب فى القتال الذى هو سبب فى الإذعان للحكم ، والكون تحت لوائه فى القتال يستلزم اتباعه فى أمره ونهيه ، وغيرهما من احكامه وبالعكس ، إذا رأيت مذعنا لأحكامه ؛ علمت أنه يكون تحت لوائه فى القتال ، وذلك فى الجملة وباللزوم البيانى من المسلمين ، أى من الموحدين ، فكل من عرف أنه موحد تحت لوائه دعا له بالجنة ، ولايزكيه ، ولايشترط أن يعلم أنه موف وأنه من أصحابنا ، حتى يعلم أنه مخالف أو فاسق من أهل الدعوة فيبرأ منه وان ظهر لك وفاءٌ من أحد توليته وزكيته ، وقيل بالولاية لكل من رجع من الشرك إلى الاسلام ، ولو على يد مخالف حتى تعلم أنه تبعه على شىء مما لايجوزُ فيه الخلاف ، كالرؤية وبراءة أصحابنا ولعله قال : وقيل تضعيفا لهذا القول ، ورجح أنه لايتولى ان رجع على يده ، فإن أصحابنا قالوا إذا اسلم على يد مخالف ، لاتتولاه لأن قلبك لا يوافق على ولايته ، لأنه يرتاب ، فلو حضرت حين رجع على يده لتوليته ، ولم ترتب اذ لم تر ماترتاب فيه ، حتى تعلم منه بعد ذلك ، حتى أنه تبعه على مالا يجوز فيه الخلاف ، فتتبرأ منه ، والتضعيف المذكور معتبر فى الجملة ، لالكل مايجىء بعد : فإنّ من رجع من أهل الخلاف إلى أهل الصواب يتولى بلا قيد ، ولا ضعف إذا كان ورعا فى دينه ، وقيل لايتولى حتى يبرأ من المخالفين ، والحق أنه يتولى مالم تعلم انه تبعه على شىء مما لايجوز فيه الخلاف ؛ لاطلاق القرآن والحديث .

ومن دين أهل الخلاف ، أى من رجع من أهل الخلاف ، ومذهبه الذى لايترك الناس عليه ، فحذف الموصول وصلته بناء على جواز ذلك ، إذا دل عليه موصول آخر إلى دين أهل الصواب ، ومذهبهم الذى يتأكد ، فلو رجع الى دينهم وبقى على مذهب أهل الخلاف الذى لايترك أحد عليه ، مثل رفع اليدين فى تكبير الإحرام ، ويولى مايؤكل ، لم يتول ؛ لان

البقاء على ذلك من مساوىء الأخلاق ، فهيئته غير حسنة ، اذا كان قبل الرجوع ، ودعا فى دينه عما يتورع عنه أهلُ الصواب وجوبا ، وأما إذا لم يكن ورعا فى ذلك كذلك ، لايتولى ، وإذا كان فى دينه قبل الرجوع معتقدا او داعيا اليه ، فلا يتولى حتى يشهر توبته ، ويدعو الى خلاف ذلك من دعاه إليه ، واذا وُجد إنسان من أهل مذهبنا موفيا بالدين إلا شيئا واحدا فيه محرما ، فإذا تاب منه توليته .

وولاية أطفال المسلمين :الأطفال الذكور ، والاطفال الإناث ، ويتولى الانسان اطفاله ، ولو كان فى موجب البراءة ، وكذلك المرأة تتولى أطفالها ، على القول بانهم يتولون بولايتها ، ولو كان ابوهم فى البراءة أو الوقوف ، ولاسيما ابن أمه ، واذا أطلقت هكذا فهى من ولاية الجملة ، كإطلاق ولاية الانبياء هكذا وماأشبه ذلك ، وقال النكار : بالوقوف فى أطفال المسلمين كأطفال المنافقين والمشركين ، وقال الصفرية : قيل وأصحاب الحديث ببراءة اطفال المنافقين وأنهم منافقون كآبائهم وبراءة أطفال المشركين وانهم مشركون كآبائهم ، وولاية أطفال المسلمين وانهم مسلمون كآبائهم ، واما اطفال المشركين والمنافقين : فالوقوف فيهم من الحديث قبل أن يجيئه الوحى من الله أنهم من أهل الجنة ، واذا بلغوا اعتبرت أحوالهم فتحكم فيهم بها ، وان ماتوا قبل البلوغ ، احتمل أن يكونوا فى الجنة ، ويبعدان يكونوا من أهل النار ، اذ لاعمل لهم يوجبها ؛ لأنهم غير مكلفين ، ولايزرون وزر آبائهم «ولاتزر وازرة وزر أخرى » ويحتمل أن يرجعوا ترابا ، وأخطأ من قال : توقد لهم نار يوم القيامة ، فمن اقتحمها دخل الجنة ، ومن لم يقتحمها دخل النار ؛ لأن الآخرة ليست دار تكليف ؛ ثم جاء الوحى انهم من أهل الجنة ، قال رسول الله ﷺ : سألت ربى فى اللاهين فأعطانيهم خدما لأهل الجنة ، فأطفال المشركين والمنافقين فى الجنة خدم لأهلها ، وهم المراد باللاهين فى الحديث « والله يمنُّ بالرحمة ، ولايظلم بالعذاب ، وليس المراد باللاهين أطفال المسلمين ، لأنهم فى درجات آبائهم فضلا من الله ؛ لتقر بهم أعينهم فهم من ملوك الجنة لامن خدمها .

وأما أطفال عبيد المسلمين ، أى أطفال هم عبيد المسلمين ، فإضافة اطفال لعبيد للبيان ، اوهم أولاد عبيدِ المسلمين ، تولى العبد الطفل ، إذا ملكه مسلم ، ولو كان أبوه العبد فى البراءة ، ولايدرى أبوه من هو ، ولاأين هو ؟ ملك المسلم أبا الطفل أو لم يملكه فى قول ، وقيل تتولى طفل العبد إذا كان أبوه العبد ملكا . لمن يتولى ، لا أن لم يكن مملوكا له ، تتولاه لولاته مالك أبيه ، ويحتمله كلام المصنف فلا تكون الإضافة للبيان ، والقولان فى الاثر ، ففيهم قولان : الأول قول بالوقوف فيهم إن كان آباؤهم العبيد فى الوقوف والبراءة ،

وولايتهم أن كان آباؤهم فى الولاية ، وهو الصحيح لأن آباءَهم بالغون لهم حكم أنفسهم يتبرأ منهم أو يتولون أويوقف فيهم ؛ لبراءة آبائهم وللوقوف فيهم إلا على قول من قال : الأطفال فى الجنة مطلقا ، والثانى قول : بولايتهم لولاية سيدهم ، ولو كان آباؤهم العبيد فى البراءة والوقوف ، تنزيلا لساداتهم منزلة الآباء ، ولو وجد آباء العبيد وعرف أحوالهم من براءة ، أو ولاية ، أو وقوف وهو قول ضعيف ؛ اذ لا وجه لنزعهم من اعتبار آبائهم إلى اعتبار السادات ، والقولان فى ذلك سواء ، كان الأطفال مماليك لمالك آبائهم أو مماليك لغيره ، أو أحرار .

والبراءة:على أربعة أوجه : الأولى : براءة الكفار جملة ، وبراءة أهل الوعيد،الثانية : براءة الأشخاص ، والثالثة : براءة السلطان الجائر وكاتبه ووزيره وخازنه ، والرابعة : براءة من رجع من الاسلام الى الشرك ، ومن رجع من أهل الصواب الى اهل الخلاف ، وان شئت فقل: الاولى :براءة الكفار جملة ، الثانية:براءة اهل الوعيد ، والثالثة:براءة الأشخاص،ومنهم براءة السلطان الجائر ومن رجع من الإسلام الى الشرك أو من الصواب الى الخلاف ، والرابعة: كاتب السلطان الجائر ووزيره وخازنه ، ووجه هذا أنه يتبرأ منهم قبل عمل مانصبوا له ، بل بمجرد انتصابهم لذلك ، وان شئت فقل ثلاثة : الأولى:براءة الكفار جملة ، والثانية:براءة اهل الوعيد ، والثالثة:براءة الأشخاص ، دخل فيها السلطان الجائر ووزيره وكاتبه وخازنه ، ومن رجع من الاسلام الى الشرك او من الصواب الى الخلاف ، وان شئت فقل اثنتان : الاولى براءة الكفار جملة : والثانية : براءة الأشخاص ، وهى البواقى ، وقيل،ستةٍ بالجر فعلى محذوفة دلت عليها الأولى ، ورفعه أولى ، وقيل هى ستة : الأولى : براءة الكفار جملة ، والثانية:براءة أهل الوعيد ، والثالثة براءة الأشخاص ، والرابعة : براءة السلطان الجائر وكاتبه وخازنه ووزيره ، والخامسة : براءة من رجع من الاسلام الى الشرك ، والسادسة : براءة من رجع من الصواب الى الخلاف ، وان شئت فقل تسعة : بأن تعد الكاتب والخازن والوزير براءة الكفار الأشقياء عند الله مشركين أو منافقين ، جملة حال أى محملين من عرفناه بالنص عليه فى القرآن أو السنة أو الاجماع أنه من أهل النار باسمه أو بوصفه ، ومن لم تعرفه أنه من أهل النار ، وهو من أهلها عند الله عز وجل .

الحى : بدل من الكفار ، بدل الشىء من الشىء ، باعتبار ماعطف عليه ، وهو الميت منهم ، ولايعلمه إلا الله ؛ لانقطاع الوحى والميت ، وبقى عليه من لم يحيى ومن لم يمتْ ، وهو من يجىء بعد من الأشقياء الإنس والجن بدلان من الحى والميت بدل الشىء من الشىء يتوسط العطف فى الثانى على القول بجواز الابدال من البدل ، أو بدل ثان من الكفار على

القول بجواز تعدد البدل ، وبراءة أهل الوعيدوالاخبار بالشقاوة وعذاب الله ، وكل اخبار بسوء فهو وعيد ، وهم الذين ذكرهم الله فى كتابه باسمائهم أو صفاتهم ، او ذكروا فى السنة أو الاجماع ، فاوجب لهم النار ، وعطف مفصل على مجمل بأن ذكرهم بالنار ، أو بسوء أخروى .

فالواجب علينا ان نبرأ منهم ، من الكفار جملة وأهل الوعيد ، ويجوز عود الضمير لاهل الوعيد ؛ لعلم حكم الكفار جملة ووضوحه .

وذكر اهل الوعيد بعد الكفار جملة تخصيص بعد تعميم لمزيد بيانهم ، ونعلم أنهم من أهل النار ، وبدأ بالكفار جملة وأهل الوعيد ، لأن براءتهم توحيد ، وتركها شرك ، وقيل نفاق ، وبدأ بالكفار جملة لأنها على الفور فى القول المشهور ، وأما أهل الوعيد فبراءتهم متوقفة على السمع أو العلم بهم من القراءة .

وأهل الوعيد هم : هامان ، وقارون .هو ابن عم موسى ، بنُ عمران هو قارون بن فاهت ،بن يصهر بن فاهت لاوى بن يعقوب ،وهو موسى بن عمران بن فاهت ،روى ابن اسحاق ان يصهر بن فاهِت تزوج سمين بنت فاويب بن بركيا بن يغشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن يصهر ، وقارون بن يصهر فتزوج عمران خيبَ بنت اشمويل بن بركيا بن يغشيان ، فولدَت هارونَ وموسى ابنى عمران ، فموسى على قولِ ابن إسحاق ابنِ أخى قارون ، وقارون عمه لابيه ، وأمه ، وعلى قول الآخرين ابن عمه ، وعليهِ اصحاب التواريخ ، وقارون أعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهارون ، وأفضلهم وأجملهم ، وسمى المنور لحسن صورته ، ونافق كالسامرى ، وملكه فرعون على بنى اسرائيل ، فبغى عليهم لماله وامارته وزاد على بنى إسرائيل فى الثياب شبرا وكان أغنى أهل زمانه ، قال الله سبحانه « وآتيناه من الكنوز ماإن مفاتحه » الخ

قال مجاهد : العصبةُ من الخمسةِ الى العشرة ، وقتادة :من العشرة الى الاربعين ، وعكرمة اربعون ، ويقال سبعون ، وقيل ستون ، والضحاك :من الثلاثة للعشرة ، قال خيثمة :وجدت فى الانجيل ان مفاتح خزائنه وقرستين بغلا ، غرا محجلة ، مايزيد مفتاح على أصبع ، لكل مفتاح كنز ، وكان يحمل مفاتحه معه من حديد ، ولما ثقلت جعلها من خشب فثقلت ، فجعلها من جلود بقر على طول الاصبع ، وتحمل معه على أربعين بغلا اذا ركب ، علم موسى عليه السلام يوشع بن نون ثلث علم الكيمياء ، وكالب بن يوقنا ثلثه ، وقارون ثلثه وخدعهما قارون فاضاف علمهما الى علمه ، ويروى ان موسى علم اخته علم الكيمياء فعلمته قارون ، وقال (انما أوتيته على علم عندى) وقيل نال الاموال بالتمر والحرث

وروى انه يتعبد على جبل اربعين عاما وغلب بنى اسرائيل فى العبادة ، وبعث اليه ابليس شياطينه فغلبهم ، ومضى اليه ابليس يتعبد معه ويقهره بالعبادة ، فخضع له قارون ، وقال ياقارون قد رضينا بالذى نحن فيه لانشهد لبنى اسرائيل جماعة ، ولانعود لهم مريضا ولانشهد جنازة ، فاحدره من الجبل الى الكنيسة ، فكانوا يؤتون بالطعام ، فقال ياقارون قد رضينا أن نكون كلا على الناس ، فقال قارون فاى لاى ؟ قال نكسب يوما فى الجمعة ونتعبد البقية ، ففعلا ثم قال رضينا أن نكون كذلك ، قال قارون فما نفعل ؟ قال نتعبد يوما ونكسب يوما فنتصدق ؟ ونعطى ، فتركه ابليس وفتحت له ابواب الدنيا ، ويقال مفاتحه أربعمائة الف فى اربعين خزانة ، وكان يخرج فى زينته واختيال ، ويقال خرج على براذين بيض ، عليه سروج الأرجوان .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : خرج فى سبعين الفا عليهم المعصفرات وكان أول من أظهر المعصفرات ، ويقال خرج على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليه الارجوان ، ومعه الف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ، ومعه ستمائة جارية بيض عليهن الحلل والثياب الحمر على البغال الشهب ، فقالت الجهلة ماذكر الله تعالى عنهن « ياليت لنا مثل ماأوتى قارون إنه لذو حظ عظيم » فوعظهم أهل العلم بالله كما قال الله عزوجل «ومايلقاها إلا الذين صبرُوا » الآية وامر الله عز وجل بنى اسرائيل أن يجعلوا فى اردیتهم خيوطا أربعة خضراء كلون السماء ، فى كل طرف خيط ، ليذكروا الله بها ، ويعلموا انى منزل عليهم كلامى ، فقال موسى عليه السلام : يارب يحتقرون الخيوط فلو امرتهم ان تكون ثيابهم خضرا ، فاوحى الله عز وجل اليه : الصغير من أمرى ليس بصغير ، ومن لم يطعنى فى الصغير لم يطعنى فى الكبير ، ففعلوا أو قال قارون انما يفعل هذا أرباب العبيد ، ليميزوا عبيدهم ، فلم يفعل ، ولما قطع موسى البحر جعل الله القربان لهارون ، يضعه على المذبح ؛ فتنزل نار فتأكله ، فقال قارون أنا أقرأ للتوراة منك ومن هارون ، وأعطيت الرسالة ، وهارون القربان ، فمالى ؟ فقال موسى عليه السلام : والله ماجعلتها له بل جعلها الله عز وجل له ، فقال والله لأصدقك الا ببيان ، فجمع بنو اسرائيل عصيهم بأمره وربطها ، وكل موحد كتب اسمه على عصا ، فالقاها فى القبة التى يعبد الله فيها ، وقال من أحيا الله عصاه ، فهو أهل للقربان ، وحرسوا عصيهم الى الصبح ، فاصبحت عصا هارون مورقة ، وكانت من الموز ، فقال قارون ماهذا بأعجب من السحر الذى تفعل ، وانقطع عن موسى عليه السلام واستمر فى ايذائه ، ومازال يزيد تجبرا ، وموسى يداريه لقرابته ، ولاطفاء الفتنة وللطمع فى توبته ، وبنى دارا وجعل بابها من الذهب الاحمر ، وضرب على جدرانها كلاليب الذهب ، فكان الملأ من بنى إسرائيل يغدون عليه ويروحون ، فيطعمهم ويحدثونه ويضاحكونه .

ولما انزل الله الزكاة على موسى صالح قارونَ على كل ألف دينار بدينار ، وكذا فى الدراهم والغنم والبقر وفى ألف كل شيء بواحد ، ورجع قارون الى بيته فحسب فوجد كثيرا ، فلم يعط وجمع بنى اسرائيل ، فقال اطعتم موسى فى كل شيء حتى يأخذ اموالكم ، فقالوا انت كبيرنا ، فما نصنع ؟ قال نجعل لفلانة جعلا لتقذفه بنفسها ، فيرفضه بنو اسرائيل ، فجعل لها الف درهم ، وقيل الف دينار ، وقيل طستا من الذهب ، وقيل حكمها ، وقال امونك ، وأخلطك بنسائى ، فجمع قارون بنى اسرائيل ، فاتى إلى موسى عليه السلام ، فقال له ان بنى اسرائيل مجتمعون لتعظهم ، وتبين لهم أمر دينهم فى أرض براح ، فجاء وقال أنه من سرق قطعت يده ، ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة ، وان كان له امرأة رجمناه حتى يموت ، فقال له قارون وان كنت أنت ، قال وان كنت انا ، قال إن بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة ، قال انا ؟! قال نعم ، قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت ، فدعوها فقال لها يافلانة انا فعلت بك مايقول هؤلاء ؟ وعظم عليها ، وسألها بالذى فلق البحر لموسى وبنى اسرائيل ، وأنزل التوراة على موسى ، الا صدقت ، فقالت فى نفسها لأن أحدِثَ اليوم توبة أفضل من أن أوذى رسول الله ، فقالت : كذبوا ، وجعل لى قارونُ جعلاً ان أقذفك بى ، فنكس قارونُ رأسه ، وسكت الملأ ، فسكت موسى يبكى ، ويقول يارب ان عدوك هذا قد آذانى ، واراد فضيحتى ، وسبنى ، اللهم اغضب عليه وسلطنى عليه ، فاوحى الله اليه ارفع راسك ، ومر الأرضَ بما شئت تطعك ، فقال موسى عليه السلام : يابنى اسرائيل : إن الله تعالى قد بعثنى إلى قارون ، كما بعثنى إلى فرعون ، فمن كان معه فليلبث مكانه ، ومن كان معى فليعتزل عنه ، فلم يبق مع قارون إلا رجلان ، فقال موسى ياأرض خذيهم ، فأخذتهم الى كعابهم ، ثم قال ياأرض خذيهم ، فاخذتهم الى ركابهم ، ثم قال ياأرض خذيهم ، فأخذتهم الى جنوبهم ، ثم قال ياأرض خذيهم ، فأخذتهم الى ركابهم ، ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى اعناقهم ، وقارون وصاحباه فى كل ذلك يتضرعون الى موسى ، وناشده قارون بالله والرحم ، قيل سبعين مرة ، ثم قال ياأرض خذيهم ، فانطبقت الارض عليهم .

فأوحى الله اليه ياموسى ماأفظك ! ! استغاثوا سبعين مرة فلم تغثهم ولم ترحمهم ، اما وعزتى وجلالى لو اياى دعوا لوجدونى قريبا مجيبا ، قال قتادة يخسف بهم كل يوم قامة ، ولايبلغون قعرها الى يوم القيامة .

وعن أبى هريرة بسند قال رسول الله ﷺ بينما رجل يتبختر فى برديه ، وينظر فى عِطفيه ، وقد أعجبته نفسه ، إذ خسف الله به الأرض ، فهو يتلجلج فيها الى يوم القيامة ،

فلما خسف الله بقارون وصاحبيه اصبحت بنو اسرائيل يتناجون : إنما دعا موسى على قارون ليأخذ امواله ، فدعا الله أن يخسف بها الارض، قال الله سبحانه « فخسفْنا بِهِ وبداره الأرضَ فما كان لهُ من فئةٍ ينصرونه من دون الله » وأوحى الله اليه أن لاأرد أمرَ الأرض بعدك لأحد

وفرعون ونمروز فى قوله تعالى « ألم ترإلى الذى حاج ابراهيم فى ربه » الآية ومنهم جالوت فى قوله تعالى « ولما برزوا لجالوت وجنوده » وابن نوح القائل له أبوه « يابنى اركب معنا ولاتكن مع الكافرين » الخ ، ومنهم : أبو لهب ، والسامرى ، والذى آتاه الله آياته ، فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، هكذا يبرأ منه بالوصف فيشمل من أراد الله به بلعام بن باعوراء ، أو أمية بن الصلت ، أو رجلا له ثلاث دعوات مستجابة فضيعهن فى دنياه ؛ دعا على امراته أن تكون اجمل النساء ، فكانت فطغت عليه ، فدعا أن تكون كلبة فطلبه بنوها ، فدعا فرجعت فكانت كحالها أول مرة ، ومنهم الملك الذى يأخذ كل سفينة غصبا ، وصاحب الجنتين الذى قال « ومأأظن الساعة قائمة » الموصوف بأنه ظالم لنفسه وبانه كفر بعد جزمه بالقيامة ، قيل ومنهم أصحاب الجنة « الذين اقسموا ليصر منها مصبحين ولايستثنون » لقوله تعالى « كذلك العذاب ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون » والصحيح : ان هذا وعظ عام ، وقيل يتولون لقوله تعالى عنهم « قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين » وعليه الجمهور : والأولى الوقوف فيهم لتعارض الدليلين ، ومن أصحاب الوعيد من فى قوله تعالى « أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا الى قوله ونمد له من العذاب مدا » قيل هو العاصى ابن وائل ، ومنهم المذكور فى قوله تعالى « ومنهمُ منْ عاهد الله لئن آتانا من فضله » وهو ثعلبة بن حاطب ، سأل كثرة المال فنمت غنمه ، حتى لاتسعها المدينة ، فبعد ومنع الزكاة ، والمذكور فى قوله تعالى « إن الانسان ليطغى وقيل أريد الجنس وهو الصحيح » وقوله تعالى « ولاتطع كل حلاف ، الى قوله : أن كان ذا مال الى الخرطوم » هو الوليد بن المغيرة .

وقال الشعبى والسدى وابن اسحاق الأخنس بن شريق ، وقيل الاسود بن عبد يغوث ، وقال مجاهد : عبد الرحمن بن الاسود ، وقيل ابو جهل ، ومافيه خلاف : فما ورد فى القرآن لايجزى فيه براءة واحد معين ، بل يبرأ منه على عمومه فى القرآن ، أيا كان عند الله وكذا فى الولاية ، ومن فى قوله تعالى « ومنهم من يلمزك فى الصدقات » هو الجواص المنافق ، اذ قال إن محمدا يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ، ويزعم أنه يعدل ، والذين يلمزون المطوعين ، والقائل « ائذن لى ولا تفتنى » هو ابن قيس قال : لاتفتنى بالخروج فاخالفك لئلا يضيع مالى ، ولاقائم به أو بالنظر الى النصرانيات ، فانى مولع بالنساء فافتن بهن اذا خرجت

فرأيتهن ، ومن بعد عليهم الشقة « وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون » والمستأذنون : الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وارتابت قلوبهم » والقائل : ليخرجن الأعز منها الاذل، والذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن »

ومن وصف بالنفاق والحالفون بالله (ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) الخ ، والمخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ ، والاعراب المتخذون ماينفقون مغرما » المتربصون الدوائر على النبى ﷺ ، والمؤمنين ، والماردون على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم ، والمتخذون مسجدا ضرارا ، والمذكور فى قوله تعالى « ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى : العبد رسول الله ﷺ ، والناهى ابو جهل ، والا شقى المذكور فى قوله تعالى : اذا انبعث اشقاها ، والمذكورون فى قوله فكذبوه فعقروها ، وقوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ، واصحاب الرس ، واصحاب الظلة ، وأصحاب الأيكة ، وقوم لوط ، وقوم شعيب ، وقوم تبع ، وابن آدم القائل لاقتلنك الذى « طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين »

وأصحاب الرس :قوم حنظلة بن صفوان ، وقد مر مبسوطا وقيل قوم يعبدون الاصنام ، بعث الله عز وجل اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس ، وهى بئر غير مطوية ، انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم ، وقيل الرس قرية بفلج اليمن عظيمة ، كانت مسكنا لعاد ، وفيها بقايا ثمود بعث الله عز وجل اليهم نبيا قتلوه فى بئر وطموها عليه ، فهلكوا ، وقيل الرس الاخدود ، وقيل بئر بأنطاكية قتل فيها حبيب البخار ، وقيل أهل الرس أهل بدو يعبدون شيطانا يخرج من البحر على اربعة أحوات بعنق طويلة وتاج على رأسه يخرج مرة فى كل شهر ، ويذبحون له ويسجدون له ، فارسل الله اليهم رسولا فقتلوه ، وآخر فقتلوه ، ووليا أفحمهم ، فقال ارأيتم ان خرج وأطاعنى اتطيعون الله عز وجل قالوا نعم ، فخرج فقال له ائتين طوعا أو كرها بسم الله الكريم ، فنزل عن الاحوات واتى فقال ائتنى على الاحوات ، فأتى عليهم فلم يؤمنوا ، فبعث الله عز وجل ريحا والقتهم ومواشيهم ومايملكون فى البحر ، حتى الذهب والفضة ، فاتى الولى البحر فاخذ الذهب والفضة فقسمها على أصحابه بالسوية الصغير والكبير .

ويقال :كان أصحاب الرس أهل حضر يعبدون الاوثان ويعبدون الجارية واذا تمت لها ثلاثون سنة قتلوها وعرض نهرهم ثلاثة فراسخ ، يفيض كل يوم وليلة حتى يبلغ انصاف الجبال ، واذا خرج احدهم وقف ودار ورجع ، وبعث الله اليهم ثلاثين نبيا فى شهر واحد ، فأيبسه الله وسائر مياهم ، وألقى أموالهم كلها فى البحر بالأرياح الاربعة ، وفى رؤس الجبال وبطون

الأودية ، وآمن واحد وعشرون رجلا ، وأربع نسوة ، وصبيان ، وهداهم الله الى غار فى جبل له طريق من خلفه فنجوا فيه ، وهلك الباقون ، وهم ستمائة ألف عطشا وجوعا ودعا من نجا ، أن يرزقهم الله قليلا لئلا يطغوا ، ورجعوا الى بلدتهم ووجدوها مقلوبة ووسع عليهم ؛ إذ علم صدق نيتهم .

وامرأة نوح وابنهُ القائل فيه نوح « يابنى اركب معنا ولاتكن مع الكافرين » القائل (سآوى الى جبل يعصمنى من الماء) وامرأة لوط ، وخيانة المرأتين لنوح ولوط عليهما السلام ، اضمار الشرك والمعاصى واظهار التوحيد والاسلام واعانة المشركين ، وبراءة الاشخاص . كل ، اى براءة كل من علمنا منه شرا كبيرة ، بالمشاهدة منا أو بالشهادة عليه من متوليين أو بالشهرة أو بالاقرار منه ، وكذا صغيرة أصر عليها ، أو ذنب لايدرى اهو صغير أو كبيران اصر عليه ، تجب علينا براءته ، الاضافة للملابسة والمراد البراءة منه والقصد بها اليه ، يعنى انه لاتكفى عنه براءة الجملة ، ولايبرأ بالصغيرة إلا ممن أصر عليها ، كمن قال لأتوب أو قصد تكرارها بعينها وعد بعضهم منها مالا يضر من الدواب

وفى الاثر وسألته عمن قتل نملة أو درة . الخ . فأجاب بأن دابة كل مايدب على الأرض مما جاء فيه نهى رسول الله ﷺ عن قتله درهم عند أصحابنا ، وقيل فى الضفدع نعجة ، وأما مايطير مثل الخطافة والصرد والنحلة فدرهمان ، وقيل لاشىء إلا التوبة فى ذلك كله ، ومن أخذ جمرة بيده فهو عاص ، وكذا التعرى ، ومن أخذ نارا موقدة أو تعرى لها عصى ، ولاباس فى التعرى ليلا ، واما فى النهار فعاص ، وعصى فى المسجد ليلا أو نهارا ، وهلك فى المسجد الحرام ، ومن تعرى للجمر عند الناظر المميز عصى ، أو تعرى للنار عند الناظر كفر كذا قالوا ، والظاهر ان مرادهم بالمعصية اذا لم تتبين أنها كبيرة أو صغيرة أنها لاتدرى أصغيرة أم كبيرة عند الله ، وبراءة السلطان الجائر ومن دون السلطان من كل من له استعلاء على غيره ، وكاتبه أى الذى يكتب له مايحتاج اليه تبرأ منه ، ولو قيل أن يؤمر بالكتب له أو بعد الأمر له به ، وقبل الكتب له لأنه نصب نفسه لذلك ووزيره وخازنه ، والمراد بالسلطان الفاسق من أهل التوحيد لاالمشرك بدليل قوله الجائر ، لأن المشرك أبدا جائر ، وبدليل قوله : واما من كان تحت لوائه فلا تبرأ منه عموما بل هو كغيره ، اذ لايجوز الكون تحت لواء المشرك ، وبدليل قوله : لأنه ربما كان فيهم مسلم موف بالدين لزمهم أى أقام فيهم ، ولم يخرج عنهم والجملة نعت لمسلم ، ويجوز أن يكون ولزمهم بالواو عطفا على كان المذكور ، أو عطفا على متعلق فيهم المحذوف ان جعلنا كان لها خبر والا فلا محذوف ،

وهو أولى لئلا تتكرر كان المذكورة مع الاستقرار ولو لم تقدره من لفظ الكون تقية مفعول من أجله على نفسه أى حذرا على نفسه من أن يقتلوه ، وهذا مختص باهل التوحيد ، واما اهل الشرك فلا يجوز الكون تحتهم بل يجب الخروج عنهم ، وعدم الذهاب اليهم إلا ان تملكوا بلدا هو فيه ، ولايجوز المقام معهم مادام يتوصل الى دينه ولو سرا .

والمصنف مصرح بجواز الاقامة تحت الائمة الجورة من أهل التوحيد مطلقا من أهل مذهبنا أو من غيرهم وذلك رد على الصفرية والأزارقة والتجدية لأنهم أوجبوا الخروج عن الجورة وبراءة كل من رجع من الاسلام الى الشرك ، ولاتجزى البراءة السابقة ان كان فيها قبل الرجوع بل يجددها ، وكذا فى قوله ، ومن أهل الصواب الى اهل الخلاف الى ديانتهم التى يقطع فيها العذر ، وهى المسائل التى لايجوز للناس ان يختلفوا فيها ، والحق فيها مع واحد ولو رجع الى مالا يقطع فيه العذر لم يبرأ منه ، بل يكون رجوعه من اخلاق السوء ، وقيل يبرأ منه ان اصر وخص براءة الراجع الى الشرك او الخلاف مع دخولها فى الاشخاص ، لأن ذلِك خروج مِن الدين الى الآخر وزعم بعض أن المشهود فى الخير لايبرأ منه بالشهرة فى الشر لابالشهادة وهو مشكل ، ولعل المراد أنه ينتظر حضوره لعله يدفع عن نفسه ، ويبرأ من المتولى بالكبيرة أو بالاصرار على الصغيرة ، ثم يستتاب وقيل يستتاب فان ابى برىء منه ، فان تاب فكذلك الى ثلاث مرات ، وقال أبو عبيدة ابدا ، وقال أبو عبيدة من رأى من متولى مالا يعرفه فله ان يكف عنه حتى يسأل ، والمراد بالكف عنه ان لايبرأ منه ، وقال ولايتولاه أى ولايتولاه على ذلك الفعل ؛ بل يتولاه لما سبق له ، وهذا مذهب المغاربة ، وابقى جمهور المشارقة كلام أبى عبيدة على ظاهره من رده الى الوقوف من الولاية ، والصواب مذهب المغاربة من ابقائه على ولايته والوقوف فى فعله ، ومن رأى فاعلا ماعلمه من قبل كبيرة برأمنه ، وان لم يعلمه كبيرة فلا يبرأ ، حتى يأخذ من كتابين أو شاهدين ، أو كتاب وشاهد كونه كبيرة ، وقيل يجزى واحد من ذلك ، ومن قال تبرأ منى فلان على غير مايوجب البراءة ، برأمنه ان كان فلان متولى ، لانه رماه بالباطل ، ومن قال هذا الفعل كبيرة ، ففعله فبرأ منه السامع لم يظلمه ، والأولى التوقف عن براءته ، حتى يعلم أنه كبيرة ، الا ان كان ثقة ، يؤخذ عنه

ومن تاب من جميع ذنوبه فلا يجزيه حتى يقصد الى الذنب المخصوص الذى برىء منه به ، وقيل يجزيه فعل كل من لم يعلم الملل الست ، ولم يعلم الحكم فيهم فهو مشرك شركا لايحل به دمه أو ماله أو سبى ذريته ، ولاتحرم به زوجه كمن لايعلم فضلا عن أن يعلم الحكم فيهم وفى النسخ كل من لم يعلم الملك ، الست ، فهو كمن لايعلمهم ، والتقدير

كل من لم يعلم الملل الست فهو مشرك ، ومن علمهم ولم يعلم الحكم فيهن ، فهو كمن لايعلم ، وذلك تشديد لايجوز الأخذ به ، ولا الحكم بها ، ويقال لو صح أن معرفة الملل الخمس واجبة ، كما صح وجوب معرفة ملة الايمان ، لكان معرفة إبليس أولى بالوجوب ، ويجاب بان إبليس والعياذ بالله عز وجل منه غير ظاهر ، وهؤلاء الخمس ظاهرون لهم دعا ، وتسمع وهى باطلة ، فيجب الاستعداد لها ، إلا أن جهلهم أو جهل احكامهم ليس اشراكا بالله ، ولاقدحا فى صنعته ، ولا انكارا لما قاله ، ولاعصيان بجهل ذلك ، حتى يفارق مفارق بباطل ، وهم الذين نكرهم الله فى كتابه ، فقال عز من قائل عطف مفصل على مجمل ، ومن للبيان تتعلق بمحذوف حال والتنكير للتعظيم ، والمعنى وهو قائل عظيم وهذا أولى من جعلها زائدة فى الاثبات ، على قول جواز زيادتها فيه ، وجعل قائل حالا .

« إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين » وسط الصابئين بين اليهود والنصارى ، لأنهم أخذوا من اليهود والنصارى ، ومن قال وسطهم لأنهم اقدم من النصارى لم يتم له أن يقول اخذوا من النصارى كما أخذوا من اليهود ، ويجاب بانه جاءت النصارى أخذوا منهم كما أخذوا من اليهود ، وفى بعض الآيات قدمت النصارى ؛ لانهم أهل انجيل ، والصابئون يقرءون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى القبلة ، وقيل قوم بين اليهود والمجوس وقيل فرقتان فرقة يقرءون الزبور ويعبدون الملائكة وفرقة يعبدون النجوم ولايقرءون كتابا ، وليسوا بأهل كتاب

ووجدت فى اخبار مصر والقاهرة ؛ فى نسخة عتيقة ، ونسخة أخرى بالقالب مانصه : ذكر أئمة التاريخ ان آدم عليه السلام أوصى لابنه شيث ، وكان فيه وفى بنيه النبوة والدين ، وانزلت عليه سبع وعشرون صحيفة وانه جاء الى مصر ، وكانت تدعى بايلون ، فنزلها هو وأولاد أخيه ، فسكن شيث فوق الجبل ، وسكن أولاد قابيل أسفل الوادى ، واستخلف شيث ابنه أنوش ، واستخلف أنوش ابنه قونان ، واستخلف قونان ابنه مهلائيل ، واستخلف مهلائيل ابنه يرد ، ودفع الوصية اليه وعلمه جميع العلوم ، واخبره بما يحدث فى العالم ، ونظر فى النجوم ، وفى الكتاب الذى انزل على آدم عليه السلام ، وولد يرد اخنوخ وهو ادريس عليه السلام .

وتنبأ ادريس عليه السلام ، وهو ابن أربعين سنة ، واراد الملكية سوءاً فعصمه الله تعالى ، وانزل عليه ثلاثين صحيفة ، ودفع اليه ابوه وصية جده ، والعلوم التى عنده ، وكان قد ولد بمصر ، وخرج منها ، وطاف الأرض كلها ، ورجع ، ودعا الخلق الى الله تعالى ، فأجابوه حتى عمت ملته الأرض .

المحدثين ، ولايموت إلا اذا رفع القرآن ، وفى صحيح مسلم من حديث الدجال أنه يقتل رجلا ثم يحييه ، قال ابراهيم بن ستين راوى كتاب مسلم : إنه الخضر وكذا قال معمر فى مسنده .

وعن ابن عباس : يلتقى الخضر وإلياس فى منى فى ايام منى ، فيلحق كل واحد راس صاحبه ويفترقان على هذه الكلمات : بسم الله لايسوق الخير إلا الله ماشاء الله ، لايصرف السوء إلا الله ماشاء الله ، ماكان من نعمة فمن الله ماشاء الله ، لاحول ولاقوة إلا بالله . فمن قاله حين يمسى وحين يصبح ثلاث مرات عُوفى من السرقة ، والغرق ، والفرق ، ومن السلطان ، والشيطان ، والحية ، والعقرب . أخرجه أبو داود .

ويقال : الخضر من أولاد فارس ، والياس من بنى اسرائيل ، ويقال : سكن الخضر بيت المقدس ، يمين باب الرحمة الى باب الاسباط ، يصلى كل جمعة فى خمسة مساجد ، فى المسجد الحرام ، وفى مسجد المدينة ، وفى مسجد بيت المقدس ، وفى مسجد قباء ، ويصلى كل ليلة جمعة فى مسجد الطور ، ويأكل كل جمعة اكلتين من كمأة ، وكرفس ، ويشرب من زمزم ، ومن جب سليمان ، ببيت المقدس ، ويغتسل من عين سلوان ، اخرجه ابن عساكر

وفى ربيع الابرار : اربعة احياء : اثنان فى السماء : عيسى وادريس ، واثنان فى الأرض : الياس والخضر ، فالياس فى البر ، والخضر فى البحر ، وهما يجتمعان كل ليلة على ردم ذى القرنين ، يحرسانه ، ويحجان كل سنة ، لايراهما الا من شاء الله ، واكلهما الكرفس ، والكمأة .

ويروى ان والد ذى القرنين راقب نجما : اذا وصل موضع كذا وجامع أحد زوجه بتلك المراقبة تحمل من يعيش ابدا ، وذكر لزوجه ، وابو الخضر يسمع ، وأمر أبو ذى القرنين زوجه ان تنبهه ، اذا بلغ الموضع ، فشفقت عليه لسهره حتى جاوز الكوكب الموضع فانتبه ، فقال لها لم لم تنبهينى ؟ فقالت شفقة لسهرك ، فقال : اما اذا فات ذلك فمن جامع الآن ولد له من يملك الدنيا فجامعها ، فولدت ذا القرنين ملك الدنيا .

واما ابو الخضر فلما سمع ذلك جامع زوجته حين بلغ الكوكب الموضعَ ، فولد له الخضر فهو يعيش إلى رفع القرآن ، وذلك : سبب لشربه أعنى الخضر من عين الحياة ، حين دخل الظلمات مع ذى القرنين ، وجملة من العساكر متبعا لصوت خرزة تصيح ، ليرجع الى صوتها من ضل ، والقاها وصاحته الى جانب نهر ، فاذا هو عين الحياة ، ونزع ثيابه وشرب واغتسل ، واخطأها ذو القرنين ؛ ورجعوا .

وسبب حياة الخضر : إن أباذى القرنين كان له علم بالنجوم ، والأمر كله لله عز وجل ، رصد نجما اذا وصل موضع كذا من السماء ، ووطىء الرجل زوجه ، وحملت من وطئه وولدت ولدا يحيْى الى آخر الدهر ، فأخبر زوجه بذلك ، وقال اذا وصل النجم موضع كذا فاخبرينى ، وكان أبْو الخضر يسمع وزوجه فى بيت ، وكلهم فى دار واحدة ، ولما وصل النجمُ الموضعَ لم تخبره زوجه فانتبه ، فوجده قد جاوز الموضع ، فقال لِمْ لمْ توقظينى ؟ فقالت : شفقة عليك من سهرك ، فقال فات ، ولكن من جامع زوجه فى هذا الوقت وحملت من جماعه ولد من يملك الدنيا كلهَّا ، فجامعها وولدت ذا القرنين .

واما ابو الخضر : فلما سمع كلام أبى ذى القرنين فى شأن من يحيى الى آخر الدهر ، فانه لما وصل النجمُ الموضعَ جامع زوجه ، فحملت بالخضر ، وقد قيل والله اعلم : إنه وذا القرنين ابنا الخالتين ، ام كل منهما اخت ام الآخر .

كان أبو ذى القرنين اعلمَ مَن فى الارض بعلم النجوم ، ولم يراقب أحد الفلك ماراقبه ، ومد الله له فى الاجل ، وقال لزوجه قد قتلنى السهر ، فدعينى أرقد ساعة وانظرى الى السماء ، واذا رأيت قد طلع فى هذا المكان نجم واشار بيده الى موضع طلوعه ، فنبهينى حتى أطأك فتعلقين بولد يعيش الى آخر الدهر ، وكانت اختها تسمع كلامه، ثم نام ابو ذى القرنين ، فلما استيقظ ابو ذى القرنين والنجم قد نزل فى غير البرج الذى كان يراقبه ، فقال لزوجه : لم لم تنبهينى ؟ فقالت إستحييت والله ، فقال لها : أمَا تعلمين أنى أراقب هذا النجم منذ أربعين عاما ، والله لقد ضيعتِ عمرى فى غير شيء ، ولكن الساعة يطلع فى أثره نجم فأطأك فتعلقين بولد يملك قرنَى الشمس ، فطلع فوطأها ، فعلقت بالاسكندر وهو ذو القرنين ، وولد ذوُ القرنين والخضر فى ليلة واحدة .

والياس فى الأرض ، هو : ابن ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران هرب من لاجب السلطان ، حيث اراد قتله ؛ وبقى فى غار من جبل عال صعب سبع سنين ، يأكل الشجر متخفيا أرسل اليه خداعا من يأتونه ، يظهرون له الإيمان ، فدعا الله عز وجل بإحراقهم ، ان كذَبوا فاحرقوا ، ثم أرسل اليه مثلهم ، فأحرقوا ثم مثلهم ، فأحرقوا حتى أرسل اليه مؤمنا عرفه مؤمنا ، واغض عنه لحسن سيرته فاخبره ، وقال له اليسع بعد هلاك لاجب وقومه ، مرنى بما شئت فاوحى الله عز وجل اليه : أن اركب مايجيئك ولاتخف ، فجاءه فرس من نار ، فركبه فذهب يسير فى الارض ، فالقى ثوبه لليسع فعرف انه استخلفه على بنى اسرائيل .

والخضر وإلياس وعيسى إذا نزل يجرون على شريعة سيدنا محمد ﷺ وعليهم ، وذكر عبدالله بن محمد عامر عن النبى ﷺ أنه لو كان الخضر حيا وغيره من الانبياء احياء لما وسعهم إلا اتباعى ولزارونى ، وهذا ظاهر فى أن الخضر ميت ، والمشهور والصحيح حياته ، وقد حضر فى مسجد المدينة ، وكانت بينهما مراسلة فيه بأنس بن مالك ، وكما عزى الصحابة عند موته ﷺ كما قال الصحابة ، وامثال هذا كثير فى الكتب من له اسمان فقط فى القرآن باتفاق ، والمراد مايشمل اللقب .

واما فى غير القرآن : فأكثر من أربعة مثل ادريس وهو اخنوخ من الانبياء اربعة يعقوب ، وهو اسرائيل ، وعيسى وهو المسيح ، ويونس ، وهود ، والنون ، ومحمد ، وهو احمد ﷺ وعليهم اجمعين .

واما فى غير القرآن قله ﷺ اسماء كثيرة ، جمعتعها مفسرة فى تأليف سميته : الغسول من أسماء الرسول ، وفى القرآن كثير : مثل يس وطه ، ثلاثة منهم سريانيون لغتهم لغة أهل سرّيانة ، وهى قريه نوح قبل الطوفان ، آدم وشيث ، ويقال شاث ، وقيل بالعبرانية شيث ، وبالسريانية شاث ، ومعناه : هبة الله ، وادريس زاد أبوذر عيسى عليه السلام ، كما ذكره ابو الليث فى تنبيه الغافلين ، وقد يزاد نوح وابراهيم (لأن أمهما سريانيون ، ومأرسلْنا من رسولٍ إلا بلسانِ قومِه) فهم ستة الأجداد منهم ثلاثة ، آدم : جد على الاطلاق ، ونوح جد لمن بعد الطوفان ، وابراهيم جد للعرب من جهة اسماعيل ، وللاسرائيليين من جهة يعقوب ، وقيل أبوة ابراهيم رحمته ، كالأب لولده ، والاول انسب بما قبله ؛ لانه فى النسب ، وللروم من جهة روم بن ابراهيم .

وأولو العزم خمسة : شعر . (أولو العزم نوحٌ والخليلُ وكلاهما .. وموسى وعيسى والنبى محمد) .

ويروى الممجد بدل كلاهما ، والحبيب بدل النبى ، أى اشتد عليهم الأمر من قومهم ، وقاتلوا وصبروا ، فلم يدخل من اشتد بلاؤه بمرض وهو أيوب ، ومن قتل سريعا كالمدفون فى البئر حيا من الرسل قبل أولى العزم ، من أمروه بالقتال بعد تبليغ الرسالة لشدة القتال .

وقال الزمخشرى : أولو العزم أولو الجد والثبات والصبر .

وقيل أولو العزم : الرسل المؤمودون بقتال الكفار .

وقيل أولو العزم : من ذكر فى الأحزاب (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) .

وقيل : أولو العزم من أنزل عليه كتاب .

وقيل : هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ، وبه قال مجاهد .

وقيل : ثمانية عشر نبيا ذكروا فى سورة الانعام ، فى ثلاث آيات أو أربع .

وقال أبو العالية أولو العزم : نوح وهود ، وابراهيم .

وقال السدى : إبراهيم ، وموسى ، وداود ، وسليمان ، وعيسى ، ومحمد ﷺ وعليهم ، وقيل : هود وصالح وشعيب ولوط ونوح وموسى المذكورون فى سورة الأعراف على التتابع .

وقال مقاتل هم نوح صبر على الأذى ، وابراهيم صبر على النار ، واسماعيل صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر ، ويوسف صبر على البئر والسجن وأيوب صبر على البلاء .

نبى الله للابرار بيتا سماؤه هموم واحزان وحيطانه ضر
وساحته بؤس وذل وكربة وهولٌ واشجان يضيقُ بها الصدرُ
فأسكنهُم فيه وأغلق بابهُ وقال لهم مفتاحُ بابكم الصبر

وقال ابن جريج : إن منهم اسماعيل ويعقوب وايوب ، وليس منهم يونس ولا سليمان ولا آدم .

وقال مجاهد والكلبى والشعبى هم المأمورون بالقتال وقاتلوا ، وقيل هم نجباء الرسل المذكورُون فى سورة الأنعام ثمانية عشر ، واختاره الحسن بن الفضل ، لقوله تعالى (أولئِك الذين هدى اللهُ فبداهم اقتده) .

واختار على بن مهدى الطبرى أنهم الرسل كلهم كما روى عن ابن عباس .

وان (مِنْ) للبيان لا للتبعيض ، وقيل الانبياء كلهم إلا يونس لقوله تعالى (ولا تكن كصاحِب الحوت) ولو عوقب على خفته بتسلط العمالقة على أهله وماله ، والذئب على أولاده ، والحوت على بلعه .

وقيل : أو العزم اثنا عشر نبيا ارسلوا الى بنى اسرائيل ، فعصوهم فخيرهم الله بين أن يعذبوا ، أو يعذب بنو اسرائيل ، فتشاوروا فاختاروا ان يعذبوا ، وينجو بنو اسرائيل ، فسلط الله عليهم جبارا فنشر بعضا ، وسلخ بعضا ، واحرق بعضا ، وصلب بعضا .

وعن الحسن : هم ابراهيم ، اذ بلى فى ماله ، وولده ، ووطنه ، والقى فى النار ، وموسى اذ قال حين الجيء الى البحر (إن معى ربى) وداود ، لبكائه على ذنب أربعين عاما حتى نبتت شجرة من دموعه ، فقعد تحتها ، وعيسى لتمام زهده ولم يملك بنيانا ، وقال اعبروها ولا تعمروها ، وقيل هم نوح وابراهيم ويعقوب ويوسف وايوب وموسى وداود وعيسى ، يعنى وسيدنا محمد ﷺ فلم يدخل فيهم ، لأنهم قبله ، لكن أمره الله عز وجل أن يكون مثلهم ، فبعد الأمر إذا عد مطلق أولى العزم عد منهم ، وهو أشد منهم عزما ، وافضلهم . واما ذكر المصنف له وصاحب المدارك فى أولى العزم ، فباعتبار أنه أمر بأن يصبر صبرهم فصبر ، فهو مثلهم واشد ، لامنهم ، لانهم قبله .

السنّة : على وجهين : الوجه الأول ما فعله ، أراد ما يشمل قول النبى ﷺ ، ولم يأمر به ولم ينه عنه ، ولم يأمرنا به ، وهو من جنسها ، فهو نافلة ، والعمل بها فضيلة ، وتركها لاعقاب فيه ، مالم يقم دليل اختصاصه به لقوله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) وليس كما قيل لوجوبه علينا حتى يقوم دليل عدم الوجوب استدلالا بقولة تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه) الخ وما فعله فقد أتاهم اياه ، ولا يخفى أن معنى الايتاء : الأمر به ، وبانه خلع نعله فى الصلاة ، فخلعوا ولم ينههم ، قلنا خلع فعله بيان لقولة (صلوا كما رأيتمونى اصلى) وبامره بالتمتع ، ولم يتمتعوا تبعا لفعله اذ لم يتمتع ، قلنا : ظنوا أن أمره به ندب أو اباحة ، وابحاث المسائل وأقوالها فى السنة والتعارض مذكورة فى شرح مختصر العدل ، وفى شرحى عليه .

وأما ما كان من جنس المباح فليس سنةً وقيل سنة كلبس اليمين قبل الشمال ، وأكل التمر بالبطيخ أو القثاء ، وان قام دليل اختصاصه به خص به من جنس العبادة ، أو المباح .

والوجه الثانى : السنة التى فعلها أو قالها ، وأراد بالفعل : ما يشملُ القول ، أو أمر بها أو لم يفعلها ، ولم يقلها لكن أمر بها ، وأحب العمل بها ، لأن الأمر للوجوب مالم يقم دليل عدم الوجوب ، ويأخذ الصحابة ايضا الوجوب من استمراره عليها ، فالعمل بها فريضة ، وتركها يعاقب عليه ، مالم يقل إنها نافلة فى حقى ، وفى حقكم ، أو فى حقى أو فى حقكم ، وقد أمرنا بالوتر واستمر عليه ، وقال انه واجب على لا عليكم ، وتقريره إباحة أن قدر على الانكار ، والا فلا اباحة ، كتقريره كافرا ذهب إلى صنم ، وان تعارض قوله وفعله ، فالفعل خاص به ، والقول لنا ، وقيل بفعل بالمتأخر ، كما روى لنا : أنه نهى عن الشرب قائما ، وشرب قائما من زمزم بعد النهى ، وان جهل التاريخ ، فالمختار العمل بالقول .

كما روى أنه نهى ﷺ عن استقبال القبلة ببول أو غائط ، واستدبر الكعبة ، على أن الاستقبال غير الاستدبار ، وايضا يجمع بأنه استقبل بدبره فى العمران .

والكفر على وجهين : كفر نفاق ، وكفر شرك ، والفسق على وجهين : فسق نفاق ، وفسق شرك ، والضلال على وجهين : ضلال نفاق ، وضلال شرك ، وهكذا : وكل شرك : فسق وكفر وضلال ، وليس كل كفر أو ضلال أو فسق شركا ، والنفاق على وجهين : نفاق خيانه ، هو أن يترك الموافق أو المخالف ما يجب عنده فعله ، أو يفعل ما يجب تركه ، فان ترك الموافق ، أو المخالف الصلاة فمنافق نفاق خيانة ، ونفاق تحليل وتحريم : هو ان يحل ما حرم الله ، أو يحرم ما أحل الله ، بتأويل الخطأ ، وذلك فى المسائل الاصول التى لا يجوز فيها الخلاف ، كما أحل الأشعرية رؤية الله سبحانه عنها وعن كل نقص ، وكما حرموا ولايتنا ، وكما أحل الصفرية الدم والمال بكل ذنب أو بكل كبيرة ، وكما حرموا عدم الهجرة اليهم ، واوجبوها .

وإضمار الشرك والنطق بالتوحيد نفاق ، وشرك ، وزندقة ، وهو شرك يحل به الدم ، والمال ، والسبى اذا ظهر ، وتحرم به الزوج المسلمة ، واما تحليل المكروه ، فليس نفاقا ، وان نفى الكراهة المجمع عليها ، اشرك أو نافق ، وان كانت مما يعلم بالضرورة ، اشرك وإلا نافق ، اقوال . وقدم النفاق على الشرك وكذا فى سائر الكتب ، لادونه فى العذاب ، وهو النفاق بالمعصية ، واما النفاق باضمار الشرك ، فهو أشد عذابا من الشرك ، وهو الذى صاحبه اسفل من كل المشركين .

وأما المنافق الموحد فى قلبه ولسانه وهو فاعل الكبيرة ، فليس كما قال بعض العلماء ، وشهروه أنه أسفلُ من المشركين بل هو فى الطبقة الاعلى من النار ، وذلك لتوحيده وعمله الصالح ولا يظلمه الله فيهما ، وانت خبير بأن اليهود والنصارى والصابئين فوق المشركين ، وما ذلك إلا لعلمهم واعتقادهم ببعض الكتاب .

وأما قوله ﷺ (ويل لمن علم ولم يعمل) سبعا (وويل لمن لم يعلم ولم يعمل) مرة فالمقصود : التعدد نطقا لزيادة التوبيخ ، وان كان التعدد لزيادة العذاب فبالنسبة الى من هو فى طبقته ، فالموحد العالم الفاسق أشد عذابا من الموحد الجاهل الفاسق ، على أنه قد جاء الحديث بعكس هذا فى رواية أخرى بمعنى أن الموحد العالم الفاسق قد أدى فرض العلم ولم يؤد فرض العمل ، والموحد الجاهل الفاسق لم يؤد فرض العلم ولا فرض العمل ، فكان أشد من الأول ، فله سبع ، وللاول واحد ، ثم رأيتُ ما نصه (قال بعض اصحابنا : لا يعذب الموحدُ الفاسق على ترك التوحيد ، أى لأنه لم يتركه ، وانما يعذبون على ترك ما تركوا مما

أوجب الله فعله ، وعلى فعل ما أوجب الله تركه ، ويحُط عنهم عذابا قدْر ما فعلوا من الطاعة ، ولا يبلغ عذابهم عذاب المشركين .

وقال آخرون : يعذبون عذاب المشركين والقول الأول أحسن وأقرب الى الصواب اهـ .

وكأنه اراد صاحب القول الثانى أنه قد احبط بفسقه توحيده ، فعذب عذاب غير الموحد ، وليس كذلك : فإن إحباط عمله معناه انه لم يثبه الله عليها ولم ينج من النار ، وليس المراد انه احبط توحيده ، فصار مشركا .

والشرك على وجهين : شرك جحود ، أى نفى لله أو لرسول من رسله ، أو كتاب من كتبه ، أو آية أو كلمة ، أو حركة ، أو سكون من كتبه ، أو صفه من صفاته ، أو فعل من أفعاله ، وان نوى أحدهما بالتأويل نافق ، لا كما قيل بعدم الاشراك إلا بثلاث كلمات فصاعدا أو ثلاث آيات ، وشرك مساواة ، سوَّى غيرَ الله بالله فى العبادة ، وان جهل الله ورسوله أو غيره ، ذلك مما هو التوحيد فداخل فى الجحود ، وفى المساواة ، اذ ساوى فى ذلك ، والمراد بالجحود عدم الإقرار والمعرفة سواء مع نفى أو بدونه ، فدخل فى شرك الجحود ممن عرف الله ورسوله ولم ينطق بلسانه ، وقيل هو مؤمن .

الايمان على وجهين : توحيد هو اعتقاد ما هو توحيد ، والاقرار به أو اعتقاده ، قولان . ومن التوحيد ما وجب على الفور كالجمل الثلاث ، والاقاويل العشرة ، ونحو ذلك مما ذكره فى الكتاب هذا ، واوجب اذا سمعه ، وهو سائر خصال التوحيد ، وقيل فى الاقاويل العشرة ، ونحوها انها توحيد يجب على غير الفور ، بل اذا أخذ .

وغير توحيد وهو : فعل سائر الفروض ، كالصلاة ، والزكاة ، وترك ما يجب تركه ، اذا تركه لله ، وترك المكروه ﷺ ، وفعل النفل ، كل ذلك ايمان .

وقال قومنا الايمان التصديق بالقلب فقط ، ويؤوّلون تسمية سائر الأعمال الصالحة إيمانا بانها سميت به ، لأنه سببها .

الوتحيد على وجهين : قول نطق باللسان وعمل باعتقاد بالقلب ، فإن الاعتقاد عمل القلب ، ومن التوحيد ولاية الجملة وبراءتها ، ومعرفة الملل واحكامها ، والاقاويل العشرة ونحو ذلك مما لو تركه لاشرك ، ومنه ولاية المنصوص عليه ، وبراءة المنصوص عليه ، ومن التوحيد بالعمل كتابة التوحيد بلا نطق ، والاشارة اليه باليد أو بالرأس أو بغير ذلك ، ويجزى فى ذلك من لا ينطق ، وذلك أولى من قول السؤالات : ان التوحيد لا تعمله الجوارح دون النطق ، وان اشارة الأخرس دلالة على التوحيد فان اشارته قامت مقام نطق غيره إلا على قول

من قال توحيد القلب يكفى ولو بلا نطق ممن يتكلم ومن ينطق بذلك اجزاه النطق مع ما فى قلبه وما فعله من ذلك بلا نطق فهو توحيد نفل غير مجز قبل النطق أو بعده ، فان التوحيد يكون فرضا ، وهو القدر الذى يخرج به من الشرك ، وتكريره غير واجب فاذا كرره فقد جدده ، وهذا التجديد نفل ، وهذا معنى كونه نفلا وغير واجب ، وكذلك البحث عن سائر خصاله ، وآدائها فذلك البحث غير واجب ، واذا حصلت له فاداؤها واجب ، وليس المراد بالعمل عمل الطاعات كالصلاة ، بمعنى أنه لو لم يوحد الله لما خصه بالصلاة ، فانه لا يعرف أن تسمى الصلاة توحيدا ، باعتبار افادتها ذلك ، وانما المعروف : أن يقال الصلاة ايمان لا يسع جهل التوحيد الجمل الثلاث والاقاويل العشرة ، والملل ، واحكامها ، وولاية الجملة ، وبراءة الجملة ، ولا تركه بعد معرفته ولا يسع جهل الشرك كاعتقاد آلهين اثنين ولا يسع جهل اشراك مثبت تعدد الآلهه وكإنكار نبينا ﷺ ، ولا يسع جهل منكره ، وقيل يسع مالم يأخذ ، وكإنكار الاقاويل العشرة ونحوها ، مما مر أنه توحيد منك ، ذلك مشرك لكن يسعك جهل شركه ، مالم تأخذ وعدم معرفة ذلك ، كانكاره ولا فعله بلسان ، أو بالقلب أو بالجارحة ، بأن يشير بها الى اثبات الشرك ، جهله جهل انه اشرك ولو لم يفعله ، وفعله فعل ما هو شرك علم انه شرك أو لم يعلم .

والالزام على وجهين : موسع ومضيق ، فالموسع أول اوقات الفرائض الى آخرها ، كالصلوات الخمس من أول وقتها ، والحجم من حيث و جب الا أن يموت لا حاجا ، ولا موصيا وكذا العمرة ، وكالزكاة من حين وجبت الى أن يدخل حول آخر ، وقيل الى أن يموت غير موصى بها ، والأصل من اول شهرها ، إن اتخذ شهرا الى آخره ، لكن لا يكفر بتأخيرها عن آخره .

« وأول » منصوب على الظرفية والمعنى : والالزام الموسع ثابت فى أول أوقات الفرائض ، وكذا فى قوله : آخر اوقاتها ، والمضيق أقسام : منه ما على الفور كالتوحيد بأنواعه على قول التشديد ، ومنه ما ليس على الفور حتى يأتى ، فاذا أتى كان على الفور كولاية الاشخاص وبراءتها ، فى غير المنصوص عليه اذا تعينتا .

وأما المنصوص عليه : فتجب ولايته اذا علم وصوم رمضان ، ومنه : ماله وقت موسع ، كالفرائض الموسعة المحدودة بأوقاتها تكون على التوسعه فى أولها وتكون على التضييق آخر أوقاتها ، ومن هذا مالو تعين الفرض آخر الوقت ، كمن طهرت من حيض أو نفاس آخر الوقت ، بحيث تدرك ، ومن أسلم أو بلغ أو أفاق من نوم أو من سكر آخر الوقت ، ومن ذلك ما يلزم بالخطور فى البال أو السماع أو الاقتراف ، كما اذا سئلت أو خطر فى قلبك ،

اهذا من صفات الله أم لا ؟ وكما اذا حكمت بباطل من إثبات مالا يثبت ، ولا يدخل ذلك فى الموسع ، لأنه لم يجب قبل ذلك إلا على مفر قولك ، وسع لك جهله حتى تأخذ أو تفارق ، أو تسأل أو يخطر ، وفى الأثر اذا سئلنا عن مسألة مما لا يسع جهلة لا يروها أحد منا على الآخر وقيل : بالرخصة أن تردها إلى من هو اعلم فى المجلس أو فى المسجد وفى المصَلى أو فى المنزل أو فى الأميال ، وقيل غير ذلك اهـ قلت اشار بغير ذلك الى قول من قال يقول « ليس كمثله شىء » ولا يشرك ولا يكفر ، بما خطر فى قلبه أو سمعه ، ولم يدر حكمه ، مما لا يسع من التوحيد على هذا القول ، ولك ادخال هذه الأنواع فى المضيق وشدوا فى جهل هلاك المصر ، والمحل ، وراجع العلم ، وهلاك الناقضين ، لما فى أيدينا من الأصول .

والمصر : من اعتقد ان لا يتوب ، أو قال : لا أتوب ، أو اعتقد العود فقد أصر .

وراجع العلم : من نسى القرآن ، أو ما علمه من صفات الله ، أو من الانبياء ، أو ترك ما علمه من الأقوال ، ولم يرجع الى غيره من الأقوال .

والمحل من قال : تارك الفرض أو فاعل الكبيرة مسلم ، كأنه أحل الحرام ، ويجوز أن يسمى راجع العلم ، فيكون المحل هو من أحل الحرام بتأويل الخطأ .

والناقض لما فى ايدينا : هو من خالفنا فيما يقطع فيه العذر ، فيجب على المكلف ان يعلم أن ما عليه اصحابنا ، مما لا يجوز فيه الخلاف هو الحق ، ولو لم يعلم ما هو ، لأنه لا يجب علم ذلك حتى يأخذ ، وقيل يعذر فى نسيان الصفة والأنبياء إلا فى الوحدانية ، وعدم شبه الخلق ، وفى سيدنا محمد ﷺ .

الأمر على وجهين : أمر توحيد وغير توحيد ، فغير التوحيد هو الأمر بالفرائض وبترك المعاصى ، والامر بالنوافل فان الصحيح أنها مأمور بها ، ويزداد الأمر ندب ، ويقال والى الله المسلمين ، ووالوه ومضى والى الله المسلمين أوجب لهم الثواب ، اثبته فى الآخرة واثنى عليهم فى كتبه ، والى ملائكته ، وهيأ لهم منازلهم فى الجنة ، فولايته صفة فعل، وقيل ولايته اتاهم علمه بسعادتهم ، فهى صفة ذات كما مر فى قوله ، معرفته بهم ومعرفة مآلهم ، ومنازلهم فى الجنة وقد يأول الايجاب للثواب ، على العلم به فيكون صفة ، لا فعلا فيوافق قوله معرفته بهم ، والعلم بالشىء يستلزم اثباته ، وبالعكس ، ووالوه عملوا بما أمرهم به فعلا أو تركا ، ولا يقال والى الله نفسه ، لأنه لا يوصف بالقلب ، ولا بالحب على ظاهره ، ولا باللسان ، والولاية تكون بهذه الاشياء ، ولا مانع عندى من أن يقال ، والى الله نفسه ، بمعنى أنه رضى عن نفسه ، فإنه يقال أحب نفسه ، ورضى عن نفسه ، ولا لم يوالها ، لانه يتوهم أنه تبرأ

من نفسه ، أو توقف فيها ، وذلك غير جائز ، وهو حكم عدل ، وهو القاهر لا قاهر له ، ولا مثيب له ولا معاقب ، ولا يحتاج ، وهو المثيب ، والمعاقب ، وخالق مابه الثواب والعقاب . علينا ان نعلم ان لله جمله الملائكة قد تقدم معنى هذا ، فى الاقاويل العشرة ، وإعادة ليرتب عليه قوله ، ونقصد الى جبريل عليه السلام ، ونواليه بالترحم دون الاستغفار ، من أول الأمر فمن لم يقصد اليه من أول الأمر ، أو يواليه مع كلم الشهادة : اشرك أو نافق ، قولان . والصحيح : ان لا شيء عليه حتى يأخذ بالسمع أو بعلم ما أنه ملك ، واجمعوا ان غيره من أفراد الملائكة لا يلزمه معرفته ، وولايته خصوصا حتى يأخذ ولزم ولاية جميع الملائكة ونعلم أنه رسول رب العالمين الى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، جاءه بالدين الاحكام الشرعية والمواعظ ودخل فيه معانى القرآن وغيره من سائر الوحى . والقرآن أى الالفاظ المخصوصة المتلوة ، والاسلام أى العمل الصالح ، ومنه ترك المحرمات وجاء جبريل أيضا عليه السلام الى سائر الأنبياء بكتبهم ، وسائر ما يوحى ولا يلزمنا معرفة ذلك ، وجاء اسرافيل وحده عليه السلام قبل البعثة أو فى الثلاث السنين الأولى من البعثة يلقنه بعض الاشياء ، ولا يلزمنا معرفة ذلك ، ونواليهم أى الملائكة عموما بالترحم ، نقول اللهم ارحمهم دون الاستغفار ، لأنه لا ذنوب لهم بخلاف الانبياء ، فقد يوصفون بالذنب : مثل قوله تعالى « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » فمن تولاهم بالترحم وبالاستغفار لم يخطىء ، ولو كانت مغفورة ، كما يستغفرون هم أنفسهم مع أنها مغفورة ، وذلك تأكيد وتعبد ونحب لهم ، ما يوافق طبائعهم ، بنصب « يحب » بان محذوفه عطفا لمصدره على الترحم ، فهو من نفس الولاية بيانا لها ، وهذا أولى من نصبة عطفا على نعلم ، أو على نوالى ، أى علينا أن نحب لهم ما يوافق طبائعهم ، والذى يوافق طبائعهم ، هو عبادتهم الله والزيادة فيها ، وما يفعله غيرهم من طاعة الله والمباح : النافع للمسلمين دنيا وأخرى ، ومن ذلك قوة الاسلام ، وغلبة أهل التوحيد على أهل الشرك ، واعوانهم عموما وخصوصا ، وترك المكلفين المعاصى ، وحب ذلك ولاية لهم ، واقول أيضا : فعل ذلك ولاية لهم .

وقال بعض المشايخ بالياء لا بالهمزة ، انما يوافق طبائعهم وصول الهدايا للمسلمين أراد الاجور أو المنافع الدينية والدنيوية ، قيل والأخروية ، ولو كانت على وجه المسكنة كالزكاة ، لا خصوص ما يعطى تعظيما ، ومما يحبونه الصلح بين الخصمين ، كما فى كتاب الاحكام ، ووصول العقاب للكافرين عقاب الدنيا قيل وعقاب الأخرة ، وليس انما للحصر هنا ويجوز أن تكون للحصر ، الاضافى أى وصول الهدايا لا شيء يتلذذون ، به ، ثم انه كيف يكون وصول ذلك ولاية منالهم ، مع أن الوصول ليس فعلا لنا ، ولعل المراد حب الوصول ، وكذا

ماقيل أراد ثواب الاخرة ، وعقابها ، فانه ليس منا الا حبهما ، والهدايا بمعنى الاجور ، استعارة تحقيقية ، أو اصلية ، أو اطلاق للمقيد على المطلق ، وكذا فى التفسير بالمنافع ، ومن دعا للملائكة بالجنة ، للتلذذ بالاكل أو الشرب أو الجماع ، أو قال ثوابهم على عبادتهم لله عز وجل ، بالجنة للتلذذ لما ذكر ، فقد قيل كفر نفاق ، قلت قد يريدون بالكفر كفر الشرك ، ولا يعبرون بالشرك ايذانا ، بإن الواجب معرفة أنه كفر ، ولا تجب معرفة ، أنه شرك ، حتى يأخذ ، والمراد هنا كفر شرك ، لان وصفهم بصفة غيرهم انكار لهم ، وقد تقرر أن الخطأ فى صفتهم شرك ، لذلك والخطأ فى صفة الله عز وجل نفاق ، وذلك بتأويل الخطأ كدعوى رؤيته فى الآخرة ، ويكون الخطأ ايضا فى صفة الله شركا ، كوصفه بالجسم والحلول ، أو فعله كاتخاذ الصاحبة ، ويكون الخطأ فى صفة الملائكة أيضا غير شرك بل نفاق ، كقولك « إن بعضهم اطفال أو مجانين أو أناث ، أو لحم ودم ، أو لهم فرج أو ثوابهم الجنة » وان عين هذا البعض وكان معلوما ، مثل ان يصف جبريل ، أو اسرافيل ، أو عزرائيل ، أو ميكائيل بذلك ، فهو مشرك ، ومن دعا لهم بالجنة ، أو قال ثوابهم الجنة ، لا على جهة التلذذ بل على جهة رضى الله ، وكونهم فى دار رضاه ، لا فى دار غضبه لعقابه فلا بأس بذلك ، ولا يشكل عليك ملائكة النار ، لأنهم فيها على غير السخط عليهم ، وهم مكلفون بمعنى مأمورين ، منهيين غير مكلفين . أى ، غير ملزمين مشقة ، لأنه لا مشقة عليهم ، ويوصفون بالاكتساب ، ويوصفون بالاجتهاد بمعنى بلوغ الطاقة ، وقيل لا : اذ لا مشقة عليهم والاجتهاد يتضمنها .

وأول الملائكة خلقا : حملة العرش ، ثم من دونهم ، ثم أهل السماء السابعة ، ثم أهل السادسة ، وهكذا على الترتيب ، والملائكة يزدادون الى يوم القيامة ، ولا يموتون إلا يومها ، ومن قال الملائكة كلهم ذكور ، أو أناث ، أو مجانين ، أو اطفال أو نحو ذلك ، مما خالف صفتهم فهو مشرك ، لأن ذلك نفى لهم ، وان قال ذلك فى بعض معين معلوم فكذلك ، أو غير معين أو معين غير معلوم فمنافق ، وقيل مشرك ، وهل يقال لهم أى فى شأنهم هم رجال ، أو بلغ بهذا اللفظ دون اعتقاد اللحم والدم ، والفرج ، ولا باس بوصفهم ، بالأرجل والساق ، والركبة ، والراس والسمع ، والبصر ، والفم واللسان ، والكتف واليد ، ولا باس بوصفهم ، باللحية ، لأنهم يرون على صورة دحية الكلبى ، وغيره ولدحية لحية ، وكذا لغيره قيل ذلك ، ثقيل شبة القول به بنحو الصخرة فى التضرر ، يحملها فى نفسه ورمز لذلك ، باثبات الثقل ، فالتشبيه فى قول بعض استعارة مكنية ، واثبات الثقل ، تخييلية ، أو شبه كراهتك الشيء ، بثقل الشيء عليك فلما كانت من جنس الثقل ، مبالغة وادعاء ، استحقت الثقل فاشتق من الثقل ، بمعنى الكراهة ، ثقيل بمعنى مكروه ، على

طريق التحقيق والتصريح فيهما ، والاصالة فى الثقل ، والتبعية فى ثقيل ، لكن التصريح فى الثقل معتبر ، لا محقق اذ لم نلفظ به بل بلفظ ثقيل ، أو غير على اللازم ، بالملزوم ، فإن الكراهة لازمة ، للثقل ، أى مكروه كراهة تنزه ، وقيل جائز بلا كراهة ، لأنه قال الله تعالى « وعلى الأعراف رجال » قيل الرجال فى الآية : هم الملائكة ، والرجل بالغ وقيل هم قوم فيهم عجب ، لم يخرج بهم الى الكبر ، أو الى الأمن من مكر الله عز وجل ، على أن العجب فى نفسه غير كفر ، يجتنب حتما لما يوصل اليه من نحو الكبر ، والامن « من مكر الله » واعتقاد استحقاق الجنة واما قوله ﷺ « لو لم تذنبوا لحقت عليكم ما هو اعظم » فمعناه ان العجب اعظم من الذنب لأنه يوصل الى الكبر ، لا لذاته فإن لم يوصل لذلك فليس فيه ذلك الوعيد .

وأما ما قيل : أول ذنب عجب ابليس ، فمعناه ما أوصل الى الذنب ، وقيل هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم بناء على أنه فقد الحسنات والسيئات ، فتكون السعادة بزيادة الحسنة ، أو الشقاوة بزيادة السيئة ، ولا وجه لهذا ولو كان قولا لأهل عمان كقومنا ، وما جاء فى الحديث مناسب له فانما هو فيمن يعمل الحسنات والسيئات ذاهلا غير مصر .

ومن مات مصرا على صغيرة أو كبيرة دخل النار ، ولو كانت حسناته كحسنات الملائكة ، وماله إلا تلك السيئة ، ومن مات تائبا فله الجنة ، ولو كان عمله كعمل ابليس فى المعصية ، وماله الاحسنة واحدة هى هذه التوبة ، لأن الاصرار يحبط الأعمال ، كما قالت عائشة « قولوا لزيد أنه قد ابطل حجه وعمره وصلاته وجهاده مع رسول الله ﷺ لفعل منه يؤدى الى الربا » كما فى الايضاح ، وكل ما ورد فى القرآن من إحباط العمل أو فى الحديث فهو حجة فى بطلان هذا القول ، الا أن حمل على الذهول المذكور .

وقيل هم قوم دانُوا ديناً من غير إسراف فى أكل أو شرب ، أو لباس أو مركب أو مسكن ، ولا تضييع ، ولا اخذ فى معصية أو صرف فيها ، وما صرف فيها فهو اسراف ، ولو نحو حبة شعير ، وأن اسرف فى شىء من ذلك وتاب نصوحا ، فهو من اصحاب الإعراف ، قال ابن محبوب من عليه دين لا يجد له وفاء ، أقر به لصاحبه بحضرة الشهود ، ولا شىء عليه ، ويقضى عنه كما جاء فى الحديث .

وقيل أصحاب الأعراف : قوم يميزون أهل الجنة وأهل النار ، قاله الحسن قال ولعل بعضا منهم ، وقيل أطفال المشركين والمنافقين ، وقيل هم قوم خرجوا الى الجهاد بغير اذن آبائهم ، اراد ما يشمل أمهاتهم ، وكان الجهاد غير واجب ، وغير متعين . أو واجبا أو متعينا وقد امكنهم الاستئذان ، لعظم شأن الوالدين ، جاء رجل يستأذن النبى ﷺ فى الجهاد معه ،

فقال « أحىٌ » والداك ؟ قال أبوىَّ يبكيان ، قال فارجع فأضحكهما كما ابكيتهما ، وروى ابو سعيد الخدرى « ان رجلًا هاجر الى رسول ﷺ ، فقال فهل لك أحدٌ باليمن ، قال ابواى ، قال أأذِنا لك ؟ قال لا ، قال : فارجع « فاستأذنهما فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبرهما » وعلينا ان نعلم ان لله جملة المسلمين أى جملة سعداء عند الله من الجن والانس ، ونواليهم نقول : اللهم أعطهم الجنة ، ونثاب على ذلك ، وذلك تعبد نثاب عليه ، أو يزاد لهم الخير ، واولى من ذلك : أن نقول اللهم زدهم خيراً فى الجنة ، وباقيهم جملة اشقياء ، لا بالتلذذ بنحو اكل ، والمشهود فى مثله هذه العبارة القصد للمسلمين من الجن والانس ولو كان الملائكة ايضا مسلحين مؤمنين كلهم بلا خلاف ، لا يوقف فى واحد منهم ، ولا يبرأ منهم .

وقال يونس ابن فيصل بن أبى زكريا بن ابى مسود رحمه الله واثابه على علمه وعمله علينا ان نعلم ان كل جملة من العالم والعقلاء غير الاخرى ، فالملائكة اجسام نورانية تتشكل باشكال مختلفة حسنة ، وفيهم الشكل الفظيع لأهل السوء كغررائيل ، وقد قيل يظهر لأهل الخير بشكل حسن عند الموت والجن تتشكل باشكال حسنة ، واشكال خبيثة ، ولو مؤمنين يكونون بصورة الحية ، وصورة العنكبوت ، واصل صورهم الخبث ولو مسلمين جملة ، والانس جملة هذا ، فرع لزوم ، معرفة وجود ، ثلاث جمل ، لزم أن تعلم ان الله : جمله الملائكة ، وجملة الجن ، وجملة الأنس ، ولا يخفى ان لزوم معرفة ان كل غير الأخرى ، مترتب على وجودهن ، بل نفس وجودهن وايضاح ذلك ، أنه يمكن ان يعلم الملائكة والجن والأنس ، ويتوهم انهم اصناف لنوع احد ، كما تقول « عربى واعجمى » وتريد أنهما معا ناس ، والواضح انه لا يلزم معرفة الجن حتى يأخذ ، فاذا أخذ لزمه أن يعرف « انهم غير الملائكة وانهم غير الانس كما لزم مطلقا ان يعلم ان الملائكة موجودون وانهم غير الانس آلادميون من تراب والجن من نار .

والملائكة من نور خلقوا دفعة وقيل يزدادون لما روى ان جبريل عليه السلام يدخل فى بحر من نور فيهتز فيخلق الله تعالى من كل نقطة ملكا ونحو هذا من الاخبار ، مما فيه أنهم يخلقون من تسبيح مخصوص ، وما أشبه ذلك ، ومن لم يعرف ذلك اشرك فى قول ضعيف على الفور ، ولا يظهر ذلك إلا ان اراد انه من عرفهم ، ولم يعرف الفرق بينهم ، فقد جهل الانبياء أمن الانس أم من الجن ، أم من الملائكة ، وجهل الملائكة من الانس ، أم من الجن ، أو هم نوع آخر ، وجهل الجن ، أمن الأنس ، أم من الملائكة ، أو نوع آخر ، فيكون جاهلا للملائكة والأنبياء والرسل ، ومحتملا عنده أن الملائكة ذكور أو اناث ، ودم ، وفروج ، وانهم يعصون الله ، حاشاهم فى الحديث .

خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال ، وفى رواية الحديد يوم الثلاثاء والشجر والماء ، والعمران والخراب ، والنبات والحيوانات ، واقوات اهل الأرض ، وارزاقهم يوم الأربعاء ، وسبع سموات يوم . الخميس ، والشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة ، وآدم آخر ساعة منه .

وعن أبى هريرة أخذ رسول الله ﷺ بيدى فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، والجبال فيها يوم الأحد ، وخلق يوم الاثنين البحر وقيل الشجر ، وخلق يوم الثلاثاء المكروه ، وخلق يوم الاربعاء النور ، وبث الدواب يوم الخميس ، وآدم آخر الجمعة بين العصر والليل .

وفى مسلم آخر ساعة منه ، وذكر ابو حيان أنه خلق الله آدم وزوجه حواء يوم الجمعة ، وعن يحيى بن كثير خلق الله ألف أمة ، واسكن ستمائة البحر ، وأربعمائة البر ، وذكر ابن سيرين عن رجل من أهل الكتاب أسلم : أنه خلق الله السموات والأرض فى ستة ايام (وان يوما عند ربك كالف سنة) وكذا قال ابن عباس .

والملائكة اجسام متنورة لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة ، وكذا يراهم الرسل لا كما قالت النصارى قبحها الله ، انها النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ، قبل خلق البشر وبعده ، وذكر بعض الحكماء : انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة ، منقسمة الى قسمين : قسم شأنهم الاستغراق ، فى معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيرة ، كما قال الله عز وجل « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » وهم العلويون والمقربون ، وقسم برون الأمر من السماء الى الأرض على ما سبق به القضاء » لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم « المدبرات امرا » فمنهم سمائية وفيهم أرضية ، وعن ابن عباس خلق الله عز وجل تحت الفلك بحرا من نار لا دخان لها ، وخلق منها نوعين من لهبها وقيل من نورها ، وسماهم ملائكة ، وأسكنهم السماء ونوعا من جمرها ، وسماهم جانا ، واسكنهم الأرض ، ومنهم ابليس : قال الله جل وعلا « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » ، ولا نسلم أن الملائكة خلقت من اللهب ، وذعم بعض ان الملائكة والجن جنس واحد فمن ظهر منهم فهو ملك ، ومن خبث فهو شيطان ، ومن كان بين ذلك فهو جن . وفى ربيع الابرار لصنف من الملائكة ستة اجنحة ، جناحان يلفون بهما اجسادهم ، وجناحان يطيرون بهما فى أمور الله ، وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل اهـ .

والملائكة فى الجنة لقوله تعالى « يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم » الآية . ولا يرى أحدٌ الله فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وزعم قومنا أن المؤمنين يرونه فى الآخرة ، وان جبريل وحده من الملائكة يراه مرة واحدة وان « ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء » ولا تراه الجن

ولو عند مثبتى الرؤية ، ويروى فى الأثر أن إبليس إذا فرح بمعصية بنى آدم ، باض بيضة يخرج منها الولد ، وزعم بعض ان فى فخذية ذكرا أو فرجا ، يلد بهما ، وعلى كل حال هو قبل آدم ، وفى الآثر : الجن ثلاثة : صنف لهم أجنحة يطيرون ، وصنف حيات وكلاب وغير ذلك ، وصنف يحلون ويظعنون .

وزعم أبو حنيفة دون صاحبيه : أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة ، بل يكونون حيث شاء الله ، وهو خطأ وزعم عن أبن عباس : أن من الملائكة نوعا يتوالدون ، ويسمون الجن ، وأن منهم ابليس ، ويقال إن الجن عصوا وفسدوا فبعث الله اليهم رسولا ، فعصوه وكان فيهم عابدا ، زاهدا وهو إبليس ، فارقهم الى جبل بنى فيه صومعة ، يتعبد فيها ، ويقول لا طاقة لى بعذاب الله عز وجل ، واسمه عزازيل لعزه بالطاعة ، أو لاعتزازه قومه العصاة ، وبالغ فى العبادة ، حتى أحب أهل السماء الدنيا ، ان يرفع اليهم ليروه ويأنسوا به ، ويقتبسوا منه ، وعمل أهل الأرض كلهم أقل من عمل واحد من أهل السماء الدنيا ، وعمل أهلها وأهل الأرض أقل من عمل أهل السماء الثانية ، وهكذا ورفع اليهم وزاد فى العبادة ، وطلب أهل الثانية فرفع اليهم ، وهكذا حتى اختلط بحملة العرش والطائفين حوله ، واكرم بخزانة العرش ومفاتيحها فهم يتقربون به ، ويقولون معدم أهل العبادة .

وعن أبى بن كعب : أن الجن نبى الجان ، قبيله من الملائكة نزلوا للأرض ، وركب فيهم الشهوات ، وتناسلوا ، ففيهم اناث ، فصاروا سبعين ألف قبيلة ، كل قبيلة سبعون ألف كردوس ، وكل كردوس ، سبعون ألف نفس ، وكلهم مصلحون ثم مر واحد منهم بعنب فى شجرة فعصر منه ، وشرب وجعل ما بقى منه فى ظرف وشتد بعض مدة ، فشرب منه وسكر ، فكثر فيهم الشراب ، فكثر الزنا واللواط ، والخبائث ، وفيهم الحرث وهو إبليس لعنه الله ، واعتزل بالف منهم يعبدون الله عز وجل ، فسألت الأرض اهلاكهم ، فقال الله عز وجل انى حليم ولا يفوتنى عذابهم ، وامر الحرث ان يرسل رسولا ، فارسل سهلون ابن بلاهت فقتلوه ، ولم يزل يرسل اليهم واحدا بعد واحد ، ويقتلوه وأخرجهم يوسف بن ياسف ، وقاسى شدائد حتى القوه فى مرجل زيت يغلى ، وبعث الله اليهم الملائكة ، وأمرهم الحرث بسيوف وحربات ونيران تخرج من افواههم ، وهزموا الى المغرب وجزائر البحور ، واحرقتهم نار من السماء ، ونسفتهم الريح فى البحر .

ويقال عبد ابليس الله عز وجل فى الأرض ثلثمائه سنة ، وفى السموات سبعين ألف عام قبالة عزازيل بالسريانية ، والحرث بالصبرانية ، ولما عصى سمى ابليس ، قيل لأنه أبلس من رحمة الله ، أى أيس . وفيه أنه منع من الصرف فهو أعجمى لا شعور فيه ، بمعنى

الابلاس ، نعم فيه مقاربة العبرانية للعربية فى بعض الألفاظ ومعانيها ، ويمنع من الصرف مع ذلك لعبرانيتها .

وروى أن الله بعث ملائكة الجنات فقاتلوهم ، وأخرجوهم الى الجزائر ، وسكنوا الأرض ، وخفف الله عنهم العبادة ، ورئيسهم ابليس ، وكان تارة فى الأرض وتارة فى السماء ، وله ملكهما وتارة فى الجنة ، وعلينا ان نعلم أن الأنبياء والرسل منهم كلهم آدميون ، وأنهم من نسل آدم عليه السلام ، وان لم يعلم ذلك أشرك ، لأنه حينئذ جاهل بهم ، وقوله : وأنهم من نسل آدم عليه السلام : تفسير لقوله آدميون لأن النسبة لا يلزم فيها أنهم نسله ، لانك تنسب الشمس لآخر لشبه أو جامع ، ولو لم يتولد منه ، تقول : رجل زيدى بمعنى منسوب اليه لحبه اياه ، واتباعه اياه ، او لكون ايهما اوجدهما واحد .

وأما ديانة الجن فمثل ديانة الانس ، يأخذونها بالسماع من الانس ، ويأخذها بعضهم من بعضهم السامع للانس ، أو بوسائط اكثر ، أو من الملك اذا كان يسمعه ، كما قد يسمع الانس صوته ، وأما قوله : « بعد ذكر الانس والجن فمن المجموع ، أو يراد فى حق الجن رسل الرسل من الجن كقوله تعالى « ولوا الى قومهم منذرين » وعن النظام : ما من رسول الا قد ارسل للجن وللانس ، أراد أنه ولعله تبلغهم احكام الله بسماعهم ، وان قيل : هل علينا أن نعلم ان شرائعهم متفقة فى بعض ، ومختلفة ، فقل : ليس ذلك حتى تأخذ ، والذى أخذنا انها تكون متفقة فى بعض ، ومختلفة فى بعض ، فآدم وشيث وادريس ونوح وهود وصالح : متفقون فى الشريعة ، وابراهيم ومن بعده الى موسى متفقون ، وانبياء بنى اسرائيل كلهم متفقون فى حكم التوراة ، واما الزبور فمواعظ ، الا عيسى فله الانجيل ، وكل الانبياء متفقون فى التوحيد ، والندب الى مكارم الاخلاق ، ومنهيون عن مساوىء الاخلاق .

وزكاة من قبلنا ربع المال ، وعلى بعضهم خمسون صلاة .

ومن قال : لا أعرف نبيا ، ولم يعرفة رسولا فلا بأس ، حتى يأخذ ، والصحيح : أنه لا يشرك من قال لا اعرفه ، ومن قال ليس على من معرفته شىء ، وقد عرفه نبيا فدعه أى اتركه لا تبرأ منه ، ولا تحكم بشركه ولا بنفاقه ، استئناسا بأن فيه قولا بأنه لا تلزم معرفته حتى يأخذ ، وهذا مخالف للقاعدة ، وهى أنه لا يجزى عمل فرض بدون معرفة انه فرض ، اذا كان لا تدرى علته ، ووجهه : أنه لما عرفه لم تبلغ دعوى أنه لا تلزمه معرفته ، الى ان يرجع بها الى الشرك ، وقيل : ان المراد ليس على من معرفتة اسمه على الاستخدام ، بأن ذكره اولا

بمعنى الذات ، ورد عليه الضمير بمعنى الاسم ، ومثله ان يقال بتقدير مضاف ، أى من معرفة اسمه .

ومن قال لا اعرف محمدا عليه الصلاة والسلام ، أى لا أعرف انه قد كان ، أو انه نبى أو أنه رسول ، فقد اشرك ، فالواجب ان يعرف انه قد كان ومات ، وانه نبى رسول ، ويعرف ان معرفته طاعة وفرض عليها ثواب ، وعلى تركها عقاب ، وانها توحيد ، فذلك كمعرفة : أن لا إله إلا الله ، وقيل هى توحيد ، لكن لا يلزم ان يعلم أنها توحيد ، حتى يأخذ ، ومن قال ليس على من معرفته شيء ، وقد عرف انه قد كان ، ومات وانه نبى رسول فقد كفر كفر نفاق ، ونافق ، ذكر الكفر والنفاق معا ، إن المراد النفاق ليلوح انه كفر نعمة النبوة والرسالة ، وانه خرج من غير المدخل ، وهذا مخالف للقاعدة : وهى أنه لا يجزى عمل الفرض غير المعقول المعنى بلا معرفة بأنه فرض ، وذلك : قول عيسى بن عمر ، وان الشرك : جهل لا اله إلا الله ، واما جهل محمد رسول الله فنفاق ، والحق : أنه من قال ليس على من معرفته شى ، فقد اشرك ، لأن نفى وجوب معرفته اباحة لجهله ، واباحة جهله شرك ، لأن الله عز وجل أوجب معرفته ، ففى جعلها غير واجبة تكذيب لله عز وجل . وكلف الله آدم من أول خلقة حيا عاقلا بالغا ، وقيل خلقه أولا ، ثم ركب فيه جزءا من العقل ، فكلفه ما يقابله ، فجاء تمام تكليفه مع تمام عقله ، وقيل كلفه بعد مضى مدة من يوم خلقه مثل اولاده ، ويجوز ان يريد ليس على أن اعرفه باسمه على طريق الاستخدام ، مثل أولاده بأن ذكره أولا بمعنى الذات ، وثانيا بضمير على معنى الاسم ، أو يقدر مضاف أى معرفة اسمه .

وسمى آدم آدم ، لأنه خلق من أديم الأرض أى وجهها ، وسمى وجهها اديما ، تشبيها بأديم الحيوان ، أى جلدة فلم يصرف للعلمية ووزن الفعل ، خلق من أنواع هذه الأرض أحمرها ، وابيضها ، والينها واخشنها . وقيل من الأرضين كلها إلا السابعة ، لأنها دار أهل النار ، وقيل سمى . لادمة فيه ، فمنع من الصرف للعلمية والوزن ، وأصله وصف الأدمة ، هى الحمرة الضاربة الى السواد ، كان ذلك من اصل خلقته ، مكان كذلك فى الجنة وغيرها ، لأنه لم يدخلها جزاء ، فاذا دخلها هو وغيره يوم القيامة صاروا كلهم بيضا ، أو لم يكن كذلك ، لكن سمى باسم ما سيكون عليه اذا خرج الى الدنيا ، فتلفحه حرارة الدنيا وشدتها وتغيرها .

قيل الأرض افضل من السماء ، لأنه خلق منها الانبياء والاولياء ، وقبروا فيها ، وسكنوا فيها ، وفيها انفاذ الشرائع ، وأنواع العبادة كالصلاة والصوم والحج ، وقراءة القرآن . ولابد أن يكون ما خلق منه سيد الخلق محمد ﷺ أفضل من غيره .

وقيل السماوات ، أفضل ، لأن منها الوحى والكتب ، وفيها أكثر الملائكة ، وفى جهتها العرش والكرسى ، وسكن الملائكة ، ولم يعص الله فيهن ، وفيهن الشمس والقمر ، واعترض : بأن إبليس اصل المعصية ، واعترض بأنه من الأرض ، واجيب بان قوة عبادته وسكناه فى جهة السماء قبل ظهور شقائه .

ولا خلاف أن قبور الانبياء أفضل من العرش والكرسى والسموات ، ولا خلاف إن قبر سيدنا محمد ﷺ أفضل من ذلك كله .

أمر الله الملائكة الأربعة ان يأخذوا من الأرض تربة ، يخلق منها آدم فناشدت بالله كل واحد منهم ، اذجاءها أن لا يأخذ منها من يعصى الله ، فرجع كل واحد منهم الاعزرائيل ، فلما ناشدته بالله قال : فانا انشدك الله ان لا اعصيه ، فقال لهم الله لم تركتم ؟ فقالوا ناشدتنا بك فعظمناك ، وقال لعزرائيل بل لم اخذت ؟ فقال عظمت امرك على مناشدتها ، فقال لا جرم أن تلى قبض أرواحهم ، فقال يارب فيهم اولياء لك فيبغضوننى ولا احتمل بغضهم ، فقال اجعل للموت اسبابا ينسبونه اليها .

قيل خلق الله الاشياء يوم الأحد الى يوم الخميس ، وخلق فى يوم الخميس السموات والجنة والملائكة الى ثلاث ساعات بقين من الجمعة ، فخلق فى الساعة الأولى الأدوات والاجال ، وفى الثالثة الأرزاق ، وفى الثالثة آدم عليه السلام .

ويروى أن جبريل قبض قبضة من مدفن النبى ﷺ بيضاء نقية ، فعجنت بماء التسنيم ، ورعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء ، وغمست فى انهار الجنة كلها ، فخرجت فرحمها الله فقطرت منها لخشية الله تعالى مائة الف واربعة وعشرون الف قطرة ، من كل قطرة نبيا ، فعرفوه هم والملائكة من حينئذ ، ثم عجنت بطينة آدم وبقى آدم طينا أربعين عاما ، ثم يابسا كالفخار أربعين عاما ، ثم جعل الطين اليابس بقدرته جسدا ، والقاه على طريق الملائكة اربعين عاما فى باب الجنة ، رأسه من تراب الكعبة وصدره وظهره من بيت المقدس ، وفخذاه من أرض اليمن ، وساقاه من أرض مصر ، وقدماه من أرض الحجاز ، ويده اليمنى من أرض المشرق ، ويسراه من أرض المغرب ، وتعجبت الملائكة من حسنه وطوله وشكله ، ومرَّ به ابليسُ والعياذ بالله تعالى منه ومن اعوانه ، وقال : لأمر ما خلقت ، وضربه بيده ، فاذا هو أجوف ، ودخل من فيه وخرج من دبره ، وقال للملائكة : هذا أجوف لا يتمالك ، ولا يثبت ما تفعلون ان فضل عليكم ، فقالوا نطيع الله عز وجل ، وقال فى نفسه : والله ان فضل على لا عصين الله ، ولان فضلت عليه لا هلكنه ، ويقال امطر مطر الحزن على جسد آدم عليه السلام ، أربعين عاما ثم مطر الفرح عاما ، فكثرت الهموم فى

أولاده ، وقيل مطر الحزن تسعا وثلاثين ، ومطر الفرح عاما ، قال أبو عوانه المهرجانى :

يقولون إن الدهر يومان كله فيوم محبةٌ ويوم مكاره
وما صدقوا فالدهر يوم محبة وايام مكروه كثير البدائه

وقال ابن الاعرابى :

محسن الزمان كثيرةٌ لا تنقضى وسرور يأتيك بالفلتات

قال ابن المعتز :

أى شيء يكون أعجب من ذَا لو تفكرت فى صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا والبلايا تكال بالقفزان

ويقال : أمر الله عز وجل الروح أن تدخل فى آدم ، فقالت يارب : مدخل بعيد القعر ، مظلم المدخل ، وكان ذلك ثلاثا ، وفى الرابعة أدخلى كرها وستخرجين كرها ، فاقامت فى دماغه مائتى عام ، ثم نزلت فى عينيه ، فرأى آدم نفسه كفخار ، فلا يعجب بالكرامات ، ولا ينسى ، فالعقل فى الدماغ اذ فهم ، ورأى قبل وقوعها فى قلبه ، ونزلت خياشمه فعطس ، فقال « الحمد لله رب العالمين » فقال الله عز وجل : يرحمك الله يا آدم ، للرحمة خلقتك « سبقت رحمتى غضبى » وقال : واضعا يده على رأسه أوه ، فقال الله عز وجل « مالك يا آدم » فقال أذنبت ذنبا أى سأذنب فقال « من أين علمت » فقال الرحمة للمذنبين فصار سنة فى أولاده ، اذا اصيبوا وضعوا أيديهم على رؤسهم ، وتاوهوا ولما نزلت الروح الى صدره اراد القيام فقيل ذلك قوله عز وجل « وكان الانسان عجولا » خلق الانسان من عجل » ودخلت فى جوفة ، فاشتهى الطعام وأنتشر الروح فى جسدة فصار كله عظاما ولحما وعروقا وعصبا ودما وكسى الظفر ، ولما عصى زال الامابقى فى الاصابع والبنان يتذكر به الذنب ، ولما تم خلقه ونفخ فيه الروح قرطه وشنفه ، وختمه ومنطقه ، والبسه من لباس الحنة وزينه بأنواع الزينه ، يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس ونور نبينا محمد ﷺ فى جبينه كالبدر ، ورفع على سرير وحمله على اكتاف الملائكة ، وقال طوفوا به السموات ، ليرى عهجائبها ، ويزداد يقينا ، فقالوا لبيك ربنا سمعنا واطعنا ، فطافوا به مائة عام ، ويروى أن الله عز وجل خلق فرسا من المسك الأذفر ، يقال له الميمون : له جناحان من الدر ، والجواهر ، فركبه آدم عليه السلام ، وجبريل اخذه بلجامه ، وميكائيل عن يمينه ، واسرافيل عن يساره ، فطاقوا به السموات يقول يمينا وشمالا ، السلام عليكم يا ملائكة الله ، فيقولون وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى يا آدم هذه تحيتك وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم الى يوم القيامة » قال كعب الاحبار رضى الله عنه :

طاف الملائكة بآدم فى الجنة ثلاث مرات ، أولها على سرير الكرم ، والثانية على اكتاف الملائكة ، والثالثة على الفرس اليمون .

والسرير من ياقوت أحمر وقيل من ذهب له سبعمائة قائمة ، وعن ابن عباس صعدوا به الى السماء فادخلوه الجنة ، ضحوة الجمعة .

وآدم خليفة الله فى أرضه ، لإقامة احكامه على الصحيح ، وقيل سمى خليفته لأنه خلف الجن فى الأرض قيل اوحى الله الى الأرض ، انى اخلق منك خلقا من يطعنى منهم أدخله الجنة ومن يعصنى أدخله النار ، فبكت وقالت يارب اتخلق منى من يعصيك ؟ فانفجرت العيون منها الى يوم القيامة ، وخلق الله النفوس من المواضع التى وطأها ابليس ، والانبياء والصالحون ، مما لم تمسه قدم ابليس .

وتربة النبى ﷺ من الكعبة ، مضى بها الماء الأول الى مدفنه بالمدينة ، وقيل : خلق الله آدم فى الجنة ، وقيل بوادى نعمان بين مكة والطائف ، وجمع بأنه فى الأرض طين ، وصور فى الجنة ، وعن ابن مسعود عن النبى ﷺ : رأس آدم من بيت المقدس ، وصدره من العراق ، ومقعده من بابل ، ويده اليمنى من الكعبة ، واليسرى من فارس ، ورجلاه وقدماه من الهند ، وارض ياجوج وماجوج .

وعن ابن عباس : فرجه من بابل ، ويداه من الكعبة ، ورجلاه من الهند ، وكليتاه من صحراء ، وعظامه من الجبال ، وامعاءه من الجزائر ، وكبده من الموصل ، وطحاله من الحجاز ، وفخذاه من اليمن ، وبطنه من الطائف ، وظهره من الشام ، ووجهه من الجنه ، وعيناه من أرض الكوثر ، وقلبه من العرش ، وفضلت طينة من طين آدم فخلق منها النخلة ، فهى أخت آدم وعمة لنا ، وبقى بعد النخلة قدر السمسمة ، فخلق منها أرضا ، يكون العرش والكرسى والسموات والارضون والجنة والنار فيها كحلقة فيها غرائب وعجائب ، قال جعفر بن محمد : مكثت الروح فى جسد آدم مائة عام ، وفى صدرة مائة عام ، وفى ساقيه وقدميه مائة عام ، وروى أنه لما وصلت الروح الى عينيه نظر الى ثمار الجنة ، وهذا على أمته خلق فى الجنة ، ولما وصلت جوفه اشتهى الطعام ، فأراد القيام اليها « خلق الانسان من عجل » « وكان الانسان عجولا » وقيل خلق آخر ساعة من الجمعة ، فقال يارب اسرع خلقى قبل الليل ، وقيل تعجل الطين بلغة حمير ، قال شاعرهم « والنخل تنبت بين الماء والعجل » وقيل : استدارت الروح فى دماغه مائتى عام ، وفى بهجة الانوار : دخلت الروح فى آدم من رجليه ، والصحيح المشهور من دماغه ، ولما بلغت قدميه لم تجد منفذا ، فرجعت لتخرج من منخريه ، فعطس فقال له ربه : قل « الحمد لله رب العالمين » الخ

مامر . ولما بلغت ركبتيه : اراد القيام ، فلم يقدر ، ولما بلغت قدميه وثب ، ولما عصى طارت الحلل والحلى ، ولباسه الذى هو الظفر ، وبقى فى اصابعه ، وبنانه ، ليتذكر به ، فمن نظر الى اظفاره حين الضحك زال عنه ، وقيل سمى آدم من ادمت بين الشيئين ، اذا خلطت بينهما ، وهو من الماء والطين ، وهذا وعلى أنه عربى ، وكان رأس آدم يمسح السحاب ، فصلع فاورث ولده الصلع ، وروى انه سمع تسبيح الملائكة ، واشتكوا من نفسه ، فقصره الله عز وجل الى سبعين ، والمشهور انه ستون ذراعا ، فقيل بزراعه ، وقيل بزارع غيره ، وفى الحديث : خلق الله آدم على صورته ، فلا يدخل أحد الجنة إلا على صورته ، ومعنى خلق الله آدم على صورته ، اى صفاته من الحياة والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والتكلم ، والسمع والبصر .

ولا شيء أحب الى الله من الانسان لهذه الصفات ، ولا لحبه لآدم ، وقيل كثر بكاؤه فنبتت له اللحية .

وسيد الصور : صورة آدم ، وسيد الملائكة اسرافيل ، وسيد الانبياء : محمد ﷺ ، وسيد الشهداء هابيل ، وسيد المؤذنين بلال ، وسيد الشهور رمضان ، وسيد الايام يوم الجمعة ، وسيدة الليالى ليلة القدر بل ليلة المولد ، وسيد المساجد المسجد الحرام ، وسيد البيوت الكعبة ، وسيد الجبال جبل موسى ، وسيد الانعام الثور ، وسيد الطيور النسر ، وسيد الوحوش الابل ، وسيد السباع الأسد .

وكان سنة أولاده حمل الميت بأربعة لحمل الملائكة له فى سرير ، وطول آدم ستون ذراعا ، وعرضه سبعة اذرع ، وعمره ألف سنة ، أو ست وتسعون ، أو تسعون ، أو ألف الاسبعين ، أو الاستبن ، او إلا اربعين ، وتوفى بمكة يوم الجمعة ، وصلى عليه جبريل ، ثم شيث ، بامر جبريل ، ودفن فى غار فى جبل ابى قبيس ، وقيل بالهند ، ومات بعد ان اجتمع له من ذريته وذرية ذريته أربعون الفا ، وفى الخميس عن المشكاة : قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله آدم مسح على ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة ، فجعل بين عينى كل انسان منهم وبيصا من نور ، ثم عرضهم على آدم ، فقال : أى ربى من هؤلاء ؟ قال : ذريتك واعجبه وبيص ما بين عينى واحد منهم ، فقال يارب من هذا ؟ قال داود ، قال كم جعلت عمره ؟ قال ستين سنة ، قال رب زده من عمرى أربعين سنة ، ولما بقى لآدم أربعون سنة ، جاءه ملك الموت ، قال أو لم يبق لى من عمرى أربعون سنة ، قال أو لم تعطها ابنك داود ، فجحد آدم فجحدت ذريته ، ونسى آدم فنسيت ذريته ، واخطأ آدم فخطأت ذريته ، فأمر بالكتابة والشهود رواه الترمزى ، وفى

المشكاة : ايضا قال آدم يارب : فانى قد جعلت له من عمرى ستين سنة ، قال أنت وذاك ولما أتاه ملك الموت : قال عجلت ، فان لى ألف سنة ، قال نعم ولكن جعلت لابنك داود ستين ، وقال الثعلبى : يارب كم عمره : قال ستون قال زده فى عمره ، قال لا الا أن تزيد من عمرك ، فقد جف القلم باعمار بنى آدم ، فوهب له أربعين سنة ، فكتب الله عليه وأشهد الملائكة فلما مضى تسعمائة وستون اتاه ، ملك الموت ، قال بقى من عمرى اربعون قال وهبتها لابنك داود ، قال ما بعث ولا وهبت شيئا ، فانزل الله الملائكة شهودا ، أو اكمل لآدم ألف سنة ، ولداود مائة سنة ، قلت ذلك حكم الله فى الازل ، بلا أول ولكن أظهره ، بالتدريج .

وسميت حواء حواء لأنها خلقت من حى ، هو آدم ليسكن اليها ، اذ كانت كالبضعة منه ، وفسر قوله « خلقت من حى » بقوله « وقيل أى ذكر ، وليس قولا آخر مغايرا لقول متقدم ، أى وذكر العلماء انها خلقت من ضلع آدم القصير اليسرى ، وقيل اليمنى ، والضلع وآدم حيان ، فسميت حواء ، لانها خلقت من حى ، وقد صرح آدم فى الجنة بحضرة الملائكة واقروه بأنها سميت حواء ، لانها خلقت من حى ، ولا يعدل عن ذلك ، فاصله حيواء بوزن فعوال أو حوياء بوزن فوعال ، قلبت الياء واوا ، وادغمت فى الواو شذوذا ، وخلافا للقياس ، اذا اجتمعتا ، وسكن السابقة ، فالمنع للعلمية والتأنيث والهمزة ، بعد الالف عن ناء هى لام الكلمة أو الاصل حياء بشد الياء عين الكلمة ، ولامها قلبت واوا مشددة ، فالهمزة للتانيث فالمنع له ، والوزن هو فعلاء ، قبل عاشت تسعمائة سنة ، وتسعا وتسعين ، وقيل تسعمائة وسبعين ، وعاشت بعد آدم بعد آدم سبعا وستين سنة وتسعة أشهر ، ويستحب معرفة واحد وعشرين ملكا يعنى تستحب معرفة المجموع اعنى استكمالها والا فجبريل تجب معرفته .

أربعة يختلفون على ان آدم اختلافا مقسوما بين الليل والنهار ، بعضه فى الليل وبعضه فى النهار ، اثنان ليلا ، واثنان نهارا ، يتجددون كل يوم ، وكل ليلة ليسوا اعيانا مشخصين ، يرجعون ووجه استحباب معرفتهم ، الاستحياء من أن يشاهد كسلانا أو عاصيا ، الأثر : الحفظة اثنان واحد على اليمين تآخر على الشمال وقيل أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار وقيل ستة بالليل وسته بالنهار ، وقيل لا يقصرون على عدد معلوم ، بل يقلون تارة ويكثرون أخرى وقيل : لكل مسلم مائة وستون ملكا ، يحفظونه من الشياطين ، ويكتبون عمله لا يفارقونه ، الا فى حال الجماع ، وقضاء حاجه الانسان ، ولهم اتصال بحفظه ، ولو فارقوه ، وكذا حفظت اعماله ، وقيل اثنان يحفظانه واثنان يكتبان عمله ، واثنان يزكيانه ، وقيل ستة بالليل وستة بالنهار ، وقيل اثنان ليلا ، واثنان نهارا .

وفى الأثر الحفظة اثنان عن اليمين ، وعن الشمال قعيد ، أو أربعة اثنان قعيد بالليل ، واثنان قعيد بالنهار ، أو ست ليلا قعيد ، وست نهارا قصير ، أو لا يقصرون على عدد لقوله ﷺ للاعرابى القايل معه فى الصلاة « ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه لقد رأيت بضعا وثلاثين ملكا يبتدرون أيهم يكتبها أولا » وقال الغزالى عن رسول الله ﷺ « لكل مسلم مائة وستون ملكا يحفظونه من الشياطين ، والحفظة يكتبون كل شيء حتى الانين فى المرض ، وقال عكرمة لا يكتبون الا ما يثاب عليه ، أو يعاقب ، وقيل يكتبون كل شيء ، ويسقط الله ما لا ثواب فيه ، ولا عقاب ، واذا مات المؤمن قالوا يا ربنا اين نسكن فيقول سماواتى مملوءة بالملائكة قفوا على قبره واسجدوا واستغفروا وهللونى واذكرونى ، واكتبوا له ذلك .

واما الشقى : فيقفون على قبرة يلعنونه الى يوم القيامه ، واختلفوا ما الذى تحفظ على بنى آدم من اعمالهم ، قال بعضهم انما تحفظ جميع اعمال العباد ظاهرا وباطنا ، لقوله تعالى « وإن عليكم لحافظين » الى قوله « يعلمون ما تفعلون » فعم . ولم يخص وقال بعضهم : لا اعلم لهم بغيب العباد ، ولا يعلم الغيب الا الله » لقوله تعالى « انتم الحفظة على اعمال العباد » وانا الرقيب على ما فى قلوبهم ، ولقوله : انتم لا تدرون ما أراد عندى وإنما أراد غيرى أرجعوا واضربو به وجهه وذكروا عن عائشة رضى الله عنها « قالت الذكر الذى لا تسمعه الحفظة بسبعين ضعفا » فإذا كان يوم القيامه قال الله للعبد ان لك عندى كنزا لم اطلع عليه أحدا من غيرى وهو الذكر الخفى ، وكذا ما أفسده باعتقاده ، أو ما نوى أن يعمله ، وعزم فلم يفعله ، فانه يثاب عليه ، ولا تعلم به الملائكة ، واثنان مزكيان لاعمال بنى آدم .

والجن لكل انسان : اثنان مزكيان لعمله ، ولو غير بالغ : لأن اعمال الحسنة تكتب له ، يقولان فى العمل الصالح ان هذا عمل صالح ، طيب ، يقبل ان شاء الله وذلك كلما رفع الأعمال لا فى خصوص الاثنين والخميس ، اللذين تعرض فيهما على الله ، ووجه استحباب معرفتهما الرغبة فى ان يعمل ما يزكيان ، ويوجده لله من جوارحه وقلبه ، فيصدقهما ولا يكذبهما فى تزكيتهما ولا باضمار ما يفسد العمل أو اظهاره ، وان ذلك ولايتهما لأنهما يرغبانه فى العمل ، ووافق طبائعهما .

وثمانية حملة العرش يوم القيامة لشدة الهول المضعف لهم ، واربعة فى الدنيا ، والعدد افراد ، وقيل الآف ، وقيل بل صفوف ، ووجه استحباب معرفتهم ، استحضار هول يوم القيامة الذى ما اطاقته الملائكة الذين لا ذنب لهم ، فكيف الآدمى المذنب .

ورضوان خازن الجنة : وجه استحباب معرفته : أن يجتهد فى ملاقاته ، وجمع دار الرضى لهما ، ومالك خازن النار ، وجه استحباب معرفته تذكر النار ، واحوالها ، وأهلها فيزدجر عما يوجبها ، وجبريل وجبت معرفته ، لأنه ملك الى الأنبياء كلها والكتب كلها وأعظمها القرآن ، وربما اعانه بعض الملائكة وهو ملك شكله لطف بالمؤمنين ، ولاسيما النبى ﷺ ، ولأنه ملك الخسوف والزلزال والاهلاك فيحذر ما يوجب ذلك ، وسمى جبريل ناموسا وهو مما قال فيه ابن الاعرابى « لم يأت فاعول مما لامه سين إلا فى الناموس والجلوس ، والجاموس ، والجاروس ، والداموس ، والفانوس ، والفاعوس ، وقابوس وغاطوس والقاموس ، والبابوس ، والكابوس ، فالناموس صاحب اسم الخير ، والجاروس صاحب اسم الشر ، والجاسوس من التجسس ، والجاروس الكثير الاكل ، والجاموس معز البقر ، والفانوس النحام ، والفاعوس الحية ، والقابوس الجميل الوجه ، والفاطوس دابة يتشاءم منها ، والقاموس وسط البحر ، والبابوس الرضيع ، والداموس الغير وغيره ، والكابوس الذى يقع على الانسان فى نومه ،

وميكائيل هو ملك النبات والمياه يستشعر بمعرفته نعم الله عز وجل ، وانه رسول من الله بذلك لا يخون ولا ينقض ، يكتب له كل ليلة النصف من شعبان ، أو كل ليلة قدر جميع ارزاق العام .

واسرافيل ملك النفخ فى الصور ، وله ملك آخر للنفخ فيستشعر بمعرفته الافضاء ، الى الآخرة ، بنفخة الموت ، والافضاء الى المحشر ، بنفخة الفزع قبل ذلك .

وعزرائيل ملك الموت يستشعر بمعرفته زوال الحياة ، وزوال الدنيا ، فيعرض عنها ، ولا يتشبث بها .

ومعنى الاربعة عبد الله الجزء الأول ، بمعنى عبد والثانى بمعنى الله ، وهو الصحيح أو قيل عزرائيل بمعنى عبد الجبار ، وهو ملك الموت والمصائب واللوح المحفوظ قيل لوح لا حيوان ، وقيل جبهة ملك ، وقيل جسم نورى ، وقيل دره بيضاء ، وقيل ياقوته حمراء من وجه وزمردة خضراء من وجه وهو محفوظ ، فى نفسه ، ومحفوظ ما كتب فيه ، يستشعر بمعرفته ، أن يتذكر هل كتب فيه سعيدا ، أو أهل كتب فيه شقيا ، وان احواله فى الدنيا مكتوبة فيه ، من رزق وجاه ، وكل نفع له أو ضر ، لا زيادة ولا نقص ، وملك الالهام عطف على أحد وعشرين لا على معدود أحد وعشرين فلا يقال عد اثنين وعشرين أحد وعشرين وان شئت فاجعل قوله : اثنان مزكيان لاعمال بنى آدم واحد ، فيعطف ملك الالهام على معدود أحد

وعشرين ، فيتم به واحد وعشرون ، ولايعد ثمانية العرش واحدا ، لأن لكل واحد نصيبا فى الحمل ، واما التركية فمتكررة بينهما ، يذكر كل واحد منهم ما يذكر الآخر .

والالهام :القاء شيء من الخير الدينى فى القلب ، على طريق الفيض ، أعنى ضرورة بلا كسب ، وعبارة بعض : أنه ايقاع شيء فى القلب يثلج له الصدر ، يخص الله تعالى به بعض اصفيائه ، ويثلج بضم اللام مضارع ثلج بفتحها أو بفتح اللام ، مضارع ثلج بكسرها ، بمعنى يطمئن اليه القلب ، شبه حالة اطمئنان القلب بالواردة الربانية ، وسكون القلب : شبهته بحالة سكون حرارة القدر الحاصلة له باصابة برد الثلج له ، وهى المسماه بالثلج ، فاطلق عليها لفظها ، وليس بحجة ، لعدم ثقة من ليس معصوما ، نحو اكره ولم يقع الأمر فى الأحكام والعقائد بالرجوع الى ما يخطر فى القلب ، ووقع الأمر بالاستدلال كقوله تعالى « فاعتبروا يا أولى الابصار ».

وخواطر النفس : لا يؤمن فيها من دسائس الشيطان ، وقال بعض الصوفية : الالهام حجة فى حق من الهم ، ومال اليه السعد التفتازانى ، وليس حجة على غيره ، وأما المعصوم : فالهامه حجة عليه وعلى غيره ، كالرسول ﷺ ، اذا تعلق به كالوحى ، ويقرب من الالهام : رؤيا الانسان الصادق فى منامه ، فان رأى النبى ﷺ يامره أو ينهاه فحسن ، لكن لا يجوز اعتماده لعدم ضبط الرائى .

ولكل أحد ملك الهام ، يلهمه الخير فى قلبه ، يقول له قم صل ، أصبح صائما ، احضر مجلس الذكر ، تصدق ، اقرأ القرآن لا تكسل ، لا تتبع هواك وغير ذلك ، ويلهمه الى ترك معصية ، دعته اليها نفسه .

ولكل أحد شيطان : يأمره بالبطالة ، والمعصية ، ومالا يعنى ، والانتقام ، والحقد والمكاره ، وقال الله تعالى (عن اليمين وعن الشمال قعيد) قيل : كل من القعيد والرقيب والعتيد اثنان اثنان ، وقيل واحد واحد ، ولا يفارقانه ، والملكين اللذين يقولان كل صباح : اللهم عجل للمنفق خلفا ، وللممسك تلفا ، وعن مجاهد : القعيد والرقيب العتيد : ملكان ليلا وملكان نهارا ، فيكون المصنف قد ذكرهما ، قال يكتبان ، ملك اليمين ، يكتب الحسنات ، وملك اليسار : يكتب السيئات ، وعنه ﷺ « كاتب الحسنات على يمين الرجل ، وكاتب السيئات على يساره ،وعن الحسن والضحاك مجلسهما تحت الشفتين ، فكان الحسن ينظف عنفقته ، قيل : يفارقانه وقت الجماع وقضاء الحاجة .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه : أنه قال قال رسول الله ﷺ « ان الله لطف الملكين الحافظين حتى أجلسهما على الناجدين ، وجعل قلمهما لسانه ، ومدادهما ريقه ،

فان مشى فملك الحسنات امامه ، وملك السيئات خلفه ، وإن قعد أو قام فملك اليمين يمينه ، وملك اليسار يساره ، وان رقد فملك اليمين عند رأسه وملك اليسار عند رجليه ، وفى حديث رفعه ابن رافع اذ قال « ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه رأيت بضعا وثلاثين ملكا يبتدرون لكتبها » وهما غير الملكين الكاتبين ، والسرأن حروفها بضع وثلاثون حرفا ، ولكل حرف ملك وان زدنا كما يحب ربنا كانت أكثر من أربعين ، ولا يحسب هنا الحرف المدغم ، لان اللسان يعمله مع المدغم فيه ، عملا واحد .

الأشهر: سمى الشهر ، لأنه يعرف ويشهر لرؤية هلاله وقد يسمى الهلال شهرا ، قال الشاعر : وهو ذو الرمة : يرى الشهر قبل الناس ، وهو نحيل ، وذلك النير هلال لثلاث بعدهن ، قمر الى قمر يبقين ، فمَحاق بفتح الميم وكسرها وضمها ، وقيل محاق فى الليلة الاخيرة من الشهر ، وقيل محاق حين استرد ، وفى الرابعة عشر قمر وبدر ، وقيل هلال فى الليلة الأولى فقط ، وقيل فى الأولى والثانية ، وقيل فى السبع الأولى ، وقيل فى السادسة والعشرين ، وفى السابعة والعشرين ، وفى غير ذلك قمر ، ولو بعد السابعة والعشرين ، وابن الاعرابى يسمى القمر شهرا ، لأنه يشهر به قال : والعرب تقول رأيت الشهر أى الهلال ، وفى كل ليلة أيضا قمر الحرم العظيمة الشان ، فلا يقع القتال استثناء من قوله تعالى « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » وقوله تعالى « وقاتلوا المشركين كافة » ونحو ذلك لعمومه بعدم التقيد بالزمان ، ثم نسخ تحريم القتال فيهن فحل ، وقيل غير منسوخ ، وهو أنسب بذكر المصنف ، ووجد ذكره مع قول النسخ بيان العلم ، واحترامهن الى الآن بالعبادة ، أربعة أحد الأولى واحد لأنه الذى من العدد ، مقابل للاثنين ، والثلاثة فصاعدا ، وأما أحد : فمعناه بعض الناس أو غيرهن كالجن فرد ، وثلاثة سرد أى ذات سرد ، أى أتباع أو مسرودات ، بلا فصل فالفرد : رجب ، سمى لتعظيمه ، تقول رجبت فلانا عظمته ، أو لجعلهم للشجر عمدا ، لعظم حمله ، حتى خيف عليه الانكسار ، فى عام ، فجرى عليه الاسم بعد ، ولو لم يحمل فيه الشجر ، أو حمل قليلا ، وسمى اصم لعدم سماع صوت السلاح فيه ، لعدم القتال فيه ، فلا يتناول السلاح فيه ، فضلا عن أن يتصادم أو يقع على ما يكون به الصوت ، فضلا عن أن يسمع أو لأن الله جل وعلا يقول له ما تسمع من ذنوب أمة محمد ﷺ ، فيقول يارب أنا اصم لا أسمع .

واصب بالباء لما يصب فيه من الرحمة ، والاسناد فى ذلك مجاز عقلى من الاسناد الى الزمان ، كنهاره ، وصائم وشدد بعض اصحابنا فى جهل الاشهر الحرم ، تحرزا عن الغفلة عما جعل الله لهن من الحرمة،والسرد ، ذو القعدة : سمى لقعودهم فيه عن القتال فى عام ، فجرى عليه الاسم بعد ، ولو لم يقعدوا عنه ، كأنه قيل الشهر الذى قعدنا فيه عن القتال أو

قعدوا فيه عنه بفتح القاف للوحدة ، وقد يكسر للنوع ، وذلك فى الاصل والضم غريب ، وذو الحجة بكسر الحاء على النوع ، وقد تفتح للوحدة ، وذلك فى الاصل ، سمى لوقوع الحج فيه أصالة من الملائكة ، قيل آدم ومن آدم الى ابراهيم ، ومنه الى سيدنا محمد ﷺ ، وقد يكون فى غيره عند الجاهلية ، الا إن استدار الزمان ، الى اصله حين خلق الله عز وجل السماوات والأرض ، ووافق هذا الرجوع حجة الوداع ، وما حج ﷺ قط الا فى ذى الحجة ، والمحرم : بال ، ولا يعرى عن ال ، ولا يجوز تفسير قوله تعالى « فاذا انسلخ الاشهر الحرم » بالواحد الفرد ، والثلاثة السرد ، لأنه يقتضى بقاء حرمة القتال فيهن ، ولزمته « ال » لأنه أول الشهور ، وكأنه قيل هذا هو الشهر الذى يكون هو أول السنة ، ولا ينافى هذا ما قيل إن « ال » فيه للمح الاصل ، لأنا نقول خص بلمح الاصل دون بقية الاشهر ، حتى استحق « ال » التى للمح ، لأنه أول السنة ، ومعنى « لمح الاصل » هنا : لمح الوصف ، وهو أنه حرم فيه القتال ، فمعناه بلا لمح ، ثلاثون يوما أو تسعة وعشرون ، بين ذى الحجة .

ومحرم :ومعناه باللمح معنى اسم المفعول الباقى بلا تغلب للاسمية ، وخص باسم المحرم دون باقى الاشهر الحرم ، لأن التحريم للقتال فيه أشد ، وكلها حرم فيها القتال ، ليأمن الحاج ذاهبا وراجعا ، وكانوا يحجون النافلة فى رجب ، وقيل سميت حرما ، لأن المعصية فيها أشد عقوبة ، الا ترى الى قوله عز وجل « فلا تظلموا فيهن انفسكم » ومن تعظيم العرب لها : ان لا تقتل قاتل أبيه فيها ، واولها المحرم فهن من عام واحد بدا بخير ، ووسط بخير ، وهو رجب ، وختم باثنين ذى القعدة وذى الحجة ، وأخر الحج ليختم العام باعظم ، ولجمعه المال والبدن جعل له اثنان من الحرم ، وقيل أولها ذو القعدة ، فهى من سنتين ، أشهر المدة التى جعلها الله عز وجل مدة للمشركين ، لا يقاتلهم المسلمون فيها ومن له مدة قبل ذلك أكثر من الأربعة رجع الى الأربعة وقيل لا يرجع اليها ، وهو ظاهر ما يأتى عن علىّ ، ومن كانت له أقل فالى مدته ، وقيل الى الأربعة ، قيل : اتفقوا ان القتال فيهن حلال بعد ، وليس الاجماع صحيحا الا أن الصحيح ، وعليه الجمهور ، حل القتال أربعة وعشرون يوما من ذى الحجة سماها مع عشرة أيام ، من ربيع الآخر شهرا ، لانهما مقدار الشهر التام ، وفى ذلك جمع مفرد ، ومجاز ومفرد حقيقى ، كقولك أسود ، لشجاع.وسبع بضم الباء ، وكانه قال المدات المقدرات ، بثلاثين يوما أو تسعة وعشرين يوما وأربع وعشرون يوما من ذى الحجة مع عشرة من ربيع الآخر ، والمحرم وصفر وربيع الاول ، ولم يسم عشرة من ربيع الآخر شهرا فضلا عن أن يقال سماها شهرا تغليبا لشرفها على باقى الشهر ، والعلاقة الجوار أو للكلية أو البعضية أو احداهما ، وكذا يقال فى العشرين : وقيل أشهر المدة عشرون من ذى القعدة الى

العشرة من ربيع الأول ، والأشهر الأربعة المسماة باشهر المدة ، هن ما ذكره المصنف على الصحيح ، لأن التبليغ كان يوم النحر على يد علىّ عند جمرة العقبة ، وابو بكر أمير على الموسم ، فقال : على يا أيها الناس ، انى رسول رسول الله ﷺ إليكم ، فقالوا بماذا ؟ فقرأ عليهم « ثلاثين آية أو أربعين من أول سورة التوبة » وقال « أمرت ان لا يقرب البيت إلا مؤمن ، ولا يطوف عريان ، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وكل ذى عهد الى عهده » .

واختار عليا ، لأنه منه كما قيل حين قيل له الا بعثت بها الى الصديق ، وقد سبق فى مكة » انه لا يؤدى عنى الا رجل منى » أى فيما كان من عهد ونقض ، كما فى بعض الروايات : لا ينبغى ان يبلغ هذا إلا رجل من أهلى ، وكذا عادة العرب لا يبرم عنها عقد أو ينقضه الا من هو من عصبتهم ، وقد أمر بنبذ العهد الى ناكثيه ، وامهل بسائر المشركين أربعة اشهر ، وقيل الأربعة : شوال ، وفيه نزل فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم وصفر ، سمى لخلو مكة فيه من الناس ، فى عام لخروجهم الى الحرب ، وقيل لقحط وجرى عليه هذا الاسم بعد ، ولو لم يخرجوا ، وقيل سمى لمرض وقع فيه اصفرت به وجوههم ، وقيل لقحط اصفرت به .

وربيع الأول بتنوين ربيع ونعته بما بعده ، وكذا فى قوله : وعشرة ايام من ربيع الآخر ، اتفق فى سنة ان النبات والازهار ، وقعت فى شهرين بعد صفر فى عام ، فسموها بالربيعين ، وقيل سميا لارتباع الناس فيهما ، أى لعدم خروجهم للغزو ، والأول : هو المشهور أشهر الحج المذكورة فى قوله تعالى « الحج أشهر معلومات » أى عقده بالاحرام الا أن الوقوف خاص باليوم التاسع ، لا يجوز قبله .

وشوال سمى كذلك ، لأنه شال فيه النوق أذنابها باللقاح ، وقال السمرقندى ، لأن العرب كانت تبرح فيه عن مواضعها ، ويقال لانهم يصيدون فيه من قولك ، أشلت الكلب اذا ارسلته للصيد ، وذو القعدة وعشرة ايام من ذى الحجة غلب شوالا وذا القعدة على العشرة فسماها باسم الشهر ، وغلب التسعة من العشرة وسماها عشرة ، مع أنها تسعة أيام فقط ، تغليبا أيضا أو تجوز بليلة العيد ، فاتم بها عشرة لأنه من لم يدرك الوقوف بعرفة يومها وقف ليلة العيد ، وهو فى معنى قول الشافعى : تسعة أيام وليلة النحر ، وذلك مذهبنا ومذهب أبى حنيفة ، وهذا القول أوسع ، لأنه من وقف بعرفة وأخر الزيارة أو السعى ، فلا حد لانتقاض حجه ولو الى سنة ، مالم ينقضه بجماع أو امناء ، أو نوى الخروج من على هذا القول ، وقيل عشرون منه مع شوال وذى القعدة ، فاذا تمت عشرون ولم يزر بطل حجه ، ومعنى هذا القول ان شوالا وذا القعدة وعشرين من ذى الحجة : هى ايام الحج على سبيل

التوزيع ، الاحرام والوقوف قبل يوم النحر ، إلا أن الوقوف مختص باليوم التاسع ، وباقى الاعمال يوم النحر ، وما بعده إلا أنه إن مضت ايام التشريق فات الرمى وعليه الدماء ، وكذا فى قوله .

وقيل: أى قال مالك ومن معه: ذو الحجة كله ، فاذا تم ولم يزر بطل حجه .

والأيام المعلومات فى قوله تعالى « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات » عشرة ايام قبل يوم النحر ، هن تسع سماهن عشرة ، تغليبا للعدد الأكثر على الأقل بواسطة اتصال العاشر بالتسعة مع عظم شأنه معهن ، وكون ليلته يصح وقوف عرفة فيها ، والمعدودات فى قوله تعالى « واذكروا الله فى أيام معدودات » من سورة البقرة ثلاثة ايام بعد يوم النحر وهن أيام التشريق ، واختلف فى يوم النحر ، هل هو من الايام المعلومات المذكورة فى الآية ! أو من الايام المعدودات المذكورة فى الآية ! فقال قوم : من المعلومات ، وقال قوم من المعدودات ، وقال قوم: معلوم ومعدود مراد فى جملة المعلومات ، ومراد فى جملة المعدودات .

وعلينا معرفة الكبائر وفرز ما بينهن ، عطف لازم على ملزوم ، فانك اذا عرفتهن فقد فرزت أى ميزت ، وثبت انك علمت ، والمعنى فرز الذى ثبت معتبرا بينهن يميز به حكمهن .

والكبيرة : ما جاء فيه الوعيد مالم يجىء فيه الجامع ، كما جاء الوعيد فى التطفيف ، والسرقة ، فيقاس عليهما الاخبار بان هذا من عمل بلد كذا ، أو من عمل فلان ، مما فيه جودة ، وليس كما قال فيعطى فيه لذلك أكثر مما يستحق، وغير ذلك صغائر ، وذلك هو المشهور فى المذهب ، وليس المشهور : ان كل ذنب كبيرة ، كما قيل ، بل يذكرون : أن كذا كبيرة ، وان كذا معصية ، فنعرف أنهم ارادوا معصية كبيرة ، أو أرادوا معصية ، لا ندرى ما هى عند الله ، أصغيره أم كبيرة ، اللواتى للشرك أو اللواتى للنفاق ، يعنى يلزمنا أن نعلم : أن الكبائر قسمان : كبائر شرك ، وكبائر نفاق ، لتمتاز على الصفرية ، والنجدية ، والازارقة ، القائلين أن الكبائر كلها شرك ، أو المعاصى كلها شرك ، وعلينا أيضا : أن نعلم أن المعاصى منها شرك ، ومنها غير الشرك ، وهو الصغائر : والكبائر التى ليست بشرك لتمتاز عمن قال : من هؤلاء : المعاصى كلها شرك ، وليس المراد أنه يلزم أن نعرف كل كبيرة من كبائر الشرك ، وكل كبيرة من كبائر النفاق ، ولتمتاز على المعتزلة ، اذ قالوا : الكبائر اما شرك ، وأما فسق لا كفر ، لا يقولون ، أما شرك واما نفاق ، كما نقول ونزيد فيهما وهو نفاق ، أنه كفر وفسق ، وضلال وهو ايضا : قول الاشاعرة ، لكن قد

يقولون فى الكبيرة غير الشرك : انها كفر بالجارحة ، وانها كفر نعمة ، وفى أثر اصحابنا من لم يفرز بين كبائر الشرك ، وكبائر النفاق مشرك ، أى يصل الى الشرك ، لأن أكثر ضلال الناس من عدم الفرق بينهما ، وليس قوله فالكاذب على الله منافق ، والمكذب لله مشرك ، تفسيرا للفرز بين كبائر الشرك ، وكبائر النفاق ، محصورا الفرز فيهما ، بل تمثيل لكبائر الشرك ، وكبائر النفاق ، كأنه قال فالكاذب مثلا على الله ، منافق والمكذب مثلا لله مشرك ، لا ما قيل إن الفرز هو نفس علمك ان الكاذب على الله منافق والمكذب له مشرك ، بل يجب مجرد جعلهما قسمين كما قالوا يجب علينا ، ان نعرف ان ما خالف ديننا ، يجب علينا ان نكفره فان ذلك واجب ، ويكفى ولو لم نعرف مسائل قطع العذر كلها ، وهو الناقض لما فى ايدينا ، وهو المحل أيضا ، لأنه احل ما حرم الله فى الاصول ، بتأويل الخطأ ، ومعنى راجع العلم ناقض كلامه ، بأن يحكم على شيء بأنه كبيرة ويطلق على فاعله : انه مؤمن مسلم ، فقوله أنه مؤمن مسلم نقض لقوله : ان ذلك كبيرة ، ومن رجوع العلم : ترك الولاية لأمر ترتابه ، ولا تعلم ما يوصل صاحبه ، ومنه ترك المقلد ، قولا بلا رجوع لآخر .

وأعلم ان مرتكب الكبيرة عندنا معشر الاباضية الوهبية كافر كفر نفاق ، وكفر فسق ، وكفر نعمه ، وكفرا باجارحة ، كل ذلك معنى واحد ، وهو مذهب الحسن البصرى ، ولا يقال : له مؤمن ولا مسلم ، وقد يطلق عليه مؤمن ومسلم بمعنى موحد ، وقالت الخوارج : أنه مشرك وقال : بعض الخوارج إن العاصى ولو بصغيرة مشرك ، وقالت الاشعرية ، إن صاحب الكبيرة مسلم مؤمن ، وقالت المعتزلة ، رلا مؤمن ولا كافر ، واحتج الخوارج بمثل قوله تعالى « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون » وقوله « وهل يجازى الا الكفور » وصاحب الكبيرة ممن يجازى « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاءه جهنم » وقوله تعالى « لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى » وقوله تعالى « فمن خفت موازينه » «أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون » وقوله تعالى « فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم » وقوله تعالى « والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة » وقوله « فمن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون » وقوله تعالى « انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » وقوله تعالى « انك من تدخل النار فقد أخزيته » مع « إن الخزى اليوم والسوء على الكافرين » وقوله تعالى « وأما من أوتى كتابه بشماله الى قوله لا يؤمن بالله العظيم » وقوله تعالى « الا لعنة الله على الظالمين الى كافرون »وقوله تعالى « واما الذين فسقوا فمأواهم النار الى تكذبون به وقوله تعالى « يتساءلون عن المجرمين » الى قوله « نكذب بيوم الدين » وقوله تعالى « وسيق الذين كفروا » الى أن قابله بقوله « وسيق الذين اتقوا » ولا ثالث وقوله ﷺ « من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومن مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا » الخ .

وأيضا : ولاية الله وعدوانه : ضد ان لا واسطة قلنا نعم لا وساطة ، وطفل السعيد الذى مات فى الطفولية ، فى ولاية الله ، وزعم الاشعرية : أنه تجوز الواسطة بين ولاية الله وعداوته فى المكلفين ، وهو باطل ، ففى أى دار يكون ؟ أفى الجنة أم فى النار ؟ وتقول فى الموصول فى الآيات ، إن الموصول لم يوضع للعموم ، كما قيل بل للجنس ، فتقبل الخصوص ، فتحمل على المشرك بالخصوص ، وأوله عقاب المرافق الفاسق ، ومن الاحاديث ، وايضا : يحمل الكافر على المشرك أو يحمل على مطلق الكافر ، بحيث يصلح لكفر الشرك ، وكفر النفاق ، لمخالفة اليهود الحكم ، بما فى التوراة ، وما فى القرآن ، وهل يجازى ذلك الجزاء إلا الكفور ، جزيناهم بما كفروا ، ومن كفر بانكار الحج فان الله غنى عن الكافرين ، ولا حصر فى قوله تعالى « ان العذاب على من كذب » فقيل المكذب أيضا يعذب ، ونار لظى ، يخص به المشرك ، ولغيره نار أخرى ، والفاسق غير مكذب فلم يدخل فى قوله « فكنتم بها تكذبون » وقوله « فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم » لا يلزم منه ان كل شقى يسود وجهه وانه مشرك سلمنا ، لكن اكفرتم معناه اكفرتم كفرا عاما شاملا لما دون الشرك .

والايمان يعم الاعمال الصالحة أو هى للمرتدين ، والايمان التوحيد ، وآية المشأمة : تدل « ان كل من كفر كان من أصحاب المشأمة » ولا ينعكس كليا ، فلا يقال كل ذى مشأمة كافر » أى مشرك ، أو يقال : على عموم الكفر للفسق ، والحصر فى قوله تعالى « ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » لا يلزم أن يكون من حصر الخبر فى المبتدأ بمعنى أن كل فاسق كافر » لقبول العكس ، قال قومنا لا ينحصر الفاسق مطلقا فيمن كفر بعد ذلك ، بل المنحصر فيه الفاسق الكامل ، وهو المشرك .

واما قوله تعالى : لا ييأس من روح الله . الآية ، فالكافر فيه يحتمل العموم للمنافق بالجارحة ، واما رجاءه فلا يعتبر ، لأنه باطل ان لم يتب وهو داخل فى اليأس المذكور فى الآية ، مع قولنا أنه غير مشرك ، والخزى اليوم لا عموم له ، فلا يلزم انحصار الخزى مطلقا فى المشرك ، فالكافر يعم الفاسق بالجارحة ، وعلى عمومه يحمل على الخزى الكامل ، كذا قيل ، وأما قوله تعالى « وأما من أوتى » أنخ ليس فيه ما يمنع أن يؤتى قوم كتبهم بايديهم ، بل يقرأونها ، سلمنا لكن الموحد لا يصدق عليه انه كان لا يؤمن ، وقوله تعالى « ألا لعنه الله على الظالمين » الى كافرون ، فى المشركين اذ ليس الظالم الموحد مطلقا ، يصد عن سبيل الله الخ .

وأما الرد بظلم الانبياء كقوله تعالى « ربنا ظلمنا أنفسنا »« انى ظلمت نفسى » انى كنت من الظالمين » فلا يتم ، لأن الآية لا تشمل ظلمهم ، اذ ليس فيه الصد والكفر ، وبقى العوج فى الدين ، والكفر بالآخرة ، وليس قوله « واما الذين فسقوا » الى«كنتم به تكذبون » شاملا للفاسق الموحد ، لانه لا يكذب بالعذاب ، وكذلك قوله تعالى « ماسلككم فى سقر » الى نكذب بيوم الدين ، لا يشمل الفاسق ، لأنه لا يكذب بيوم الدين ، واما « وسيق الذى كفروا الى جهنم زمرا » ففى المشركين ولا دليل على عدم قسم ثالث وهو الفاسق ، بل ثبت بادلة أخرى وأما « ان شاء فليمت يهوديا » فذلك بمعنى طبقة عذاب اليهود أو النصارى ، يدل على ان مرتكب الكبيرة منافق ، مثل قوله ﷺ « آية المنافق ثلاث : اذا وعد أخلف ، واذا حدث كذب ، واذا ائتمن خان » ومعنى هذا النفاق : الفسق لا الشرك ، وزعم بعض قومنا « انه ان كانت الثلاثة ملكة دلت على الشرك ، ولا يصح هذا ، فقد تكون ملكة ولا يشرك واخوة يوسف نافقوا بعضهم ، وتابوا فخرجوا عن النفاق ، وهو النفاق بالجارحة ، وقال قومنا انهم غير منافقين اجماعا بذلك ، بمعنى انهم غير مشركين ، قيل واحتج بعض للنفاق بأنه من اعتقد ان فى هذا الجحر حية لم يدخل يده فيه ، فان ادخلها فيه علمنا أنه قال كذبا لا عن اعتقاد ، وكذا الحال فى مرتكب الكبيرة ، واجاب الاشعرية بأن مضرة الحية عاجلة ، بخلاف الذنب ، فإن عقابه متأخر ، يحتمل العفو بالتوبة ، والحجة والجوابان مبنيان على ان المراد بالنفاق الشرك ، وقد علمت أن مرادنا خلافه ، فانه عالم بالعقاب على الكبيرة ، وقد فعل ما يوجبها ، كأنه لم يعتقد بالعقاب ، وهو معتقد له كما يدخل يده تهورا ، ورجاء السلامة انتهى .

واحتج المعتزلة على أن الفاسق ليس مؤمنا ، بمعنى موف بالدين ، وهذا كما نقول نحن ، ولا مشركا ، لأنه يدفن مع المسلمين ويرثونه ويرثهم ولا يحكم بردته ولا بتفريقه عن زوجته ، وهذا فى زمان الصحابة ومن بعدهم ، وعلى عهد رسول الله ﷺ ، وروى أن واصل بن عطاء قال لعمرو بن عبيد : إن فسق صاحب الكبيرة اجماع ، وكونه مؤمنا او مشركا مختلف فيه ، فنأخذ المتفق عليه ونترك المختلف فيه قلنا هذا خرق للاجماع فإنه قبل ظهور خلافتهم ، سمى موحدا لا مؤمنا ، الا أن يراد بمؤمن موحد ، فالمكلف : إما مؤمن واما كافر ، والكافر أما مشرك واما غير مشرك ، وقد علمت أن مذهبنا تكفير صاحب الكبيرة كفرا دون الشرك ، وجمهور فقهاء الأمة والمتكلمين لا يحكمون بكفر أحد من أهل القبلة أى بشركه ، قال ابو الحسن الاشعرى : اختلف المسلمون بعد نبيهم ﷺ فى اشياء ضلل بعضهم بعضا ، وتبرأ بعض من بعض ، إلا أن الاسلام أى التوحيد يجمعهم ، وهذا مذهبه : وهو مذهب أكثر الاشعرية .

ونقل عن الشافعى انه قال : لا أرد شهادة أحد من أهل القبلة ، وأهل الاهواء منهم الا الخطابية ، لانهم يعتقدون حل الكذب ، وفى كتاب المنتقى أنه لا يكفر أحدا من أهل القبلة ، أى لم يحكم بشركه ، ولا يبيح الأشعرية اطلاق الكافر على الموحد ، ولو أريد ما دون الشرك ، واجازه متأخروهم على معنى كفر النعمة وكفر الجارحة ، وهذا مذهبنا وكذا تسميته منافقا ، لا يجيزونها على غير إضمار الشرك ، واجازها بعض متأخريهم على معنى مخالفة ما وجب غير الشرك ، وهو مذهبنا .

وحكى أبو بكر الرزاى عن الكرخى وغيره ما مر ، والمعتزلة الذين كانوا قبل أبى الحسن كفّروا الأشعرية فكفّرهم بعض الاشعرية ، وكفر أصحابنا والأشعرية والمعتزلة المجسمة أى حكموا بشركهم واختلف فى المجسمة هل يحل مالهم ودمهم ؟ قيل نعم ، لأنهم اشركوا بالتجسيم بلا تأويل ، وقيل « لا » لحديث « من قال لا إله الا الله محمد رسول الله ﷺ حقن دمه وماله » والصحيح الأول ، وقال الاسفرائى : كل مخالف يكفرنا نكفره ، أى يحكم بشركنا نحكم بشركه ، وهو صواب ، اذ حكمه بشركنا حكم بابطال التوحيد وتصييره مشركا ، وفى الأثر كلام فيمن قال لموحد « يا مشرك » قيل نافق ، وقيل اشرك ، ولم نحكم بشرك الصفرية ، لتأويلهم وكونه تعالى غير متحيز ، وغير مرءى فى الدنيا ولا فى الآخرة موجود فى قوله تعالى « ليس كمثله شىء » وقوله تعالى « إلا هو معهم اين ما كانوا » فان المعية بالعلم والقدرة والتصرف لا بالتحيز اذ الخلق كثيرون منتشرون فى المشارق والمغارب ، فلو كان مع أحد بالحلول لم يكن مع آخرين به وقوله تعالى « هل من خالق غير الله » انه خالق للافعال ولو لم يكثر ذكر ذلك ونحوه على عهد رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين وأهل البدو ، ولا يعلمون بذلك بل غفلوا وكثير من الناس اذا ذكروا تذكروا ، وأدلة وصول الدين موجوده ظاهرة لكل من تفكر .

قال الفخر : من دخل بستانا ورأى أزهارها حادثة بعد أن لم تكن ، ورأى عنقود عنب قد اينع كله إلا حبة مع تساوى نسبة الماء والهواء وحر الشمس الى جميع حباته ، علم بالضرورة ان محدثه فاعل مختار لأن أدلة الفعل المحكم على فاعله ، واختياره ضرورة ، ودلالة المعجزة على صدق المدعى ضرورة ايضا ، وان قيل : لم تطب تلك الحبة بطبع ، قلنا من طبع ذلك الطبع .

والإيمان:التصديق فى اللغة ، وكذلك الايمان عندنا فى الشرع : التصديق فى القلب بما جاء به الرسول ﷺ ، والاقرار والعمل ، وكل طاعة ايمان نفلا أو فرضا عندنا وعند الخوارج والعلاف وعبد الجبار .

وقال الجبائى وابنه وأكثر معتزلة البصرة أن الفرائض إيمان ، وليس النفل ايمانا ، لكن يطلقون الايمان على التصديق أيضا دون الخوراج ومن معهم ، واما هم فيطلقونه على العمل المذكور دون التصديق ، فهو عندهم اعمال الجوارح .

وقال الاشعرية والصالحى وابن الراوندى من المعتزله : الايمان التصديق بما جاء به الرسول ﷺ ، اجمالا فيما هو مجمل وتفصيلا فيما هو مفصل .

وقال جهم بن صفوان:الايمان معرفة الله .

وقال قوم:الايمان المعرفة بالله . وبما جاءت به الرسل اجمالا وهو منقول عن بعض الفقهاء .

وقالت الكرامية:الايمان كلمتا الشهادة .

وقالت طائفة:التصديق مع الكلمتين وهو رواية عن أبى حنيفة .

وقال ابن مجاهد والمحدثون:الايمان تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل الاركان

ووجه الضبط فى المذاهب الثمانية : أن الايمان لا يخرج عن فعل القلب والجوارح ، فهو اما المعرفة بالله أو به وبما جاء به الرسل اجمالا أو التصديق المذكور ، واما فعل الجوارح فقط ، وهو اما فعل اللسان فقط ، وهو الكلمتان أو غير فعل اللسان ، وهو الطاعات وإما فعل القلب والجوارح ، أو الجارحة : اما اللسان أو جميع الجوراح ومن الايمان فى القلب » وقلبه مطمئن قوله تعالى « فى قلوبهم الايمان » « ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » ومن ذلك ما ورد من الطبع والختم على القلوب وكونها فى أكنه وذلك فى متع الايمان عن القلب نهوض القلب لا فى الجوارح واللسان .

وعند الاشاعرة كذلك:ولقوله ﷺ « اللهم ثبت قلبى على دينك » ولقوله ﷺ لأسامة رضى الله عنه فى الذى قتله وقال انه آمن بلسانه فقط « هلا شققت على قلبه » والخطاب فى القرآن للعرب وهم يفهمون ان الايمان تصديق فلا يغير الى الأعمال وحدها ولا اليها والى التصديق معا ولا اليها مع الاقرار ، قلنا جاء فى الحديث للاعمال ايضا كقوله ﷺ « الايمان نيف وستون جزءا أو مائة جزء ادناها اماطة الأذى ، وفى القرآن كقوله تعالى « وما كان الله ليضيع ايمانكم » أى صلاتكم إلا أن يقال المعنى لا يضيع تصديقكم واقراركم بمجرد النقل الى مقابلة الكعبة .

وقال الاشعرية ايضا : لو كان الايمان يطلق على العمل لم يجمعا فى قوله تعالى « آمنوا وعملوا الصالحات » ونحو ذلك قلنا : عطف خاص على عام ، أو خاص على خاص ، بأن

نفرض ان الايمان يطلق تارة على التصديق وحده ، وتارة على العمل فصح جمعهما وقالوا قال الله تعالى « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » فاثبته على العمل الباطل ولو كان الايمان كما قال المحدثون : مجموع التصديق والاقرار والعمل الصالح لم يجمع مع الباطل ، فهو التصديق وحده ، فيجاب بأنهم مؤمنون بمعنى موفين بالتصديق والاقرار والعمل قبل الاقتتال وكل ايجاب على مذهبنا ، وقالوا قال الله تعالى « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم » فانه لو كان العمل الصالح فى لفظ الايمان لم يذكر « ولم يلبسوا ايمانهم بظلم » ويجاب بان الايمان تارة يطلق على التصديق ، وتارة عليه وعلى غيره من العمل والاقرار ، وتارة على غيره ، وأما جعله بمعنى التصديق باللسان ، فهو مذهب الكرامية ، ويعترض عليهم بانه لو لم يوضع صدقت بمعنى بل أهمل أو وضع لمعنى غير التصديق ، لم يكن المتلفظ به مصدقا بحسب اللغة قطعا ، فالتصديق اما معنى هذه اللفظة ، واما نفس هذه اللفظة ، لدلالتها على معناها ، فاياما كان : وجب الجزم فعلم العقلاء من أهل اللغة ضرورة بالتصديق القلبى ، فكيف يقال لا يعلمون الا التصديق اللسانى .

وقال الله تعالى « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا » فذلك نفى التصديق مع اثبات الايمان اللسانى ، فعلم ان الايمان هو التصديق القلبى ، الجواب انه تارة يطلق على القلبى ، وتاره عليه مع الاقرار ، الجواب انه تارة يطلق على القلبى ، وتارة عليه مع الاقرار ، وتارة على العمل معهما ، أو مع أحدهما ، أو أحدهما ، أو وحده ، واذا اطلق اللفظى حكم بمطابقة القلب له ، إلا لدليل ، كما صرفه الدليل فى الاثنين على القلب .

واحتج الكرامية بان الرسول والصحابة والتابعين يقنعون بالكلمتين ، فعلمنا ان الإيمان بلا علم ولا عمل .

الجواب : انه لا نزاع فى أنه يسمى التصديق اللسانى ايمانا فى اللغة ، لدلالته على التصديق القلبى ، لأن الاصل مطابقة اللسان للقلب ، ولو علم اللغوى ان ذلك من لسانه فقط ، لم يقل آمن الا أن يقيده بقوله آمن بلسانه لا بقلبه ، أو نحو ذلك ، ولا نزاع فى ان الاحكام الشرعية مبنية على الظاهر ، ويوكل ما فى القلب الى الله ، وانما النزاع فيما بينه وبين الله ، أو هو ايمان أم ليس بايمان ، إلا ان واطأه القلب ، ويلزمهم تكفير من هم بالنطق بما فى قلبه من التصديق ، فمنعه خرس حدث ، أو مانع آخر ، مع أنه قد آمن باجماع ، ومن أصحابنا رحمهم الله من قال التصديق بالقلب من غير نطق يكفى المعتزلة ، واحتج على أن الإيمان عمل الفرائض باوجه « الأول » ان فعل الواجبات هو الدين لقوله تعالى بعد ذكر العبادة « وذلك دين القيمة » والدين « هو الاسلام » لقوله تعالى عز وجل « ان الدين عند

الله الاسلام » والاسلام هو الايمان،لأن الايمان لو كان غير الاسلام لم يقبل من مبتغيه لقوله تعالى « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » ولاستثناء المسلمين من المؤمنين فى قوله « فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين » فلفظ غير هو استثناء والمراد اهل البيت أى فما وجدنا ، واجيب فيها غير بيت من المؤمنين ، بان الاشارة الى الاخلاص المعلوم من مخلصين لا الى العبادة ، لأن ذا للمفرد المذكر لا للمؤنث والكثير ، وفيه انه كثيرا ما يطلق على الكثير ، بتأويل ما ذكر فلا يضرهم اخراجها عن وضعها ، لكثرة اخراجها « ومذهب المعتزلة طرف من مذهبنا لانانثبت الايمان بمعنى العمل تارة ، وبمعنى التصديق أخرى وبمعنى الاقر ار تارة ، ويجمعهن ، واجيب عن قول المعتزلة : إن الاسلام هو الايمان ، بأنه انما يثبت لو كان الايمان دينا غير الاسلام ، لأن الآية على أن كل دين مغاير للاسلام غير مقبول ، لا على ان كل شيء مغاير له غير مقبول ، فالاتحاد بين الاسلام والايمان انما يثبت بهذه الآية ، اذا ثبت كون الاسلام دينا ، وفيه مصادرة لان كون الايمان دينا أى عمل الجوارح الذى هو الاسلام ، فى قوة كونه دينا فاثبات الثانى بالأول يكون دورا من قبيل أخذ المطلوب فى اثباته ، والحاصل منع كونه دينا ، اذ هو فى قوة أول المسألة ، وهو كون الايمان عمل الجوارح .

واما قضية الاستثناء : فانها تدل على تصادق المسلم والمؤمن دون الاسلام والايمان ، ألا يرى : أن الضاحك يصدق على الباكى ، ولا تصادق بين الضحك والبكاء ، فضلا عن الاتحاد « الوجه الثانى » قوله تعالى « وما كان الله ليضيع إيمانكم » أى صلاتكم الى بيت المقدس ، واجيب بان المراد « ما كان الله ليضيع تصديقكم » بالصلاة اليه « الثالث » قاطع الطريق ليس مؤمنا لأنه يخزى « ربنا انك من تدخل النار فقد أخزتيه » والمؤمن لا يخزى لقوله تعالى « يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه » أجيب بأن الآية فى الصحابة لقوله معه و لا قاطع طريق فيهم وبجواز كون الذين آمنوا مبتدأ وخبره « نورهم يسعى بين أيديهم » ويعترض بأن العطف أقوى وأنسب بالمقام وانه لا مانع من شمولها غير الصحابة والمعية موافقة فى الايمان لا زمانية فقط ، نعم الاصل فى مع الاتفاق فى زمان « الرابع » نحو قوله ﷺ « لا يزنى الزانى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن » « لا ايمان لمن لا أمانه له » أجيب بأن ذلك مبالغة كانه غير مصدق والالزم نقل اللفظ عن معناه اللغوى ، ويعترض بان نقله ورد كثيرا ، ويدل على أن هذا مما نقل فيه حديث « الاعمال نيف وستون جزءا » الخ . وقال ﷺ لأبى ذر « وإن زنى وإن سرق » واجيب بقيد التوبة أو بأن الحديث قبل نزول الفرائض ، لكن هذا متوقف على معرفة وقت اسلامه اهو قبل نزولها « الخامس » أنه لو كان الايمان التصديق ، لم يكن المرء مؤمنا حين لا يكون التصديق ، كالنائم ، والغافل ، والمغمى عليه لمرض ، أو ضرب ، أجيب بأن المؤمن من آمن

فى الحال أو فى الماضى لأن الشرع يعطى الحكمى حكم الحق،وقد قيل الوصف حقيقة فى الحال ، وقيل فى الماضى ، وبان الايمان اذا ثبت أى التصديق لم يزل الا بنفيه ، ولا يزول بعدم استحضاره ، ويرد عليهم مثل ذلك فى الأعمال ، فان النائم والغافل ليسا فى الاعمال فلا يكونان مؤمنين ، وليس كذلك . « السادس » أنه من صدق بما جاء به النبى ﷺ ، وسجد للشمس ينبغى ان يكون مؤمنا والاجماع على خلافه ، قلنا سجوده لها عدم تصديقه ، حتى أنه لو سجد اكراها بقى ايمانه « السابع » قوله تعالى « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » لأن التصديق بما جاء به الرسول لا يجامع الشرك لأن التوحيد مما جاء به ، واجيب بأن الشرك أيضا مناف للايمان اجماعا ، وفعل الفرض لا ينافيه فلا يكون ايمانا ، ولأن الايمان المعدى بالباء هو التصديق ، والتصديق بالله لا ينافى الشرك ، اذ لعله بوجوده وصفاته ، لا بالتوحيد الذى هو من صفات السلب . وحاصله أن الايمان فى

وحاصله أن الايمان فى اللغة : هو التصديق مطلقا ،وفى الشرع : التصديق مقيدا بأمر مخصوص ،وهو جميع ما علم كونه من الدين ضرورة ، والمذكور فى الاية محمول على الإيمان على معناه اللغوى ، وعبارة الفخر : الايمان التصديق : وهو مجامع للشرك ، فالايمان الذى لا يجامع الشرك وجب أن يكون مغايرا للتصديق ، وأجاب بأن ذلك حجة عليكم ، لأن فعل الواجب يجامع الشرك ، والايمان لا يجامعه ، فدل أن فعل الواجبات ليس ايمانا ، واحتج من قال الايمان : فعل الواجب والنفل ، ومن قال مركب من التصديق والاقرار والعمل بنحو قوله ﷺ « الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاه قول لا إله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق » واجيب بأن المراد شعب الايمان قطعا ، لا نفى الايمان ، فان اماطة الاذى عن الطريق ليس داخلا فى اصل الايمان ، حتى يكون فاقده غير مؤمن بالاجماع ، فلابد من تقدير مضاف ، فالكاذب على الله : من قال ، أى : نحو من قال ، لأن الكاذب على الله ليس محصورا فيمن ذكره ، أو كانه قال ، فالكاذب على الله من قال مثلا ان الله انزل كتابا ، وهو لم ينزله ، أو بعث رسولا وهو لم يبعثه ، أو خلق فى موضع كذا جبلا وهو لم يخلقه ، أو فى موضع كذا بحرا أو عينا لم يخلقه ، أو خلق خلقا على صفة كذا وهو لم يخلقه ، وقيل من قال إن الله بعث نبيا وهو لم يبعثه شرك ، والصحيح ما ذكره المصنف ، ومثال المصنف يتم فيمن قيل بعث رسول الله ﷺ أو بعده ، وقبل نزول خاتم النبيين ، لأنه ﷺ ، لم يختم أحد قبله النبيين ، ولا بعده ، ولا معه .

واما الياس والخضر فجاريان على حكم القرآن وسنة النبى ﷺ وكذا عيسى اذا نزل ، واما عدم قبول الجزية عن أهل الكتاب والمجوس فمن شرع سيدنا محمد ﷺ اذا نزل عيسى ، لانقطاع شبهتهم ، ومن علم قبل زمانه من التوراة أنه خاتم النبيين ، وقال انه يبعث

معه أو بعده غيره ، أو ينزل فى زمانه كتاب غير القرآن أو بعده ، أشرك،والمكذب لله:من قال أى نحو من قال ، أو اراد أن المكذب لله من قال مثلا « ان الله لم يبعث نبيا وهو مبعوث ، أو انكر ما انزل الله من الكتب على انبيائه أو بعضها أو آية أو حرفا أو كلمة أو حركة أو سكونا ، على ما مر أو اراد أنه أنكر بعض ما أنزل الله ، كما قال لم يبعث نبيا ، ولم يقل لم يبعث انبياء ، ومن انكر من الأنبياء واحدا ، أو من الكتب حرفا ، أو حركة أو سكونا ، مما اتفق عليه ، أو كلمة أو آية ، أو أكثر من ذلك » قال جابر بن زيد عن ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ « من كفر بحرف فقد كفر بالقرآن اجمع » ومراد المصنف بالحرف أحد حروف ا.ب.ت.ث سواء لم يدل على معنى كقاف قل أو دل عليه كهمزة الاستفهام ، فهو شرك ، ومن أنكر ما لم يتفق عليه من الحروف أو الكلمات أو الحركة أو السكون لم يشرك ، وهو عاص منافق وقيل يشرك ، فى القراءة لواحد من السبعة ، اذا اتفق عليها انها من فلان عن نافع أو الكسائى ، أو نحوهما لاتفاق الأمة عليهما هو الصحيح ، كبُشْراً ونُشْراً بموحدة فى قراءة ، ونون فى أخرى ، وقوله تعالى « سارعوا وسارعوا » بعدم الواو قبل السين فى قراءة وبثبوتها فى أخرى ، والشاك فى شركه ليس بمشرك مالم يأخذ ، ان ذلك الانكار شرك ، فاذا أخذ لم يسعه إلا تشريكه ، ما خلا آدم ومحمدا ﷺ ، الاستثناء من الانبياء وان جعل من قدر مضافا أى ما خلا منكر آدم ومحمد لا يسع جهله أى انتفاء معرفتهما معرفة أنهما كانا أو معرفتهما انهما نبيان ، وان محمدا سيدنا ﷺ نبى ولا يجزى معرفته أنه نبى ، والشاك فى شرك منكرهما مشرك والشاك فى الشاك مشرك ، الى يوم القيامة ، ومن لم يعرفهما فهو مشرك ، ومن أنكر جملة الانبياء فهو مشرك ، ذكره مع دخوله فى قوله : ومن انكر واحدا من الانبياء للفرق بينهما فانه من أنكر جملة الانبياء بشرك الشاك فى شركه ، بشموله آدم ومحمد ﷺ وعليهما ، ومن أنكر واحدا لا يشرك الشاك فى شركه ، إلا أن أنكر محمدا ﷺ ، والشاك فى شركه مشرك والشاك فى الشاك مشرك ، الى يوم القيامة ، والصحيح أنه لا يشرك من جهل وجود آدم أو نبوته ، أو رسالته .

وزعم عيسى بن عمير واحمد الطرابلس:ان معرفة سيدنا محمد ﷺ ليست توحيدا ، وان انكاره ليس شركا ، وأخطأ قبحه الله جل وعلا ، حكم على منكره باحكام الشرك ، وجزية وسبى وغنم ، وقتل ، وكذا عنده انكار غيره من الانبياء والكتب وسمى منكر ذلك منافقا ، مراعاة لكون التوحيد الافراد ، فمن قال لا إله الا الله فقد وحده أى أفرده ولو انكر غيره .

وليس منا من قال « إن القرآن ليس بمخلوق ، وانه القديم وانه الكلام النفسى وان هذه الالفاظ الحروف المكتوبة المجزأة المفصلة كلمات وآيات وسور ، ونحو ذلك المتصفة

بالعربية ، والتلاوة والانزال والاحداث والجعل وسائر لوازم الحدوث ترجمة القرآن ، لا نفس القرآن كما أن لفظ الجلالة ترجمة عن الذات الواجب ، قلنا بل هو مخلوق .

والموجود فى القرآن والحديث وكلام الصحابة : أن القرآن هو تلك الالفاظ المكتوبة الحروف المفصلة المجزأة المتصفة بالتلاوة والانزال والاحداث والجعْل ، وسائر لوازم الحدوث ، وذلك نص وصريح ، ومن ادعى أنها ترجمة القرآن : فليأت بدليل ولا يجد دليلا .

والقديم : انما هو علم الله ، ما فى القرآن انه كان كذا وسيكون كذا ، والقول بقدم القرآن حدث بعد الصحابة والتابعين ، وأجمع الأمة على خلقه قبل ذلك ، وبخلقه قال المأمون من بنى العباسى .

وسببه فيما قيل كاتبه رجل يسمى أباد لعله ابن ابى دؤاد خطأه ابن ونان اذ قال فى قافية:

ومثل جرأة ابى داود لا ∴ تطمع بها أن كنت غير احمق

وأجمعت الأمة على تسمية هذه الالفاظ المكتوبة فى المصاحف قرآنا ، فمن ادعى بعد ذلك أن القرآن كلام نفسى ثابت لله ، وان هذه الالفاظ ترجمته احتاج الى دليل ، ولا دليل له من القرآن ، ولا من السنة ولا من الاجماع ، ولا من العقل ، ولو كانت هذه الالفاظ المكتوبة فى المصاحف ليست قرآنا ، بل ترجمة عن القرآن ، والكلام النفسى عند من اثبته قديم ، والقديم لا يقبل التغيير ، ولا نسلم ثبوت الكلام النفسى ، اذ لا مأمور ولا منهى فى الأزل .

وان قيل: كلام حادث بطل ، لأن القديم جل وعلا لا يقوم به حادث ، وان قيل أمر ونهى بلا لفظ لم يعد شيئا ، وان قيل : ذلك تكييف منه ، قلنا التكييف حادث لا يقوم بالقديم ، ولزم به أن يكون ظرفا ، وان تكون له جهات وابعاض ، ونسخ الترجمة نسخ للمترجم ، والمترجم قديم لا يقبل النسخ ، فالبحث راجع الى شيئين : ثبوت الكلام النفسى وهو غير حادث ، وكون المراد بالقرآن المترجم عنه الذى هو الكلام النفسى ، ولا دليل عليه ، واما الحلول فى الحادث وهو اللسان والتبعيض ، والوصف بالانزال ، والتنزيل والاحداث والمضى فى « واذ قال ربك » والاحكام ، فى « احكمت آياته » وكونه عربيا كالقرآن ، وعجميا كالتوراة ، ومسموعا « حتى يسمع كلام الله » ومعجز أو قوله ﷺ « يارب طه » « ويارب يس » . و« يارب القرآن العظيم » وكون القرآن شيئا وهو داخل فى نحو قوله تعالى « وخلق كل شىء » وكونه دالا على الله ، وكونه محكما ، أو متشابها ، فلا يكون شىء من ذلك حجة على قومنا لأن ذلك كله عائد الى الالفاظ ، وقومنا يسلمون ذلك ، وان ذلك فى الالفاظ مسلم عندهم ، ولا حجة عليهم فى ذلك ، نعم يكون حجة

على الحنابلة القائلين بقدم الالفاظ ، وإنما القرآن عندهم الكلام النفسى ، ولم يجدوا دليلا الى الآن على أن القرآن ترجمة للقرآن النفسى ، فهى دعوى باطلة ، وإنما الحجة عليهم : أنه لا دليل على أن القرآن كلام نفسى ، فبقى أنه الالفاظ فهو حادث .

وقد اتفقت الأمة على خلق القرآن حتى جاء ابو شاكر الديصانى يريد ادخال الشر والكفر والبدع فى الاسلام ، فاظهر العبادة ، وأكثر حضور مجالس العلم ، ورغبوا فيه واحبوه ، ثم انقطع عن المجلس مرة ، فسئل لم انقطعت عنا ؟ فجعل يبكى ويقول كيف يستقيم لى عيش وانتم تقولون فيما هو صفة قديمة لله تعالى وهو القرآن أنه مخلوق ، فكان يجلب الناس الى دعوى قدم القرآن ، فشاع قدمه ، وجلد المأمون ابا حنيفة على قوله بقدم القرآن ، وانت خبير ان ما ذكر من حلول القرآن فى الحادث من الالسنة والاوراق ونحو ذلك ، الى قوله : محكما أو متشابها كله واحد حجة على الحنابلة ، اذ قالوا بقدم الفاظ القرآن المنطوق بها المكتوبة ، وقال الحنابلة : كلام الله حروف واصوات قديمة قائمة بذاته ، وبالغوا فى ذلك ، حتى قال بعضهم جهلا : الجلد والغلاف قديمان ، وهو باطل ، فانه كل ما ينطق به من حرف فصاعدا أول وآخر، فهو حادث ، وكذا قالت الكرامية كالحنابلة ، الا أنهم قالوا : الفاظ حادثة ، لأنهم أجازوا قيام الحوادث به تعالى ، والحادث لا يقوم بقديم ، والا كان القديم حادثا مثله ، والعضد من المالكية ، والسيد السند اثبتا الكلام النفسى ، إلا أنهما عبرا بالزعم ، اذ قالا : لا ننكر على قول المعتزلة أن الألفاظ مخلوقة حادثة ، وانها غير قائمة بذاته ، ونسميه كلاما لفظيا ، لكنا نثبت امرا وراء ذلك ، وهو المعنى القائم بالنفس المترجم عنه بالالفاظ ، ونزعم أنه غير العبارات ، والمعنى القائم بالنفس هو الكلام حقيقة ، وهو قديم قائم بذاته ، ونزعم أنه غير العبارات ، اذ قد تختلف العبارات بالازمنه والامكنة والاقوام ، ولا يختلف ذلك المعنى النفسى ، اذ قد يدل عليه بالاشارة والكتابة كما يدل عليه بالعبارة .

والطلب الذى هو معنى قائم بالنفس واحد ، لا يتغير مع تغير العبارات ، ولا يختلف باختلاف الدلالات ، وما ليس متغيرا وهو المعنى النفسى مغاير للمتغير الذى هو العبارات ، ونزعم أن المعنى النفسى الذى هو خبر ، غير العلم ، اذ قد يخبر الرجل عما لا يعلمه ، بل يعلم خلافه أو يشك فيه ، وان المعنى النفسى : الذى هو الأمر غير الارادة ، لأنه قد يأمر الرجل بما لا يريده ، كالمختبر لعبده أيطيقه أم لا ، فان مقصوده مجرد الاختبار ، دون الاتيان ، بالمأمور به ، وكالمعتذر من ضرب عبده بعصيانه ، فانه قد يأمره وهو يرد أن الا يفعل المأمور به ليظهر عذره عند من يلومه بظهور عصيانه بحضرة اللائم ، ويعترض بأن الموجود فى

هاتين الصورتين صيغة الأمر لا حقيقته التى ادعوها انها كلام نفسى ، اذ لا طلب فيهما اصلا ، كما لا إرادة اصلا فيهما ،

وترتب على قولهم : إن المعنى النفسى المترجم عنه بصيغة الخبر والأمر صفة ثالثة مغايرة للعلم والارادة ، قائمة بالنفس ثم تزعم أنه قديم لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى اهـ . كلام العضد والسيد .

قلنا:يلزم من اثبات الكلام النفسى كونه تعالى مكيفا وظرفا ، وذلك يتصور فى الحادث ، فيقولون لنا فى مثل هذا تقييم الصفات ، فنقول لا بل نفينا عنه ما يشابه صفات الخلق من الحدوث والحلول ونحوهما ، ونقول فيما يرد علينا من قول من قد يقول فما شأنه فى ذلك « إنا آمنا به وبصفاته وعجزنا عما لا يدرى ، فانت خبير بتعبيرهما بالزعم ، وذلك ارتياب منهما لانهما محققان فى المعقول والمنقول ، قائلان بالحق اذا ظهر ، ولو خالفا أهل مذهبهما كما هو شأن السعد أيضا ، ثم انهما أوردا على أهل مذهبهما ما نصه ، ولو قالت المعتزلة : ان المعنى النفسى الذى يغاير العبارات فى الخبر والأمر : هو ارادة فعل يصير سببا لاعتقاد المخاطب علم المتكلم بما أخبره به أو يصير سببا لاعتقاد ارادة المتكلم لما أمر به ، لم يكن بعيدا ، لأن إرادة فعل كذلك موجود فى الخبر والامر ومغايره ، لما يدل عليها من الامور المتغيرة ، والمختلفة وليس يتجه عليه ان الرجل قد يخبر بما لا يعلم ، أو يامر بما لا يريد ، للارادة كما تدعيه الاشاعرة .

والموجود فى كلام المعتزلة ان مدلول العبارات فى الخبر : راجع الى العلم القائم بالمتكلم ، وفى الامر راجع الى إرادة المأمور به ، أى حب المامور به وفى النهى الى كراهه المنهى عنه ، فلا يثبت كلام نفسى مغاير لباقى الصفات ، وهذا حق : كما نقول معشر الأباضيه الوهبية ، واعتراضا ايضا على كلام الاشعرية بان الأمر والخبر فى الازل ، ولا مامور ولا سامع سفه وبأنه : لو كان كلامه قديما لاستوى نسبته الى جميع المتعلقات ، لانه حينئذ يكون كالعلم فى أن تعلقه بمتعلقاته يكون بذاته ، فكما ان علمه يتعلق بجميع ما يصح تعلقه به ، كذلك كلامه يتعلق بكل ما يصح تعلقه به ، ولما كان كالحسن والقبح بالشرع صح فى كل فعل أن يؤمر به وينهى عنه ، فكل فعل يكون مأمورا به منهيا عنه هذا فساد .

واجاب الاشعرية بان السفه المدعى انما يكون فى اللفظ لا فى الكلام النفسى ، الا ترى انك تطلب التعلم من ابن سيولد ويرد هذا الجواب ان ما يجده احدنا فى باطنه هو العزم على الطلب وتخيله وهو ممكن ، وليس نفسها ، واما نفس الطلب : فلا شك فى كونه سفها بل غير ممكن ، لان وجود الطلب بدون من يطلب منه شيء محال ، فلا يصح أن له كلاما

نفسيا هو طلب ، واجابوا عن قولنا : لو كان كلامه قديما لاستوى الخ ، بان الشيء القديم الصالح للامور المتعددة ، قد يتعلق ببعض من تلك الأمور دون بعض ، كالقدرة القديمة ، هى قابلة لكل جائز ، وبعض الجائزات واقع وهو ما تعلقت به الارادة دون بعض ، فلابد فى الكلام أيضا من مخصص ، ويعود الكلام اليه ، ويلزم التسلسل ، ويرد هذا الجواب ان تعلق الكلام ببعض دون بعض ، كتعلق الارادة لذاتها ببعض ما يصح تعلقها به دون بعض ، فلا تسلسل .

قال بعض: قومنا اللفظ الدال على الكلام النفسى ان كان عربيا فالقرآن ، أو عبريا فالتوراة ، أو سريانيا فالانجيل ، أو قبطيا فالزبور ، وكلامه تعالى متحد ، واختلفت العبارات عنه وانت خبير بانه لا يصح هذا ، بل التوراة والانجيل والزبور والقرآن كلام الله مخلوق ، لا عنوان عن كلامه ، وكان المأمون يقهر الناس على القول بخلق القرآن ، ويمتحن العلماء بان يقولوا بخلقه ، وكان هارون الرشيد يقول بقدم القرآن ، وكان الزاهد بشر المرسى يقول بخلق القرآن ، فكان هارون الرشيد يقول لذلك لو ظفرت به لأضربن عنقه .

ويقال إن عدد آيات القرآن ستة آلاف وستمائة وست وستون آية ، ويقال ألف ، منها أمر ، وألف منها نهى ، والف منها وعد ، والف منها وعيد ، والف منها قصص واخبار ، والف منها عبر وامثال ، وخمسمائة احكام ، ولا يظهر صحة ذلك ، ومائة تسبيح ودعاء ، وست وستون ناسخ ومنسوخ .

وعن ابن مسعود : آيات القرآن ستة آلاف ومائتان وثمان آيات ، وقيل عنه ثمان عشرة آية ، قال أبو الليث : والمختار: قول على الكوفيين ان عدد أى القرآن ست الآف ومائتان وست وثلاثون آية ، وقال ابن عباس ست الآف ومائتان وست عشرة آية ، وقال عن اسماعيل بن جعفر المدنى ست آلاف ومائتان وأربع عشرة آية ، وعن المكيين ست آلاف ومائتان واثنتا عشرة آية ، وقال عن البصريين ست الآف ومائتان وأربع آيات ، وقال عن أهل الشام ست الآف ومائتان وست وعشرون آية ، وقال عن ابراهيم التيمى ست آلاف ومائتان وخمسون وتسعون ، وقال بعض أهل الشام ست الآف ومائتان وخمسون آية ، وقال عن العامة ست آلاف وستمائة وست وستون آية ، وقال عبد الحميد الاعرج فى عدد الكلمات سبعون الفا وست آلاف واربعمائة وثلاثون كلمة ، وقال عن مجاهد سبع وسبعون ألفا ومائتان وخمسون كلمة ، وقال عن ابراهيم التيمى سبع وسبعون الفا واربعمائة وتسع وثلاثون كلمة ، وقال عن عطاء بن ياسر سبع وسبعون الفا واربعمائة وتسع وثلاثون كلمة وقال عن عبد العزيز بن عبد العزيز بن عبد الله تسع وسبعون الفا واربعمائه وست وثلاثون ، وقال فى

حروفه عن ابن مسعود ثلثمائة ألف واثنان وعشرون الفا وستمائة وسبعون حرفا ، بكل حرف عشر حسنات ، وقال عن ابن عباس ثلثمائة وثلاثة وعشرون الفا وستمائه واحدى وعشرون أو سبعون حرفا ، وقال عن مجاهد ثلاثمائة ألف وواحد وعشرون الفا وستمائة وواحد وعشرون حرفا ، وقال عن ابراهيم اليتمى ثلاثمائة الف وثلاثة وعشرون الفا وخمسة عشر حرفا ، وقال عن عبد العزيز بن عبد الله ثلاثمائة ألف وواحد وعشرون الفا ومائتان حرف ، قال وألفاته ثمانية واربعون ألفا وثمانمائة واثنان وسبعون الفا ، وباآته احد عشر الفا واربعمائة وثمان وعشرون باءً ، وتاآته عشرة الآف ومائة وتسع وتسعون تاء ، وثاآته عشرون الفا ومائتان وستة وسبعون ثاء قلت فيه نظر لأن المثناه أكثر من المثلثة ، وجيماته ثلاثة الآف وثلثمائة وأثنان وعشرون جيما ، وحاءآته ثلاثة الاف وسبعمائة وثلاثة وتسعون حاءً ، وخاآته الفان واربعمائة وستة عشر خاء ، ودالاته خمسة الآف وستمائة واثنان وسبعون دالا، وذالاته أربعة الآف وستمائة وسبعة وتسعون ذالا ، وراءاته أحد عشر الفا وتسعمائة وثلاثة وتسعون راء ، وعدد زاياته الف وخمسمائة وتسعون زايا ، وسيناته خمسة الآف وثمانمائة واحد وتسعون سينا ، وشيناته الفان ومائتان وثلاثة وخمسون شينا ، وصاداته ألفان وثلاثة عشر، وضاداته ألف وستمائة وسبعة عشر ضادا . وطاآته الف ومائتان واربعة وسبعون طاء ، وظاآته ثمانمائة واثنان واربعون ظاءً وعيناته تسعة الآف ومائتان وعشرون عينا ، وغيناته الفان ومائتان وثمانية عشر غينا ، وفاآته ثمانية آلاف وأربعمائه وتسع وتسعون فاءً ، وقافاته ستة آلاف وثمانمائة وثلاثة عشر قافا ، وكافاته تسعة الآف وخمسمائة كاف ، ولاماته ثلاثون الفا واربعمائة واثنان وثلاثون لاما ، وميماته ستة وعشرون الفا وخمسة وثلاثون ميما ، ونوناته ستة وعشرون الفا وخمسمائة وستون نونا ، وواواته خمسة وعشرون ألفا وخمسمائة وستة وثلاثون واواو ، هاءآته عشرة آلاف وسبعون هاء ، ولاماته ألفه أربعة آلاف وسبعمائه وعشرون لام ألف ، وياآته خمسةوعشرون ألفا وتسعمائه وتسعة عشر ياء ، وفى ذلك خلاف إلا ان بعض القراء اختاروا هذا اهـ .

قال السيوطى : اجمعوا على ستة ألاف آية . فقيل ومائتا آية . واربع آيات ، قيل واربع وعشرون ، قيل وتسع عشر ، وقيل وخمس وعشرون ، وقيل ست وثلاثون .

وكلمات القرآن سبع وسبعون الف كلمة وتسعمائه واربع وثلاثون كلمة ، وقيل اربعمائة وسبع وثلاثون ، وقيل مائتان وسبع وسبعون ، وسبب الاختلاف ان الكلمة : حقيقة ، ومجاز ورسم ، ولفظ . واعتبار ذلك جائز ، وقال الغزالى القرآن سبعة وسبعون ألف علم ومائة علم ، اذ كل كلمة علم فعددها سبع وسبعون ألف كلمة ومائتا كلمة ، وقال غيره

عدد كلمات القرآن سبع وتسعون ألف كلمة ومائتا كلمة ، وقال غيره عدد كلمات القرآن سبع وتسعون الف كلمة وتسعمائة واربع وثلاثون كلمة .

وذكر السيوطى:ان حروف القرآن : ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألف حرف ، وستمائة حرف ، وواحد وسبعون حرفا ، وقال الغزالى ثلثمائة وواحد وعشرون ألفا ومائتان وخمسون حرفا ، وقيل ثلثمائة ألف وستمائة وسبعون حرفا ، وقيل ثلثمائة ألف واربعمائة واربعة واربعون حرفا ، وفى بعض الكتب عدد الآيات فى المدنى ستة الآف ومائتان واربع عشرة آية ، وفى الكوفى ستة آلاف ومائتان وسبع وثلاثون آية وفى الشامى ستة الآف ومائتان وست وعشرون آية ، وهو سبعون الف كلمة ، وستمائة واربع وعشرون كلمة .

وعن عمر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ : القرآن ألف ألف وسبعة وعشرون ألف حرف ، ومن قراه صابرا محتسبا كان له بكل حرف زوجة من الحور العين ، وفى رواية حروفه ثلاثمائة الف وخمسة وعشرون الفا وثلاثمائة وخمسة واربعون حرفا ، وبين عشرين مائة ألف وثلثمائة ألف شىء لا يجوزه العقل والظاهر الرواية الثانية ، فان أقصر الكلمات حرف واحد كتاء الضمير ، وياء المخاطبة ، واطولها سبعة احرف كاستخراج واستدعاء ، واذا قسم ما ذكر فى الاخيرة من الكلمات صح لكل أربعة أحرف ونصف عشر ، وزيادة يسيرة واما على الرواية الأولى فانه لا يصح بوجه بعد ثبوت انحصار الكلمات فى العدد المذكور .

وفى التسهيل : عدد حروفه ثلاثمائة وثمانية وعشرون ألفا وستمائة وواحد وسبعون حرفا ، وعدد ألفاته على قراءة نافع ثمانية وأربعون الفا وسبعمائة واربعون الفا وواواته خمسة وعشرون الفا وخمسمائه وست واوات ، ثم إنه زعم بعض المالكية : انه لو كان القرآن مخلوقا لكان جسما أو جوهرا أو عرضا ، ولا رابع ، ولو كان جسما جوهرا لهلك كما يهلك سائر الاجسام ، والجواهر ، ولو كان عرضا لم يخل ان يكون فى محل لأن العرض لا يقوم بنفسه ، ولو كان فى محل لكان المحل قديما أو حادثا ولو كان فى محل قديم لا تصف القديم بالحادث ، ولو كان فى محل حادث لزم ان تكون الصفة فى محل ، ويتصف بها محل آخر .

الجواب : إن القرآن عرض حادث يتجدد كما يتجدد سائر الاعراض حال فى حادث ، كما ينطق أحد بكلام ينطق به غيره مرة بعد مرة ، وكما تنظم قصيدة ، ويؤلف كتاب ، ويقرأ فى سائر الازمنه ، كذلك خلق الله القرآن فصرنا نذكره مرة بعد أخرى كما نذكر الاشياء مرة بعد أخرى ، واما قوله لزم أن تكون الصفة فى محل ، ويتصف بها محل آخر ، فكلام باطل ليس متصلا بما فيه كلامنا ، قال ان رسول الله ﷺ قال « ان القرآن كلام الله ليس

بمخلوق » الجواب : ان هذا حديث موضوع ، قال ان رسول الله ﷺ قال « فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله عز وجل على خلقه »

الجواب : ان القرآن كلام الله مخلوق مفضل على سائر الكلام ، قال ان على بن ابى طالب قال ما حكمت كلام أحد بل حكمت كلام الله ، وكأنه نسب الى على ان القرآن خالق ، قال : روى عن ابن عباس رضى الله عنهما « أن القرآن غير مربوب وانما المربوب المخلوق »

الجواب : ان هذا موضوع عن ابن عباس : قال اجمعوا مثل ظهور المعتزلة إن القرآن غير مخلوق ، الجواب : انه قبل ظهورهم يصرح من يصرح بأنه مخلوق ، وسكت الباقون ، بلا انكار أو لم يصرحوا ، بأنه مخلوق ولا غير مخلوق ، حتى جاء الكلام من العلماء انه مخلوق ، وقالت الكرامية : القرآن قديم ، والفاظه حادثة قائمة بذاته ، واجازوا قيام الحادث بالقديم ، تعالى الله ، وليس منا من قال ان اسماء الله مخلوقة بل قديمة ، فانه تعالى أهل لمعانيها بلا أول وأهل لان يذكر بلفظ الجلالة ، ولفظ عزيز ولفظ مريد ، ولفظ قادر وعالم وحى ، ومتكلم وفرد ، وسميع ، وبصير ، وخالق ، وفعال ، ورزاق ، وغير ذلك ، من اسماء الصفات والافعال ، فإنها كلها له قبل ان يخلق من يتلفظ بها ، وذلك هو اسماء الله ، ولا يوجد أحد يقول معانى اسمائه مخلوقة ، فان معنى عالم الذات الواجب ، والعلم والذات قديم ، اجماعا ، وعلمه قديم اجماعا ممن يعتد به وصفته ذاته ، وهكذا إلا أن الذات فى صفات الفعل قديمة والفعل خلق من الله ، فالخالق الذات الواجب القديم ، والخلق فعله .

وقالت المعتزلة : كان بلا اسم ، وجعل الناس له اسماء ، وقال بعض كان بلا اسم ، وخلق لنفسه اسماء ، واوصى بها ، والمختار : أن اسماءه توقيفية ، وقال الكرامية والمعتزلة اذا دل الفعل على اتصافه تعالى بصفة وجودية أو سلبية جاز اطلاق اسم منها عليه ، وكذا فى الافعال ، وقال الباقلانى كل لفظ دل على معنى ثابت لله عز وجل وجاز له اسم منه ان لم يوهم مالا يليق بكبريائه ، ولذا منع بعضهم عارفا ، لأن المعرفة قد يراد بها علم يسبقة غفلة ، ولا يجوز لفظ فقيه ، لأن الفقه فهم غرض المتكلم من كلامه ، وذلك مشعر بتقدم الجهل ، ولا لفظ الفطن لأن الفطانة سرعة ادراك ما يراد تعريضه على السامع فتكون مسبوقة بالجهل ، ولا لفظ الطبيب لأن الطب علم يؤخذ من التجارب ، ولا يدفع ذلك الالهام من الاشعار بالتعظيم ، حتى يصح الاطلاق بلا توقيف والصحيح اشتراط التوقيف ، واجاز بعض اشتقاق الاسم له مما ورد من فعل أو مصدر كدحى ، وبنى ، بشرط الاضافة الى ماورد معه كبانى السماء ، وداحى الارض ، واجازوا الله نور السماوات والأرض ، لا نور ولا

نور الأنوار ، وما اطلاق الطبيب على الله فى قول الصديق وغيره لمن قال له : ألا ندعوا لك طبيبا « إن الطبيب قد رآنى » فقال « إنى فعال لما أريد » فانما هو على طريق المشاكلة ، ولا من قال ان اهل القبلة من يصلى الى الكعبة ، حتى الشيعة الذين لم يقولوا بألوهية على أو نبوته ، وليس مراده ما يشمل الصابئين فانهم يصلون الى الكعبة ، وليسوا فى الولاية اجماعا ، لأنهم لم يؤمنوا برسول الله ﷺ فى الولاية.« جميعا » حال من ضمير الاستقرار فى قوله فى الولاية ، ولو اراد أنه تأكيد لاهل كما أجاز بعضهم التأكيد به ، وأنه حال من أهل لكان الأولى ، أن يقدمه فى الولاية ، وانت خبير بضعف التاكيد بجميع ، وضعف الحال من اسم أن ، وهم الاشعرية وغيرهم من غير أهل الوعيد ، يتولون من ليس بمشرك ، ولو زانيا ، أو شارب خمر ، أو تارك صلاة لوجوب براءة الاشخاص ، اذا وجد فيهم ما هو موجب لبراءة الاشقياء عند الله ، والمنصوص عليهم بالسوء وهو الكبيرة ، واما حديث : من قال « لا إله إلا الله دخل الجنة ولو سرق » فمحمول على التوبة ، أو على ما قبل أن تفرض الفرائض ، ولقوله ﷺ « من أحب الله وابغض فى الله » الحديث وقوله ﷺ « أوثق عرى الاسلام الحب فى الله والبغض فى الله » وقوله تعالى « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » .

والكفر يشمل النفاق وقوله تعالى « لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان » وقوله ﷺ « لعن الله من أحدث فى الاسلام حدثا أو آوى محدثا » ونحو ذلك من الملاعين ، وقوله ﷺ « ليس منا من غشنا » ونحو ذلك من السيئات وقوله ﷺ « أنا برىء ممن تطير أو تكهن أو تكهن له » ولا من قال « إن أبا بكر وعمر أو أحدهما من الانبياء » لم يقل أحد بذلك بل قليل من الجهلاء يظنون أنهما من الأنبياء ، ولعل قوما قد قالوا بذلك وانقرضوا كما قال الشيخ قاسم الحربى الداعى لى ان أفسر القرآن ، فصنفت « هيميان الزاد » اشركه الله فى الثواب ، وكما روى ان بعض النفوسيين الذين يقرأون فى جربة ، وجد ورقة فيها ذكرهم ، وقد علم بها شيخه الشيخ سعيد الجربى البارونى ، قرأها أو قرئت عليه ، ونسى اسماءهم وطلبها من ذلك التلميذ ، فاخبره أنه أحرقها ، والمتجه ان يذكر ذلك القوم ، ويقول من قال ان عليا من الانبياء لأن قوما من الشيعة يقولون لعنهم الله ، إن عليا نبى ، غلط جبريل عنه الى رسول الله ﷺ ، وان اولاده انبياء ، والمشهور عنهم ان أولاده خلفاء ، ومن قال ان ابا بكر أو عمر أو عليا من الانبياء أشرك ، لقوله تعالى « خاتم النبيين » وليس معه خاتم فى عصره ، ولا يكون خاتم بعده .

وذكر الفلاتى عن بعض اصحابنا : أن من قال أبو بكر وعمر من الانبياء منافق ، وهو قول باطل ، ومع ذلك يناسبه قول المصنف « ليس منا من قال أبو بكر وعمر ، فانه كل ما

قال المصنف ليس منا ، وجدته قاله فى المنافق .

أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضى الله عنه عندنا وعند الاشعرية وقدماء المعتزلة . وقال الشيعة وأكثر متأخرى المعتزلة على ، وحجتنا انه الخليفة عن رسول الله ﷺ بعده تاليا ، وأنه قدمه للصلاة وهيأفضل العبادات ، اذن بلال رضى الله عنه فى مرضه ﷺ فقال لعبد الله بن زمعة قل لابى بكر يصلى ، فلم يجده ووجد عمر فقال ياعمر صل بالناس ، فلما كبر وكان صيتا سمع رسول الله ﷺ صوته ، فقال يأبى الله ورسوله والمسلمون الا أبا بكر ثلاثا ، وقوله تعالى « وسيجنبها الا تقى الذى » الآية اكثر المفسرين أنه فى الصديق ، واعتمده العلماء ، وقد وصفه الله بأنه « أتقى » وقال « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » فهو اكرم عند الله ، وقد يقال أتقاكم ليس فى واحد خاص من الأمة ، وقيل الأتقى فى الآية على ، ويعارض بقوله « ومالا حد عنده من نعمة تجزى » وعند على نعمة التربية ، اذ رباه النبى ﷺ فلم يبق الا الصديق ، وقوله ﷺ « اقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر وعمر وعلى »مأمور بالاقتداء بهما ، فهو دونهما وعمر دون الصديق ، ولا يؤمر الافضل والمساوى بالاقتداء ، ولا سيما عند الشيعه ، فانهم لا يجيزون إمامة المفضول ، وقوله ﷺ لأبى الدرداء « والله ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على رجل أفضل من أبى بكر » وقوله ﷺ فى أبى بكر وعمر « هما سيدا كهول اهل الجنة ، ما خلا النبيين والمرسلين » وقوله ﷺ لا ينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يتقدم عليه غيره ، وقوله ﷺ خير أمتى أبو بكر ثم عمر ، وقوله ﷺ لو كنت متخذا خليلا دون ربى لا تخذت ابا بكر خليلا ، ولكن هو شريك فى دينه وصاحبه الذى أوجبت له صحبتى فى الغار ، وخليفتى فى أمتى ، وقوله ﷺ اين مثل أبى بكر ؟ كذبنى الناس وصدقنى ، وآمن بى ، وزوجنى ابنته ، وواسانى بنفسه ، وجاهد معى ساعة الخوف ، وقول على « خير الناس بعد النبيين أبو بكر ثم عمر » وقول على إذ قيل من توصى بالقيام بعدك « ما أوصى رسول الله ﷺ حتى أوصى ، ولكن ان أراد الله بالناس خيرا أجمعهم على خيرهم ، كما أجمعهم بعد نبيهم على خيرهم » واحتج الشيعة بآية المباهلة « تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم » فإن انفسنا يشمل عليا ، فهو كالنبى ﷺ الا النبوة والرسالة ، فهو أولى من غير النبى ﷺ كلهم ، ويعترض بشموله « فاطمة والحسن والحسين وغيرهم » واحتجوا أيضا بأنه ﷺ أهدى اليه طائر فقال اللهم ائتنى باحب خلقك يا كل معى هذا الطائر ، فأتى على فاكله معه ، ويجاب بأنه لا يفيد فى كل شىء أو فى بعض الاشياء وحبه ثوابه فلا مانع أن يكون أكثر ثوابا فى شىء دون آخر ، فلا يدل على الأفضلية مطلقا ، واحتجوا بقوله ﷺ فى ذى الثدّية يقتله خير الخلق وقتله على ، ويجاب بأنه لم يصح ذلك ، وعلى صحته فعلى أفضل من عصر

خلافته لأنه أمام واجيب ايضا بانه لم يباشر قتله ، فيكون قاتله خيرا منه ، فدخل الضعف من هذا ، وبانه يعم النبى ﷺ ، وهو غير داخل اجماعا فى الحديث فيضعف من هذا ، واحتجوا بقوله ﷺ أخى ووزيرى وخير ما اتركه يقضى دينى وينجز وعدى على بن ابى طالب ، واجيب بأنه لا دلالة للاخوة والوزارة على الافضلية ، واما باقى الكلام فانه يدل على انه خير من يتركه قاضيا ومنجزا لوعده ، واحتجوا بقوله ﷺ لفاطمة رضى الله عنها « أما ترضين انى زوجتك من خير امتى» واجيب بأنه لا يلزم منه انه خير من كل وجه ، ولعل المراد خيرهم لها بالقرابة والشفقة ، ورعاية الموافقة ، وبأنه لا يلزم ان يراد بقوله من خير امتى الواحد ، لجواز أن يريد أنه جعل لها زوجا من جملة كلهم خيار ، كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، فجعله منهم زوجا لها ، كما يقال تزوج لبنته من بنى فلان ، واحتجوا بقوله ﷺ « خير من اتركه بعدى على » واجيب بجواز ان يكون خيرا فى قضاء العرب ، قالت عائشة رضى الله عنها : كنت عند النبى ﷺ ، فدخل على بن ابى طالب فقال هذا سيد العرب ، فقلت بابى انت وامى يارسول الله ألست سيد العرب ؟ فقال أنا سيد العالمين وعلى سيد العرب » وأجيب بأن السيادة الارتفاع لا الافضلية ، وان سلم لم يلزم أنه سيد فى كل شىء ، بل فى بعض ، واحتجوا بقوله ﷺ لفاطمة أن الله أطلع على أهل الأرض ، فاختار منهم اباك نبيا ، ثم اطلع منهم ثانية واختار منهم بعلك ، واجيب بأنه اختاره ان يكون بعلا لها وللجهاد ، واحتجوا بأنه ﷺ لما آخى بين الصحابة جعله أخا لنفسه ، اجيب باحتمال ان يتخذه أخا لزيادة شفقته عليه للقرابة ، وزيادة الالفة والخدمة ، واحتجوا بأنه ﷺ بعث ابا بكر لقتال خيبر ، فرجع ولم يفتح ثم عمر فرجع كذلك ، ولما أصبح الى الناس ومعه راية وقال لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار ، فتعرض له المهاجرون والانصار ، فقال اين على فقيل انه أرمد العين فتفل فى عينيه ، ثم دفع اليه الراية ، واجيب بان الافضلية ليست فى كل شىء بل فى بعض ، ككونه كرارا غير فرار ، واحتجوا بقوله تعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، نقل كثير من المفسرين ان صالح المؤمنين على ، والمولى الناصر ، ففى جعله ناصرا ، ثالثا بعد الله وجبريل تفضيل على غيره ، ويجاب بأنه لا يلزم أنه على ، وقد قال قوم انه الصديق أو عمر على ارادة الحقيقة ، أو مطلق الصالح ، كما قيل ان الاصل صالحوا المؤمنين بالواو ، واحتجوا بقوله ﷺ من اراد أن ينظر الى آدم فى عمله ، والى نوح فى تقواه، والى ابراهيم فى حلمه ، والى موسى فى هيئته ، والى عيسى فى عبادته ، فلينظر الى ابن ابى طالب فساواه بالأنبياء وهم أفضل من الصحابة اجماعا ، واجيب بأنه شبهه بكل نبى من هؤلاء فى خصلة لا فى كل خصلة ، والا لزم أنه أفضل منهم للمساواة والزيادة ، واحتجوا بأنه أعلم الصحابة ، لفرط

ذكائه وحرصه على التعليم والفهم ، وكونه فى حجره ﷺ صغيرا ، وصهره كبيرا يدخل عليه كل وقت ، واما ابو بكر فاتصل بخدمته كبيرا ، ويدخل عليه فى اليوم مرة أو مرتين وبأنه ﷺ أنه قال « أقضاكم على » والقضاء يحتاج الى جميع العلوم ، ولا يعارض بقوله ﷺ أفرضكم زيد ، واتراكم ابى ، لأن الخطاب لا يشمل عليا لهذا الحديث ولقوله ﷺ « أنا مدينة العلم وعلى بابها » وان سلمنا فتفضل فى علم الفرائض والقراءة ، واحتجوا بقوله « وتعيها أذن واعية » واكثر المفسرين أنه على .

فيجاب بعدم الاتفاق على التفسير أنه على ، واحتجوا بأنه نهى عمر عن رجم من ولدت لستة أشهر لقوله تعالى « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » مع قوله تعالى « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » لدلالة ذلك على ان أقل الحمل ستة أشهر ، ونهاه عن رجم الزانية اذ لا سبيل على حملها ، ولأنه ﷺ انتظر الزانية الحامل حتى وضعت ، وقال عمر فيها لولا على لهلك عمر ، وعن على لو كسرت لى الوسادة ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوارة بتوارتهم ، وبين أهل الانجيل بانجيلهم ، وبين أهل الزبور بزبورهم ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم ، والمقصود بيان علمه بما فى هذه الكتب ، وبيان الحكم بها كيف هو ، لا الحكم بغير القرآن ، وقال : والله ما من آية نزلت فى بر أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار الا وأعلم فيمن نزلت وفى أى شيء نزلت ومراده التعميم لا ظاهر اللفظ ، لأنه ﷺ لم يركب البحر .

واحتجوا بالهام الله له الفاظ التوحيد التى قررها للرجل الشامى تتضمن القضاء والقدر ولم يجر ذلك على لسان صحابى ، وجميع الفرق ينتسبون اليه فى الاصول الكلامية ، والفروع الفقهية ، وكذا الصوفية فى علم تصفية الباطل حتى أن خرقة الصوفية مأخوذة عنه ، لكل صوفى فى خرقة يستصحبها ، وابن عباس رئيس المفسرين تلميذه وكان فى الفقه ،والفصاحة فى الدرجة القصوى ، وعلم النحو انما ظهر منه لأبى الاسود وكذا علم الشجاعة وممارسة الأسلحة وكذا علم الفتوى والاخلاق أعلم بها من غيره ، واحتجوا بزهده المشهور عنه مع اتساع ابواب الدنيا عليه وترك التنعيم ، وتخشن فى المأكل والملبس ، وقال للدنيا « طلقتك ثلاثا » واحتجوا بكرمه اذ كان يؤثر على نفسه المساكين مع شدة حاجته ، حتى تصدق فى الصلاة بخاتمه وطوى ليالى صوم ثلاثا بتصدقه فطوره وسحوره على السائل .

واحتجوا بشجاعته وكفاحته للحروب ، ولقاء الابطال ، وقتل أكابر الجاهلية ، قال ﷺ يوم الأحزاب « لضربة على خير من عبادة الثقلين » .

واحتجوا بحسن خلقه حتى نسب للدعابة وذلك داخل فى قولة ﷺ « حسن الخلق من الايمان »

واحتجوا بمزيد قوته حتى قلع باب خيبر ، وقال ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية لكن بقوة الاهية .

واحتجوا بقربه الى النبى ﷺ نسبا وصهارة العباس رضى الله عنه عم النبى ﷺ لكن أخو عبد الله من الأب وابو طالب أخوه من الأب والأم .

واحتجوا باختصاصه بفاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين ، وبالحسن والحسين المروى فيهما أنهما سيدا شباب أهل الجنة ، وباولاد اولاده ممن اتفق الناس على فضلهم على العالمين ، حتى كان ابو زيد مع علو طبقته سقاء فى دار جعفر الصادق ، ومعروف الكرخى بواب دار على بن موسى الرضى ، لكن لم يدرك أبو زيد جعفرا ، بل تأخر عن معروف ولكنه يستفيض من روحانية جعفر ، واما معروف فانه كان صبيا نصرانيا اسلم على يد على بن موسى الرضى ، وكان يخدمه .

واجيب عن ذلك كله بأنه يدل على الفضلية ، لا على الافضلية ، لأن مرجع الافضلية الى كثرة الثواب والكرامة عند الله ، وذلك يعود إلى اكتساب الطاعات والاخلاص فيها ، وما يعود الى نصرة الاسلام ومآثرهم فى تقوية الدين ، ومن المعلوم أن الصديق اشتغل بالدعوة الى الله عز وجل ، واسلم على يده عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير ، وسعد ابن ابى وقاص ، وعثمان بن مظعون ، فتقوى بهم الاسلام وكان مداوما فى منازعة الكفار ، واعلاء دين الله فى حياة النبى ﷺ ، وبعد وفاته ، وكل الاجوبة فى الافضلية بطريق الظن ، والعلم عند الله ، لانها آحاد،بل كثرة الثواب ، قد لا يوجب القطع بالأفضلية ، وثبوت الامامة لا يفيد القطع بالافضلية .

والامامية منعوا إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، لأن ذلك قبيح عقلا ، ومثلوا بانه من الزم الشافعى حضور درس أحد الفقهاء ، والعمل بفتواه عد سفيها .

ومذهبنا جواز امامة المفضول ، وعليه الاكثر ، وانما يقبح رياسة المفضول فى المثال المذكور ونحوه ، لا فيما نحن بصدده اذ لعله اصلح للامامة من الفاضل ، اذ المعتبر فى كل أمر القيام به ، فقد يكون المفضول أقوم بها واعرف بشأنها من الفاضل .

وفصل قوم : فقالوا نصب الأفضل ان أثار فتنة لم يجب ، كما اذا كانت الرعايا لا ينقادون الى الفاضل بل للمفضول ، والا وجبت اقامة الافضل والله اعلم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

العلى العظيم ، ولا من قال ان امامين كبيرين عادلين امامة أكبر ، وفى نسخة سلطانين ، السلطان المتسلط يأخذ بلا حق ، ويعطى بلا حق ، شبه به الامام العادل على هذه النسخة ، واستعار له اسمه استعارة تصريحية تحقيقية اصلية ، والجامع القدرة على الانفاذ ، والملك يأخذ بحق ويعطى بلا حق ، والامام العدل يأخذ بحق ويعطى بحق ، ويسمى خليفة يجتمعان فى سيرة واحدة أى فى اجراء الأحكام الشرعية على رعية واحدة يطبقها امام واحد أو يعالجها ، واما لو فصلت أقوام لا تطاق ، فانه يصح اما زمان وأكثر كما كان فى امام عمان وامام تبهرت ، وليس الأمر كما قال بعض المشارقة : لا يجوز امامان فى الدنيا الا فى خصلة واحدة ، وهو أن يكون بينهما بحر ، وأيضا قد يكون بينهما بحر ، ويطيعهما امام واحد بالسفن ، فلا يكون امامان .

روى مسلم بسنده الى رسول الله ﷺ « اذا بويع الخليفتان فاقتلوا الاخير منهما » وروى البخارى ومسلم عن ابى هريرة « سمعت رسول الله ﷺ يقول كانت بنو اسرائيل تواسيهم الانبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وانه لا نبى بعدى وسيكون خلفاء يكثرون » قالوا فما تأمرنا ؟ قال وفوابيعة الأول فالأول ، فاعطوهم حقهم ، فان الله سائلهم عما استرعاهم .

وروى البيهقى فى حديث السقيفة : ان الانصار قالوا منا رجل ومنكم رجل ، قال عمر سيفان أيضا فى غمد واحد اذا لا يصطلحان ، وقال أبو بكر فى خطبته » إنه لا يحل للمسلمين اميران » واذا كان ذلك اختلف أمرهم واحكامهم وتفرقت جماعتهم ، وتنازعوا فيما بينهم ، هناك تترك السنة وتظهر البدعة ، وتعظم الفتنة وليس لأحد على ذلك صلاح .

وجاء عن رسول الله ﷺ وعمر رضى الله عنه وابى عبيدة وغيرهم انه اذا تعينت الامانة لأحد فأبى فاقتلوه ، وقال الجاودية من الزيدية الامامية شورى فى اولاد الحسن والحسين ، فكل فاطمى خرج بالسيف داعيا الى الحق ، وكان عالما شجاعا فهو امام ، فجوز ذا تعدد الأئمة فى صقع متضايق الاقطار ، وهو خلاف الاجماع المنعقد من السلف قبل ظهور خلافهم ، ولذلك جعلوا الدعوة طريقا الى ثبوت الامامة .

قال الفخر : اتفقت الأمة على أنه لا مقتضى لثبوتها إلا احد أمور ثلاثة : النص ، والاختبار ، والدعوة . وهى ان يباين الظلمة من هو من أهل الامامة ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويدعو الناس الى اتباعه ، ولا نزاع لأحد فى ان النص طريق الى امامة المنصوص عليه ، واما الطريقان الآخران فنفاهما الامامية .

واتفقت الاشاعرة والمعتزلة والخوارج والصالحية من الزيدية على ان الاختيار طريق اليها أيضا وهو مذهبنا ، وقال سائر الزيدية الدعوة أيضا طريق اليها ، ولم يوافقهم على ذلك إلا الجبائى ، ولا من قال كالصفرية اذ اوجبوا الهجرة الى معسكرهم على كل موحد ، مع أنه لا تجب الا مامة عندهم ، فكيف يهاجر إلى غير حصن وقد أفردت لهم تأليفا فى إبطال هذا وابطال تحليلهم الاموال والنفوس بالذنب .

ان الهجرة باقية وجوبا بعد فتح مكة أى تصير مكة دار اسلام بعد كونها دار شرك ، شبهها ببيت مقفل فى نفسه ، ورمز لها بلا زم البيت ، فهو فتح ، فالتشبيه مكنية وأثبات الفتح : تخييلية وذلك قول ، أن الفتح الذى هو قرينة التشبيه . استعارة تحقيقية اصلية تصريحية ، وقرينتها الاضافة الى مكة فانه بعد فتحها يجوز لكل من آمن فى موطنه البقاء فيه ، ولو كان اهل وطنه اهل شركة مادام يصل الى اقامة دينه ولو سرا ، أو القائلون بوجوب الهجرة من كل دار شرك اسلم فيها أحد ، بعد فتح مكة الازارقة والهشمية والنجدية والصفرية وبعض الاشاعرة ، ولا من قال ان علم الديانة اصلا وفرعا ، ما يجوز فيه الخلاف ومالا يجوز فرضا ، ونفلا وتحريما وكراهة ، يدرك بغير التعليم له هو مذهب المعتزلة ، اذ قالوا بالتحسين والتقبيح العقليين ، وقال به شاذ من اصحابنا ، ولا يتابع عليه متمسكا بقوله تعالى « فالهمها فجورها وتقواها » .

والجواب :ان المعنى ادخال الفجور والتقوى فى القلوب بواسطة السماع .

قالت الصوفية : يدرك العلم بغير التعلم ، اذا أكثر العبد الطاعة ، وأخلى ذهنه من شوائب الدنيا وعلائق الخلق بالاجتهاد والتصفية ، انطبعت فيه العلوم كالمرآة الصقيلة .

وفى الدليل والبرهان ما يدل على أنه غير بعيد ، ولا من قال أن جميع من يحل دمه يحل ماله .

وان الدم يحل بالذنب أو بالكبيرة قولان عندهم وهم الصفرية والنجدية والازارقة فمن فعل كبيرة أو ذنبا فهو مشرك حلال المال والنفس عندهم ، قبحهم الله .

وظاهر عموم المصنف رحمة الله ان يحل عند هؤلاء مال المرجوم فى الزنى تاب أو لم يتب ، ومال المقتول فى القصاص تاب أم لم يتب ، بل يحكر ولو لم يرجم ، أو يقتل بان هرب أو لم يقدروا عليهما وذلك بعيد جدا .

والحجة عليهم : ان الصحابة والتابعين اجمعوا على أنه لا يحل مال الموحد الباغى ، وان عمر رضى الله عنه رد مالا غنمه عامل من قوم وحدوا الله عز وجل ، وقاتلوا العامل ، ويرد

عليهم انه لم يغنموا ،.قال لعله مالا يوم الدار ، ولا يوم الجمل ، ولا يوم النهروان ، وأما قوله تعالى « وان اطعتموهم انكم لمشركون » فالمراد اطعتموهم فى استحلال الميتة ، واما ما اعتلوا به من السبى ، فانهم عرفوا ذلك من قبل أهل « دبا » قرية من قرى عمان ، بعث أبو بكر الصديق رضى الله عنه رجلا ليأخذ صدقة تلك القرية ، وكانت منهم منازعة ، فاقتتلوا ، فظهر عليهم المصدق فسباهم ، ووافق ذلك خلافة » عمر رضى الله عنه فسبه عمر ، فقال والذى نفس محمد بيده لو علمت انك سبيتهم بدين لجعلتك طوائف ، ورد ذلك عمر رضى الله عنه ، ومعنى طوائف أبعاض متفرقة .

روى البيهقى عن عبد الله بن عبد الرحمن عن البراء بن عازب : بعثنى على والمهاجرون والانصار الى الخوارج ، فدعوتهم ثلاثا قبل أن أقاتلهم ، وقال عن ابن عباس بعثنى على والمهاجرون والانصار الى الحرورية ، وقد اجتمعوا فى دار ، وهم نحو ستة آلاف ، فوقفت عليهم الى ان قال ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله ﷺ والمهاجرين والانصار ؟ قال الشارح محمد اطفيش : الحق فى هذه مع الخوارج ، وأما جواب ابن عباس بأن الله حكم فى الصيد وحكم فى المرأة مع زوجها فلا حجة له ، لان الله حكم فيها محكما كما حكم الله ، ومسألة الفئة الباغية قد بين الله حكمها ، وهو قتالها « حتى تفىء إلى أمر الله » فلا يبقى فيها تحكيم الا العدول عن الحق ، ومن أوقع التحكيم فيها فقد جاز . الثانية أنهم قالوا ، قاتل ولم يسب ولم يغنم فان كان الذين قاتلهم كفارا ، فلم لم يسبهم ، والا فلم قاتلهم ، قال الشارح هذا خطأ فاحش من الخوارج لعنهم الله فان الاموال لا تحل بالذنب مطلقا بل بالشرك ولزمهم لعنهم الله ان يسبوا عائشة ، ويسترقوها اذ حضرت القتال ، وجرى على يدها ، وكانت العمرة أيضا خروجها فى ذلك كبيرة ، ولكن غفرها الله لها ، ويمكن أن يقولوا لعنهم الله أنها لما غفر الله لها استثنيت من ذلك .

الثالثة : أن عليا محا اسم أمير المؤمنين عنه ، فهو ليس بامير ، وهو أمير الكفار ، قال الشارح لا يجوز ذلك لعلى ، ولو تابع فيه محو رسول الله ﷺ اسم رسول الله عام الحديبية ، اذ ليس للامام كل ما للنبى ﷺ ، قال ابن عباس فرجع من القوم الفان ، وقتل الباقون على الضلالة فاصحابنا الاباضية الوهبية لم يوافقوا الخوارج ، فى ان من حل دمه حل ماله ، فان قالوا ذلك وهم يسمعون ، فلابد أنهم خرجوا ، ومن بقى وقاتل وحيى أو قتل فانه لم يسمع ذلك منهم ، ولو سمع لخرج .

وروى ان عليا لم يقتل يوم الجمل حتى دعا الناس ثلاثا ودخل عليه الحسين والحسن ، وعبد الله بن جعفر ، فقالوا قد كثر فينا الجراح قال يا ابن اخى قد علمت ذلك ، فتوضأ

فصلى ركعتين ، ورفع يديه ودعا ، وقال ان ظهرتم على القوم فلا تطلبوا مدبرا ، ولا تجهزوا على جريح ولم يأخذ شيئا ولم يسلب .

وروى أن رجلا من العرب جاء الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه فقال انى سمعت رجلا يسبك ، فاقتله ، فقال ليس لنا مالرسول الله ﷺ ، وان الوليد بن عبد الملك أرسل الى عمر بن عبد العزيز ما تقول فيمن سب الخلفاء ، أيقتل فسكت فانتهرنى ، قلت أرى أن ينكل ، وان طعن فى الدين قتل ، وكتب عبد الرحمن بن الخطاب الى عمر بن عبد العزيز ، وكان على الكوفة فى عهد عمر بن عبد العزيز وجدت رجلا يسبك وقامت عليه البينة ، فهممت بقتله أو بقطع يده أو لسانه أو جلده ثم بدا لى ان أراجعك فكتب اليه عمر بن عبد العزيز « سلام عليك اما بعد : فوالذى نفسى بيده لو قتلته لقتلتك به ، ولو جلدته لاقدتك به ، فاذا جاء كتابى هذا فاخرج به الى المكان الذى سبنى فيه فسبه ، أو اعف عنه ، فان ذلك أحب الى فانه لا يحل قتل امرىء مسلم بسب احد من الناس ، ، إلا رجلا سب رسول الله ﷺ فمن سبه فقد حل دمه » .

وروى : أن الخوارج لعنهم الله مروا بعبد الله بن خباب فانطلقوا به قهرا ، ومروا على ثمرة سقطت من نخلة ، فالقاها أحدهم فى فيه ، فقالوا ثمرة معاهد لاتحل ، فقال عبد الله ألا أدلكم على ماهو أعظم حرمة ؟ قالوا نعم ، قال أنا ، فقتلوه ، فارسل اليهم علىّ اقيدونا به ، فقالوا كيف نقيدكم به ، وكلنا وكلكم قتلة قالوا نعم ، قال الله أكبر ، فمضى عليهم وقتلهم ، وقال والله لا تقتلوا منا عشرة ، ولا يفلت منكم عشرة لعنهم الله ، واصحابنا الاباضية الوهبية لا يرضون بقتل عبد الله بن خباب ، ولم يحضروا فى قتله ، ولا استحلال مال بذنب .

وزعموا ان من فعل معصية وبعضهم يقول من فعل كبيرة كان مشركا وحل دمه لقوله تعالى « وان اطعتموهم انكم لمشركون » أى اطعتموهم فى أكل الميتة عندهم ، وذلك خطأ والصواب ان المعنى أطعتموهم فى استحلالها ، ولزمهم نسبة الشرك الى الانبياء اذا نسب الله اليهم المعصية ، والى الصحابة وسائر أولياء الله عز وجل ، ولزمهم أنه عمر المسجد الحرام المشركون ، اذ لا يخلو عماره فى الاسلام من ذنب كبير أو صغير ، والى ان يرثوا المشركين ، ويرثهم المشركون ، ويتزوجوا منهم ويتزوج المشركون منهم ، وان يأكلوا ذبائح المشركين ، وأنهم يتدافنون فى مقبرة واحدة ، وقد قال ﷺ « كل مال يورث فحرام غنمه وكل مال يغنم فحرام ميراثه » وقد جعل الله كفرا شركا ، وكفرا غير شرك ، وقد قال الله عز وجل « ليعذب الله المنافقين والمنافقات » الآية وقال « إن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون

ذلك » قال رسول الله ﷺ فيهم « تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم يقرأون القرآن ، ولا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فتنظر فى النصل ، فلا ترى شيئا ، وتنظر فى القدح فلا ترى شيئا وتنظر فى القديدة فلا ترى شيئا وتمارى فى الفوق » والرمية والمرمية من الصيد ، والنصل الحديدة ، ومعنى لا ترى شيئا : لا ترى شيئا من الدم لسرعة الخروج ، والقدح عود السهم ، والقديدة الريشة من الطائر او النعامه تضم الى القدح ، والفوق هو الذى يتمكن منه الوتر ، تتمادى فى الفوق تشك هل فيه شيء من الدم ، وفى القاموس : الفوق موضع الوتر من السهم ، ولا من زعم أن الامامة الكبرى ليست بواجبة ، ولو كانت شروطها ، وهى أن يكون أهل الحق نصف عدوهم المتخوف منه أو أكثر ولهم ما يكفيهم من سلاح وكراع وعلم ، ومال .

واذا عقدت الامامة لمن هو لها أهل لم يجز له تركها ، ولو طلب لتركها وما كان من الصديق انما هو اتضاع ووعظ ، روى أنه بلغه ان اناسا كرهوا امامته ، فخطب وحمد الله وقال ان ناسا كرهوا امامتى فانى اقيلكم ان استقلتمونى ، فقال له على لا نقيلك ولا نستقيلك ، وهؤلاء الزاعمون وهم النكار والاسماعيلية والامامية وقوم المعتزلة إلا أن الاماميين قالوا يجب على الله نصب الامام ولا يجب علينا ، و قالوا وجب على الله ليحفظ قوانين الشرع عن الزيادة والنقصان ، والاسماعيلية قالوا وجب على الله لا علينا ليكون معرفا لله وصفاته ، لأنه لابد عندهم فى معرفته من معلم ، كما نقول لا تدرك بغير التعلم ، قلت تنال بالنظر فى خلقه ، وفى نفس الناظر ، وكما قالت الصفرية والنجدية والازارقة : لا يجب نصب الامام اصلا ، فبعض منهم قالوا يجب عند الامن ، لا عند الفتنة ، كهشام القوطى ، واتباعه .

وقال: قوم بالعكس كأبى بكر الأصم واتباعه .

قلنا : لاواجب على الله ، لأن كل موجود هو تحت حكمه وقهره ، وعندنا أن الامامة من الاصول ، لما صح عن عمر وغيره من الامر بقتل من تعين نصبه اماما فابى من قبولها ، الا أنها ليست مما يقدح تخلفه فى صفة الله ، فمعنى كونها من الاصول ، أنه لا يجوز الخلاف فيها ، ولا يجب اعتقاد وجوبها الا بعد الأخذ ، وزعمت الشيعة أنها من أصول الديانات والعقائد ، وقالت الاشعرية انها من الفروع المتعلقة بافعال المكلفين ، ونصب الامام عندهم واجب سمعا ، وكذا عندنا الا ان العقل يناسبه اذ لا تقام الحدود الا بها ، والامامة قيل هى رياسة عامة فى أمور الدين والدنيا لشخص ، وخرج بالعموم القاضى والرئيس وغيرهما ، وخرج بقولهم لشخص : الأمة اذا عزلوا الامام لفسقه ، فان الكل ليس شخصا واحدا ، وقد

لا يحتاج لهذا القيد لوجوب ان يخرجوا للامامة من يليق كانه لم يكن الاول ، وعورض الحد بالنبوة والرسالة ، والأولى : أن يقال هى خلافة الرسول فى اقامة الدين ، وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه على الأمة كافة ، وخرج بقولك بحيث يجب الخ . ومن ينصبه الامام فى ناحية كالقاضى ، وخرج المجتهد اذ لا يجب على الامة اتباعه ، بل يجب على من قدر ، ويخرج الامر بالمعروف والناهى عن المنكر .

والاشعرية يقولون بوجوب نصبه سماعا ، والمعتزلة والزيدية عقلا ، والجاحظ والكعبى وابو الحسن من المعتزلة عقلا وسمعا ، ويدل للوجوب السمعى وجهان : الأول أنه تواتر اجماع المسلمين فى الصدر الأول بعد وفاة النبى ﷺ على امتناع خلو الوقت عن خليفة ، يكون اماما ، حتى قال الصديق رضى الله عنه فى خطبته حين مات رسول الله ﷺ « ألا ان محمدا رسول الله ﷺ قد مات ولابد لهذا الدين من امام يقوم به فبادروا الى قبوله » ولم يقل احد لا حاجة الى ذلك وقدموا الى ذلك على اهم الاشياء ، وهو دفن رسول الله ﷺ ولم يزل الناس على ذلك فى الاقاليم الى وقتنا هذا عام خمسة عشر والف وثلثمائة ، وأهل عمان ينتحلون ذلك .

ومستند الاجماع ما وقع فى الصدر الأول بلا انكار أحد له ، والجرى على مقتضاه ، وقرائن الاحوال التى لا يمكن معرفتها إلا بالمشاهده والعيان لمن كان فى زمانه ﷺ كذا قيل . الوجه الثانى ، فى نصب الامام دفع ضرر مظنون ، ودفع الضرر المظنون واجب اجماعا ، لانا نعلم بالضرورة ان المناكحات والجهال ، والحدود والمقاصات ، والاعياد والجمعات ، ونحو ذلك منافع عائدة الى الخلق معادا ومعاشا ، واقامة لشعار الاسلام ، لا يتم إلا بامام ، وللوسائل حكم المقاصد ، ولولا الإمامة لتغابن الناس بالقتل والنهب والزنا ، وتعطلت معالم الدين والدنيا ، وربما كان كل واحد مشغولا بحفظ ماله ونفسه تحت قائم سيفه ، وذلك مضرة للدين والدنيا ، وعورض بان فى نصبه اضرارا لأن النفس تأنف عن ان يتولى عليها غيرها ، ولأن نصبه قد تستنكف عنه طائفة أو طوائف فيكون الضرر ، ولانه لا تجب عصمته فقد يكفر ويحمل الناس على الكفر ويكفرون او يقاتلون ، أو يقاتلهم بمن معه ، فيكون الضرر ، واجيب بان ضرر عدم نصبه أكثر وكثير من الناس ، ينقاد الى مثله ، فكيف الى من هو اعظم ، واذا كفر لم يترك على كفره فقتاله مأمور به شرعا ، واحتج القائل بعدم وجوب نصبه الأول ان توفر الناس على مصالحهم الدينية والدنيوية ، مما يحث عليه طبائعهم واديانهم ، فلا حاجة الى نصبه فيما يتحكم عليه ، الا ترى ان الخارجين عن احكام السلطان كأهل البادية ، قد انتظمت احوالهم بلا امام ، ويجاب بانها غير منتظمة وفيهم فتن عظيمة حتى أنهم كالذئاب الشاردة أو الاسود الضارية لا يبقى بعض على

بعض ، ولا يقيمون على فرض ولا على سنة ، ومتى اتفقوا فانما يتفقون على باطل ، ثم انه يتوزع الى بواطل فيختلفون أيضا « الثانى » ان الانتفاع بالإمام انما يكون بالوصول اليه ولا يخفى ان تعذر وصول أحد الرعية اليه فى كل ما يعن لهم من الامور الدنيوية والدينية ، فلا فائدة فى نصبه ، فلا يجب بل يجوز ويجاب بأن الانتفاع بالامام ، لا يكون بالوصول اليه فقط ، بل يكون أيضا بوصول احكامة وسياسته اليهم ، ونصبه من يرجعون اليه « الثالث » ان للامامة شروطا ، قلما توجد فى كل عصر ، فان أقامها فاقدوها لم ياتوا بالواجب ، والا فقد تركوا الواجب .

ويجاب بأن **ترك** نصبه لتعذر شروطه ليس تركا للواجب ، اذ لا وجوب حينئذ ، واحتج الامامية بان نصبه يجب على الله لا علينا لطفا بعباده ، ليتوصلوا الى طاعته .

الجواب : أنه لا واجب الا على عاجز والله قادر وغيره مقدور عليه ، وأيضا يحصل اللطف بالامام لزجره ، وانصافه للضعيف والقوى وانما لا **توجونه** على الله فى هذا الزمان بعد موت على ، فالذى توجبونه وهو الامام المعصوم المختفى فى زعمكم ، ليس بلطف لعدم ظهوره ، والذى هو لطف لا توجبونه عليه ، والا لزم كونه تعالى تاركا للواجب .

واحتج الخوارج الصفرية والازارقة والنجدية لعدم وجوبه ، بان نصبه يثير الفتنة لاختلاف الاهواء ، بعض يحب نصب ذا ، وبعض يحب نصب ذاك ، نعم إن وجدوا من يليق بها نصبوه بلا وجوب ، ان كانت الفتنة لا تثور .

الجواب : ان هذا نفسه أدل على الوجوب ، وأيضا فأهلها الأعلم ، وان تساويا فالاورع ، وان تساويا فالاسن ، وقد يقدم الاليق مع وجوب الاعلم ، فتندفع الفتنة بهذا التفصيل ، ومن أبى ففاتن ففئة باغية ، ولا تخلق الدنيا من انكار حق ، وقبول باطل ، والزجر عن ذلك .

وشروط الامامة : ان يكون مجتهدا فى الأصول والفروع ، ليقوم بأمر الدين والدنيا متمكنا من اقامة **الحجج** ، وازالة الشبه ، وتصحيح العقائد ذا رأى بالحروب والثغور والجيوش ، شجاعا ولو كان لا يباشر الحرب ليذب عن الدين والحوزة ، ولا يلين ولا يفشل ، ولا يهوله الحدود وضرب الرقاب ، وهذا مذهب الجمهور ، وقيل لا تجب هذه الشروط ، اذ لا تجتمع فيجب نصبه اذا وجد من يصلح به دفع المفاسد ، ولو دون ذلك بان يكون له علم يكفى ، أو معه عالم يقتدى به ، ولابد ان يكون عدلا ، لئلا يأخذ بلا عدل ، ويكون عاقلا بالفاجر ، الا صبيا او امرأة لضعف العبد ، والتهاون به ، وضعفه يملك السيد ، وقصور عقل الصبى والنساء ونقصانهن .

وقول الجمهور حق لكن يتنزل الناس الى هذا ان لم يجدوه ، وهذا كما تقول الائمة من قريش ، فان لم يوجدوا ووجد لا يصلح نصب من غيرهم ، وعلى هذاحملنا قوله ﷺ « الأئمة من قريش » فحمله بعض على ظاهره ، فلا يجوز من غيرهم ، وحملناه على ما اذا وجد لائق منهم فهو الامام ، ولا ينازع اما اذا لم يوجد فمن غيرهم ، كما قال عمر أو غيره « أمَّر سالم مولى أبى حذيفة ما ارتبت فيه » واما قوله ﷺ « ولو عبدا حبشيا فمبالغة أو يحمل على ما اذا لم يوجد سواه ، ثم انه يراد أنه عبد فى الأصل حرفى الحال ، وحمل بعضهم غير القريشى على الامارة على الجيوش والسرايا ، وبعض النواحى ، واجمعوا أنه لا يكون عبدا ، وشرط الشيعة ، ان يكون من بنى هاشم ، وشرط الامامية ، ان يكون عالما باصول الدين وفروعه بالفعل لا بالقوة ، وان يكون معصوما ، وشرطت الاسماعيلية أن يكون معصوما ، وزعم بعض أنه لابد من ظهور المعجزة ، على يده ، وهو غلو ، ورد هذه الاقوال خلافة أبى بكر وعمر وعثمان ، وليسوا من بنى هاشم ولا عالمين بالفروع والاصول كلها بالفعل بل لهم اجتهاد ، ومعونة من الصحابة كعلى ، ويردها خلافة على ، فان له اجتهادا اقوى وحفظا ، ولا معصوم فى هؤلاء الأربعة ، واحتج من اشترط العصمة ، بأن نصبه أما للتعليم ولو جاز جهله ، وعدم عصمته لم يفد تعليمه اليقين ، واما لجواز الخطأ على غيره .

ويجاب بان الحاجة اليه لدفع الضرر ، والمسلمون له اعوان فى القضاء والفتوى ، وتثبت الامامة بالنص من ورسول الله ﷺ ، ومن الامام السابق اجماعا وقد قالوا لعمر رضى الله عنه حين احتضر « انصب اماما بعدك » فقال « لا اتحمل الامامة حيا وميتا » فبان انه لو عينه لتعين ، وتثبت ايضا بأهل الحل والعقد ، ولو كانوا غير مجتهدين خلافا ، لأكثر الشيعة فانهم قالوا لا طريق لها الا النص ، ويرد عليهم ثبوت خلافة الصديق بالبيعة ، والائمة بعده ، واحتج الشيعة بوجوه ، الاول : ان الامامه نيابة عن رسول الله فلا تثبت بأهل البيعة ، وإلا كان خليفة عنهم لا عن الله ورسوله ،

ويجاب بان اختيار اهل البيعة دليل على نصب الله ورسوله للامام ، وحكمهما به كسائر انفاذ الاحكام ، فالبيعة مظهرة له تثبته ولإن سلمنا أنها مثبتة لنقولن الله«اجاز ذلك الاثبات ، وخاطبنا به ، ولو خالف ما عند الله من ان الامام غيره او ما فعلوه فهو الحق عنده وهو الخالق لذلك كله » كما اختلفوا فى الاجتهاد ، قيل اذا اجتهد العالم ، فما قال هو الحق عنده وهو عالم به ، وخالق له ، وقد يخالف ويجزى مع ذلك « الثانى » أنه لا تصرف لأهل البيعة على غيرهم ، فكيف يملكون شخصا على غيرهم ،

ويجاب بأن بيعتهم امارة من الله ورسوله ، ويجعل الشارع الشاهد ، والحاكم يجب اتباعهما دليلا على حكم الله ، مع انه لا تصرف لهما فى المدعى عليه ، وما فيه الدعوى « الثالث » ان القضاء لا ينعقد بالبيعة ، فكيف الامامة العظمى ، ويجاب بان القضاء ثبت بما دون البيعة ، وهو اقامة الامام له ، وابا مكان الرجوع فيه الى الامام ، وإن لم يكن امام فلابد من البيعة للقاضى عند بعض ، وعند آخرين اقامة الجماعة ، أو ذى امارة له تغنى « الرابع » انه ربما تبايع اقوام فى بلد ، أو بلاد على أئمة ، فتثور الفتنة « الخامس » ان العصمة والعلم بجميع مسائل الدين وعدم الكفر شرط ، ولايعلمها أهل البيعة ، ويجاب عن الرابع والخامس ، بان البيعة امارة على حكم الله ، بامامة المبايع ولا يشترط فيها الاجماع ، بل تصح ولو بواحد كعقد عمر للصديق ، وعبد الرحمن بن عوف لعثمان .

ولا يشترط عمل جميع الاصول والفروع ، فان النبى ﷺ لا يدرى شيئا فيوحى الله به أو يجتهد ، والائمة لا يدرون بعض الاشياء فيسألون ويجتهدون ، وتعقد الامامة حيث لا يدعى مدعى أنه عقد عليه سرا ، فيتقدم عليه من عقد له جهرا ومن عقدت له الامامة بعدما صحت لغيره شرعا ، قتل ان أبى وفئته باغية وللأمة عزل الامام لموجب ، مثل ان يوجد منه ما يخل باحوال المسلمين ، وان ادى خلعه الى الفتنة احتمل أدنى المضرتين .

فصل : انعقد الاجماع على ان الامام أحد الثلاثة : ابو بكر ، وعلى ، والعباس ، ثم أنهما لم ينازعا ابا بكر ، ولو كان على غير حق لنازعاه ، كما نازع على معاوية ، وعدم المنازعة على الحق فى مثل هذا كبيرة مخل بالعصمة ، وانتم توجبون العصمة للامام أيتها الشيعة ، لا يقال لا يمكن النزاع ، لانا نقول على فى غاية الشجاعة والتصلب فى اموره الدينية ، وفاطمة مع علو منصبها ، والحسن والحسين مع كونهما سبطى رسول الله ﷺ وولداه ، والعباس مع علو منصبة معه وهو عمه ، وروى أنه قال لعلى « امدد يدك ابايعك » حتى يقول الناس بايع عم رسول الله ﷺ ابن اخيه ، فلا يختلف فيك اثنان » والزبير مع شجاعته كان معه وسل سيفه ، وقال لا أرضى بخلافة أبى بكر فقالوا منا امير ، ومنكم امير ، فدفعهم ابو بكر رضى الله عنه بان الائمة من قريش ، وأنه لا امامين فى سيرة واحدة ، ولو كان على امامة علّى نص جلى ، كما ادعته الشيعة لاظهره على وابو بكر عند الشيعة شيخ ضعيف جبان ، لا مال ولا رجال ، ولا شوكة وكذبوا ، لعنهم الله فان ابا بكر غير ضعيف ولا جبان ، وله شوكة ولو صاح فى قومه لأتوه صلت السيوف ، وقد شاهدوا حروبا ، ووفى رسول الله ﷺ فى الحرب ، ومن قريش فى مكة ، وله مال عظيم أفنى بعضه لرسول الله ﷺ ، وبقى ما بقى ، وقال الناس كلهم لا نقاتل بعد رسول الله ﷺ ، وقال « والله لاقاتلن ولو وحدى » فخرج وأهل البدو يضربون اليه السهام .

واحتجت الشيعة لإمامة علىّ قبل الصديق باوجه « الأول » ان الامام معصوم وان ابا بكر غير معصوم اجماعا وكذا العباس فثبتت الامامة لعلى ، ويجاب بان شرط العصمة للامام غير صحيح « الثانى » ان ابا بكر بويع والامامة ليست بالمبايعة ، ويجاب بان المبايعة من طرق الامامة كما مر دليله « الثالث » ان عليا أفضل الخلق بعد الانبياء ولا يجوز امامة الفضول ويجاب بجوازها لأن الامامة لاقامة الحق فمن أقامها أجزى كسائر فروض الكفاية كالامر والنهى والقضاء والتعليم ، وقد قدم رسول الله ﷺ الى أهل اليمن وقد كان من هو أفضل ، وبما روى من طرق متعددة ان رسول الله ﷺ قال « أفضل الخلق بعد الانبياء ابو بكر » « والرابع » ان الصديق رضى الله عنه ليس عندهم اماما للأمر الأول انه عندهم لعنهم الله ظالم ، وقد قال الله عز وجل « لا ينال عهدى الظالمين » لأنه كان مشركا قبل الاسلام وعليا اسلم طفلا اى اذعن للاسلام طفلا وقبل ذلك ليس مشركا لأن الطفل لا يكون مشركا ، وأيضا منع الصديق ميراث العباس وفاطمة من فدك قرية بخيبر كانت للنبى ﷺ ، وذلك ظلم وهى معصومة « ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » وهى بضعة منه ﷺ فهى معصومة مثله والعباس ذهب رجسه فى نص أهل البيت فلا يخطئان فى طلبهما الارث ، ويجاب بان ظلم الصديق بالشرك مغفور بالاسلام وأما الميراث فلا ظلم فيه لقوله ﷺ « نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة » وزعم الشيعة ان صدقة منصوبا حال من هاء تركناه أو مفعول ثان ، أو حال من ما ، بدل من الضمير نورث بزيادة منى فيفهم منه ان ما تركه على انه صدقة منه لا يورث وما تركه ، غير صدقة منه يورث ، وذلك تحريف عن الرفع المروى الى النصب ولا يخفى ان كل من ترك صدقة يتصدق بها بعده لا تورث ان وسعها الثلث ولا يختص ﷺ بذلك ، ولا الانبياء وعلى الرفع ، قالوا لابد من بيان ترجيح هذا الحديث ، وهو من الآحاد على آية الارث قلنا لا يلزم ذلك هو حاكم بما سمعه هو وغيره من رسول الله ﷺ ، ولا دليل على ما يخالف ذلك اذ اشهد به الامناء ، وقد قال ﷺ « اقتدوا بالخليفتين من بعدى أبى بكر وعمر » واذهاب الرجس عن أهل البيت فى معنى العصمة وهو لا يختص بفاطمة ، بل يتناول ازواجه ، واقرباءه ، إلا أنه لا يلزم من قوله ﷺ « فاطمة بضعة منى » ان تستوى عصمتها مع عصمته وان قيل ادعت فاطمة أنه ﷺ اعطاها « فدكا » وشهد على والحسن والحسين وام كلثوم ولم ينفذ لها الصديق ، قلنا لا يصح عنها هذا لانها طلبت ارثها من فدك ، وغيره وان صح عنها فلا شهادة للحسن والحسين لصغرهما ، فمالها الارجل أو امرأة وايضا قد قال من قال شهادة أحد الزوجين للآخر لا تقبل ومذهب الجمهور ، أنه لا يجوز الحكم بشاهد ويمين (الثانى) أنه ﷺ ، لم يجعله والياء على شيء أو بعث عليا ، على موسم الحج ليقرأ من أول سورة براءة ، ثم قال لا

يبلغ عنى الا رجل منى فبعث عليا وذلك ، هو فيما هو حل أو عقد ، ويجاب بان أمره على الموسم تولية له وامره على الحج ايضا سنة تسع ، وامره بالصلاة بالناس ، فى مرض موته ، وقولهم عزله عن الصلاة كذب منهم لعنهم الله ، واتباع على انما هو لان العرب عادتهم ان يتولى أخذ العهد أو يبذل الرجل واحدا من بنى عمه ، قال ابن عباس رضى الله عنهما ، لم يصل رسول الله ﷺ خلف احد إلا خلف الصديق وخلف عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما ركعة واحدة فى السفر ، اذ غاب عن المحل فصلى عبد الرحمن اماما ، فلحق ﷺ الاخيرة ، ولما ثقل النبى ﷺ عن الخروج أمر ابا بكر أن يقوم مقامه ، فكان يصلى بالناس ، وقال « مروا ابا بكر فليصل بالناس ، فصلى خلفه » وفى البخارى عن انس كان ابو بكر يصلى بهم فى مرض موته ﷺ ، حتى اذا كان يوم الاثنين وهم صفوف فى الصلاة رفع ستر الحجرة ينظر الينا ، وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ، ثم تبسم يضحك فكدنا نطير من الفرح فنكص أبو بكر على عقبيه وظن ان النبى ﷺ خارج الى الصلاة فأشار الينا ان اتموا صلاتكم وأرخى الستر ومات فى يومه .

وروى البخارى عن عروة عن عائشة أنه وجد خفة فى نفسه ، فخرج وأبو بكر يصلى فكان ابو بكر يصلى بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم ، والناس بصلاة ابى بكر وهذا فى وقت آخر « الثالث ».أنه قطع شمال السارق واحرق« فجأة المازنى »وهو يقول انا مسلم ، وسألته جدة كم ميراثها فلم يدر حتى سأل الصحابة فاخبروه أنه السدس ، ويجاب بان قطع الشمال خطأ من الجلاد أو رواه فى المرة الثالثة من السرقة ، واطرق فجأة لكونه زنديقا ، ولا تقبل توبته تحت السيف على الصحيح عند قومنا ، انما تقبل فى سعة لاكسائر المشركين تقبل ولو تحت السيف ولا يلزم معرفة الاحكام بالمرة بل يجتهد ، اذا اشكل وسأل عن الحديث « الرابع » ان عمر قال فى الحطيئة الشاعر ، أنه خير من أبى بكر حين شفع عبد الرحمن بن ابى بكر فى قتل الحطيئة ، ويجاب بأن هذا كذب وقالوا استحق خالد القتل ، اذ قتل مالك بن نويرة طمعا فى زوجه ، فتزوجها بلا عدة ومالك مسلم ، وانكر عمر على أبى بكر فى عدم قتل ابى بكر له قصاصا لمالك ، لتزوجه بلا عدة ، وقال لا أغمد سيفا سله الله على المشركين وقال عمر لئن وليت الامر لاقتلنك يا خالد بمالك .

ويجاب بان ذلك لم يتحقق ، وفيه اختلاط وخفاء وعلى وقوعه ، فانما قتل مالكا لردته ، اذ رد الزكاة المجموعة من قومه اليهم ، وقال لخالد مات صاحبك فكانه قال ليس صاحبا لى ، ولم يتزوج زوجه الا لكونه قد فارقها ، وتمت عدتها عنده بشهور أو تزوجها بالتأويل ، واخطأ فدفع عنه القتل للشبهة ، ثم أنه قال ولى عمر وخالد حى ، ولم يقتله ثم إن عمر قال

«كل ما انتقمت على خالد فقد تركته»بأنه لم يصح عليه شيء ، قالوا قال عمر ان بيعة ابى بكر كانت فلتة ، وقى الله شرها ، فمن عاد الى مثلها ، فاقتلوه .

يجاب بأنه لم يصح هذا وان صح فمعناه أنها وقعت بلا مشورة واتفاق سابق عليها ، فلا يعاد الى مثل ذلك ، وقد وقى الله شرها ثم انه كانت امامته بعهد ابى بكر اليه ، فالقدح فى امامة ابى بكر قدح فى اقامته هو ، كيف يتصور ذلك منه ، ثم انه كل ما يعترض به فى امامته منتقض بالاجماع عليها . « الخامس » النص على امامة على اما اجمالا فقالوا نحن نعلم ، وجود نص جلى ، وان لم يبلغنا بعينه لوجهين : « الاول » وكيف يترك الامامة كلها بدون استخلاف مع شفقته عليها ، وتعليمه اياهم فاستخلافه على المدينة استخلافة على الامة بعده ، فيجاب بانه علم ان الصحابة يقومون بالتعليم والاستخلاف ، كما خلفهم الى رأى المجتهدين ، ثم ان عدم النص الجلى على علىّ معلوم قطعا ، ولو وجد لتواتر ، ولم يستر لشدة الحاجة اليه ، ولو وجد لمنع به غيره ، كما منع الصديق الانصار بقوله الائمة من قريش ، وان لا امامين فى سيرة ، وهم لا يعصون خبر الواحد ، يسعهم دنياهم من وطن ، ومال وقرابة بالدين ، ثم لم لا يصرح به أحد مع طول الزمان ، ثم لم لا يصرح به على ، ولو كانت له لشدة الحاجة ، وان قيل قد صرح ، ولم ينقل عنه فكذب ، واما تفصيلا فالكتاب والسنة اما الكتاب فمن وجهين : الأول قوله تعالى « واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » وعلى من أولى الارحام .

ويجاب بان الاولوية:أما من جهة الخلافة او الميراث أو الشفقة أو غير ذلك فهى محتملة لا عامة ، لان العام يتناول جميع جزءياته ، لا احدها فقط فهى مطلقة ، ولا يخفى ان ليس المراد أولى من كل الوجوه « الثانى » . قوله تعالى « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » والولى إما المتصرف كولى الصبى والمرأة ، وإما المحب والناصر . والناصر غير مراد لأن النصر واجب على كل مؤمن كما قال الله تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولى ببعض » فالولى المتصرف فهو الإمام فهو علىّ ، لانه الذى اعطى خاتمه حال الركوع لسائل » ويجاب بان الولى الناصر ، وعلىّ ناصر لا امام والا لزم انه امام متصرف فى حياة رسول الله ﷺ ، وايضا يعتبر من اللفظ عمومه ، لا خصوص سببه ، فلا يضرنا أنها نزلت فى علىّ فشملت غير علىّ ، مع ان الاجماع على انها نزلت فى شان على غير مسلم ، فهى نزلت فى المؤمنين ، الذين يؤدون الزكاة ويصلون الخمس ، ولا زكاة فى مال على لعدم تمام النصاب فضلا ، عن ان يكون الخاتم مقدارها أو بعضها ، وايضا « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » هم الذين يقيمون الصلاة

ويؤتون الزكاة ، وايضا لم يعهد تكرار الجموع لواحد ، وايضا ما قبل الآية وما بعدها فى النصر ، لا فى الخلافة ، والتصرف واما السنة فانه ﷺ لما بلغ فى « غدير خمّ » موضع فى الجحفة حين رجع من حجة الوداع ، امر بجمع رحالهم فصعد عليها ، وقال:الست اولى بكم من انفسكم ، قالوا بلى ، قال فمن كنت مولاه ، فعلى مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » والمراد بالمولى الأولى .

ويجاب:بان الحديث غير ثابت ، ودعوى تواتره مكابرة ، وقد طعن فيه أبو داود السجستانى وأبو حاتم الرازى ، وغيرهما من ائمة الحديث ، ولم يذكر البخارى ومسلم واضرابهما وايضا المولى بمعنى الناصر بدليل آخر الحديث المذكور ، وايضا لم يعرف فى العربية مفعل بمعنى أفعل ، فلا يقابله أول الحديث المذكور فيه لفظ أولى فيحمل على آخره ، وايضا لو صح ان المولى بمعنى الاولى ، فلعل المعنى أولى بأمر من الأمور كقوله تعالى « ان اولى الناس بابراهيم » وقولك « نحن اولى بسلطاننا » « وأولى باستاذنا » وليس المراد التصرف ، وايضا يصح الاستفسار فى أى شيء هو أولى ، والتقسيم هو أولى ، اما فى كذا أو اما فى كذا كالنصرة وتدبير المال ، أو التصرف وأما ما قيل ان عليا فى قصة « غدير خم » كان فى اليمن حاضرا لعله غير حاضر فلا حجة لنا فيه ؟ لجواز كلامه ﷺ فى حقه وهو غائب « الثانى » من وجوه السنة قوله ﷺ حين خرج الى تبوك واستخلفه على المدينة انت منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى ، فلم يستثن الا النبوة فهو الخليفة كما انه لو عاش هارون بعد موسى لكان خليفة ، ولما عاش على بعد رسول الله ﷺ كان الخليفة عملا بالدليل ما أمكن ، اذ لم تكن الشركة فى الرسالة كما لهارون ، ويجاب بعدم صحة الحديث على ما قال الآمدى ، الا انه صح عند المحدثين وهو آحاد فيجاب بانه خليفة عند غيبته ﷺ عن المدينة ، كما ان هارون خليفة حين غاب موسى عليه السلام الى الطور ، ولا يلزم الدوام ، فان قوله لخلفنى فى قومى لا عموم دوام له ، وايضا فرق بين هارون أخى نسب ونبوءة ويستقبل بالنبوة بعد موسى عليه السلام لو عاش ، ولا منفر فى عزله من الخلافة ، لانتقاله الى ما هو اعلى منها ، وهو الاستقلال بالنبوة ، فمعنى كون على من رسول الله ﷺ بمكان انه أحب اليه وله منزلة عظيمة . « الثالث » من وجوه السنة قوله ﷺ « سلموا على علىّ بإمرة المؤمنين » بهمزة قطع مكسورة قبل المؤمنين ، أى بامارته عليهم وقوله ﷺ « انت اخى ووصى وخليفتى من بعدى وقاضى دينى بكسر الدال » وقوله ﷺ « انه سيد المسلمين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين » ويجاب بان هذه احاديث موضوعة ودل على وضعها وجوه « احدها » اجماع الأمة على خلافة أبى بكر ، والاجماع حجة ، « والثانى » قوله تعالى « وعد الله الذين آمنوا منكم » الآية . فهم

الخلفاء الأربعة والا لم تصدق الآية تعالى الله « والثالث » قوله تعالى « قل للمخلفين » الآية . ليس على الداعى والقوم بنو حنيفة ، ولم يدعهم سوى الصديق ، ولا يقبل الأمر الفصل الى خلافة على « الرابع » لو كانت خلافة ابى بكر باطلة لم تتفق الأمة على مدحه دينا وسياسة ولم يكن عند الله ممدوحا وفى القرآن مدحه وهو مجمع على أنه محق قبل ظهور خلاف الشيعة « الخامس » أنه كان على يقول للصديق يا خليفة رسول الله فى حال اختيار وكذا الصحابة وقد قال الله عز وجل « واولئك هم الصديقون » « والسادس » لو كانت الامامة حق على غصبت عنه لكانت الامة شر أمة وقد قال الله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » « السابع » قوله ﷺ « اقتدوا بالخليفتين من بعدى أبى بكر وعمر » وهو صحيح ولو لم يتواتر « الثامن » . قوله ﷺ الخلافة بعدى ثلاثون سنة فأين ثلاثون بدون الخلفاء قبل على « التاسع » . استخلافه ﷺ الصديق فى الصلاة واقتدائه به فهو أولى بالخلافة بعد موته ﷺ « العاشر » قول على قدمك رسول الله ﷺ فى ديننا أفلا نقدمك فى امر دنيانا ، ولما احتضر الصديق قال لعثمان أكتب هذا العهد « أبو بكر ابن ابى قحافة آخر عهد من الدنيا وأول عهد من الآخرة » حالة يبر فيها الفاجر ، ويؤمن فيها الكافر انى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان احسن السيرة فذلك ظنى به والخير أردت ، وان تكن الاخرى فسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ، وقبلت الامة استخلافه لعمر ، ولو كان مبطلا لم يقبل عنه ، وجعلها عمر شورى بين عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص ، وقال لو كان ابو عبيدة حيا لما ترددت فيه آراؤهم ورأى أن رسول الله ﷺ مات راضيا عنهم ، ولم يترجح له واحد ، فاستعان بالشورى ، وقال ان انقسموا الى الاثنين والاربعة ، فكونوا مع الأربعة ، أى لأن الصواب الى الأكثر ، وأقرب اذا وافق أو خفى الشرع ، لا مطلقا . قال ، وان تساووا فكونوا ، مع الأربعة ، فالحزب الذى فيه عبد الرحمن بن عوف ، ولم يعين منهم من يصلى عليه اذا مات ، لئلا يفهم عنه أنه قدمه للخلافة ، بل أوصى أن يصلى عليه صهيب ، واتفقت الامة على عثمان ، ولما مات اتفقوا على علىّ ، والى الله الامور .

وولاية المسلمين عند الله أى ، من هو مسلم عند الله من الجن والانس موف بالتوحيد ، وبراءة الاشقياء عند الله من الجن والانس توحيد أو خصلة من خصال بالتوحيد وذلك كله على الفور مع الجمل الثلاث ، من لم يأت بها مشرك وقيل طاعة فريضة من لم يأت بها منافق ، وقيل توحيد لا على الفور ، بل مع السماع ، وكذلك ولاية الملائكة توحيد وهم منصوص عليهم ، واما ولاية المنصوص عليه فى الخير وبراءة المنصوص عليهم فى الشر فتوحيد مع السماع ، اذا علم انه نص عليه فى الخير تولاه وفى الشر تبرأ منه ، والامر بها أو ببراءة الجملة توحيد ، والتقرب بها

توحيد ، لا يجزى عن مطلق التوحيد ، والاستحلال لها أى اعتقاد أنها حق ، توحيد لا يجزى والانكار لها والنهى عنها والتخطئة لها بان يقول هى حرام أو غير واجبه ، والجهل بها وعدم اعتقادها او اعتقاد أنها حرام كل واحد من ذلك شرك ، وبراءة الجملة توحيد ، والامر بها توحيد ، والتقرب بها توحيد ، والاستحلال لها توحيد ، والانكار لها شرك ، والنهى عنها شرك ، والتخطئة لها شرك ، والجهل بها شرك ، وعدم استحلالها شرك .

خمسة : أى خمسة أشياء وليس حذف المعدود المذكر يرجح حذف تائه ، أو يوجب حذفها ، كما قيل بل يسوغ حذفها ، كما ورد واتبعه بست من شوال ، أو ورد بستة من شوال ، واما قوله تعالى « أربعة أشهر وعشرا » فالمراد عشر ليال تغليبا لليالى ، كما هو المعتاد من لم يعرفهن أى لم يعمل بهن ، وذلك أن العلم بالشىء سبب للعمل به ، وملزوم له فى الجملة ، وانما قلت ذلك ، لأنه ليس المراد معرفة الرضا بالموجود ، بل الرضى ولا معرفة اقامة الحدود ، بل اقامة ، الحدود ، ولا معرفة الصبر على المفقود ، بل الصبر على المفقود ، ولا معرفة الوفاء بالعهود ، بل الوفاء بالعهود ، ولا معرفة المعبود ، بل معرفة المعبود ، فهو كافر حقا ، اى غير شاكر وانه فاسق ضال ، ونحو ذلك من الاسماء التى يوصف بها المشرك والمنافق ، معا لا خصوص الشرك فقط ، لانه مختص بمن لم يعرف المعبود دون باقى الخمسة ، فمن لم يعرفه تعالى ، فله تلك الاسماء ، وزاد باسم مشرك ولا يقال كفر بالله الا المشرك معرفة المعبود سبحانه وتعالى انه موجود ، وان اسمه الله ، وان لا يشبه شيئا ، ولا يشبهه شىء فى فعل ولا صفة ولا قول ، وأنه أهل التقوى واهل المغفرة نعرفه ، وصفاته بافعاله ، لكن صفاته ليست غيره ندين بان معرفة الله لاتنال بالتفكر المحض ، اما التفكر فيما جاء من الشرع ، فيستنبط منه فحق والتفكر فى الجبال والأرض والبحار وما فى ذلك والسماوات والأرض ، يؤخذ منه توحيد الاله ، والرضى الحزم بان الله لا يجور ، أو السرور ، بعد القضاء أو العزم ، على الامتثال بالموجود مما هو من دين الله امراً ونهيا واباحة يعتقد انه حق ، ومن المصائب وفى نفسه وغيره كأهله ، واولاده وضيق الرزق ، ونحو ذلك عمنا الله الرحمن الرحيم بانعامه فى الدنيا والآخرة ، واقامة أى امتثال الحدود حدود الله وهى فرائضه من ترك وفعل كالصلاة والزكاة والصوم والرجم والجلد ، وليس المراد ما يشمل التأديب ، والمندوب اليه والمكروه والصغيرة لانه لا يكفر بفعل ذلك أو تركه ، وهو قال فهو كافر والصبر على المفقود على ما فقد مما يحبه من مال وصحة بدن وعرض وحزمة وجاه ومدح ، ولو كان لا يجوز حب الثلاثة ، والصبر وترك الجزع ، والتلهف وترك القصد الى اظهار الحزن ، وترك الشكوى والوفاء بالعهود ، بينه وبين الخلق مالم تكن معصية أو مكروهة ، وفى ذكره الوفاء بالعهود براعة الختام ، فان الوفاء بالعهد يناسب الختم ، وشهد التمثيل بذلك بقوله

بقيت بقاء الدهر ياكهف أهله وهـذا دعـاء للبريـة شامـل
وبقولـه واللـه يبقـيك لنـا سالما برداك تبجيـل وتعـظيم

تم وكمل بتوفيق الله واعانته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ، وقد تم شرح عقيدة التوحيد لعالم الدين والدنيا من بلغ علمه فى سائر الاقطار ، وشاع ذكره فى اهل البر والبحار ، نور الظلمات وأفضل السادات ، الورع الزكى ، والولى التقى ، شيخنا وسيدنا ، الحاج محمد بن الحاج يوسف ابن عيسى اطفيش اليسجنى المصغبى الأباضى الوهبى ، يسر الله له المصالح الدنيوية والاخروية ، وغفر له كل ذنب ، ويسر له كل معسر ، وارغم انف عدوه ، وخيب وكبت قلب حاسره ، لأواخر ربيع الانور من عام ستة وعشرين وثلثمائة من هجرة خاتم النبيين والمرسلين عليه وعليهم افضل الصلاة وازكى التسليم ، وعلى آله وازواجه واصحابه ، وكل مقتد بسيرتهم وسنتهم على يدى ملتزم به الفاضل الورع والكامل البارع السيد الحاج عمر ابن الحاج ابراهيم بن محمد العطفاوى وشريكه الحاج محمد بن الحاج صالح بن عيسى اليسجنى اعانهما الله على امر دينهما ودنياهما وغفر للمؤلف ولهما واغناهم بفضله عمن سواه بجاه نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه تسليما .

تم هذا الكتاب فى يوم السبت لخمس وعشرين ليلة مضت من جمادى الأول سنة أتم ١٣ من الهجرة عصر الامام العادل محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلى نصره الله وهو بيد العبد الضعيف الأقل لله عامر بن على بن سالم بن جريو الحبسى نسبا والاباضى مذهبا والمطعيبى من عمان موطنا .

سلطنة عمان
وزارة التـ ـقافة والتـ ـومي
المكتبة
الرقم العام : ٨٠٧
الرقم الخاص :

فهرس

الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم ٣
الحمد لله ٨
السنة فى الدعاء ١٢
التوحيد ١٩
الجهل البسيط والجهل المركب ٢٠
العرب العاربة ٢١
العربية والى من ينتسب العرب ٢٢
الإسلام ٢٥
بعثة محمد رسول الله ٢٨
لماذا لقب عبد الله بالذبيح ٣١
صفات عبد المطلب ٣١
هاشم وعبد مناف ٣٢
قصى وكلاب ٣٣
لؤى وغالب وفهد ٣٣
مالك وكنانه وخزيمة ومدركه ٣٤
إلياس ومضر ونزار ومعد وعدنان ٣٦
العمل والفرض والاعتقاد ٣٦
الأول لا إله إلا الله والثانى محمد رسول الله ٣٦
أول الواجبات ٣٧
صفات الملائكة ٣٨
النبى والرسول ٣٩
لقمان ٣٩

الصفحة

رسل البشر أفضل ٤٠
خالد بن سنان ٤٠
حنظلة بن صفوان ٤٢
الإيمان بالكتب ٤٣
الإيمان بالموت ٤٣
الإيمان بالبعث ٤٤
الإيمان بالحساب اليسير ٤٤
الايمان بالعقاب العسير ٤٥
الإيمان بالجنة والنار ٤٥
بما كان وما يكون وما هو كائن ٤٧
من يحرم دمه وقتله ٥١
قواعد الإسلام ٥٢
طلب العلم فريضة ٥٤
العمل فى اللغة والعرف ٥٤
الذى يبطل العمل ويحبطه ٥٥
التوكل على الله ٥٦
الحمية المذمومة الممدوحة ٥٧
الغضب والغيظ ٥٩
عن أسهم الإسلام ٥٩
جملة الإسلام والإيمان ٦٠
كمال الدين ٦٢
الدين : الأحكام ٦٣

الصفحة

السنة بأنواعها ٦٤
الرأى والإجماع ٦٤
الزكاة ٦٥
الصلاة والصوم والحج ٦٦
من السنة قصر الصلاة ٦٦
عن الاستنجاء ٦٧
عن الوتر ٦٨
عن الرجم فى القرآن ٦٨
من يحضر الرجم ٦٩
الإمامة الكبرى ٧١
الحد فى الخمر ٧١
ميراث الأجداد ٧٢
العبادة التَّركية ٧٤
مسالك الدين ٧٦
أبو بكر أفضل من غير الأنبياء ٧٧
إمامة عمر ٨٠
عبد الله بن وهب الراسبى ٨٣
نص خطبة زياد (البتراء) ٨٦
عن جابر بن زيد ٨٨
عن ابو عبيدة مسلم ٩٤
عن الرشيد والأعرابى ٩٩
لا ثواب للمجنون ١٠٢
صلاة الجمعة ١٠٤

الصفحة

الطواف على غير الكعبة حرام ١٠٥
صلاة العيدين ١٠٦
الصلاة على الميت ١٠٦
صلاة الخسوف والكسوف ١٠٦
صلاة ركعتى الطواف ١٠٧
الولاية ١٠٩
أصحاب الكهف ١١٢
أصحاب الأخدود ١١٤
الأخاديد ثلاثة ١١٦
قوم يونس ١١٨
مكث يونس فى بطن الحوت ١٢١
سحرة فرعون ١٢٢
مؤمن آل فرعون ١٢٣
حواء ومتى خلقت ١٢٥
سارة امرأة ابراهيم عليه السلام ١٢٦
أصل ثقب الأذن والختان ١٢٧
رحمة امرأة أيوب ١٢٨
كان أيوب رجلا من الروم ١٢٨
آسية امرأة فرعون ١٣٩
فرعون اسم لكل ملك فى مصر ١٤٠
زكريا وعمران كانا متزوجين بأختين ١٤١
عائشة أم المؤمنين ١٤٣

الصفحة

مقام عائشة عن رسول الله ١٤٤
من المعصومين آل ياسين ١٤٦
أخلاق السوء ١٤٨
الضدان شيئان وجوديان ١٥٠
تجب علينا ولاية أنفسنا ١٥١
المسلمون عند الله هم السعداء ١٥٢
البراء على أربعة أوجه ١٥٨
أهل الوعيد هامان وقارون ١٥٩
العصبة من الخمسة إلى العشرة ١٥٩
لما أنزل الله الزكاة على موسى ١٦١
فرعون ونمروز ١٦٢
من وصف بالنفاق والحالفون بالله ١٦٣
امرأة نوح وابنه ١٦٤
جواز الإقامة تحت الأئمة الجورة ١٦٥
الكلام عن الصابئين ١٦٦
الخضر والياس ١٦٧
أولو العزم ١٦٩
السنة على وجهين ١٧١
التوحيد على وجهين ١٧٣
الأمر على وجهين ١٧٥
أول الملائكة خلقا ١٧٧
أصحاب الأعراف ١٧٨
الملائكة من نور ١٧٩

الموضوع	الصحفة
الملائكة أجسام متنورة	١٨٠
الجن المؤمنون	١٨١
ديانة الجن	١٨٢
لماذا سمى آدم آدما	١٨٣
أمر الله الملائكة الأربعة	١٨٤
آدم خليفة الله فى أرضه	١٨٦
لماذا سميت حواء حواء	١٨٨
الحفظة اثنان	١٨٩
ثمانية حملة العرش يوم القيامه	١٨٩
رضوان خازن الجنة	١٩٠
ميكائيل واسرافيل وعزرائيل	١٩٠
لكل أحد ملك إلهام	١٩١
لكل أحد شيطان	١٩١
لماذا سمى الشهر شهرا	١٩٢
معنى محرم	١٩٣
لماذا سمى شوال شوالا	١٩٤
الأيام المعلومات	١٩٥
مرتكب الكبيرة	١٩٦
الإيمان يعم الأعمال الصالحة	١٩٧
الإيمان بالتصديق	١٩٩
الإيمان فى اللغة	٢٠٣
إلياس والخضر جاريان على حكم القرآن	٢٠٣
الموجود فى القرآن والحديث وكلام الصحابة	٢٠٥
عدد آيات القرآن	٢٠٨

الصفحة

عدد كلمات القرآن ٢٠٩
عدد حروف القرآن ٢١٠
أفضل الناس بعد رسول الله أبوبكر ٢١٣
الإمامية منعوا إمامة المفضول ٢١٦
مر الخوارج بعبد الله بن خباب ٢٢٠
اذا عقدت الإمامة لمن هو أهلها ٢٢١
شروط الإمامة ٢٢٣
احتجت الشيعة لإمامة على ٢٢٦
ولاية المسلمين عند الله ٢٣٠

رقم الايداع
١٩٨٣/١٧٢٠